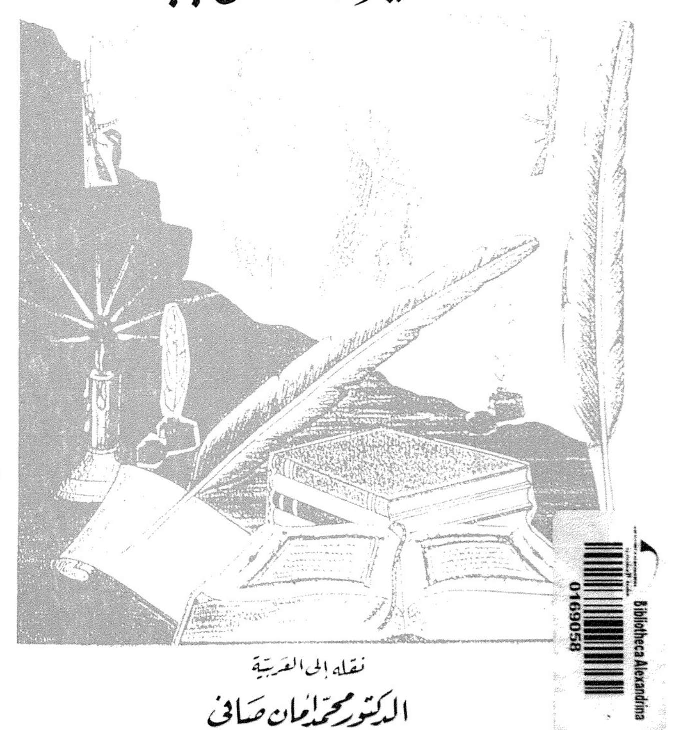
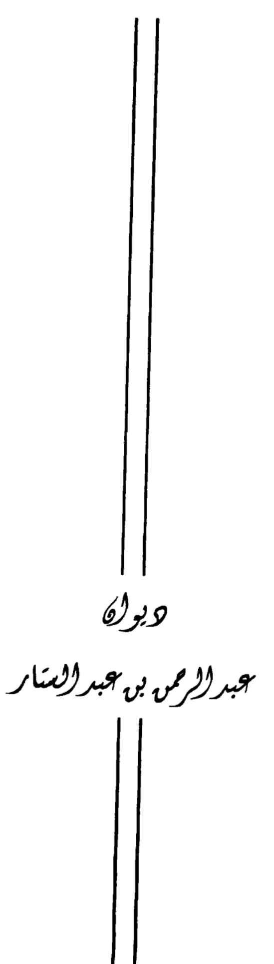
ديوان
عبد الرحمن بن عبد الستار
الشهير برحمان بابا



نقله إلى العربية

الدكتور محمد أمان صافي


ديوان
عبد الرحمن بن عبد الستار

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ / ١٣٧٤هـ ش / ١٩٩٦م

رقم الايداع

١٩٩٦/١٤٤٣٢

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-19-2458-3

☎ تليفون: ٣٥٠٩٧١٩ ☎

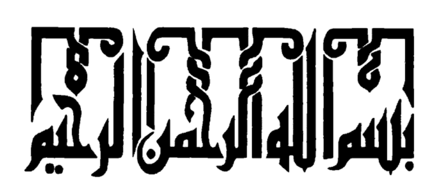
القـــاهرة

ديوان

عبد الرحمن بن عبد الستار

نقله إلى العربية:

الدكتور محمد أمان صافى


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى القابض على الجمر.. إلى المتمسك بلغته وأدبه وثقافته رغم كل التحديات.. إلى كل من نطق بالأفغانية في كل مكان وزمان رغم التعددية في الأسماء والأجواء.. إلى كل قارئ يقدر ما يبذله المترجم من الجهد في نقل الأفكار الأدبية من لغة إلى أخرى.. إلى كل هؤلاء أقدم هذه الترجمة لديوان شاعر الحب والإيمان.. شاعر الحكمة والفضيلة والإبداع.. شاعر الحق والخير والجمال.. شاعر العشق والروح والوجدان.. الشاعر عبد الرحمن بن عبد الستار طيب الله ثراه.. وجعل الجنة مثواه.

أبو محمد

المقدمة

شعرت منذ زمن طويل بأن المكتبة العربية فى حاجة إلى كتب تنقل إليها ما للأفغان من أدب.. شعره ونثره، نظرا لخلوها منه. ومعروف أن للأفغان ما لغيرهم من الشعوب، لغات وآداب، وهذه الآداب نتيجة للانفعالات التى تتفاعل فى قلوبهم ووجداناتهم، فيعمدون إلى تصويرها، والتعبير عنها فى صور أدبية.. شعرية أو نثرية. وعبد الرحمن بن عبد الستار موضوع هذا الكتاب خير من قام بتصوير تلك الانفعالات التى أثيرت فى قلبه وشعوره ووجدانه على نحو ما يلاحظ فى لغته التصويرية فى شعره، وما يتداخل فيها من صور التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة، وما فيها من روعة التشخيص والتخييل والتجسيد، وما تشتمل عليه من الإيحاءات والإشارات والإيماءات والرموز، بجانب ما فيها من المشاعر والعواطف، ومن الخوالج والخواطر، ومن المفاهيم والمعانى..

وهذه المعانى والصور التى أشرت إليها هى بعض ما قدمه عبد الرحمن فى شعره، وبعض ما طبع فى قلبه وظهر فى ديوانه واستقر فى قلوب الآخرين، هى بعض أشواقه وبعض ما ارتسم فى فكره بعد انطلاقه بقوة وحرارة وأصالة، وتحوله إلى وعى وحس وخيال، فعرف من أسرار الحياة ما لا يعرفه الآخرون، فهو على ذلك جدير بأن يعرفه الناس فى العالم العربى..

والأدب الإسلامى - ومنه الأدب الأفغانى - ملك للمسلمين جميعا.. لا فرق بين عرق ولغة، أو لون وجنس، أو حاجز من زمان أو مكان، ما دام

يشاركون فيه على أقدارهم متأثرين ومبدعين ومؤثرين، ويتوارثونه جيلا عن جيل، ويبنون عليه فى سبيل تطويره وتفاهمه وتكامله وتناقله من لسان إلى لسان، أو من لغة إلى لغة عن طريق النقل منه أو إليه.

والترجمة هى الوسيلة المثلى والوحيدة لتحقيق ذلك. وعبد الرحمن يعد من كبار الشعراء الإسلاميين فى الديار الأفغانية، فهو أحدر بأن ينقل أدبه الإسلامى إلى ديار الإسلام فى العالم العربى، لأنه أبدع وتأثر وأثر، فكان خير مساهم فى تطوير الأدب الإسلامى، فليكن خير منقول إلى الأدب العربى.

وللأفغان إبداع، وتأثير، وتأثر منذ أقدم العصور.. أبدعوا وأحسنوا الإبداع، وتأثروا بخير الكلم، وأثروا فى غيرهم بخير الكلم، إلا أن اختلاف اللغة، بل وتعدد اللغات فى الأفغان، واختلاف بعضها عن بعض قد حجب كثيرا من إبداعهم الأدبى، وحجز كثيرا من مظاهر التأثر والتأثير فى أدبهم ونبوغهم الفكرى من الوصول والامتزاج بالأدب العربى.. وعبد الرحمن من المظاهر الأدبية المحجوبة فى العالم العربى يجب كشفه ورفع الحجاب عنه ليراه الأدب العربى بوجهه الأدبى اللامع، وليتنقل كالأطيار فى جنات واسعات من الظلال والنعيم ومن الشوق والطرب.

ومن هنا أرانى أقدم إلى عشاق الأدب الإسلامى ديوان عبد الرحمن الشهير برحمان بابا منقولا من الأفغانية إلى العربية، وقد بلغ كل من الديوان وصاحبه من القلوب والمشاعر فى ديار الأفغان مبلغا لم يبلغه غيرهما من الدواوين وأصحابها، وكان لكل منهما – ولا يزال – تأثير قوى خالد فى الشعراء الذين أنشأوا الشعر

وأنشدوه بعد رحيله، آملا أن يكون لهذا الديوان قبولا حسنا فى البيئات الأدبية فى الديار العربية أيضا..

وأملى، بل هدفى من هذا العمل الأدبى التقريب والتوثيق بين الآداب الإسلامية، بجانب توطيد التفاهم والتقارب بين الشعوب الإسلامية، والتمهيد لمعرفة آدابها، وطرائق تفكيرها، وطموحاتها المصورة فى قوالب الشعر الذى هو من أنفس ما للأمم من أدب وتراث..

ورأيت أنه من الأفضل أن أقدم للقراء العرب نبذة موجزة عن حياة الشاعر وشعره، وفنه، لندرة من يعرفه فى العالم العربى، على الرغم من أنه يعد بحق من كبار الشعراء الأفغان الإسلاميين، بل إنه نجم من ألمع النجوم فى سماء الشعر الأفغانى بما قدمه للأدب من نتاج شعرى وفير، وفكر غزير..

وأحب أن أقول بأننى قد بذلت أقصى ما فى وسعى أن أكون أمينا ودقيقا فى نقل الديوان إلى العربية، إلا أنه نظرا لصعوبة ترجمة لغة الشعر، فإنه يجب علّى أن أعترف بأن هناك بعضا من التجاوز والتسامح المحدود سمحت به لنفسى أثناء الرحلة الأدبية فى ترجمة الديوان فى نقاط محدودة، وهى:

١- هذه الترجمة ليست ترجمة لفظية محضة، كما أنها ليست ترجمة معنوية محضة ولكنها توفيقية بين اللفظ والمعنى، بذلت فيها جهدا كبيرا بألا يفلت المعنى المطلوب والفكرة المقصودة من يدى، فجاءت الترجمة ممزوجة بشىء قليل مما يشبه الشرح.. وعلى هذا الأساس تم نقل الديوان إلى العربية بأمانة ودقة..

٢- وقد استخدمت أثناء الترجمة كلمات مترادفة إما للتعبير عن المعنى بدقة، أو بغرض التزيين اللفظى وملء الفراغ فى أواخر ترجمة الأبيات أحيانا..

٣- ويلاحظ أن هناك تقديما وتأخيرا فى بعض الأبيات الشعرية، حيث قدمت فيها ترجمة الشطرة الثانية على ترجمة الشطرة الأولى نظرا للاختلاف الموجود بين التعابير والأساليب الأفغانية والعربية، وقد أشرت إلى ذلك فى الهوامش..

٤- وقد استخدمت فى الترجمة ثلاث طبعات من الديوان إضافة إلى الديوان المترجم بالأردية طبعت فى كل من كابل ويشاور وقدم لها علماء بارزون فى الآداب الأفغانية، ونشرتها جهات ومؤسسات علمية مختلفة، وهذه الطبعات الثلاث تكمل بعضها بعضا، وذلك لنقل ما فى هذه الطبعات من المقطوعات الشعرية إلى العربية كاملة، والطبعات هى:

أ - ديوان عبد الرحمن بابا، تقديم وتحقيق لفيف من علماء الأفغان من المتخصصين فى اللغة الأفغانية وآدابها، نشرته أكاديمية البشتو فى كابل ١٣٥٦هـ ش (١٩٧٧م).. وهو أكمل الطبعات وأفضلها ترتيبا وتحقيقا وطباعة، وقد اتخذته لذلك أساسا للترجمة..

ب - ديوان عبد الرحمن بابا، تقديم مولانا عبد القادر رحمه الله، والبروفيسور محمد نواز طائر من علماء جامعة پشاور، نشرته أكاديمية البشتو بجامعة پشاور، الطبعة الثانية، پشاور ٩٨٧م..وهو أفضل الطبعات تقديما..

جـ - ديوان عبد الرحمن بابا، تصحيح وتقديم سيد رسول رسا، أحد علماء اللغة الأفغانية وآدابها. نشرته وكالة الكتب الجامعية فى پشاور ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، وهو أفضل الطبعات مقارنة..

د – ديوان عبد الرحمن الذى ترجمه الشاعر الزاهد أمير حمزه شينوارى رحمه الله إلى الأردية نظما، ونشرته أكاديمية البشتو بجامعة پشاور سنة ١٩٦٣م وأعيد طبعه للمرة الثانية سنة ١٩٨٧م فى مطبعة " جدون " فى پشاور..

٥- وهذه الطبعات الثلاث تتفق فى تناول معظم بل كل ما للشاعر عبدالرحمن من القصائد والمقطوعات الشعرية باستثناء عدد قليل من القصائد التى تتميز بها مطبوعة أكاديمية البشتو فى كابل التى نشرتها سنة ١٩٧٧م دون غيرها من المطبوعتين البشاوريتين.. مطبوعة سنة ١٩٨٧م التى قدم لها مولانا عبد القادر، ومطبوعة سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ) التى قدم لها سيد رسول رسا. ولقد أشرت إلى ذلك فى الهوامش عند ترجمة مثل تلك القصائد، كما أشرت إلى المطبوعة التى تشتمل عليها، والمطبوعة التى لا تشتمل عليها.وبقية القصائد والمقطوعات الشعرية متفق عليها بصفة عامة بين الطبعات الثلاثة.. الكابلية والپشاورية..

٦- ومما لا شك فيه أن كثيرا من الأبيات الشعرية فى الديوان يحتوى على شئ كثير من الإبهام والإيهام، ومن الغموض الصوفى، والرموز الفلسفية، ومن العمق المعنوى والإغراب اللفظى بالإضافة إلى الأمثال الشعبية،وقد استعنت فى حل كل تلك الرموز والإشارت الضاربة فى الأعماق بالله سبحانه وتعالى أولا وقبل كل شئ، ثم بعد ذلك بعدد من المثقفين الأفغان الذين يعملون فى مؤسسات علمية بجدة، وذلك للتأكد من فهم معنى البيت ومغزاه اللغوى والاصطلاحى، والمعنى المراد الذى يرمز إليه الشاعر، فجزاهم الله عنى خير الجزاء وأحسنه، وأخص بالذكر والشكر والعرفان كلا من:

أ ـ الأخ الفاضل المهندس ولى محمد قريشى:

مثقف فاضل يحمل شهادة الماجستير، ومن مواليد ولاية ننكرهار سنة ١٩٣٨م، وثيق الصلة، قوى الارتباط، شديد الاتصال باللغة الأفغانية وآدابها، وله مساهمات أدبية وسياسية. ويعمل حاليا فى شركة " حلوانى إخوان " بجدة.

ب ـ الأستاذ أرسلا طوطى خان :

من فضلاء سوات المشهورين بحبهم للأدب ولغته الأفغانية، ولد فى مدينة " سيدو شريف " حاضرة سوات سنة ١٩٤٢م، ودرس علوم المكتبات والمعلومات، ثم قال لى إنه سافر إلى أمريكا ونال فيها شهادة الماجستير. ويعمل الآن محاضرا بمدرسة التصاميم البيئية بكلية الهندسة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. وكان سروره وفرحه عظيما حين علم بأننى قد نويت ترجمة ديوان عبد الرحمن، وأبدى استعدادا طيبا للتعاون فى هذا المجال الأمر الذى شجعنى كثيرا فى إنجازه. وعلاقته بالأدب قوية لا وهن فيها، متينة لا انفصام لها.

ج ـ الأستاذ محمد ظاهر شريفى:

أستاذ فاضل من مواليد ولاية ننكرهار عام ١٩٤٢م، وقد درس الرياضيات والفيزياء فى جامعة كابل، ويحمل شهادة البكالوريوس، وقد عمل بعد التخرج فى الإدارة العامة للتأليف والترجمة بوزارة المعارف الأفغانية، كما عمل بعد ذلك فى مركز العلوم، وقبل الانقلاب الشيوعى فى أفغانستان كان محاضرا فى جامعة ننكرهار. وهو يعمل الآن محاضرا بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وصلته بالأدب الأفغانى قوية متينة لا انفصام لها. وهو يحفـظ شيئا غير يسير من الشعر والأمثال الأفغانية..

د ـ الأستاذ محمد صادق علمي:

صاحب الخلق الفاضل ولد سنة ١٩٥٢م فى ولاية وردك، وتخرج فى كلية الزراعة بجامعة كابل، وواصل دراسته فى جامعة طهران حتى نال شهادة الماجستير فى الأنسجة الزراعية، وفى الوقت الحاضر يعمل محاضرا فى كلية الأرصاد وزراعة المناطق الجافة فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة. وعلاقته باللغة الأفغانية وآدابها علاقة الابن بالأم. وهو يحفظ بعضا من أشعار عبد الرحمن فى الحكم والأمثال..

هـ ـ السيد حبيب الله معراج محمد:

من ولاية پكتيا، ويدرس الآن فى كلية الأرصاد وزراعة المناطق الجافة بجامعة الملك عبد العزيز فى المرحلة النهائية، وشيك التخرج. ولد فى ولاية پكتيا عام ١٩٦٣م، وهو من الناطقين باللغة الأفغانية. جعل الله نجله وقرة عينيه الصغير أحمد على درب الأجداد الصالحين..

و ـ مسك الختام السيدة/ مرحبا صافى:

إنها لربة بيت صالحة متدينة، قوية الصلة باللغة الأفغانية وآدابها، وكان والدها فيض محمد خان صافى - رحمه الله - شاعر مطبوع يقول الشعر الشعبى باللغة الأفغانية، وهى تحفظ بعض قصائده الشعرية حتى الآن، كما تحفظ بعضا من الشعر والأمثال الشعبية الأفغانية، من مواليد ولاية كونر سنة ١٩٤٦م.إسلامية

الأفكار والثقافة، ذات آراء صائبة رغم أن تحصيلها العلمى لا يتجاوز المرحلة الإعدادية. حفظها الله لمواصلة أداء مهمتها لتربية الأبناء.

ز - السيد | محمود محمد أمان صافى:

أما السيد محمود الذى ولد بالقاهرة فى ١٩٧٢/٩/٢٧م فقد تحمل كثيرا من العناء والمشقة وعمل ليلا ونهارا - رغم أنه طالب يدرس الكمبيوتر - فى سبيل تحرير الديوان، وإعداد نصه المترجم إعدادا دقيقا، فقام بتنظيم النص، وتنسيق أنماط حروفه وفقراته، ومقاطعه، وتخطيط صفحاته وترقيمها، وكتابة هوامشه، والتعامل مع ملفاته ورموزه المستخدمة فى كتابته، وإشاراته المرجعية، والقيام بعمل القوائم الدقيقة المنسقة لمراجعه وفهارسه، بجانب القيام بالعنونة وعملية التكبير والتصغير والتغميق حسب ما يقتضيه فن التحرير. فهو بذلك أحق بدعائى، وفقه الله فى أمور دينه ودنياه، وفى حياته الدراسية والعلمية والعملية.

٧- عناوين المقطوعات والقصائد الشعرية من إضافتى أنا المترجم وليس لها وجود فى أصل الديوان باللغة الأفغانية، وكذلك الأمر فيما تراه من الرقمين اللذين يحيطان بالمقطوعات الشعرية، أحدهما قبل العنوان المضاف وهو يشير إلى تسلسل عدد المقطوعات الشعرية، والرقم الثانى فى نهاية كل مقطوعة من المقطوعات، وهو يشير إلى عدد الأبيات الشعرية. وبناء على ذلك فإن عدد المنظومات الشعرية الكلى:٣٨١ منظومة بين قطعة وقصيدة، وعدد الأبيات الشعرية الكلى التى تمت ترجمتها ٤١٥١ بيتا، ما عدا الأبيات الفردية التى طبعت فى نهاية مطبوعة كابل بعنوان " بيتونه - الأبيات " وعددها ٧١ بيتا، فلو أضفنا هذه الأبيات الفردية التى فضلت عدم ترجمتها إلى الأبيات المترجمة

لكان عـدد الأبيـات الشـعرية التـى أنشـدها الشـاعر عبـد الرحمـن ٤٢٢٢ بيتـا (٤١٥١ + ٧١ = ٤٢٢٢). ويلاحـظ أن كـل العنـاوين المضافـة مـأخوذة مـن البيت الأول فى كل مقطوعة من المقطوعات الشعرية نفسها، ويلاحظ كذلـك أن كل الإضافات محاطة بعلامات التنصيص (" ") حرصا منى على أداء العمـل بدقة وأمانة..

ولئن نسينا أو أخطأنا فى شئ من الترجمة والنقل والفهم فإن عذرنا فى ذلك أنا كنا مخلصين فـى عملنـا، صـادقين فـى قولنـا، هـادفين إلى الدقـة وإصابـة الحـق، والوصول إلى الصواب، مندفعين إلى خدمة الآداب الإسلامية خدمة صادقة مخلصـة، ندعو الله أن يغفر لنا ما نسيناه أو أخطأنـا فيـه.. ﴿ **ربنـا لا تؤاخذنـا إن نسـينا أو أخطأنا** ﴾ ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السـميع العليم** ﴾.

الدكتور محمد أمان خان صافى الأفغانى

السليمانية - جدة

يوم الجمعة ١٤١٤/٥/٧هـ - ١٣٧٢/٧/٣٠هـ ش - ١٩٩٣/١٠/٢٢م



عبد الرحمن بن عبد الستار:

الشاعر الإسلامى الوجدانى عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير برحمان بابا أكثر شعراء الأفغان شهرة وقبولا، وأكثرهم تقديرا واحتراما، ليس فى الأفغان شخص لا يعرف عبد الرحمن الشاعر الروحى المحبوب، ولا يطرب لشعره.. يقوم الخطباء والدعاة فوق المنابر بتقديم أبيات شعره كمواعظ ونصائح دينية مؤثرة، والنساء يستشهدن بأبيات شعره عند تقديم نصحهن للشباب والشابات، ويستشهد الشيوخ والأعيان أثناء مؤتمرات المصالحة بشعره.. وشعره ينبوع فياض للمعانى والمشاعر الروحية التى يبحث عنها أهل الزهد، والمعرفة، والعرفان، كما أنه مصدر من مصادر المبادىء السياسية والمفاهيم القومية التى يبحث عنها رجال السياسة، وزعماء القبائل وأعيانها فى الديار الأفغانية، ويتغنى الشباب بقصائده التى فيها أسرار ورموز ومعان لكل طائفة من طوائف الأفغان المتعددة من الروحيين، والسالكين، والبسطاء، والسذج، والمثقفين، والعباقرة، والكتاب، والمصنفين، والأثرياء، والفقراء، والدراويش، الذين يحاولون رسم الطريق فى دروب الحياة المتشعبة للوصول إلى معان للحياة، لأنهم يرون وراء كل كلمة من شعره مجهولا يستحق الاكتشاف، ويرون فى عباب كل أنشودة سرا يمكنهم من العثور على أسرار الحياة ورموزها. وفى رحلتهم هذه بين صفحات الديوان وسطوره وكلماته يصلون إلى مطالب جميلة مطربة، وإلى معان رائعة، وإلى أثر خالد فسيح، فيحسون بحالة من النشوة والوعى والعشق الساحر، لم يكونوا

ليحسوا بها من قبل، فتتحرك فى قلوبهم ووجداناتهم وضمائرهم أشواق الإنسانية، ومشاعر الفطرة الآدمية فى صفاء وشوق ووئام، إن الكل يحترم شخصيته، ويقدر شعره، وهو عزيز مجلل فى نظر الجميع، وهو شاعر الأفغان الموهوب، وبلبلهم المغرد المطبوع، ومرشدهم المتبوع[١]

مولده:[٢]

ولد عبد الرحمن بابا بن عبد الستار على الأرجح سنة ١٠٤٢هـ/ ١٠٠١هـ ش/ ١٦٢٢م فى بلدة " بهادر كلى - قرية بهادر " ونشأ وترعرع فى بلدة " هزار خانى - ألف بيت " وتوفى بها سنة ١١٢٨هـ/ ١٠٨٧هـ ش/ ١٧٠٨م[٣]. وتم دفنه فى المقبرة التاريخية الشهيرة التى تضم قبور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والملوك والقواد المشهورين، والشخصيات التاريخية

---

(١) مجلة البشتو عدد أكتوبر ١٩٨٧م، أكاديمية البشتو، جامعة پشاور، مقال بقلم الأستاذ سيد تقويم الحق كاكا خيل، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٢، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م.

(٢) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ١٩٣، ومير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ مقدمة عبد الحليم أثر، وديوان عبد الرحمن بابا ٥ - ٩ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، ومجلة البشتو عدد اكتوبر ١٩٨٧م، وديوان عبد الرحمن بابا ٦ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، وديوان عبد الرحمن بابا ٣٣ - ٣٥ مقدمة مولانا عبد القادر.

(٣) محمد آصف صميم: فهرس أعلام ديوان عبد الرحمن بابا ١٤ المقدمة، ومقدمة ديوان رحمان بابا ٣٥، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م.

الأخرى[1] فى التاريخ الأفغانى. وقد رثاه تلميذه الشاعر محمد يونس خان بهذه المقطوعة الشعرية[2]:

منذ أن ظهر الفراق والهجران مع الحب
فإن أملى أصبح علامة ألم فى قلبى
إن مجلس الأحباب الطيبين فصل الربيع
حين هاجمه الفراق أصبح فصل الخريف
فالذى كان فى التقدير والنفاسة درر من درر البحر
فقد أصبحت المقبرة الآن صدف لتلك الدرر
والذى أشرق كالشمس فى مشرق المودة
فقد أغرب واختفى فى مغرب الفراق والهجران
وبما أن رياح الفراق والتباعد تهب فى العالم هائجة
فقد أصبح شكلى خوفا من ذلك كشجر الصفصاف المهتز
كيف وبأية وسيلة يمكن فك قفل صمته وفتحه ؟
حين حبس الموت مفتاح لسانه وبيانه فى الداخل
من الرحمن نال عبد الرحمن فيضا وفيرا وكرما
حيث انتقل من هذه الدار واستقر ضيفا فى الدار الجديدة

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٠، الطبعة الثالثة، يشارو ١٩٨٤م.

(٢) حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٢٠٣، ومقدمة ديوان عبد الرحمن بابا ٢٧ – ٢٨ تحقيق لفيف من علماء الأفغان.

إن المــوت يجعــل مــن كريــم الكلــم الطيــب بخيــلا
بحيـث لا يرغـب قلبـه فـى كـلام، بـل يصعــب عليـه ذلــك
من كانت شهرته طيبـة فـى الملـك (البـلاد) فهـو ليـس بميت
مـاذا حـدث؟ إن كـان يعـد فـى عـداد الموتـى ويحسـب
فقـــد نـــال شـــعره بالأفغانيـــة صيتـــا وشـــهرة
فـــذاع واشـــتهر حتـــى عرفتـــه إيـــران وتـــوران
مـن الـذى سـيقوم بإنشـاد شـعر عـذب مثلـه يـا يونـس
حـين صمـت عبـد الرحمـن،وانقطـع عـن إنشـائه بـالموت

نسبه:

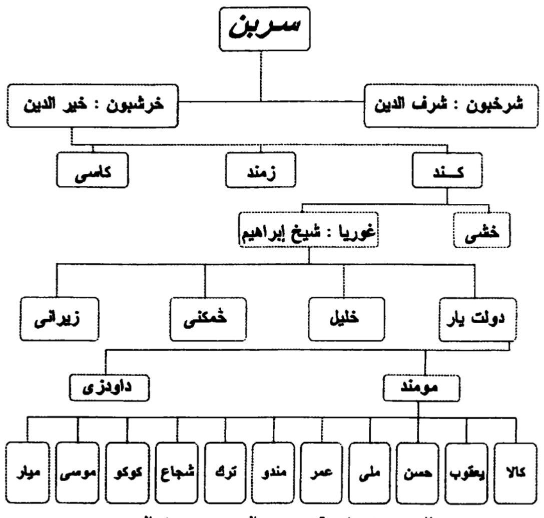
يرجع بنسبه إلى قبيلة مومند (مهمند) الأفغانية الشهيرة التـى كـانت شـوكة فى جنب الإنجليز مدة وجودهم فى الهند، كما كانت شوكة فى جنب المغول أثناء حكمهم فى الهنـد قبـل المستعمرين الإنجليز. فعبـد الرحمـن حسـب نظـام العشـيرة والقبيلة الدقيق بين الطوائف والقبائل والشعوب الأفغانية منذ أقدم العصور: إبراهيم خيلـى، ثـم دويـزى، ثـم مومنـدى، ثـم غوريـا خيلـى، ثـم سربنى[1] فـى القمـة. وسربن بن قيس عبـد الرشيد هـذا هـو الجـد الأعلـى لمجموعـة كبـيرة مـن القبـائل الأفغانية، يبلغ عددها إلى ١٠٥ (مائة وخمس) قبائل[2].

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢ - ٤ تحقيق لفيف من علماء الأفغان،كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م.

(٢) سيد بهادر شاه ظفر كاكا خيل: پشتانه د تاريخ په رنا كـى ١٢٦٥ ومـا بعدهـا، پشـاور ١٩٦٥م/ ١٣٨٤هـ

وقد ذكره عـدد مـن الشـعراء الأفغـان منسـوبا إلى سـربن، وغوريـا خيـل، ومومند، ودويزى، من أمثال خوشال خان، ومير أحمد شاه رضوانى، وعبد القـادر خان ختك، وعبد العظيم رانيزى السواتى، ونجيب، وملا خايسته خان وغيرهم.



هذا رسم يوضح شجرة نسب عبد الرحمن من مومند إلى سربن

نقلا عن ديوان عبد الرحمن بابا – تحقيق لفيف من علماء الأفغان

قبائل مومند التى ينتمى إليها عبد الرحمن قد اشتركت فى حروب التحرير التى خاضها الزعيم الشاعر خوشال خان ختك ضد المغول، ومن أشهر تلك المعارك معركة "لندى كوتل" فى وادى خيبر التى اشتركت فيها كل من القبائل الصافية والمومندية معا فى سنة ١٦٧٢م وألحقت الهزيمة بالجيش المغولى، مات فيها أربعون ألفا من جيش أورنك زيب، وكان لكل من القائد أيمل خان (المومندى)[١] ودريا خان الأفريدى دورا بارزا فى تنظيم المعركة وإلحاق الهزيمة بالمعتدين. والمعركة الثانية التى انتصرت فيها قبائل مومند هى معركة "كنداب" فى سنة ١٦٧٣م، أما المعركة الثالثة فكانت فى ١٦٧٤م فى "خابخ" وفى هاتين المعركتين انتصرت القبائل المومندية وألحقت الهزيمة بجيش أورنك زيب المغولى[٢] الذى لم يفكر بعد ذلك فى خوض معارك ضد القبائل الأفغانية، وإنما اتبع فى ذلك سياسة "فرق تسد" فى إخضاع القبائل التى لم يتمكن من إخضاعها أيضا.

وقد جاء ذكر هذه المعارك والانتصارات التى حققتها القبائل الأفغانية فى كل المصادر الأدبية، وللزعيم الشاعر خوشال خان ختك قصيدة رجزية يتغنى فيها بهذه الانتصارات للقبائل المومندية، وقد بدأها بهذا البيت من الشعر[٣]:

من أين أقبل هذا الربيع مرة أخرى
وجعل من كل أنحاء الوطن حديقة واحدة

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٧، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

(٢) السير أولف كيرو: پتهان ٣٢٤ – ٣٢٥ الترجمة الأردية، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

(٣) كليات خوش حال خان ٢٣، پشاور، سنة .... ؟

إلا أن عبد الرحمن لا يذكر هذه البطولات التي حققها قومه من قبائل مومند التي ينتمي إليها.. هل كان صغيرا؟ أم أن الشعر الذي أنشده فيه قد ضاع، كما ضاع كثير من درر الأدب الأفغاني؟

على أننا لا نعلم عن تاريخ أسرته شيئا يذكر، والمصادر التي تتحدث عن تاريخه وتاريخ أسرته قليلة شحيحة. وهو يشبه في ذلك كلا من الشاعر الإغريقي الملحمي الضرير هوميرس صاحب الإلياذة، والشاعر الفارسي الغنائي العفيف في وصف مشاهد الحب حافظ شيرازي (شمس الدين محمد) والشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير[١].

وعبد الرحمن في ذلك كأبي الطيب المتنبي الذي انحدر من أصل عربي من أهل الكوفة فملأ الدنيا وشغل الناس، وهم لا يعرفون عن هذا الرجل إلا قليلا، ولا يعرفون من أمر جده قليلا ولا كثيرا. كذلك يحدثنا التاريخ بأن أبا جرير لم يكن في التاريخ شيئا مذكورا بينما كان جرير نفسه من أعظم الشعراء في عصره، وملأ الأدب وأعمره بشعره[٢]. ويونس أمره شاعر تركي شهير، ولا يعلم الأتراك عن تاريخه شيئا[٣].

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ١٢ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ، وديوان عبد الرحمن بابا ١٩ - ٢٠ مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية، پشاور.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ١٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م

(٣) يونس أمره: أشعاره، المقدمة، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩١م

كل ما يمكن قوله بالنسبة لأسرته أن أسرته كانت كبيرة العدد واسعة الانتشار كما يبدو ذلك من بعض شعره[1]، وأن ابن أخته حميد كل كان شاعرا من سكان قرية "پلوسو" كما يقول ذلك المستشرق الفرنسي جمس دارمستتر[2]، وكان له ابن لم يبق من ذريته أحد كما يقول ذلك المستشرق الإنجليزي ميجر راوتي[3]، وقيل إن عزيز خان الذى ذكره عبد الرحمن فى أحد أبيات شعره كان شقيقه وقيل ابن عمه، وقيل من أقاربه، وقيل إنه كان من أثرياء بلدته[4].

وأما حالته الاقتصادية والاجتماعية فى عشيرته فإنها كانت متوسطة، لم يكن من الأثرياء ولا من المعدومين، ويمكن القول بأنه كان أقرب إلى طائفة المزارعين الذين يملكون قطعة أرض زراعية يزرعونها ويعيشون من محصولها[5]..

إن الذين يزرعون أرضهم بالأمطار والسيول
فإن عمرهم كله عذاب ومشقة[6]

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ١٧، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م
(٢) جمس دارمستتر: د پشتو نخوا د شعرهار وبهار ١٤٠، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش
(٣) ديوان عبد الرحمن ٢١ - ٢٢ مقدمة مولانا عبد القادر، پشاور، الطبعة الثانية ١٩٨٧م
(٤) ديوان عبد الرحمن ١٥ - ١٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م
(٥) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٨٠ - ٨١، ومقدمة ديوان عبد الرحمن صفحة ١٧ تحقيق لفيف من علماء الأفغان
(٦) ديوان عبد الرحمن ١٠٧ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

سيرته:[1]

أنا عبد الرحمن أطلب الحماية من ذلك العلـم
الـذى لا يمـت إلى الديـن والعقيـدة بصلـة

تلقى عبد الرحمن ما يتلقاه فتيان أهل زمانه من علوم على يد علماء عصره.. درس القرآن الكريم والعلوم الدينية الأولية فى " بهادر كلـى " مسـقط رأسـه، ثـم ارتحل كعادة طلاب العلـم فـى عصـره إلى " سـلطان پـوره " ودرس بعـض العلـوم الإسلامية والعربية، كما أقام ردحا من الزمن فى كوهاټ، ودرس مزيدا من العلوم الإسلامية والأدبية، ثم عاد إلى مسكنه فى " هزار خانى " ولزم منزلـه، وعـاش فيـه على طريقة الفلاسفة المتقشفين.

وبعد أن درس العلوم الرائجة فى عصـره اعـتزل النـاس، وانقطـع إلى عبـادة الله، وقد ظهر فيه منذ أوائل شبابه ميل إلى التدين والتلذذ بالتجرد الروحـى، فلمـا مر ببعض مراحل حياتـه العلميـة عـاد إلى العبـادة والتجريـد، والسـياحة الروحيـة، فنضجت شاعريته الوجدانية، وكملت مواهبه الروحية والمعنوية.

يبدو أنه قرأ بإمعان كثيرا من دواوين الشعراء الأفغان من أمثال مـلا أرزانـى وميرزا أنصارى ودولت لوانى وخوش حال خـان وغـيرهم ممـن سـبقوه فـى قـول الشعر، كما يبدو أنه اطلع على دواوين شعراء الفارسية من أمثـال سـنائى غزنـوى وحافظ شيرازى وعبد القادر بيدل وغيرهم، وقد تأثر بها وأخذ بعضا من معانيهم،

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٢ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ، وديوان عبد الرحمن ١٩ - ٢٠ مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية، پشاور ١٩٨٧م

وهو يضع شعره وشعر سنائى غزنوى فى منزلة واحدة من الجودة وقوة التعبير، حيث يقول[1]:

أنشد عبد الرحمن الشعر باللغة الأفغانية

وأنشد سنائى الشعر باللغة الفارسية[2]

الثبات على الإسلام، والاستقامة، والزهد فى الدنيا، وعدم التظاهر فى عبادته، وبقية أعماله من المبادىء التى سار عليها عبد الرحمن بابا و لم يرض بغير الإسلام دينا وعقيدة وسلوكا، ويدعو الله أن تكون عبادة الزهد فى الدنيا خالصة لوجهه بعيدة عن الرياء والتظاهر، وهذا البيت من شعره يدلك على شئ من زهده واستنكاره للرياء:

أنا عبد الرحمن أرغب فى الحماية من زهد فيه رياء

إن الزهد الذى يحتوى على الرياء عذاب وعقاب[3]

كان عبد الرحمن من الدعاة الهداة، ومن العلماء الحماة، يرفع صوته بالدعوة إلى الله ليجعل الديار الأفغانية معطرة بأبيات شعره الذى يحتوى على مبادىء الإسلام، وتعاليمه السامية، وقد أدرك جيدا ما للشعر من تأثير على نفوس الأفغان، حيث ينشر بينهم من خلال روائع شعره القيم الإسلامية الرفيعة، والمبادىء

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ – ١٥، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ومحمد نواز طائر: روهى أدب ٣٠٦ – ٣١٥ الطبعة الثانية، پشاور ١٩٨٦م

(٢) د رحمان بابا ديوان ١٣، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

(٣) د رحمان بابا ديوان ٣٨، طبعة پشتو تولنه، كابل. وديوان عبد الرحمن بابا ١٨٠، طبعة پشتو آكيديمى، پشاور يونيورستى.

القويمة، والأخلاق المتينة، والأهداف السامية التي وضعها الإسلام، وشرحها نبي الإسلام:

رباه، شعري الذي يجعل بلاد الأفغان معطرة

صير كل شطر منه ضفيرة من ضفائر الحسان[1]

يجمع المؤرخون على أنه كان ورعا وقورا طيب الأقوال والأفعال، ومن روح قصائده الشعرية يتجلى له أربع مزايا بارزة:

١ـ كان شديد التأثر بالإبداع الإلهي في الطبيعة والكون، وأثر ذلك واضح جلي في شعره الوجداني، حيث أن في ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها مناجاته لله، نذكر منها هذين البيتين من شعره:

رباه، إنني عاشق نورك من الأزل

ولم أبدأ ذلك ابتداء من اليوم

لو مات عبد الرحمن شهيدا بسيف عشقك

فإن عبد الرحمن قد أدى المسئولية الملقاة على عاتقه[2]

٢ـ ميله الشديد إلى العزلة والتقشف، والبعد عن ضجيج الناس ومتاعبهم، وقد عبر عن ذلك في كثير من أبيات شعره، منها هذان البيتان:

ما رأيت الملك الأسفل ولا الملك الأعلى

ولا عندي خبر عن اليمين، ولا عن اليسار

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٢٢، طبعة پشتو تولنه، كابل، سنة ١٩٧٧م

(٢) د رحمان بابا ديوان ١٥ - ١٦، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

الماء والطعام يصلني كالرحى في مكاني
في منزلي يتم سكوني، وكذلك حركتي[1]

٣- كرم سجيته وحسن خلقه، فقد أجمع الكل على نعته بسمو الخلق من رقة وإيناس، وكرم وترفع عن حطام الدنيا، ولم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعا في الحصول على المال أو شرف المقام، بل كان التدين طبعا فيه، يرفعه عن الشهوات والأطماع المعيبة، لذلك كان يترفع عن المدح، وكذلك عن الهجاء، ومن شعره في ذلك قوله:

إنني أجيد فن المدح وفن الهجاء إجادة جيدة
إلا أنني لا أشعر بالرضا والسرور بمثل هذه الأمور
ليس لي إلا العشق سواء كان ذلك عيبي أو مدحي
لقد قمت بقطع العلاقات الأخرى عن الآخرين[2]

٤- شدة المؤاخذة، كان شديد المؤاخذة لنفسه، كثير البكاء والاستغفار والاستغاثة، وبالاختصار كان عبد الرحمن بابا شديد الإحساس والتأثر، كثير التأمل، ورعا تقيا، محبا، حسن الصحبة، كثير الخير، وكثير الصيام، وكثير الندامة والأسف. فلا تستغرب عن إكرام الناس له ولشعره، إذ كان أولا من العلماء، وكان ثانيا من الشعراء، وكان ثالثا من الزهاد والأتقياء، فهو صاحب منزلة قوامها الدين والعلم والزهد، والوجدان بالإضافة إلى منزلته في الشعر والأدب.

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٥٣، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

(٢) د رحمان بابا ديوان ٤٩، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

ولا عجب أن يكون عبد الرحمن أكثر شعراء الأفغان قبولا، وأكثرهم تقديرا، وأن يحتل تلك المكانة المرموقة فى عالم الأفغان. ولا عجب أن ينال كل هذه العناية من علماء الأمة الأفغانية ونقادها، لأنه أيقظ همم أفراد هذه الأمة، وهى خير أمة أخرجت للقيام بخدمة هذا الدين وقيمه السامية، ولأنه هو وغيره من شعراء طبقته قد أثاروا حركة فكرية عند الأفغان انشغلت بها وبشعره طوائف كثيرة من الأدباء والنقاد، ولا يزال محل دراسة الباحثين فى الدراسات الشعرية والأدبية.

إن فى أعماق وجدان عبد الرحمن بابا ما يمكن أن نطلق عليه تقابلا منغما بين الهدوء والثورة، بين السكون والحركة، بين الإيجاب والسلب، بين الأخذ والعطاء، بين التقبل والرفض، بين السكوت والتعبير.. إن أعماق وجدان عبد الرحمن كالبحر الذى يضم فى اللحظة الواحدة هدوء حالما، وتمخضا مخيفا.. كالسيمفونية التى تحتوى على نغمتين متناقضتين، لكنهما فى المدى البعيد متوافقتان موحدتان.. كالأضواء والظلال، والعتمة والنور. وفى أعماق وجدانه نشأت رسالته.. رسالة الحب والود، رسالة المحبة والمودة.. حبه لله ولرسوله، حبه لنفسه، حبه لقومه، محبته لبنى البشر، ومودته للكون والكائنات، إن حبه فى أعماق وجدانه عالمى فى شكله ومضمونه. إذا كان كثير من الشعراء فى البلاد الإسلامية قد وجه شعره لخدمة أهداف خاصة، فإن عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير ببابا الأفغان قد وضع شعره وفكره ووجدانه فى أعماقه لخدمة المجتمع الإنسانى عامة، ولخدمة الإسلام بخاصة.

أساتذة عبد الرحمن وشيوخه:(1)

١ـ مولانا عبد الحق المتنى، فقد درس على يديه القرآن الكريم، ومبادىء بعض العلوم الإسلامية.

٢ـ محمد يوسف اليوسفزى، وقد درس على يديه العلوم الإسلامية والعربية.

٣ـ الشيخ محمد صديق البشاورى، ودرس على يديه فنون الشعر الأفغانى بالإضافة إلى العلوم الإسلامية والعربية، وكان الشيخ محمد صديق من شعراء الأفغانية.

٤ـ أخوند كريم داد بن أخوند درويزه، وقد تعلم على يديه الطريقة النقشبندية الصوفية.

٥ـ العارف با لله حاجى بهادر (الكوهاتى) الذى كان مرشده فى التصوف والزهد، كما يقول ذلك مير عبد الصمد خان(2).

تلاميذ مدرسة عبد الرحمن الشعرية:

عبد الرحمن بن عبد الستار مؤسس مدرسة أدبية مستقلة. ويتميز أسلوبه وأسلوب مدرسته بأنه جامع شامل، يمثل الفطرة الإنسانية فى أحلى صورها، شعره

---

(١) محمد هوتك بن داود: پته خزانه ٩٤ – ٩٨، الطبعة الثانية، كابل ١٣٣٩هـ ش/ ١٩٦٠م، وديوان عبد الرحمن بابا ٩ – ١٠٢، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ومير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ – ١٥، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م

(٢) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٨٠ الطبعة الثالثة ١٩٨٤م

ينبع من أعماق قلبه، ويعبر عن خوالجه وخواطره وأشواقه، ولا يخلو من الأفكار القومية، وفي شعره الخلقي والاجتماعي لا يخرج عن التقاليد الأفغانية، وفي عالم التصوف والعرفان يميل إلى الجانب العملي، وشعره في العشق يتموج بالمشاعر والجذبات والعواطف الحادة. ولمدرسته فضل إضافة بعض الجوانب الأدبية والفنية إلى الأدب الأفغاني، وفيما يلي بعض مزايا مدرسته الأدبية:

١ـ أسلوب مدرسته الأدبية يرحب بإلهام الروح، ولا يهتم كثيرا بالمادة وتلوثها المادى، وهو في شعره يحاور عالم الغيب، ويؤمن بقوة على أن ينبوع الفيوضات والتجليات الروحية هو ذلك العالم.. عالم الغيب عالم ما وراء الطبيعة، لا عالم الشهادة..

٢ـ إن الشاعر في أسلوبه وأسلوب مدرسته يهرب بعيدا عن المادة وكثافتها الملوثة بالصراعات والتشجنات، وينتقل إلى ذلك المكان الذى كله سلام ووئام، هدوء واطمئنان، لا توجد فيه فوضى هذا العالم المادى وضوضاؤه، وسيئاته ومشاكله التى يجب على الشعراء أن ينقدوها، ولا يلوثوا بها أنفسهم، بل عليهم أن يتبرأوا منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام..

٣ـ ولعبد الرحمن ومدرسته الأدبية شخصية شعرية عالية في أدائه وتصويره وتعبيره الشعرى عن المشاعر والعواطف، وفي تصويره العفيف للعشق، فأسلوبه وأسلوب مدرسته في كل ذلك مثالي يتميز بالسلاسة والرصانة والسهولة، والبعد عن الإبهام والإيهام والغموض من المزايا الطيبة في شعره، وفي شعراء مدرسته الشعرية،وهو يختار لشعره ألفاظا وعبارات بسيطة سهلة بعيدة عن التعقيد والالتواء،ويحاول أن يصور فيها الفوائد الروحية والاجتماعية واحترام الإنسان

وإنسانيته، وهذا أحد أسباب قبول شعره بين الطبقات المختلفة من طبقات الأفغان..

٤- وقد صور هو وأتباع مدرسته المتميزة الحنين إلى العشق والحب الإلهى في فنون الغزل، والقصيدة القصيرة، والرباعية والتخميس، وفى غير ذلك من الفنون الشعرية، فقد تناول فى هذه الفنون الأربعة العشق والحب، والمحبة والأخلاق والسلوك بكثرة لافتة للنظر، مثيرة للانتباه، وكأنها مدرسة يتعلم فيها تلاميذ مدرسته هذه الموضوعات فى تلك الفنون والأقسام القولية فى الشعر، وقد ألبسها حلة قشيبة من البيان الساحر الأخاذ، والمشرق الفياض.. وبالإضافة إلى ذلك فإن فى شعره هيبة العشق الإلهى، وسكينة الزهد، ووقار العلماء..

٥- وفى العشق، والنوبات التواجدية، والتأمل فى الجمال تظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وكان يميل فى ذلك إلى الواقعية مع قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، والاعتزال عن الناس، وكان لا يقيد نفسه بالخيال إلا قليلا أو نادرا، ومهما حاولنا غربلة الأخبار القليلة التى يستنبطونها من شعره عن تقشفه فإننا لا نرى محيصا عن القول بأن الرجل كان صوفيا، وكان يسلك فى ذلك طريقة أهل الورع والزهد، ومقطوعاته الشعرية تنضح بذلك نضحا لا يمكن إنكاره.

٦- إن مدار الحياة وأساسها فى نظره هو العشق وصفاؤه، والإلهام الإلهى وتجلياته النورانية، وهو يفضل اليقين على العقل، والإيمان على الفلسفة، والأذكار على الأشعار، وأشعاره لا تخرج عن أذكاره. فرجل كشاعرنا عبد الرحمن كثير الخلوة والتأمل، شديد الإحساس والتأثر، كثير الأذكار، كثير الاستغفار، كثير

الخير، لا يستغرب أن تفيض نفسه بقصائد العشق والوجد والهيام، وأن ينال من مواطنيه، ومن تبعهم جميل الذكر والتقدير والإكرام، وأن يستقر في قلوب الناس مدى الأيام، وأن يسلك عدد كبير من الشعراء مسلكه في الشعر، وأسلوبه في التصوير والتعبير..وفيما يلي عدد من تلاميذ مدرسته الشعرية:

١- محمد يونس خان بن نور محمد خان:

من سكان وادى " خيبر " الشهير، شاعر، ناثر، صاحب ديوان شعر، درس العلوم والفنون الشعرية على يدى عبد الرحمن بن عبد الستار، وأنشد الشعر على منواله وأسلوبه، يتحدى في شعره حتى الزعيم الشاعر خوشال خان ويتعالى عليه كأستاذه في جودةالشعر وإجادته.وكان يشتهر بالإضافة إلى كونه شاعرا وعالما بكرم الضيافة،وحسن الخلق، واستقامته. وله مرثية رثى فيها أستاذه عبد الرحمن بن عبد الستار عند وفاته[1].

قارن بين هذين البيتين من شعر الشاعرين ليتضح لك تأثير الأستاذ فى شعر تلميذه حيث يقول عبد الرحمن:

أنا عبد الرحمن سعيد بمرض العشق إلى حد
بحيث لا غرض لى فى البحث عن الدواء

(١) محمد هوتك بن داود خان: پته خزانه (الكنز المكنون) ١١٦، الطبعة الثانية، كابل ١٣٣٩هـ ش/ ١٩٦٠م. وعبد الحي حبيبي: پشتانه شعراء (الشعراء البشتون) ١: ٢٠٢، كابل ١٣٢٠هـ ش.وراجع ص ١٩ من هذا الكتاب.

وقد تناول التلميذ محمد يونس خان هذا المعنى نفسه فى هذا البيت من شعره حيث يقول:

إننى سعيد أن أكون مريضا بآلام عشقك أيها الحبيب
بحيث لا غرض لى أبدا أن أبحث عن الدواء

٢- ملا شير محمد الهوتكى:[١]

من مواليد كندهار، عالم فاضل، وشاعر قدير، قضى مدة من عمره فى هرات، وفى بعض المدن الإيرانية، واشتغل بالتدريس والتأليف فى مدينة كندهار مسقط رأسه، من معاصرى الهوتكيين والصفويين. ومن الشعراء الأقدمين فى كندهار، ومن مؤلفاته أسرار العارفين، يتناول فيه العقائد الإسلامية، والفقه الإسلامى، وأصول الفقه، منظوم، ومتأثر فى نظمه بمدرسة عبد الرحمن الأدبية. ومن مؤلفاته أيضا " تجويد أفغانى " منظوم أيضا، ونظمه ينتمى إلى نظم هذه المدرسة وإلى نظم مؤسسها عبد الرحمن..

٣- صديق (محمد صديق):[٢]

شاعر فياض من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية المجهولين، يسير فى الشعر سيره، ويسلك طريقه، ويتبع أسلوبه، ويبدو من شعره أنه كان من الشعراء

---

(١) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٢١٢ - ٢١٥، طبعة كابل ١٣٢٠هـ ش

(٢) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣٠٨ - ٣٠٩، وديوان رحمان بابا ٩ - ١٥، المقدمة، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٧م

السكارى فى العشق الإلهى، ومن هنا يرى نفسه فى ذلك أرفع منزلة، وأعظم قدرا من كل ما وسع هذا الكون من مخلوقات وكائنات. إنه شاعر فياض، ويفيض شعره من ينبوعه على منوال عبد الرحمن. وبعض من موضوعاته الشعرية تنظر إلى موضوعات أستاذه عبد الرحمن وفنونه الشعرية.

٤- غفور (عبد الغفور):[(١)]

غفور (عبد الغفور) شاعر آخر من شعراء هذه المدرسة الأدبية، صاحب فكر متجدد، فى ديوانه تشبيهات بسيطة، وعبارات بسيطة رصينة يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره وتصويرها وفقا لأسلوب مدرسة عبد الرحمن الفنية درس ديوان عبد الرحمن بدقة متناهية، وتأثر بسحر أسلوبه لا شعوريا، وقد تأثر كذلك بالشعر الدرى وفنونه الشعرية والفنية. يبدو أنه قد اشترك فى المسابقات الشعرية (المشاعرة) التى كان يقيمها كل من خوشال خان وعبد القادر خان.

قارن بين هذين البيتين لكل من الشاعرين فى الأدب الأفغانى ليتجلى لك تأثير صاحب هذه المدرسة فى شعر هذا الشاعر. يقول عبد الرحمن:

ليست للعقارب ولا للثعابين جسارة ولا جرأة

مثل جسارة ضفائرك المنعطفة وجرأة أهدابك السوداء

وقد صور عبد الغفور خان هذا الموضوع فى هذا البيت من شعره:

إن الضفائر المنعطفة، والأهداب المنحينة فتنة

فانظر تلك الفتنة حين يقوم الحبيب بثنى عمامته أيضا

---

(١) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣١٠ - ٣١٢

٥– عبد الرحيم هوتك:[١]

الشاعر عبد الرحيم هوتك ركن من أهم أركان مدرسة عبد الرحمن الأدبية وقد نسج شعره الرصين على منواله فى أسلوب بسيط، وبعيدا عن الغموض والتعقيد، وعذوبة شعره تنظر إلى عذوبة شعر حافظ شيرازى. أصله من كندهار، وقضى حياته في الغربة بسبب ما تعرضت له مدينة كندهار من التخريب والتدمير على يدى نادر شاه أفشار فى حوالى سنة ١١٥٠هـ. فعاش فى بخارى، وسمرقند.

شاعر عالم، درس علوم الفقه والتفسير والصرف والنحو والفلسفة والمنطق، ومن هنا نرى فى شعره المتانة العلمية والرصانة الفنية والقوة اللغوية التى مكنته من أن يكون من أبرز أعضاء هذه المدرسة. والشاعر ينتمى إلى هذه المدرسة أسلوبا وموضوعا، شكلا ومعنى. ديوانه يتألف من حوالى ستة آلاف بيت على أسلوب مدرسة عبد الرحمن الأدبية.

٦– أحمد شاه بابا الأبدالى الدرانى:[٢]

أحمد شاه بابا الدرانى من شعراء مدرسة عبد الرحمن، الذى كان صاحب التاج فى الملك والأدب، وبطل من أبطال الإسلام، وقائد من قواده الذى دوخ الهند وملوكها دفاعا عن المسلمين فيها، وبطل معركة " پانى پت " المعروفة. وحد

---

(١) عبد الحى حبيبى ١: ٣٢١

(٢) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣٢٩ – ٣٣٧ ومحمد نواز طائر: روهى أدب ٣٨٠ – ٣٨٦

تحت رايته كلا من أفغانستان وتوران، وإيران والهند. ويقول أستاذ التاريخ الهندى البروفيسور " كندا سنك " إن أحمد شاه الأبدالى إن لم يكن أكبر وأعظم من نادر شاه أفشار فإنه ليس أقل منه فى حال من الأحوال.

شاعر صوفى، فليسوف حكيم، نسج شعره وأنشده على نغمات شعر عبد الرحمن، ناضج العقيدة، قوى الإيمان فى الدين والأدب، يتمتع بالإخلاص فى الحب، والصدق فى القول، والتفانى فى العمل الإسلامى، وفى الحب لله، ولرسوله، ولدينه، والأمة الإسلامية. وديوانه يشتمل على ثلاثة آلاف بيت من الشعر الجيد، سار فيه سيرة عبد الرحمن روحا وأسلوبا.

٧- أخوند كدا:[١]

الشاعر " أخوند كدا - العالم الفقير " (لا أعلم إن كان هذا اسمه، أو لقبه؟) من شعراء هذه المدرسة، يحب العزلة، ولا يميل إلى الشهرة. شاعر، عالم ومؤلف، له مصنف باسم " نافع المسلمين " يتناول فيه مسائل دينية. وفيه عدد من القصائد الغزلية سلك فيها مسلك عبد الرحمن فى الشعر والعشق والتصوف، خياله بسيط، ولكنه يقترب من الحقيقة والقبول الحسن. وهو يعتبر نفسه قائم مقام عبد الرحمن فى الشعر وإنشاده انظر إليه وهو يقول:

إنه قد أقامنى أنا " كدا " مقامه
عندما ارتحل عبد الرحمن عن هذا العالم

---

(١) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣٥١ - ٣٥٥

٨- حافظ ألپورى:[١]

اسمه معظم، ويشتهر بحافظ لحفظه القرآن الكريم، وألپورى لنسبته إلى قرية " ألپورى " وهى قرية صغيرة فى أعالى وادى سوات. وكان معاصرا للإمبراطور أحمد شاه الأبدالى الدرانى الذى حكم أفغانستان من عاصمته كندهار. والحافظ الألپورى من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية، نسج شعره على منوالها واختار موضوعاتها الشعرية كالنصائح والمواعظ، وكالعشق الإلهى، والسلوك الخلقى، ولشعره بصفة عامة تأثير جيد فى قلوب السامعين والقارئين. وينقسم ديوانه إلى مباحث التوحيد والرسالة النبوية، والعشق الإلهى، ومواعظ السالكين (أهل السلوك) والعشق المجازى، والنصائح والمواعظ العامة. وهو يشبه عبد الرحمن ومدرسته الأدبية فى كناياته واستعاراته وتشبيهاته، ومحاسنه ومزاياه الشعرية الأخرى، كما يشبهه فى أكثر موضوعاته الشعرية.

٩- قاسم على أپريدى:[٢]

شاعر صاحب ديوان، أصله من قبائل (أپريدى) فى (تيراه) وولد فى (فرخ آباد) فى الهند، يتبع فى إنشاده أسلوب هذه المدرسة الأدبية، يتحدث فى أشعاره عن العشق الإلهى، والعرفان، والأخلاق، ويشتمل ديوانه على الموضوعات

---

(١) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٢، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م وعبد الحى حبيبى پشتانه شعراء١: ٣٦١ - ٣٦٧

(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣٦٧، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٢٠هـ ش

الصوفية، وفيه أيضا آلام البعد عن الوطن. ويبدو من بعض أشعاره أنه درس أو قرأ آثار المتقدمين من شعراء الأفغانية. على كل فإنه متأثر بمدرسة عبد الرحمن الفنية وهو أحد أتباعها البارزين. يقول في قصيدة له ذاكراالمتقدمين مادحا نفسه أو شعره:

قد مر زمن عبد الرحمن، وجاء زمني
وكذلك دولت، وخوش حال، وميرزا

كان الشاعر " أبريدى " يجيد بالإضافة إلى لغته الأفغانية - العربية، والفارسية، والتركية، والهندية، والإنجليزية. وديوانه الذى يتألف من حوالى خمسة آلاف من الأبيات يفيد ذلك. وديوانه يشتمل على الغزليات، والقصائد، والرباعيات، والمخمسات، أنشدها على طريقة مدرسة عبد الرحمن الأدبية.

١٠- عبد العظيم سواتى:[١]

إن الشاعر عبد العظيم السواتى الرانيزى من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية، موطنه إقليم " سوات " وينتمى إلى قبيلة " الرانيزى " الشهيرة فى القبائل الأفغانية. ولد سنة ١١٦٧هـ فى " سوات " ومات فى حوالى سنة ١٢٥٣هـ. ولد فى سوات وعاش فى قرية " برتكال " بالقرب من مدينة پشاور، وذلك بعد أن قام الأعداء بقتل والده، وطرده هو نفسه من " سوات ". عالم، شاعر، صوفى،

---

(١) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٣٨٥، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٠، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

سالك، ومرشده فى السلوك والتصوف من وادى " كونر " يسلك سلوك عبد الرحمن فى الشعر والعشق الإلهى، والسلوك الخلقى، والمواعظ والنصائح. وهو يقلد فى ذلك أستاذ هذه المدرسة الأدبية، انظر إليه حيث يقول:

مثل شعر عبد الرحمن بابا المهمندى
أنشدت شعر هذا الكتاب متأثرا بألم الموت

١١- نجيب (نجيب خان):[(١)]

نجيب شاعر آخر من شعراء الأفغانية أنشد شعره، ونسجه على منوال مدرسة عبد الرحمن الأدبية، ويلقبه بأنه رئيس الشعراء الأفغان، وأول حلقتهم الشعرية. انظر كيف يعبر عن ذلك ويصوره فى هذا البيت من شعره قائلا:

عبد الرحمن يتصدر حلقة الشعراء
وأنا آخذ بطرف من شعره
بما أن شعره لا مثيل له، فإنه يليق
بعبد الرحمن أن يقول:فتحت العالم بالشعر

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٢٩ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

١٢- عبد الغفار هوتك:[١]

من شعراء القرن الثالث عشر، ومن سكان كـلات، وهـو أيضـا مـن أتبـاع مدرسة عبد الرحمن الأدبية، ويعتبر نفسه نائبا له فـي فـن الشـعر، انظـر إليـه حيـث يقول:

الشعراء في الأفغان أكثر من أن يعدوا
عبد الغفار نائب الشاعر عبد الرحمـــن

شعراء آخرون:[٢]

وبالإضافة إلى هؤلاء الشعراء البارزين من أتباع هذه المدرسـة الأدبيـة هنـاك عدد آخر كبير من نخبة شعراء الأفغانية، قد اتبعوا في شعرهم وفنونـه طريقـة هـذه المدرسـة، وأسـلوبها الفنـي فـي التعبـير والتصويـر، وفـي الموضوعـات والمضـــامين الشعرية، والأساليب الجمالية والبلاغية. أذكر منهـم علـى سـبيل المثـال لا الحصـر: شهنواز خان، ومطيع الله پير خيــل، وميـا نعيـم المتـيزى، ومـلا جمعـة البـاركزى، وعبد النبى البيتنى، وأحمدى صاحب زاده، وقنبر على خان أپريـدى، ونيـاز محمـد، وابن يمين، وباز محمد بنگش، وعبد الرسول ماشورى، وعجب خان، وفضل شاه، وكل محمد كاكر، وشيخ نامدار، وعبـد الوهـاب أسـكزى، وغـيرهم[٣] مـن ذوى

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٣٢، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٩٧٧م

(٢) عبد الحى حبيبى: پشتانه شعراء ١: ٢١٢ - ٢١٥، أكاديمية الپشتو، كابل ١٣٢٠هـ ش

(٣) عبـد الحـى حبيبـى: پشـتانه شـعراء ١: ٣٢، ومقدمـة ديـوان عبـد الرحمـن ٣٤، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

اتجاهات أدبية وشعرية، صبوا أفكارهم فى قوالب شعرية وفقا للمنهج الشعرى الذى وضعه عبد الرحمن وبنى عليه مدرسته فى قول الشعر..

ديوانه:

. ترك لنا عبد الرحمن ديوانا بلغ من اهتمام الأفغان به إلى درجة التقديس، حتى يقول الرجل الصالح عبد الغفور بن عبد الواحد: لو جازت الصلاة بغير الآيات القرآنية، لقرأت فيها منظومات عبد الرحمن بابا الشعرية[1]. إن الأفغان ينظرون إلى ديوانه نظرة تقديس وتقدير واحترام، تجرى أبيات شعره على ألسنة كل الطبقات الخاصة والعامة كالحكم والأمثال السائرة. ومن مشاهد اهتمام الأفغان بهذا الديوان أنه كان عند المستشرق الإنجليزى "ميجر راورتى" ٦٠ نسخة خطية مختلفة، كتبت فى أماكن وأزمنة مختلفة، وكان بعضها قد رتب بعد وفاته بسنوات قليلة[2].

يحتوى ديوانه على (٤١٥١) بيتا من الشعر، مع ملاحظة وجود بعض الزيادات والتكرار فى بعض القصائد والمقطوعات والمنظومات التى ظهرت فى الطبعة الأخيرة للمجمع اللغوى الأفغانى سنة ١٩٧٧م. والمقطوعات التى ظهرت فى الطبعة الثانية التى نشرتها أكاديمية البشتو سنة ١٩٨٧م، وفى الطبعة الأولى التى نشرتها دار الكتب الجامعية فى پشاور سنة ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ. ويصبح عدد أبياته بعد إضافة الزيادات ٤٢٢٢ بيتا.

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٦، مقدمة عبد الحليم أثر

(٢) ديوان عبد الرحمن بابا ٨ – ٩، مقدمة سيد رسول رسا، طبعة پشاور

ديوانه مدون فى قسمين (دفترين) لا فرق بينهما مـن ناحيـة النضـج الفنـى، والخيال الأدبى، والرونق الشعرى، ومن المستحيل معرفة تاريخ تدوين الأول منهما عن الثانى، والديوان يعتمد أساسـا علـى " الجماليـة البسـيطة " فـى الأداء والتعبير والتصوير لكى يؤدى وظيفته فى الحدود القصوى التى يريدهـا عبـد الرحمن، لأنـه بمثابـة مدرسـة يتوجـب أن يتعلـم فيهـا الأفغـان كـل أمورهـم الدينيـة، والأدبيـة والروحية. إن هذه القيم الجمالية فى ديوانه، تبدو فى أكثر من جانب مـن جوانـب شعر عبد الرحمن الوجدانى عقلا وروحـا وحسـا ووجدانـا، وقـد منـح كـل هـذه الجوانب الحيوية اللازمة، ووهبها القدرة الكافية على البقاء والدوام فى عالم الشـعر والأدب. ومن خلال جولة شاملة عبر ديوانه المؤلف مـن قسـميه أو دفتريـه نلتقـى بذلك الجمال البسيط المنبت فـى كـل زاويـة مـن زوايـا شـعره وفكـره ووجدانـه. وبايجـاز شـديد جـدا.. إن الأفغـان العلمـاء منهـم والنقـاد يعلمـون كيـف تعـامل عبد الرحمن مع الحرف الأفغانى، وكيف صاغ من الكلمة تعابيره الشعرية والأدبية، وكيف استخدم مفردات عربية وفارسية للتصوير والتجسيد! وبالجملة فـإن ديوانـه من حيث هو باقة جميلة من الشعر الأفغانى الوجدانـى قوامهـا السـهولة والسلاسـة مع الرصانة والحلاوة!

وقد قدم عبد الرحمن فى ديوانـه ألوانـا جديـدة، ثريـة بالأفكـار الإسـلامية، عليها طابع الأصالة والصدق والعفوية الفطرية، وتتصل بواقع الحياة فـى كثـير مـن صورها ومناحيها، وهو فى ذلك لا يفرط أبدا فى سلامة اللغـة، وشـفافية العبـارة، وحلاوة التعبير، وطلاوة التصوير، وجودة الكلمة، والتمسـك بإسـلاميته.. عقيـدة ومنهجا..

ونخلص من كل ذلك إلى أن عبد الرحمن فى ديوانه كله إسلامى الفكر والوجدان، إسلامى الشعور، إسلامى السلوك، إسلامى التصوير والتعبير، يحمل اشراقة الأمل الإسلامية. ومن هنا كان لديوانه فى المحيط الأفغانى أثره البالغ فى رسوخ التعاليم الإسلامية.

وأخيرا لا يخلو ديوانه عن الزهد الذى كان يومئذ مظهر من مظاهر التدين، وعلى هذا الأساس كان الجمهور والحكام ينظرون إلى الزهد، ويكرمون مشايخ الطرق الدينية، ويعظمون من شأنهم من خلال تدينهم. وليس فى ديوانه كله شعر العبث والمجون.

ديوانه يشتهر بين الكتب الأدبية والدواوين الشعرية بالتقدير والتقديس، وبالإجلال والتمجيد والمقام الجليل، وله بالإضافة إلى ذلك منزلة رفيعة بين الكتب الدينية.. فى المساجد ودور الكتب والمكتبات الدينية، وفى المنازل والمضايف، والبعض لا يمسه إلا إذا كان متوضئا، ويعتقد البعض أن من يقرأه له أجر وثواب عند الله، وبناء على هذا الاعتقاد الراسخ يستمعون إلى مقطوعاته الشعرية التى ترتل فى حلقات الذكر، والتأمل الدينى، يتكرر ذلك ويستمر فى ليالى الشتاء، وفى أيام الصيف تحت الأشجار فى المزارع والحقول، وعلى شواطىء الأنهار، فتثير فى قلوبهم الهيجان والفوران، وفى نفوسهم الارتعاش والاهتزاز، وفى حياتهم النشوة الدينية والروحية والأدبية العجيبة، حتى الرعاة فى الأودية وفوق الجبال وسطوحها يتمتعون بما يقرأون من شعره ويطربون[1].

---

(١)مير عبد الصمد خان: شاعرإنسانيت رحمان بابا ٧٠ الطبعة الثالثة، بتصرف.

وإذا كان بعض الأفغان يقرأ ويرتل ديوان عبد الرحمن تبركا وتعبدا فإن البعض الآخر منهم يقرأه فى الأفراح والموالد ملحنا منغما بمصاحبة الآلات والفرق الموسيقية الشعبية[1].

وعبد الرحمن هو الشاعر الوحيد الذى يتميز ديوانه الشعرى بهذه المزايا الشعبية.. الدينية والاجتماعية والأدبية المتعددة الجوانب فى المنزل والمسجد والمضيفة، وهذه المراكز الثلاثة هى مراكز التثقيف الشعبى فى الديار الأفغانية منذ أقدم العصور[2]. أضف إلى ذلك أن ديوانه يدرس فى المدارس الدينية بجانب المواد الدينية[3]. ويعتقد الناس فى منازل الأفغان أن عبد الرحمن ولى من أولياء الله الصالحين، ومصلح من المصلحين الدينيين، ومن هنا أصبح ضريحه الذى لا يخلو من ديوانه مزارا للناس جميعا[4].

عبد الرحمن ومنزلته فى نظر الشعراء الأفغان:

الشاعر الملقب بلسان الغيب عبد الرحمن بن عبد الستار كان فى عصره أكبر شاعر يحظى بالقبول الحسن، لأنه أجاد قول الشعر، وطبعه بطابع الأناقة، فهز جيله، وترك لسائر الأجيال أثرا شعريا عظيما لا يزال إلى الآن محط أنظار الشعراء والمتأدبين والطلاب، فنال بذلك شهرة شاملة فى جميع طبقات الشعب بلا استثناء،

---

(١) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٤، بشيء من التصرف.

(٢) محمد نواز طائر: روهى أدب ٣٠٩ الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

(٣) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٥، بشيء من التصرف.

(٤)شاعر إنسانيت ٧٦ بشيء من التصرف.

فكان جديرا بأن تلقبه بخطاب " بابا " الذى ما ناله من الشعراء والملوك إلا القليل..
فإذا قرأت بيتا من الشعر فأطربك أو أحزنك، أو أقنعك أو أرضاك، أو ترك أى أثر في نفسك، فاعلم أنه من بيوت عبد الرحمن الشعرية، وأن ما تركه فى نفسك إنما هو روحه ومعناه، وهكذا ترك عبد الرحمن روحه ومعناه فى الشعراء الأفغان.. الذين ينظرون إليه نظرة تقدير وإجلال.. فتسابقوا فى مدحه ووصف شعره، وتباروا فى ذلك..

منذ أن امتزج الفكر الإسلامى بالفكر القومى فى ديار الأفغان، وسيطر عليه، ثم نشأ من ذلك لون خاص من ألوان الشعر الأفغانى الذى واصل نشاطه فى التطور والتقدم والارتقاء فى عصر المتقدمين أولا، ثم فى العصر الوسيط ثانيا، حتى بلغ فى التطور والرقى إلى مراحله النهائية، فلبس ثوبا جديدا دبجه به عبد الرحمن فى ديوانه بعذوبته اللفظية، وجزالته المعنوية وبيانه المعجز، وبرصانته فى التصوير والتعبير والأسلوب، الأمر الذى يترك أثره القوى على الفكر الأفغانى وفى الشعراء الذين يمثلون هذا الفكر، ولعل أول ما يلفت النظر فى ذلك كثرة الشعراء الذين أطنبوا فى مدح عبد الرحمن، وأطالوا القول فى شعره مدحا ووصفا وتأثرا..

والحقيقة التى لا يمكن إنكارها وإبعادها عن الذهن والفكر أثناء الحديث عن نظرة الشعراء إلى عبد الرحمن ومنزلته فى نظرهم، هى تمثيله آلام العشاق فى شعره، وفى الوقت نفسه يعبر بألفاظه البسيطة الرصينة، وبأسلوبه الدقيق الرقيق عن مشاعر كل فرد من أفراد الشعب الناطق بالأفغانية، وانظر إليه حيث يقول:

تطــرب بـــالنغم والرقـــص والضحـــك

حسان باكرام من روعة شعر عبد الرحمن[1]

وعبد الرحمن شادح التوحيد الإلهى والوحدانية، وأستاذ الخلق الطيب، والسلوك، ومرشد الضالين والمضلين، وهاديهم، وهو سالك طريق العشق الإلهى، وقائد هذا الطريق، وهو ملقن الدروس والعبر والمواعظ فى السيرة والسلوك والخلق المستقيم، والعمل الصالح، وكان عمليا فى كل ذلك قبل أن يكون ملقنا، والعشق الإلهى من مفاخره التى لا تدانيه مفخرة أخرى، وفى سبيل العشق الإلهى يتبرأ من النسبة إلى قومه من بنى خليل، وبنى داود، وقبيلة مومند (مهمند) وفى ذلك يقول:

إننى عاشق، العشــق شـغل شــاغلى

لست خليليا، ولا داوديا، ولا مهمنديـا

فلا غرابة ولا عجب إذا كان الشعراء الأفغان ينظرون إليه نظرة احترام وإجلال، نظرة تقدير وتمجيد، وهم يتبعون سلوكه، ويسيرون على طريقه، وينشدون الشعر على أسلوبه فى التصوير والتعبير، وفى التجسيد والتخييل، كما سيأتى ذلك عن قريب..

وعبد الرحمن ينبوع العزيمة والإصرار، ومنبع الصدق والاستقامة، ومصدر الخجل والانفعال، والعفة والحياء، والخلق والسلوك، والإيثار والفداء، والتمييز والبذل، والمروءة والإنصاف، والتوكل على الله، والعصبية والدفاع، والرجاء

---

(١) روهى أدب ٣٠٧ – ٣٠٨، بتصرف

والخوف، والهمة والإقدام، والتدبر والتفكر، والتدبير وحسن النظر، والطاعة والانقياد، والوجل والخوف، والاستغفار والمغفرة. وقد صور الشاعر هذه المعانى فى شعره، ومن هنا مدحه الشعراء بهذه المعانى والموضوعات، وهى بالتالى موضوعات ومعان يمكن للأفغان أن يتعملوها فى مراكز ثقافتهم التقليدية.. المنزل والمسجد والمضيفة، ومن هنا نرى تأثير شعره فى جميع الطوائف الشعبية.. من المثقفين والشعراء وعامة الناس، وخاصة إذا أضفنا إلى ذلك ما لشعره من مزايا إنسانية وعلمية واجتماعية عامة، حتى قال النقاد والعلماء: إنه لا يشابهه فى هذه المزايا ولا يجاريه شعر شاعر آخر من شعراء الأفغان، وإن كان ذلك شعر الإمبراطور أحمد شاه بابا الدرانى بطل معركة " يانى يت " والزعيم الشاعر خوش حال خان[1]! ومن هنا أيضا نرى عددا كبيرا من الشعراء الأفغان يفضلونه على غيره من الشعراء والكتاب والأدباء، وينظرون إليه نظرة إجلال وإكبار وتجليل، كما سيأتى قريبا..

كل الأفغان يعتقدون اعتقادا جازما على أن عبد الرحمن ولى من أولياء الله الصالحين، وشعره شعر عارف ربانى، وهذا سبب آخر من أسباب انتشار شعره بين الناس، وقبوله قبولا حسنا بين مختلف الطبقات فى الديار الأفغانية[2].. ويقول البروفيسور محمد نواز طائر: من الممكن أن يختلف النقاد فى: من هو أكبر شاعر فى منازل الأفغان، ولكنه لا يختلف اثنان فى أن عبد الرحمن هو أقرب الشعراء

---

(١) روهى أدب ٣٠٨ - ٣٠٩، بتصرف.

(٢) روهى أدب ٣٠٩ - ٣١٠، بتصرف.

وأحبهم إلى القلوب فى كل الديار الأفغانيــة، ولـه منزلـة عاليـه، ودرجـة رفيعـة لم يبلغها غيره من شعراء الأفغانية حتى الآن[1]..

كل ذلك لأن عبد الرحمن الشاعر المحبوب قـد انطلـق فـى الأجـواء الشـعرية بعد أن ملأه الشوق إلى الخلود، وكسر حوله القيود والضرورات، وتحول إلى وعى ويقظة، وإلى حس وشـعور وخيـال، فـأصبح يـرى ويسـمع ويحـس مـا لا يـراه أو يسمعه أو يحسه بقية الناس من حولـه، وهـو يعـرف مـن أسـرار الحيـاة ورموزهـا، ويسمع بدقة ما ترتله أصباحها، وأمسياتها، وهمسات لياليها، ونفحات أسـحارها ما لا يدرى به الآخرون من الشعراء وغيرهم.. إنه يحس الكون إبداعا جميلا ساحرا لرب حكيم لطيف، وقبل أن يصل إلى نشـوة الحيـاة، يمضـى الليـل سـاهرا، ويهيـم عشقا بالإنشاد والإنشاء، ويعايش الكلمة الحية، فتبكيه أنشودة وتضحكـه أخـرى، وتقذفه مقطوعة إلى البحر، وتحمله أخـرى إلى الشـاطئ، وتقلـه عاصفـة عشـق إلى جحيم لاهب، وتحمله فكرة لتقوده إلى نعيم سرمدى لا ينتهى ولا يختفى، ثم تتفتح عيناه بين أزاهير الحياة المبدعة الشاعرة، فيحس بعبير ساحر لهـذا الكـون، ويتـذوق سحر الوجود فى نسمات الربيـع وصحـوة السـحر والعشـق النـاعس. أليـس لهـذا الشاعر حق فى أن يكون محبوبا بين بنى الأفغان!؟. وفيما يلى بعـض مـن قـال فيـه ذلك:

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

١ـ خوش حال خان:

يقول أمير الشعر الأفغانى، وشيخه وأبوه الزعيم خوش حال خان متعاليا بشعره ونفسه على عبد الرحمن وشعره وقومه، ويدعو السربنية قوم عبد الرحمن لتقدم مائة منهم فداء لغزل واحد أنشده بالأفغانية، ولا يتعالى أحد على أحد إلا إذا كان يراه على مقدار منه فى المنزلة وعلو القدر، أو يكاد أن يزيد ويعلو عليه قدرا ومنزلة وشهرة وعذوبة. يقول خوش حال خان فى ذلك ناشدا شعره بالأفغانية مفتخرا بشعره، ومحاولا الحط من قدر شعر منافسه[١]:

فليصر مائة من السربنية فداء غزل واحد

حيث نطق اليوم خوش حال بالأفغانية غزلا

٢ـ أشرف خان:

وصاحب الكلام العذب، والأسلوب الأعذب أشرف خان بن خوش حال خان والمتوفى سنة ١١٠٦هـ يشيد فى شعره بما لعبد الرحمن من مقام ومنزلة عالية بين شعراء الأفغانية، حيث يقول[٢]:

إن صاحب اللسان العذب الذى ينثر من لسانه سكرا

هو ذلك البلبل المغرد الذى يستقر فى پشاور

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٥، المقدمة، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م.

(٢) المرجع السابق.

شعر عبد الرحمن أرفع من أن يلقب ويوصف
وقبولى لشعره دليل على أنه أعلى شأنا وأكثر اعتبارا

٣- مصرى خان:

مصرى خان ككيانى من شعراء الأفغانية الذين وصفوا شعر عبد الرحمن ومدحوه مدحا عطرا، وهو الذى يقول فى وصف شعره العذب الرصين الذى يسيل عسلا وسكرا، وينثر الدرر والجوهر، انظر إليه حيث يقول واضعا شعره وشعر حميد فى منزلة أكثر عذوبة وحلاوة من منزلة الشعر الفارسى[١]:

إننى أرى شعر الفارسية أحلى مثل السكر
وجعل حميد ورحمان شعرالأفغانية أكثر منه عذوبة

٤- معز الله مومند:

والشاعر معز الله مومند (مهمند) من شعراء القرن الذى عاش فيه عبد الرحمن يثنى على قوة عبد الرحمن الأدبية ومتانته وقدرته الفائقة فى قول الشعر وتصوير الأفكار، ويفضله فى كل ذلك على غيره، ويقول[٢]:

فى شعراء كل الديار الأفغانية
قد وقع اختيارى على عبد الرحمن

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٩، أكاديمية البشتو، بشاور، وديوان عبد الرحمن ٢٨، المقدمة، كابل.

(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٨، أكاديمية البشتو، كابل، وديوان معز الله ١٦، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٥٨م.

٥- كاظم خان شيدا:

هذا الشاعر كاظم خان شيدا بن أفضل خان أحد أحفاد الزعيم الشاعر خوش حال خان الذى جاء إلى الحياة بعد وفاة عبد الرحمن قد قلد فى كثير من شعره، ونسجه على منوال عبد الرحمن، وأسلوبه فى فن الشعر، اسمعه حيث يقول[١]:

إن قلب شيدا على هذه الشطرة من شعر رحمان

" أنت ملاك، أم غزال، أم ساحر؟ "

ويقول فى بيت آخر من شعره، ويذكر كلا من عبد الرحمن، وحميد ماشو خيل باسم المهمنديين، ويتمنى لو كانا على قيد الحياة لأثنيا على شعره، انظر كيف يعبر عن ذلك[٢]:

إن كان المهمنديان على قيد الحياة الآن يا شيدا

لكانا يثنيان على قولك الشعر فى كل وقت

٦- بيدل (مسلوب القلب):

ويلقبه هذا الشاعر العظيم من شعراء الأفغانية بلقب سلطان الشعراء، وذلك أثناء حديثه عن بعض الشعراء الأفغان شعرا، يقول الشاعر بيدل[٣]:

---

(١) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، وديوان كاظم خان شيدا ١٤٢، پشاور ١٩٦٥م.

(٢) ديوان كاظم خان شيدا ٥٢، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٣١هـ ش

(٣) ديوان بيدل ٢١٢، پشاور ١٩٥٧م، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩ - ٣٠، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

الــذى يشــتهر ديــوان شــعره الســاحر بالأفغانيــة
بـين زمـرة الشـعراء الأفغـان هــو الشـاعر عبـد الرحمـن
الذى قوله فى الشعر يساوى حاله.. لا زيـادة ولا نقصـان
لذلك فمن المسلم قبولـه الحسـن عنـد كـل عـالم وجـاهل
إنــه ملقــب بلقــب ســلطان الشــعراء بجــدارة
بحجــة أن بيتــه ونصــف بيتــه برهــان لــه فــى كــل
مكـان

٧- شمس الدين كاكر:

إن شمس الدين كاكر من أقـوى وأشـهر شـعراء مدرسـة پـير محمـد كـاكر، بالإضافة إلى كونه شاعرا وأديبا من أبرز الشخصيات الأدبية والشـعرية فـى الأدب الأفغانى بصفة عامة، يلقب عبد الرحمن بلقب " لسان الغيب " ويقول[١]:

إن أمسـك منصـف ميزان الشـعر فـى يــده
ووزن بيــان الشـــعر وســـحره بـــالعروض
لـن يستطيع أن يصــل بشــعره إلى رحمــان
مهما كان هوس الأفغــان فـى إنشـاد الشـعر
وفــى الحقيقــة إنــه شــاعر لســان الغيــب
كانت للسانه اللياقـة والجـدارة لقـول الشـعر

---

(١) ديـوان شمـس الديـن كـاكر ٤١، أكادمية اليشتو، كـابل ١٣٣٣هـ ش، ومقدمـة ديـوان عبد الرحمن ٣١، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

٨- ميرزا حنان البار كزى:

وينظر حنان الباركزى إلى شعر عبد الرحمن على أنـه جواهـر نفيسـة، ودرر لامعة، بعضه مثال بعضه الآخر فى الجودة والروعة، وفى العذوبـة والحـلاوة، وفـى الحسن والجمال، يدل على ذلك هذا البيت من شعره[١]:

وشاعر آخر من پشاور وهو السـربنى

شعره بالأفغانية يتفاضـل بعضـه بعضـا

٩- عبد الله پوپلزى:

من شعراء كندهار (قندهار) ينظر إلى شعر عبـد الرحمـن علـى أنـه معجـزة، اسمعه حيث يقول[٢]:

تفوح رائحة المعجزة من شعر عبد الرحمن

يرفع المريد فيعادله بسرعة مع مقام المرشد

١٠- مير أحمد شاه:

هذا الشاعر الشهير بالقاضى مير أحمد شاه رضوانى يصف شعر عبد الرحمـن ويقول إنه يتموج بالوجد، والحزن، والحب، والجذب، والمد، وفى ذلك يقول[٣]:

---

(١) ديوان حنان الباركزى ٦٣، كابل ١٣٣٦هـ ش، ومقدمة ديوان عبـد الرحمـن ٣١، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٣١، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

(٣) المرجع السابق.

في عهد " شاه عالم " وفي السربنية
ظهر لنا في هذا العالم عبد الرحمن
أنشأ كالموسيقار نغمات صوتية
أشعل بها النار في العالم كله
تعتقد وتقول كأنه حافظ شيرازي
وقد ظهر في الشعب الأفغاني
جعل الصوفي والداعية والقاضي
يرقصون من غيري في الميدان

١١- سيد عبد الرءوف (أيم.أي):

الأستاذ سيد عبد الرءوف خان (أيم.أي) أديب من أدباء الأفغانية(البشتونية) ومن فضلائها المشهورين بالعلم والفضل والأدب، وقد أثرى الأدب الأفغاني (البشتوني) بعلمه الغزير، وأدبه الجزيل، وفنه الرفيع، وبأسلوبه الرصين في التأليف والإنشاء، جعل الله علمه وأدبه ذخرا للغة الأفغانية وآدابها. وهو من عشاق الأدب عامة والشعر خاصة، وقد عشق الشعر وبخاصة شعر كل من إمام العارفين عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير برحمان بابا، وشاعر الإسلام العلامة محمد إقبال، مع الفارق بين لغة شعر كل من الشاعرين العظيمين حيث أنشد الأول بالأفغانية (البشتونية) والثاني بالفارسية والأردية، ومع فارق البعد الشاسع بين العصرين اللذين عاش فيهما كل من الشاعرين الزاهدين رحمان بابا ومحمد إقبال. وحب سيد عبد الرءوف خان للشاعرين الشهيرين يبدو واضحا وجليا مما كتبه عنهما من الموازنات الأدبية بين شعري الشاعرين الصوفيين

المتباعدين فى البعد الزمنى واللغوى والمتقاربين فى المشرب والمسلك.. كالوجد الصوفى، والذوق الأدبى، والشوق النورانى. وهذا المشرب الصوفى هو الذى قد قرب بين الشاعرين فى قلب هذا الفاضل عبد الرءوف.

فقد عقد الأستاذ سيد عبد الرءوف خان (أيم.أى).مقارنة أدبية فريدة ورائعة بين هذين الشاعرين المتباعدين فى البعد اللغوى والزمنى، والمتقاربين فى الأبعاد الفكرية والوجدية والذوقية والشوقية الصوفية، أحدهما شاعر الأفغان عبد الرحمن بابا، والآخر شاعر الإسلام محمد إقبال تحت عنوان " **شعر رحمان** " نشرتها بمجلة " الحق " فى مدينة " أكوره ختك " ص٤٥، المجلد ١٣، العدد ٣ - ٤، شهرديسمبر١٩٧٧م يبدو منها أن العلامة إقبال متأثر فى بعض أفكاره الصوفية بفكر عبد الرحمن فى شعره الصوفى إن لم نقل بالتوارد الفكرى فى ذلك.

يقول سيد عبد الرءوف خان فى التمهيد لمقارنته الأدبية والفكرية بين هذين الشاعرين الزاهين العظيمين: إن مراتب العشق ومقاماته - كما يقول أهل الزهد والتصوف - ثلاثة: مقام الوصل، ومقام الفصل، ومقام بين الوصل والفصل. والشاعر الوجدانى الصوفى الزاهد عبد الرحمن قد تناول فى شعره موضوع الوصل والفصل بكثير من الموضوعية وبمزيد من الاهتمام. وقد قارن عبد الرءوف بين ما يقوله عبد الرحمن وبين ما يقوله محمد إقبال فى هذا الموضوع الصوفى الشهير على النحو الآتى:

يقول عبد الرحمن:

ليس فى مقدورى النظر إلى وجهه من الأدب

فقد ابتلانى الله بالفراق والوصل فى الملة

ويقول محمد إقبال:

نحن معدومون فيه، وهو منفصل مستقل عن الكل
ماء رواء فى المرآة، وليس فى مرآة الماء والرواء

ويقول عبد الرحمن:

لقد وجدت الوصال وعثرت عليه فى الفصل والهجر
واتصلت بيوسف وليقت به فى غياهب السجن
فصرنا من الوصل كالمتن من المعنى، والمعنى من المتن
هكذا حبيبى، وهو داخل فؤادى وروحى ونفسى

ويقول محمد إقبال:

فى المكان الذى ليس فيه غير تجلياتنا النورانية
لأنه لايوجد النور والصدى من غير الجلوة
ليس هو من غيرنا، ولسنا من غيره، ما هذه الحالة؟
فصلنا وفراقنا وصال فى الفراق والوصل

ومهما يكن من أمر التأثر والتأثير والتوارد الفكرى فإن كلا من الشاعرين الرمزيين يتحدثان عن موضوع الوصل والفصل أو عن الاتحاد مع المحبوب والانفصال عنه، ويصوران تلك الأفكار التى قالها وصورها غيرهما من السادة الصوفية، ولكنهما يتحدثان عنها بصورة شاعرية رائعة تحرك القلوب والمشاعر وتثير الأحاسيس، وتجعل القارىء يرى ويسمع هذه المعانى والأفكار من أبعاد فنية ومعنوية أخرى، وكأنه يراها ويسمعها من الشاعرين الصوفيين بهذه الصورة وبهذا الشكل الرائع لأول مرة.

شعره ودواعيه:

ينطلق شعر عبد الرحمن بن عبد الستار من مشاعره فى داخل أعماق وجدانه، وهو وثيق الصلة بالله خالقه، وهو ثورته الهادئة على الظلم والطغيان، وهو ناصره للمظلومين.. وهو ثروته الخالدة، وتراثه وتراث الأفغان الخالد التليد.

ودواعى الشعر عنده كثيرة ومتنوعة، وكلها تنبع من الواجبات الإسلامية الملقاة على عاتقه، وعاتق الشاعر المسلم.. فقد وقف شعره لخدمة الإسلام، وقضاياه، ومجتمعه، دون الالتفات لحياته الخاصة، وقد وصل إلى قمة الإبداع فى كل هذه الجوانب..

لا تكن حزينا مغموما لأجل منافع الدنيا وأعراضها الفانية

فكر بحزن فى أمور الدين، وشئون الإيمان ولا تكن ملحدا بلا دين

كل مشكلة فى الدنيا لها حلها وطريقة فتحها يا قليل الحظ

فلا تيأس من رحمة الله الواسعة، ولا تكن عابس الجبين[1]

وهو يؤكد أن أهداف شعره تمجيد الإسلام، وتمجيد رواده، وأبطاله، لعل الأمة الأفغانية تأخذ من ذلك القدوة، فتعيد تلك الأيام الخوالى وتنجب مثل هؤلاء الأبطال والرواد الغر الميامين. من أجل ذلك نراه وقد رسم لنا صورة المسلم البطل، والمسلم الرائد، والمسلم المناضل، وقد استخدم فى ذلك تصوره الشامل، وسعة فكره، ووضوح رؤيته، وطهارة سلوكه، وصدق إيمانه الإسلامى..

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٢١٨، ود رحمان بابا ديوان ١٥٩، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، پشتو تولنه، كابل.

سيتمتع بالأمن من خطر الطوفان ذلك القلب الشجاع

الذى يحمل كالسفينة مشقة أحمال الناس ومعاناتهم[1]

شعره رصين سلس، سهل واضح المعالم والمعانى، له شفافية روحانية عذبة، يشتمل فى الغالب على الموضوعات الدينية والخلقية، أو التى لها صلة وثيقة بالدين والعقيدة والوجدان، ولهذا كان واحدا من الحداة لركب الإيمان السائرين على درب الحق. إنه يعبر فى شعره الرصين عن مشاعر الأفغان الفطرية والقومية، ويصورها بأسلوب بسيط، وفى ألفاظ دقيقة عذبة، وعبارات تقطر عذوبة وحلاوة، الكل يفهمه بقدر ما فيه من القدرة على الفهم، وكلما تعمق فيه كلما وجد فيه معنى أعمق، ومفهوما أوسع.

فى شعره إخلاص مواج، وإجادة متناهية، وطيبة متدفقة، ورصانة ملموسة، وعذوبة طيبة، وبساطة جميلة، ومتانة محكمة، وحرقة ملتهبة، وفهم عميق للمفاهيم الإسلامية، لم يكن عبد الرحمن بابا من الناطقين بلغة أهل الحجاز، ولكن فهمه الجيد لكلمة التوحيد كان عميقا إلى أبعد الحدود، وفى عمقه هذا توسع غير محدود، كل ذلك ساعده على معرفة الأسرار فى كلمة التوحيد والمفاهيم الإسلامية الأخرى.

وقارئ شعر أب الأفغان عبد الرحمن يحس من اللحظة الأولى بلهفته الشديدة لكشف المجهول، وشوقه المزيد لما يحمله الغيب، لأن المسلم مطمئن لما يأتى من عند الله، لذلك نراه يعبر عن الأمل المحجوب بستار الغد والانتظار الشائق المحرق

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٢٩، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، طبعة پشتو تولنه، كابل.

أحيانا، بل والمرارة والحرمان من الواقع أحيانا، كما يشعر قارىء شعر عبد الرحمن بأن الإيمان فى شعره نور غامر يفيض بلا نهاية، وفسحة ظليلة تمتد بلا حدود، ورؤية واضحة متجددة مع الزمن، وطمأنينة مؤنسة بلا ملل، إنه يصل بين الإنسان المؤمن والحياة بوشائج الفطرة التى لا تضعف، بعد أن يصل بين الإنسان المخلوق وخالقه الكريم. والإنسان الذى يخاطبه عبد الرحمن بابا هو الذى صاغه الإسلام فكرا ووجدانا، وسلوكا فى حياته فى الدنيا والآخرة، وهو الإنسان الذى بقيت فطرته سليمة، واستعصت على الجاهليات، فلم تستطع إفسادها. وهو كل إنسان حمل الإسلام منهج حياة، والتزم به عقيدة وسلوكا.

وأخيرا فإن أشعار عبد الرحمن بن عبد الستار مضرب الأمثال لما حوته من الفصاحة وحسن البيان، ولقيمتها الأدبية والاجتماعية، ولأنها حلية تزين المجالس والرسائل، وتناسب كل المناسبات، وتريك المخيل فى صورة المحقق، والمتوهم فى معرض المتقين، والغائب كأنه مشاهد، فهى كالحجة البالغة، والحكمة الواضحة.. ومن هنا لم تنل أشعار شاعر أفغانى ما نالته أشعار عبد الرحمن من الشهرة وبعد الأثر، فقد مضى على وفاته أكثر من ٢٨٦ عاما ولا تزال أشعاره حية فى النفوس والأذهان، تحيى فيها الحماس، وتذكى الأنفة، وتمنح الحكمة.

شاعريته:

لم ينل شعر شاعر أفغانى من الشهرة والذيوع ما ناله شعر عبد الرحمن وشاعريته الوجدانية، فهو بعيد الأثر فى مجالس الأدب، شائع بتوسع بلا حدود بين جميع الطبقات، ولشاعريته الوجدانية مقام فريد بين شعراء الأفغانية وشاعريتهم،

لنضج القوة الشعرية فى شاعريته الفطرية، ولعدم تقييد شاعريته الموهوبة بقيود إلا بقيد العقيدة الإسلامية.

وعبد الرحمن فى مجال الشعر وفنون الشاعرية صاحب مذهب فى الشعر تم وضع دعائمه وأسس بنيانه على يديه منذ القرن السابع عشر الميلادى، وأصبح له خصائصه الفنية التى تميزه عن غيره من المذاهب أو المدارس الأدبية والشعرية، وقد عرف هذا المذهب بالمدرسة الشعرية الرحمانية نسبة إلى عبد الرحمن، وقد اتخذها كثير من تلاميذه وأتباعه مذهبا لهم، ساروا على دربها، ونسجوا على منوالها، من أمثال عبد الرحيم هوتكى، وأحمد شاه الدرانى، وعبد العظيم السواتى، والملا جمعه الباركزى وغيرهم. وهكذا كان لشاعريته أثر كبير فى من أتى بعده من الشعراء.

وقد كتب لهذا المذهب الشعرى، أو المدرسة الشعرية الذيوع والانتشار والبقاء، وتأثر بعبقرية صاحبه، وبشاعريته الموهوبة كثير من شعراء الأفغان كما قلت، وذلك لما وهبه الله من طبع وموهبة وذكاء خارق، وملكة مبتكرة فى الشاعرية التى تنبع من أعماق وجدانه، والتى بلغت ذروة الكمال.

شاعرية عبد الرحمن الوجدانية تصور صدى فؤاده، وتحمله إلى الآفاق البعيدة، والقارىء لشعره يشعر بأن لسان شاعريته وإن كان فى ظاهر الأمر يخاطب الخلق، إلا أنه فى حقيقة الأمر يخاطب رب الخلق من أعماق قلبه ووجدانه.. ومعنى ذلك أنه يخاطب الخلق ويناجى رب الخلق فى آن واحد. وهذه الكيفية المزدوجة النابعة من شاعريته المطبوعة، ومن عبقريته الموهوبة قلما يعثر عليها عند غيره من شعراء الأفغانية. ويكفى شاعرية عبد الرحمن فخرا أنها تركت لنا ديوان شعر كان ولا يزال مرجعا يهتدى به الشعراء الأفغان فى كثير من فنون

الشعر، ولا يزال كثير من الباحثين يجدون فيـه معينـا لا ينضـب لكثـير مـن المعـانى والبحوث والدراسات.

وتمتاز شاعريته برقة فـى الطبـع والتعبـير، وبدقـة فـى العبـارة والتصويـر، إلى جانب ما تتمتع به من النعومة والسلامة والعذوبة، وتبلغ الدرجة العليا مـن الأناقـة والرشاقة، وهو فى شاعريته فى طليعة الشعراء ديباجة وملاءمـة ورونقـا، وسـهولة وجزالة وحلاوة، وفى شاعريته الطبيعية الفطرية رصانة ونصاعة ولطافة، إلى جانب اشتمالها على الطلاوة والملاحة والحسن..

يـــا إلهـــى الكريـــم، احترامـــا وتكريمـــا لنبيـــك الحبيـــــب
اجعل هذا الإنشاء البسيط لعبد الرحمن مصبوغا بالجمـال والروعـة[1]

فى شاعريته الفطرية ارتباط وثيـق بـين الشـكل والموضـوع، بـين الأسـلوب والعمل، بين الظاهر والباطن، بين المظهر والجوهر، وبين اللفظ والمعنى، إن مـدرج الالتزام الإسلامى فى شاعريته يبدأ بالإسلام،فالإيمان، فالتقوى،وينتهى بالإحسان..

إننـى بفطرتـى وبطبعـى الحسـن فـى غنـى عـن أذى الحـاقدين
وإننـى بحلمـــى وصـــبرى كالمـــاء أكـــافىء النـــار جـــزاء لهـــا
وإننى أبدو وأظهر لجميع الناس فى شكلى وصورتـى الحقيقيـة
وإننـــى كـــالمرآة بـــلا مـــواراة، وبـــلا ريـــاء وتظـــاهر[2]

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٢٢، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ١٠١، وپشتانه شعراء ١: ١٩٧

إن الجمال في شاعرية عبد الرحمن ملمح أصيل يميز بين الجمالية الإسلامية الصارمة وبين سائر المذاهب والمواقف الجمالية التي انبعثت عنها أنماط شتى من الآداب والفنون. إن الجمالية الرحمانية الصادقة ترفض هذه الخديعة، والمواراة، وتصف بالكذب أولئك الذين يسعون إلى تزييف الحياة بالنفاق والخداع، إن الإنسان المسلم يتميز بكونه يعيش الحياة بنوعيها الباطني والخارجي بتركيز شديد من الاستقامة الصادقة، وحسن الخلق والسلوك. فليحترق ذلك القلم الذي لا يكتب إلا صدقا، وليمت ذلك القلب الذي لا يتأمل إلا بصدق:

إنني عبد الرحمن أطلب الحماية من مثل أولئك الناس

الذين يتظاهرون بخلاف مقاماتهم التي لا يتمتعون بها[1]

إن الشعر في شاعرية عبد الرحمن الوجدانية نوعان: وجداني وموضوعي، فالشعر الوجداني ينبع من أعماق وجدانه، ويدور حول نفسه، بعد أن يتأثر بأمر ما، ثم يظهر ذلك التأثر بالكلام المنظوم. شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء. ومن هذا النوع في شعره مدحه وثناؤه لربه، ومدحه لرسوله (صلى الله عليه وسلم)، ووصفه لما تقع عليه عينه، ودعوته إلى الإصلاح.

أما شعره الموضوعي فيدور على شئ خارج عن نفسه ووجدانه، على صفات يتخيلها أو يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة، أو النظر في حياة الإنسان المسلم وما إلى ذلك من المواضيع الخلقية والسلوكية والاجتماعية والأدبية التي تمثل

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٤٠، طبعة پشتو تولنه، كابل، و٧٥ طبعة پشتو أكيدیمی، جامعة پشاور.

للجمهور ما يشعر به فى الحياة، أو تحملهم على أجنحة الخيال إلى ما وراء المحسوسات، فتثير فيهم حب الجمال وتدفعهم فى سبيل الوصول إلى الكمال. والنوع الأول وهو الشعر الوجدانى يستوعب أكثر صفحات ديوانه بقسميه بينما نرى النوع الثانى وهو الشعر الموضوعى فإنه أقل من النوع الأول بكثير، وإن كان النوعان من شعره يستويان على العرش فى الجودة والروعة والكمال.

موضوعات بابا:

إننا إذا أردنا أن نقسم شعر عبد الرحمن بابا على أساس مضمونه لوجدنا أنه ينقسم إلى قسمين أساسين، الأول منهما شعر وجدانى فلسفى صوفى يتناول معانى الصوفية والفلاسفة الاسلاميين كالحديث عن المحبة الإلهية، والوجد، والنفس الإنسانية، وأصلها الإلهى، وحنينها إلى ذلك الأصل الذى انفصلت عنه، ولمحات عن وحدة الوجود بمعناها الصوفى لابمعناها الفلسفي، فهو فى هذه الناحية يختلف اختلافا كبيرا وأساسيا عن محى الدين بن عربى، ويتفق مع مولانا جلال الدين البلخى(الرومى) اتفاقا كاملا. والشاعر عبد الرحمن فى هذا اللون من الشعر الوجدانى يحلّق دائما فى آفاق العالم الروحى، لايكاد يمس الحياة المادية إلا ليوضح تفاهتها البالغة اذا تمت موازنتها أو مقارنتها بالحياة الروحية، وما تنطوى عليه من سعادة وبهجة قوامها الكمال والجمال والخلود. كان هذا هو القسم الأول من شعر هذا الشاعر العظيم من شعراء الأفغانية(البشتونية).

والقسم الثانى من شعر هذا الشاعر الصوفى شعر إنسانى خلقى، يتناول فى قسم كبير منه الإنسان وأهميته فى هذا الكون والوجود، وهو فى هذا اللون من

الشعر الإنسانى الخلقى معلم أكثر منه فيلسوفا، يترك الرمز فى كثير من الأحوال والموضوعات ويستخدم القصص والأمثال لتوضيح الأفكار والآراء التى يدعو إليها.وفكرته أو فلسفته الخلقية هنا قائمة على دعوة الإنسان المسلم لتحقيق الكمال فى هذه الحياة الفانية. وتختلط فى ديوانه شعر الفلسفة والحكمة والشعر الخلقى والتعليمى، وبطبيعة الحال يختلف أسلوب الشاعر فى شعره الوجدانى عنه فى شعره التعليمى، ففى شعره الوجدانى يبدو جياش العاطفة، شديد الإحساس، مرهف الشعور يعبر عن المعانى الروحية بقوة وحرارة جديرتين بهذا النوع من الشعر الوجدانى، وهو يعرض علينا فلسفة الصوفية والزهاد بطريقة تبدو جديدة، تختلف كل الاختلاف عن كل ما عُرِفَ من شعر صوفى إسلامى، سواء ما كان منه بالأفغانية، أو بالعربية أو الفارسية أو التركية. فقد تناول فى كثير من غزلياته ومقطوعاته الشعرية موضوعات التصوف تناولا مباشرا، وعالجها بأصالة فنية جعلت شعره يختلف اختلافا كبيرا عما كتبه غيره من شعراء الصوفية فى البلاد الأفغانية. وبينما نجد شاعرين عظيمين كابن الفارض والحافظ الشيرازى يغرقان معانيهما الصوفية فى سيل من المحسنات اللفظية والعبارات المنمقة نجد عبد الرحمن متحررا فى أسلوبه وطريقة تعبيره من تلك المحسنات، منطلقا بعباراته إلى آفاق لاتحد، لاتكاد عباراته تحمل من شحنات معانيه إلا القدر الضرورى الذى يثير الخيال ويستحثه إلى ملاحقة الشاعر المحلق فى الآفاق العالية فى عالمه الروحى.

ولكن طريقة الشاعر فى معالجة موضوعاته الصوفية والفسلفية والتعليمية فى شعره بنوعيه الوجدانى الفلسفى والإنسانى الخلقى قد خلت عن الترتيب والتنسيق الدقيق، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض، ومن مقصد إلى آخر دون منهج محدد يتبعه ويسير عليه فى هذا الانتقال السريع. ومع ذلك فإن

كل جزء من أجزاء ديوانه، بل كل بيت من أبيات مقطوعاته الشعرية يمثـل وحـدة فنية متكاملة، وأن ما يبدو فيه من انطلاق على غير نظام موضوعي محدد ليس هـو الواقع، وإنما هناك ارتباط فنى دقيق فى التنقل من موضوع إلى آخر. أو من هـدف إلى هدف ومهما يكن الأمر فإن هذا التنقل بين الموضوعات والأهداف لايعنى أن الشاعر لايعالج الموضوع الواحد بصورة فنية مترابطة. فنحن فى إمكاننا أن نستخرج من الديوان موضوعات كثيرة تناولها الشاعر تناولا فنيا بارعا، واستطاع أن يقدمها لنا فى هيكل فنى متكامل العناصر، مترابط الأجزاء، تجمعه وحدة فنية أكيدة ذات جذور أدبية أصيلة.

الفن عند عبد الرحمن بابا:

ليس فى مقدورى الإحاطة الكاملة بفن هذا الشاعر العظيم فى هذه المقدمة الموجزة. ولكن حسبى أن أذكر بعضا من الحقائق الفنية التى تعين القارىء على تذوق هذا الفن، والإلمام ببعض من خصائصه الفنية. لقد امتاز شعر عبد الرحمن بميزات فنية عديدة أهمها ما يأتى:

أولا - المثالية:

المثالية فى كل المعانى والمفاهيم، وفى كل الأساليب وطرق التعبير، هى اللهجة الغالبة على هذا الشاعر وديوانه، فهو مثالى فى تصويره وتعبيره، مثالى فى أسلوبه وطريقة أدائه، والمثالية هى المقياس والحكم الفيصل فى كل المواقف والمجالات، وفى كل المظاهر والمجالى، فالصوفية وأهل الزهد الإسلامى هم العظماء والملوك، وجوهرهم النقى الصافى هو مقياس ذلك، والميزان المفضل عنده،

وتجردهم من علائق المادة، وطغيان الأهواء النفسية هو الذى قد أهلهم لذلك. ولابد فى هذا وذاك من الإخلاص والصدق والتفانى، ولا اعتبار للمظهر ونضارة المنظر والمحلى، وكم فى الديوان صرخة فى وجه الظالمين، قد تجىء فى شكل الإنذار الواضح، وقد تجىء فى صورة السخرية اللاذعة التى لاتقل تأثيرا وإثارة عن تأثير أسلوب القوة والإنذار الصريح، وكم فيه من فضيلة أبدع فى تصويرها أيما إبداع، وكم فيه من كشف عن الرذائل الكامنة فى أعماق النفس البشرية، بأسلوب الخبير المثالى العليم بالنفس الإنسانية، الماهر المطلع على كوامن أسرارها العميقة، ومستتر خلجاتها وخواطرها الخفية، إن مثاليته فى كل ذلك تشبه مثالية مولوى جلال الدين البلخى(الرومى) فى مثنويته الشهيرة، ومثالية السنائى الغزنوى الذى نظم المثنويات الصوفية لأول مرة فى التاريخ الأدبى، وأشهر مثنوياته " حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة ".

ما أحسن همة العاشقين والمحبين وما أعظمها
وما أعظم ثباتهم فى العشق على مقياس وجهة واحدة
لا يتبدلون فى وقت من الأوقات ولايتغيرون
وإن كان أهل العالم كله يوجهون إليهم الملامة

ثانيا - لغة التعبير:

إن لغة التعبير والتصوير فى ديوان عبد الرحمن تغلب عليها البساطة والوضوح، والبعد عن التكلف والمجاملة، وقد تعمقت الفكرة مع هذه البساطة إلى أبعد حدود التعمق الذى تتجلى فيه عبقريته، ومع كل ذلك تستهويه النفوس، وتعشقه الآذان بما يضرب لها من أمثال واقعية، أو قريبة من واقع الحياة، وصروفها

وخطوبها، أو من مباهجها وأفراحها، ويعتبر فى ذلك اماما اقتدى به من جاء بعده من شعراء الأفغانية. وقد برع عبد الرحمن فى كل ذلك بسلامة لغته وتفكيره، واعتدال طبعه ورصانة أسلوبه، كما برع فى قول السهل الممتنع، وجزالة اللفظ، والمعنى الغزير، وبخلو لغته من التكلف والتعقيد.

و لم تكن لهجة عبد الرحمن ولغته مقصورة على لهجة واحدة من اللهجات الأفغانية العديدة، وإنما كانت خليطا من لهجات متقاربة متناسقة منسجمة، الأمر الذى يدل على أنه قد درس بدقة وتعمق وإمعان عديدا من الدواوين الشعرية والكت الأدبية كتبت بعديد من اللهجات الأفغانية، وتأثر بها تأثرا كبيرا وعميقا، ولهجته فى ديوانه، بل لغة ديوانه تمتاز كما قلت بالبساطة الشديدة من حيث سهولة ألفاظها، وقرب معانيها، وخلوها من التعقيد والتكلف والتصنع مع تعمق الفكرة التى تتجلى فيها عبقريته الشعرية والفكرية. كما برع فى نظم الغزل الصوفى بلغة سهلة سلسة بسيطة.

لم يقم أحد من الناس بوزن الدر والجوهر بالميزان
شعر عبد الرحمن در وجوهر فكيف تقوم بوزنه؟

ثالثا - روعة التصوير:

روعة التصوير البيانية التى عبر بها الشاعر عبد الرحمن عن أفكاره ومشاعره ضاربة فى البهجة والروعة إلى أبعد الحدود، فهو يستطيع أن يجسد الأفكار، ويشخص المشاعر، فيجعل القارىء أوالسامع يشعر بالمعنويات كأنها محسوسات يكاد يلمسها، كما أنه يستطيع بسهولة وبساطة أن ينطلق من المحسوسات إلى

المعنويات دون أن يشعر القارىء أو السامع بملل أو خلل، وهو يمزج بين الطبيعة والحياة والنفس الإنسانية فى صور أدبية وبيانية متكاملة تجمع بين عمق التأمل وروعة التصوير ودقة التعبير تنطوى على كثير من المنازع الفكرية والفلسفية. وقد شدا على أيكته شعراء آخرون ممن هتفوا بنغمات الحب فى روضات الشعر بلغة الأفغان فى روعة التصوير ودقة التعبير. ولنضرب لذلك مثالا من شعره. يتحدث الشاعر فى بعض مقطوعاته الشعرية عن تجدد الدنيا وتغير أحوالها فى كل لحظة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دعوة الإنسان لتأمل نفسه وما يطرأ عليها من تغير مستمر، ثم يربط دخول الجنة برضا الله لا بالعبادة، وذلك فى مثل هذا القول:

فى كل يوم من الأيام فى الدنيا تشرق شمس جديدة

والشمس التى تغرب اليوم ليست بمشرقة مرة ثانية

إن دخول الجنة لا يتم إلا بفضل من الله لا بعبادته

غير أنه يجب على كل عبد القيام بأداء مسئولية العبادة

انظر إلى غيرك مثلما تنظر إلى نفسك، وتأملها

فإن لكل إنسان نفسه ورغباته مثلما لنفسك رغبات

لذلك فإننى أنا عبد الرحمن لا أشتكى من أحد إلى أحد

لأنه ليس لى من غيرك أيها المحبوب صديق ولا عدو

فلنتأمل هنا كيف بدأ الشاعر من فكرة عامة هى تغير الدنيا لحظة بلحظة، ثم ربط بين التغير والجنة والعبادة ربطا محكما، ثم انتقل من ذلك إلى دعوة الإنسان لتأمل نفسه والنظر إلى مصلحة أخيه المسلم كما ينظر إلى مصلحة نفسه، وذلك بناء على مبدأ المساواة فى الرغبات والمتطلبات فى المجتمع الإسلامى.

رابعا - فن الحوار:

كانت للشاعر عبد الرحمن مقدرة فائقة فى فن الحوار، فهو لايكاد يطرق موضوعا من الموضوعات ويتحدث عنه حتى يعالجه فى حوار صريح وحديث حاد، يبين فيه الآراء ووجهات النظر المختلفة، وينتهى منه إلى الرأى الذى يريد بيانه، ويرغب فى تصويره، والتعبير عنه، وقد بلغت مقدرته فى الحوار مستوى عظيما ورائعا جدا، حيث يعبر بمقدرته الفائقة عن لواعج الحب فى نفسه فى الحوار الذى يدور بينه وبين محبوبه، فيصور ما يحسه من وجد على من يحب، ويتقسم قلبه نتيجة لهذا الحوار النفسى بين الحنين والأنين، وبين الحسرة والندامة، وبين البكاء والتفجع، وهذا كله على الوجه الذى يظهر لنا من خلال الحوار النفسى الذى يخاطب من خلاله محبوبه، ولاسيما أنه كان إلى صوفيته وزهده البالغين شاعرا مطبوعا، منحه الله مقدرة فائقة لتصوير حبه لكل ما هو حسن جميل، منجذبا بسجيته إليه، مقبلا بفطرته عليه، ومحبوبه هو الله، ومحبوبته هى الذات الإلهية العلية التى يشهدها عند سماعه من يشدو باسم هذه المحبوبة، ويصفها وصفا لعله خير ما يفسر به حال الذائق الواجد عند سماعه مثل هذا الحوار، وإن كان حوارا نفسيا يدور بينه وبين محبوبه. وذلك على النحو الذى يدل عليه قول عبد الرحمن فى هذه المقطوعة الشعرية التى يدور فيها الحوار بين الحبيب والمحبوب أو بين الجور والدموع:

كيف تقول لى سائلا: لماذا تذرف الدموع الساخنة

أفلا يبدو لك جورك وظلمك وإعراضك أيها المحبوب؟

أنت تجور وتجفو، وأنا أذرف الدموع الساخنة يا محبوبي

أيها المحبوب إن لم يكن منك ذلك لن يكون مني هذا

إن كان رسم كل معشوق وعادته مثل رسمك وعادتك

فمن أين يمكن لطائفة العشاق والمحبين أن يفرحوا بالسعادة؟

إن خصالك هذه - أيها المحبوب - لو استمرت على هذا المنوال

فإنه لايبدو لى دواء لعلاج القلوب المجروحة بآلام الحب

الأول شدة غضبك والثانى قسوة طغيان أهل التنافس

كل منهما يقوم بقتلى بالتناوب .. هذا حينا وذاك حينا آخر

كل من سلك طريق العشق والحب وإن كان أفلاطون بعينه

فإننى أراه مجنونا..سواء كان ذلك الجنون اليوم أو غدا

افرض بأننى أصبحت - على كلام الناس - كلبا يحرس حارتك

فإن الكلب لايجب أن يموت من طول عذاب الفراق والبعد

لا أطلب شيئا أبدا يا عبد الرحمن لأنك أنت طلبى أيها المحبوب

إننى قد رضيت بذلك، والأمر بعده متروك لرضاك أيها المحبوب

فقد عالج الشاعر فى هذا الحوار الجاد الذى يجرى بينه وبين محبوبه الأسمى، أو بين جور المعشوق ودموع العاشق حتى يصل منه إلى ما يريد الوصول إليه، وهو أنه ليس له طلب آخر غير معشوقه أو محبوبه، على النحو الذى ظهر لنا من خلال هذا الحوار.

خامسا - الحكم والأمثال:

تكثر في الديوان الحكم والعبر والأمثال التي يصوغها الشاعر بوحي من التعاليم الإسلامية والخلقية، أو بوحي من فلسفته الصوفية، فتزيد شعره قوة في التأثير والتعمق والجمال، فالحكمة في موضعها، وكذلك الأمثال في مواضعها تزيد المعنى قوة ووضوحا وجمالا، وتجعل الشعر قادرا بجماله على النفاذ إلى أعماق النفس البشرية والتأثير فيها. والشاعر عبد الرحمن يقتبس الحكمة الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة، ومن الأمثال الأفغانية الشعبية، ويتوسع في بيان مدلولاتها، وهو في كل ذلك شاعر أصيل، وصاحب فكر عميق، نلمس عنده الإحساس الصادق العميق، والعاطفة الصادقة الجياشة، والعقل الواعي اليقظ، والنفس الزكية الصافية، واليقظة الفكرية التي تستطيع بجدارة أن تبث الصفاء والنقاء في نفوس الآخرين، وتشيع فيها البهجة والسرور، وتصحبه في دروب من التأمل العميق، وآفاق واسعة من الفكر الرفيع، تعينها وتساعدها على تحقيق حياة أسمى وأنقى، والطموح إلى غايات أعلى وأرفع عن تلك الغايات المادية التي يعنو لها البشر في هذه الحياة الفانية. ولا أريد أذكر هنا شيئا من أمثال الشاعر أو حكمه وعبره لأن القليل في هذا المجال لا يدل على الكثير، والذي يقال في موضوع لايمكن أن يدل على ما يقال من حكم وأمثال في شتى الموضوعات، ومختلف المناسبات، إلا أن هذا لا يمنع من أن أذكر ثلاثة من الأمثلة في الحكم والأمثال أحدها من القرآن الكريم، والآخر من السنة النبوية الشريفة، والثالث من الأمثال الأفغانية الشعبية كما يظهر ذلك من الأمثلة التالية:

١- القرآن الكريم: فقول عبد الرحمن فى مقطوعة من مقطوعاته الشعرية التى يقول فيها:

إن مصير كل من يأتى إلى هذا الوجود موت وفناء

تعال، وانظر إلى ما تقوم به الدنيا من الغارات والنهب

هذا القول أو بالأصح الشطر الأول منه مأخوذ من قوله تعالى فى سورة الرحمن الآية رقم ٢٦: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

٢- الحديث النبوى الشريف: وقول الشاعر عبد الرحمن فى المقطوعة الشعرية السابقة نفسها:

لكل مريض فى هذه الدنيا دواء لشفائه

إلا أنه لادواء لمن مرض بمرض حب الدنيا

فالنصف الأول أو الشطرة الأولى من هذا القول أو بيت الشعر مأخوذ من هذا القول المأثور: " لكل داء دواء ".

٣- المثل الأفغانى: ومن أمثاله وحكمه الأفغانية الشعبية قوله فى المقطوعة الشعرية السابقة:

ستظل العشرة عشرة، والعشرون عشرونا حتى القيامة

لم يكمل أحد من الناس العدد والحساب فى هذه الدنيا

قوله هذا مأخوذ من هذا المثل الأفغانى المشهور: " لس به لس وي، شل به شل "

سادسا - الأمور البسيطة:

لقد استطاع الشاعر عبد الرحمن بابا بن عبد الستار فى كثير من الأحيان أن يجعل من الأمور البسيطة التى تمر تحت أعيننا وبصرنا موضوعا شعريا يليق بشعره، فشعره يتناول الحياة فى الكون والطبيعة بكل جوانبها ونواحيها، وعبقريته الشعرية تستطيع أن ترفع بعض الموضوعات من مستواها التافه إلى مستويات فنية عالية تجعلها جديرة بأن تقرأ، وأن تثير التأمل فى النفس، والفكر فى العقل، وليس هذا غريب على مثل هذا الشاعر الأصيل، كما أننا لسنا بحاجة إلى أن نبرر مثل هذا التصرف من الناحية الفنية، فهو كالمصور الفنان البارع الذى يتخذ أمورا تافهة موضوعا للوحاته، فيرفعها بفنه وبراعته إلى مستوى بحيث يفرض على الأعين والأبصار تأملها، وعلى العقول والأفهام تلقيها والتأثر بها. ومن ذلك وصف الشاعر للواعجه وعبراته وزفراته وآهاته وغير ذلك مما لقيه فى محنته، وهى الحب الذى كان كذلك فى أول عهده، ثم أصبح أعظم منحة من محبوبته، وهى الذات العلية، فأبياته الشعرية وما فيها من الفنون البديعية تدل دلالة صريحة على أن عبد الرحمن كان شاعرا صاحب قريحة وسليقة، وكان الشعر عنده أداته المفضلة للتعبير عن ذوقه الشعرى والصوفى، ووجده القلبى، ولوعته النفسية يجعل من الصعب سهلا مذللا، ومن السهل البسيط جميلا مجللا، ذا رونق وجمال ورواء. وديوانه يعد تحفة أدبية رائعة له خصائصه الفنية بكل ما فيه من الألفاظ والعبارات، ومن المعانى والدلالات، ومن القرائن والمناسبات تجعل من الموضوعات العادية موضوعات فنية عالية جميلة، وترفع من شأنها حتى تليق بشعره فى ديوانه.

مرة أخرى وقع قلبي أسيرا في يد الضفائر السوداء

واحتـل جيـش الحبـش يسـاري ويميني

أطلقت سهام الدعاء والتضرع في كل جهة

إلا أنه لم يكن في السهام سهم قد أصاب الهدف

سابعا - الأسلوب والسليقة:

الشاعر عبد الرحمن متنوع الأساليب، ومتنوع المسالك والطرق، وقد هدته سليقته الشعرية إلى نظم الشعر بصور شعرية متباينة، وأساليب وطرق متنوعة، تتلاءم مع عديد من المذاهب الفنية التي ظهرت خلال القرون التي سبقت قرنه الذي كان يعيش فيه، فعنده الشعر الذي يمكن أن يعد من الشعر الواقعي، وعنده الشعر المثالي، وعنده الشعر الرمزي، بل عنده شعر اللاوعي. ذلك لأنه قد ذاق من أحوال الحب وأهواله أكثر من غيره من العاشقين والمحبين، فكان من الطبيعي أن يصطنع في هذه الأهوال والأسقام والأحوال أساليب متنوعة ملائمة لطبيعة الموضوعات التي أراد تصويرها والتعبير عنها، وقد امتاز أسلوبه في جملته، وفي أكثر تفاصيله برقة اللفظ، ودقة المعنى، وعمق الفكرة، وجمال الصورة وروعتها التي كثيرا ما يتخيلها الشاعر تخيلا مبدعا، ثم يصورها بأسلوبه تصويرا رائعا جميلا، وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على أن عبد الرحمن كان صاحب ذوق مرهف في تنوع الأساليب والمسالك والطرق،حيث إنه قد تقلب في أطوار الحب الإلهي حتى بلغ في ذلك مبلغا بعيدا، وعرف من دقائق الحب وحقائقه ورقائقه أشياء كثيرة، لم يجد خيرا من هذه الأساليب الرائعة التي يعبر بها عن حبه، وأطواره، ويتخذ من هذا الأسلوب أو التعبير سبيلا إلى إبراز ما كمن في أعماق

قلبه من أطوار حبه، الأمر الذى جعله ينظر إلى ذاته على أنه رائد الأسلوبيين، وإمام العارفين، إذ قصر ديوانه على التعبير عن حبه الإلهى، وتصوير أهواله وأشواقه وأذواقه فى طريق هذا الحب الإلهى، وما انتهى إليه من فتوحات إلهية، وإلهامات روحية، وذلك فى أساليب رمزية قوامها الألفاظ الغزلية والخمرية، وهو إنما يفعل هنا ما فعله الشاعر العربى المصرى ابن الفارض وغيره من إيثار أساليب الإشارة على العبارة، والتلويح على التصريح، كما فعل ذلك أيضا كل من الشاعرين الأفغانيين الصوفيين جلال الدين البلخى (الرومى) فى بعض مقطوعاته الشعرية، من المثنوية وغيرها، والسنائى الغزنوى فى بعض أشعاره فى" حديقة الحقيقة " وغيرها، علما بأن لغة هذين الشاعرين الأفغانيين تختلف عن لغة الشاعر عبد الرحمن موضوع البحث.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الصوفية وأهل الزهد الإسلامى هم أول من قال بأدب اللاوعى، فقد أثر عن الكثيرين منهم نظم الشعر فى حالات الوجد الصوفى، وفى حالات الفناء عن الذات التى كانوا يخرجون فيها عن العقل الواعى. ومما هو جدير بالذكر أيضا أن الصوفية بقولهم الوحى والكشف قد فتحوا السبيل أمام ألوان جديدة من التفكير فى طبيعة الأدب والفن، بعد أن ظلت فكرة المحاكاة التى قال بها أرسطو مسيطرة على مفاهيم النقد الأدبى قرونا عديدة. وقد سبق الصوفيةُ بذلك فرانسيس بيكون الذى صنف المعرفة البشرية على أساس ملكات إنسانية ثلاث، هى العقل والذاكرة والخيال، وجعل الخيال مصدر الشعر، فكان ذلك خروجا على مذهب المحاكاة الأرسطى فى النقد الأدبى، وسبقا على فرانسيس بيكون فى تقسيم المعرفة البشرية.

وقد يكون من الطريف أن نذكر هنا مثالا لشعر الوجد الصوفى عند عبد الرحمن، وهو الذى يمكن أن يعد من شعر اللاوعى فى الأدب الصوفى الإسلامى. قال فى الخمر والسكر والشفائف:

إننى سكران من " شدة نشوة " شراب شفائفك العذبة
لن يوجد " فى العالم " سكران ونشوان آخر مثلى
من أجل حبك المفرط – يا حبيبى – أمد يدى إلى الوردة
كالغريق الذى يمد يده حتى إلى النبات على أمل النجاة
هل هذا الذى أراه احمرار وجهك الجميل وبياضه الهادىء
أم مطر الدم الممزوج بالماء يتساقط دائما على وجهى ؟
ما هو الأثر الذى يمكن أن تتركه فيك دموعى الساخنة؟
إن النار المشتعلة تزداد اشتعالا وقوة بدموع الكباب !
على العشاق والمحبين أن يفتحوا أعينهم فى أمورالعشق
لأنه ليس هذا وقت للنوم، بل إنه مقام لانحدار الدموع
إن السبب الحقيقى فى عدم تمكن أحد من رؤية الملاك
هو أنه يلف وجهه فى الحجاب حياء من جمال وجهك
عند ما يطلع النهار ويقبل مضيئا فيخجل منه القمر
و من هنا نراه يعيش دائما فى ظلام الليالى المظلمة
خذ الحجاب وقم بتسويد وجوه هؤلاء الناس جميعا
الذين يمدحون جمال الشمس فى عهد جمال وجهك

لست أنا الوحيد الذى يلقبك بالمحبوب أيها المحبوب
إن الله هو الذى منحك بهذا النوع من الخطاب العظيم
إن خط الرسم والوشم على صفحة وجهك الجميل
كعلامات الإعراب فى صحائف القرآن الكريم
ليس فى مقدور عبد الرحمن أن يعد مزايا حسنك الرائع
لأنه حسن بلا حدود، لاتعد مزاياه الكثيرة ولاتحصى!

فهو فى هذا الغزل يتحدث عن الجمال الإلهى وحسنه البهى على أنه جوهر السكر والنشوة، وأن كل ما سوا ذلك عرض زائل فان ليس بباق دائما، ولكن اصطنع لذلك ألفاظا وعبارات وتعبيرات جعلته كأنه من قبيل الشعر الغزلى العذرى الإنسانى، إلا أننا إذا تأملناه وتدبرناه فى ضوء ما يقوله الصوفية وأهل الزهد الإسلامى من تفضيلهم الأسلوب الرمزى على أسلوب التصريح استطعنا أن نفهم الألفاظ والعبارات والتعبيرات الغزلية الحسية، أو الخمرية الواردة فى هذا الغزل على أنه من قبيل شعر اللاوعى الصوفى، أنشده ناظمه عبد الرحمن وهو فى حالة الوجد الصوفى، فى حالة الفناء عن الذات التى كان يخرج فيها عن العقل الواعى. فهذه الألفاظ والعبارات كلها إنما هى من قبيل الرموز أو التلويحات التى قالها الشاعر وهو فى حالة اللاوعى.

ثامنا - مقدرة الشاعر العجيبة:

للشاعر الوجدانى عبد الرحمن بابا مقدرة عجيبة على أن يتناول فى شعره الموضوعات المطروقة فيجعل منها موضوعات حية كأنها موضوعات شعرية

جديدة يعرضها على القارىء أوالسامع لأول مرة، فكأن القارىء يقرأها أو يسمعها لأول مرة فى حياته. لقد كان ينظم الشعر حول موضوعات مطروقة قديمة، فيدخلها بمقدرته الفنية العجيبة ضمن نطاق إبداعه العجيب. والأمثلة لذلك كثيرة متوفرة، فعندما تقرأ ديوانه كأنك تقرأ كلاما منظوما صادر عن شاعر أفغانى عذرى، أحب فتاة من الفتيات الفاتنات، وملك عليه جمالها حسه وقلبه وعقله، فإذا هو يصور جمالها، ويعبر عن حبه ووده لها، وافتنانه بجمالها، وحنينه إلى لقائها، وأنينه من فراقها وبعدها، ولوعته من صدها، وسعادته بقربها، وبهجته لوصلها ولقائها، فيصطنع الألفاظ والعبارات والتعابير الدالة على ذلك، فإذا هو يرسلها لآلىء منظومة يتألف منها عقد قصة حب بدأ فى قلب صاحبه وفؤاده إنسانيا كما يبدأ كل حب فى كل قلب من القلوب، ثم ما لبث هذا الحب أن تطور فإذا هو حب إلهى عظيم، وإذا هو هذا الحب الإلهى العظيم ينتهى بصاحبه إلى أسرار إلهية صادقة صافية، وإلى أنوار قدسية مشرقة، فإذا هو الشاعر يعبر عن هذه الموضوعات المطروقة مرارا وتكرارا، ويصورها كأنها موضوعات جديدة يقرأها القارىء أو يسمعها لأول مرة، منظومة فى قطعة شعرية.

وترجع أهمية عبد الرحمن العجيبة إلى أنه قد خرج بمقدرته العجيبة بالغزل الأفغانى عن موضوعه التقليدى، فتناول فى غزلياته أغراضا متنوعة، فكان يشارك فى علاج أدواء عصره، فيحذر من النفاق والرياء، ويشير إلى ضياع الأخلاق وفساد الضمائر والذمم، كما استطاع أن يمزج فى شعره بين الغزل البشرى والغزل الصوفى بحيث استحدث نوعا من الغزل يمكن تفسيره على المعنيين، ومن هنا قد ذهب بعض شراح ديوانه إلى القول بأن غزلياته لاتجب أن تؤخذ على معانيها الظاهرية، إذ هذه المعانى غطاء أو رمز تستتر دونه معان عميقة أخرى أبعد منالا،

وأقوى حجة، وأشرف غرضا، وأروع مقصدا، وأعمق غورا، فهو في هذا المجال كالسنائي الغزنوي، وجلال الدين البلخي (الرومي) والحافظ الشيرازي، وابن الفارض العربي المصري وغيرهم من شعراء الصوفية الكبار.

لقد أشرق القمر من الأعلى والشمس من الأسفل
إنه وجه المعشوق يوجد مشرقا في الأعلى والأسفل
إن الشمس والقمر كلاهما يتقلبان فوق سريري
وذلك لأجل أن يضع حبيبي رأسه على الوسادة

تاسعا - موسيقى الشعر:

كان عبد الرحمن بابا يطرب للموسيقى، ويجيد العزف على بعض الآلات الموسقية، كما يقول ذلك الأستاذ حبيب الله رفيع في مقدمة ديوان عبد الرحمن ١٨ - ٢٤، طبعة كابل سنة ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ومولانا عبد القادر في مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٦، الطبعة الثانية، بشاور ١٩٨٧م، كما يؤيد ذلك كل من البروفيسور عبد المجيد الأفغاني،والأستاذ محمد جعفر الأسكزي، والشاعر الشعبي عجب خان. فقد عكف عبد الرحمن - كما يقولون - على الموسيقى والسماع، واقترن الشعر عنده بالموسيقى ونغماتها العذبة، فكثيرا ما نظمه وأنشده في مجلس السماع والطرب، وكثيرا ما سمعه مقترنا بالإنشاد والترتيل والتبتل والنغم، وقد تجلى أثر هذا الإحساس الموسيقى في شعره، فقد استطاع أن ينظم غزليات الديوان على أوزان عديدة، عربية وأفغانية، وهو في نظر الأستاذ عبد الحي حبيبي أحد الشعراء الأفغان العروضيين المشهورين في عصره، ومثل هذا التوسع

فى الأوزان، والتنوع فى الأنغام يشهد له بالمهارة والخبرة الفائقة فى فن العروض العربى والأفغانى.

وقد استطاع عبد الرحمن أن يجعل مقطوعاته الشعرية بهذه الأوزان العروضية العربية والأفغانية جميلة الوقع، سائغة الأنغام، كما استطاع أن يوفر الموسيقى المناسبة لشعره بوسائل عديدة ومتنوعة، ونراه فى ديوانه أحيانا يختتم الأبيات الشعرية بمقاطع صوتية لامعنى لها، ولكنها ذات تأثير موسيقي فى المشاعر والأحاسيس والعواطف، وذات وقع جميل فى الأسماع والقلوب. ولعل أدل ما يدل على ذلك هو أن عبد الرحمن إنما كان شاعرا صوفيا وزاهدا تقيا قضى حياته الروحية فى رياض القلب وحناته مرتلا أناشيد الحب، ومتبتلا إلى من أحب، فإذا بهذا الذى رتل أنشود الحب وتبتل بها متضرعا قد فاق كل العشاق والمحبين، وترددت أناشيد وحده وذوقه فى كل الأودية والآفاق فى الأرض الأفغانية، ورددها كل من له قلب من أصحاب الأذواق فى الأوزان والأنغام، واتخذوا ما اصطنعه الشاعر العاشق عبد الرحمن فى أوزان الشعر وسيلة للتجديد فىموسيقى الشعر الأفغانى فى عصره.

والدليل على أنه كان يجيد العزف على بعض الآلات الموسيقية فى نظر هؤلاء العلماء الأفاضل، إشارات وتلميحات وتصريحات وردت فى أشعاره تشير إلى إجادته الفن الموسيقى،و ذلك بالإضافة إلى هذه المقطوعة الشعرية الصريحة التى أنشدها الشاعر ووردت فى ديوانه:

أمنية الرقص

أيهـا السـاقى نـاولنى وأعطنى كأسـا لـلرقص

أتمنى مـن أعمـاق القلـب والفـؤاد دائمـا أن أرقـص

فقـال السـاقى: سـاعة الفـرح سـتحل عليـك الآن

فقـد أعطـانى المغنـى رسـالة بـالأمر لـلرقص

إن أسـتاذى المـاهرهو الـذى علمنـى فنـون الرقـص

وشـرح لى كـل وتـر مـن أوتـار مقامـات الرقـص

يبـدو ويظهـر رأسـه فـوق السـماء التاسـعة عاليـا

كـل مـن تم تعليمـه وإرشـاده بـإعلام الرقـص

كـل مـن تتجلى لـه جلـوة مـن أنـوار المحبـوب

لايجب عليه أبدا ولايـلزم أن يتغـذى بغـذاء الرقـص

كـل فـرد مـن أفـراد بنـى البشـر لايليـق بـالرقص

بل اللائق لذلك هو الـذى يتـم عليـه إنعـام الرقـص

إلى حين وجود الروح فـى الجسـم يـا عبـد الرحمـن

لن يتمكن أحد من إكمـال وإتمـام الحقيقـة للرقـص

قدم الأستاذ حبيب الله رفيع وذكر هـذه المقطوعـة الشـعرية دليـلا علـى أن الشاعر عبد الرحمن كان يجيد العزف علـى الآلات الموسـيقية، ولكننـا عندمـا نمعـن النظر فى المصطلحات الصوفية ندرك أن هذه الأبيات الشعرية وما يتردد فيهـا مـن مصطلح الرقص الصوفى وغيره من المصطلحات الصوفية إنما هى مـن قبيـل الرمـوز والتلويحات التى اصطنعها الشاعر الصوفى ليعبر بهـا عـن ذوقـه الصوفـى، ووجـده

القلبى. والرقص كما هو معروف عند السادة الصوفية يرمز إلى حركة السالك أو الصوفى الناشىء وسيره فى طريق التصوف.

عاشرا - السخرية والتهكم:

نجح الشاعر الصوفى عبد الرحمن بابا إلى حد بعيد فى استخدام السخرية والتهكم لتحقيق أهدافه الإصلاحية أوالفنية أو التعليمية أو الصوفية أو الفلسفية، والسخرية اللاذعة لاتقل تأثيرا عن أسلوب القوة والإنذار الصريح، والتهكم الشعرى لا يقل إثارة عن إثارة التحكم الواضح الصريح. وقد عرف الشاعر عبد الرحمن كشاعر من كبار الشعراء الأفغان، ورائدا من رواد الشعر التعليمى والخلقى، كما عرف كصوفى ينظم الغزل الصوفى، وكان الشعر التعليمى مجالا رحبا تجلت فيه عبقريته ومقدرته فى استخدام أساليب السخرية وأنماط التهكم، لقد استعان فى هذا المجال بثقافته الواسعة، وفهمه العميق لمعارف أهل زمانه. وأسلوبه فى السخرية والتهكم لايخرج عن الإطار الإسلامى، والخلق الأفغانى، وهذا النوع من شعره يكشف أيضا عن خبرته بالنفس البشرية، ومقدرته على سبر أغوارها، وتصوير نوازعها الخيرة والشريرة،الطيبة والخبيثة على السواء. ولننظر مثلا إلى حديثه عن الملق والتظاهر والرياء، وأثر ذلك فى الناس، قال:

فى الظاهر تقول ذاكرا بلسانك مكة والمدينة
وتنكب ملقيا بكامل جسمك على ما حرمه الله
تقوم يوميا بالمراقبة معلقا برأسك كالبرعومة
ومتاع قلبك فى السر والخفاء منقوش بالألوان

تطلب بإلحاح شديد قباء من الحرير فلا تعثر عليه

فلبست رغما عنك عباءة الدراويش من الصوف

هل عبادتك لله أكثر من المعاصى أم المعاصى؟

انظر فى المرآة لترى ذلك فى نفسك بأقل تقدير

معروف أن الله قد حرم الحقد والعداوة والقتال

ولكنه لم يحرم الحقد والعداوة مع النفس والشيطان

إن امرأة طاهرة متقية صالحة زاهدة عابدة

خير وأفضل من الفساق الفجرة من الرجال

مهمة الشجعان من الفتيان مقاومة النفس

لا القيام بأعمال التزيين والتجمل بالحلية كالنساء

وليكن مائة رجل فاسق ممن لادين لهم ولاخلق

فداء فردة حذاء امرأة عفيفة من ذوات الدين

أصحاب الأعمال الحسنة أفضل وإن كانوا صغارا

من االرجال ذوى الأعمال السيئة وإن كانوا كبارا

العاشق المعمر ابن مائة سنة، فى نظر عبد الرحمن

طفل رضيع صغير كأنه قد ولد ليلة البارحة

هذا مثال واحد من مئات الأمثلة التى عالج فيه الشاعر أمراض المجتمع الإنسانى على هذا النحو البارع. وخلاصة الكلام أن عبد الرحمن لم يكن مصلحا وفيلسوفا ساخرا فحسب، وإنما كان كذلك حكيما عمليا، لقد تقبل الحياة وتفاعل معها، واستخدم السخرية ضد كل من خالف سنن الحياة.

المعانى الإنسانية فى شعره:

عيشة الزهد والتقشف:

التدين والزهد والتقشف أحد أسباب سعادة الشاعر عبد الرحمن بابا فى حياته الروحية، وهو ينظر إليها على أنها من صميم الدين والعقيدة الإسلامية فلا يجوز التظاهر والرياء فيه وفى الأعمال الصالحة الأخرى، وقد تكرر هذا المعنى فى ديوان شعره مرارا، من ذلك هذا البيت من شعره:

ما ألبس الله أحدا من الناس لباس الرياء والتظاهر
إن عبد الرحمن قد ربط عمامة عوجاء تبخترا وهو درويش[1]

القناعة كنز:

القناعة فى نظر شاعرنا عبد الرحمن كنز لا يفنى، ويدعو الله أن يرزقه القناعة لأن حقيقة الحياة فى نظره هى القناعة والبساطة، وقد صور ذلك فى هذا البيت من شعره:

رباه، امنح عبد الرحمن كنز القناعة
ليكون غنيا ثريا بلا ملك وحشم[2]

---

(١) د رحمان بابا ديوان ١٩١، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ٢٦٢

العزيمة والتوكل:

الاعتماد على الله، والثقة فيه، والتوكل عليه فى الأمور العظيمة أحد المعانى التى صاغها عبد الرحمن فى روائع من شعره فى مواضع عديدة من ديوانه الشعرى منها هذا البيت الذى يصور فيه هذا المبدأ فى صرخة من ندائه إلى ربه:

رباه، لا تجعلهم من البائسين، أولئك الأشخاص
المؤمنين الذين اعتمدوا فى تحقيق آمالهم على كرمك[1]

الاحتياج:

الحاجة والاحتياج ظاهرة اجتماعية فى المجتمعات الإنسانية لايحس بها إلا المحتاجون وتتحول أحيانا إلى مشكلة تؤدى إلى الخصام بين الأفراد. يدعو عبد الرحمن ربه بألا يحتاج أحد إلى أحد فى قضاء حاجة أو أمر من الأمور، ويسكب هذا المعنى فى قالب لفظى جميل، ويقول:

أتوسل إلى ذلك الرب الجليل المنزه بعظمته
بألا تتوقف حاجة أحد عند أحد من الأشخاص[2]

---

(١) المرجع السابق ٢١٩

(٢) المرجع السابق ٥٠

حماية الأهل:

لا ينسى عبد الرحمن أهل قريته وعشيرته، ويتمنى أن يحفظهما الله فى أمان من الشدائد، وأن تكون فى حمايته ورعايته وتحت عنايته الكريمة، وقد عبر عن هذا المعنى، وألبسه ثوب الدعاء:

حفظك الله وحماك من كل اضطراب وحزن
يا عمران أهل بيتى وقريتى وعشيرتى[1]

الذرية الصالحة:

الذرية قرة أعين إن كانت صالحة سالكة سبيل المتقين، وقلب الأبوين مفطور على محبة الذرية، ومتأصل بالمشاعر النفسية والعواطف الأبوية لحماية الأولاد والرحمة بهم، والشفقة عليهم، والاهتمام بأمورهم، حيث إنهم أفلاذ الأكباد، وثمرات الفؤاد، إلا أن مصلحة الإسلام والعقيدة فوق كل المصالح والاعتبارات. لذلك نرى شاعرنا عبد الرحمن ينادى ربه ويدعوه بألا يرزق أما ولدا سيئا لا يتمتع بالخلق الإسلامى ولا يتحلى به، وقد صور هذا المبدأ فى هذا البيت من شعره:

لم يلد مولود سيء العمل والخلق من أمه
حيث يسيء إلى سمعة الوالدين وذكرهما[2]

---

(١) المرجع السابق ٢٧١

(٢) المرجع السابق ٦٦

الزهد والرهبانية:

شاعرنا عبد الرحمن الشهير بأب الأفغان كان زاهدا، وهو يحمل فى زهده معنى التعاون والبذل والإيثار، و لم يكن من صائدى الدنيا باسم الدين، وزهده لا يعنى أبدا الانقطاع عن العمل والجهد، بل ترفعا عن حطام الدنيا وغرورها الزائف، وهو يدعو بقوة إلى الاستفادة من دروس الحياة العملية، عملا بمبدأ لا رهبانية فى الإسلام. وهو ينظر إلى هذه الدنيا على أنها زاد المسافر فى رحلته إلى عالم الغيب، اسمعه حيث يقول:

جميلة جميلة هذه الدنيا

فى أنها زاد العقبى والآخرة[1]

البراءة من القومية:

وفى سبيل الدين والعشق الإلهى يتنازل عن القومية التى ينتمى إليها ويتبرأ منها إذا كانت تعارض العواطف والمشاعر الإسلامية، والانتماء القومى عند الأفغان مبدأ من المبادئ الاجتماعية التى يتمسكون بها، ومن الصعب التنازل عنها. وهذا الضرب من شعره كثير، ومنه ما لا يجاريه فيه إلا القليلون، اسمعه وهو يقول:

إننى عاشق، شغلى الشاغل مع العشق الإلهى وحده

لست من بنى خليل، ولا من الداودزية ولا من قبيلة مهمند[2]

---

(١) المرجع السابق ٥، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ٤٩، وپشتانه شعراء ١: ١٩٦

فأنت فى كل ذلك وفى غيره من شعره أمام منبر واعظ إسلامى وقور يرشدك إلى العمل فى سبيل الخير كما تدعو إليه تعاليم الدين الإسلامى، ولكن فى وعظه شاعرية جليلة عظيمة، ولحن شجى يسهل عليك مشقة الإصغاء إلى الواعظ ومواعظه، وفى نبرات شاعريته الحانية ما يجبذك ويجذبك إليه جذبا. فتصغى إليه مسرورا، وتشعر منه بنشوة خفية تملأ قلبك، وتحرك عواطفك نحو ما يدعو إليه.

الحالة السياسية فى أيامه وأثرها فى شعره:

عاش عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير برحمان بابا فى العصر الذى لم تتمخض فيه ثورة كل من بايزيد أنصارى، والزعيم خوش حال عن نتائج سياسية ملموسة فى طرد الأجانب من الأرض الأفغانية، وفى قيام نظام سياسى خاص يتمتع بالاستقلالية والحرية، الأمر الذى جعله يتجه اتجاها انزوائيا على طريقة الفلاسفة المتقشفين، والزهاد المنعزلين، ومن هناك بدأ دعوته الإصلاحية والخلقية كشاعر حكيم يدعو إلى الفضيلة والتآلف والتوادد والتحابى، وإلى الاتحاد والوحدة وصولا إلى الغايات النبيلة بالتخلص من التسلط الأجنبى، والقضاء على مختلف ألوان الظلم والاستبداد والجبروت التى جعلت پشاور موطنه ضيقة عليه كالقبر الضيق الذى يتعذب فيه الإنسان بعذاب النار. وقد وفقه ا لله فى هذا الاتجاه إلى حد بعيد. وهو كمفكر مسلم لم يكن فى وسعه أن يقاوم الظلم والتسلط والجبروت عن طريق الثورة كما فعل الزعيمان الثائران بايزيد أنصارى وخوش حال خان، فقاومه بثورته الفكرية:

وليكن الأشراف والنبلاء من أمثال اورنكـ زيب وشاه جهان

نذرا وفداء للدراويش الزهاد من أمثال منصور النداف

وفى مجال السياسة فى أيام عبد الرحمن كان التنافس السياسى بين العناصر العرقية المختلفة ملتهبا، وبالأخص بين بنى الأفغان والمغول والسيخ.. كان المغول يتصرفون فى شئون الديار الأفغانية، وفى مصادرها المالية والاقتصادية، وفى آدابها الحضارية وفقا لأغراضهم وأهدافهم السياسية، والإقليمية. وكان السيخ يحاولون الاستفادة من الصراع الذى كان يدور بين الأفغان والمغول، واستثمار ذلك لمصلحتهم القومية.

أما الروح الأفغانية الأصيلة فكانت تتمثل فى عظمة الأفغان الإسلامية الماضية، وفى آمالهم فى استرجاعها، ولم تلبث أن تجسمت بروح الثورة الأفغانية يقودها كل من الإمبراطور شير شاه سورى (الغورى) فى داخل الهند، والزعيم الشاعر خوش حال خان فى بشاور، وزعماء القبائل السدوزية والباركزية فى كندهار، واليوسفزية فى پشاور، وكان أبرزهم وأقواهم الإمبراطور أحمد شاه الدرانى بطل معركة " پانى پت " الشهيرة.

وقد زادت الأوضاع السياسية سوءا واضطرابا بعد أن أعلن الزعيم الشاعر خوش حال خان الحرب ضد المغول الذين أعلنوا عداوتهم السافرة للأفغان. وشاعرنا عبد الرحمن قد عاش أكثر أيام عمره فى عهد أورنك زيب، حيث ولد فى عهد شاه جهان المغولى، وعاصر أورنك زيب، وقضى سنوات من عمره الأخيرة فى عهد الأمير معظم بن أورنك زيب الذى تربع على العرش سنة ١١١٨هـ (١٧٠٦م).

فهل أثر فيه كل ذلك؟ يبدو أن ذلك التأثير كان قليلا، لا يصل فى مجموعه إلى ما وصل إليه ذلك التأثير فى شعر خوش حال خان، ومن هذا التأثير القليل هذا البيت من شعره:

بسبب الحكام الظالمين وحكمهم الظالم
صارت الثلاثة.. القبر والنار ويشاور شيئا واحدا[1]

ومن ذلك التأثير القليل هذا البيت أيضا:

من المستحيل أن يعيش الإقطاعيون والدراويش فى قرية واحدة
أين مقام عزيز خان " الإقطاعى " من مقام الدرويش عبد الرحمن[2]

كان العصر الذى عاش فيه عبد الرحمن عصر الإقطاع، والنظام الطبقى.. طبقة الحكام والإقطاعيين، وطبقة الفقراء والعمال المعدمين، ويبدو من بيت الشعر الذى مرت ترجمته آنفا أنه مال إلى الطبقة الثانية المظلومة التى لم تكن ذات قيمة اجتماعية، بل كانت تستثمر لمصلحة الطبقة الأولى الحاكمة.

ومع ذلك أى ميله إلى طبقة الفقراء كان لحياته فى هذا المجتمع الطبقى تأثير فى شاعريته، ومسلكه الشعرى، وهو يستغرب كيف يجوز للأجير وصانع الأحذية والجزار والدهقان (الفلاح) الادعاء على أنهم من الأصول الأفغانية النجيبة..

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٠٢، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) د رحمان بابا ديوان ١١٦، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

يتحول الجار والدهقان (الفلاح الأحمر) فيه، إلى الأفغان

وهو فى الأصل إما أن يكون إسكافيا أو جزارا[١]

تصوفه وأثره فى شعره:

فى شعر عبد الرحمن بابا كثير من المعانى والمفاهيم الإسلامية، وقد جاءت مصبوغة بالصبغة الصوفية، شأنه فى ذلك شأن أكثر العشراء الأفغان فى عصره، ومذهبه فى التصوف يتميز أولا بالدقة والحيطة فى التعبير والتصوير، ويتميز ثانيا بالقدرة النادرة على استخدام المفردات الأفغانية والعربية والفارسية لتصوير موضوعات التصوف، ومسائل الفلسفة المعقدة، اقرأ هذا البيت من شعره وهو يقول:

إن هذا الكون الضخم قد خلقه الله من العشق

إن العشق أب لجميع المخلوقات فى هذا الكون[٢]

قد ظهرت الصوفية فى الآداب كمظهر من مظاهر التدين والورع الشديد، ولكنها انتهت فى غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة، وكان أول نشوئها كحركة زهدية مضادة لترف العصر، وكانت ترجع فى أساسها إلى نظام الزهد الإسلامى فى الإعراض عن زخرف الدنيا إلا أنها تجاوزت هذه الحدود فيما بعد.

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٥٩، طبعة پشتو تولنه، كابل، و٣٧ من المقدمة، و١٠٩، طبعة پشاور، مقدمة سيد رسول رسا، و١٦٥، طبعة پشتو أكيديمى، پشاور، مقدمة مولانا عبد القادر.

(٢) د رحمان بابا ديوان ١٤، طبعة پشتو تولنه، كابل، وپشتانه شعراء ١: ١٩٥

وشاعرنا عبد الرحمن لم يكن من هؤلاء الغلاة، وقد استخدم التصوف والزهد سلاحا نبيلا للدعوة إلى الله، وإلى رسالة رسوله الكريم، كما استخدمه فى مقاومة البغى والعدوان المادى. وتصوفه لا يعنى الانقطاع عن العمل والانزواء فى ركن معبد من المعابد، بل يعنى الدعوة إلى الترفع عن حطام الدنيا وغرورها..

إن حب الحبيب هو الذى جعلنى أفقد عقلى جريا وراء الحبيب

فإذا كان هناك شخص يظن أن ذاك هو أنا، فلست أنا، إنه هو[1]

إن تراث الزهد والتصوف ثروة عظيمة فى الآداب الأفغانية، ومن يتأمل فى تاريخ الأفغان يتأكد له أن العقيدة الإسلامية والتصوف جزء منها وطلب أساسى فى حياتهم الأدبية والسياسية والاجتماعية، لم يتنازلوا عنه مهما كلفهم الأمر من الفداء والتضحية.

ولا ينبغى نسيان ما فى ديوانه من الغزل فى العشق الإلهى، ويبدو كما يقول البعض أنه متأثر فى ذلك بالشاعر الفارسى حافظ شيرازى.

وبالاختصار الشديد فإن الحب الصوفى فى تساميه نحو المطلق، وتوجهه إلى مقر علوى منزه يلوذ به، وعالم القلب والوجدان الذى لا يسافر ولا يجول فيه إلا أصحاب القلوب الغنية والوجدان، وقيمة الإنسان المسلم قضية كبيرة فى شاعرية عبد الرحمن وشعره الوجدانى، فالإنسان المسلم فى شعره قيمة لا تعلو عليها إلا قيمة جلال الخالق عز وجل، وقد أبدع عبد الرحمن فى عرض هذه القضية بلغة القلب، والعاطفة والوجدان، وحمّل شعره الوجدانى لهب مشاعره وأحاسيسه ليوقد

(١) د رحمان بابا ديوان ٢١٠، طبعة پشتو تولنه، كابل، وپشتانه شعراء ١: ١٩٦

فى صدور الآخرين نار الحيوية، والإبداع، ويحثهم على بناء شخصية إسلامية متكاملة فى الكيان الإسلامى فى منازل الأفغان.

اللغات:

كان يجيد أشهر اللغات الأدبية فى عصره، وهى:

١- اللغة الأفغانية (البشتونية = البختونية) وبها أنشد ديوانه الذى يعتبر توراة الأفغان وإنجيلهم.

٢- اللغة العربية، وقد درس علومها بجانب العلوم الإسلامية، ثم قام بتدريسها، ومن تلاميذه المشهورين الشاعر محمد يونس خان الذى رثاه عند وفاته.

٣- اللغة الفارسية، وتأثير هذه اللغة واضح فى ديوانه حيث لا يخلو بيت من أبيات شعره إلا وفيه كلمات فارسية.

٤- اللغة الأردية، وفى ديوانه مقطوعة شعرية أنشدها بهذه اللغة من لغات الهند المشهورة.




في أصل الحيوان

١- الرب الأعظم المنفرد بإرادته

تــأمل! فــإن ربــى هــو ذلــك الخــالق الفعــال

الــذى يملــك كــل أنــواع التصــرف والاختيــار[١]

كــل العظمــاء الذيــن يصفهــم النــاس بالعظمــة

فــإن ربــى أعظــم مــن كــل هــؤلاء العظمــاء

لا حاجــة لربــى قــط موقوفــة عنــد أحــد

ولا يحمــل ربــى قــط منــة لأحــد

فقــد أوجــد مــن العــدم صــورة الكــون

هكــذا شــأن ربــى "ذلــك"[٢] الخــالق المربــى

إن ربى هــو صــانع كــل المصنوعــات (الموجــودات)

وهــو كذلــك سميــع لكــل الأصــوات والأقــوال

إن ربــى عطــار تلــك العطــور الطيبــة التــى

لا يوجــد لهــا مثــل ولا مثــال فــى الوجــود كلــه[٣]

---

(١) معنى البيت: إن ربى فعال لما يريد. وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ سورة هود ١٠٧ . ومن قوله تعالى: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾ سورة يوسف ٨٣

(٢) ذلك: من إضافتى أنا المترجم لتوضيح المعنى والسياق يدل عليها.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن كــل بنــاء مــن أبنيــة الدنيــا والآخــرة
فــإن ربــى هــو معمــر كــل تلــك الأبنيــة وبانيهــا
إن ربــى عــالم صحــائف غــير مكتوبــة
وهــو عليــم خبــير بكــل الأســرار المكتومــة
إن ربــى خبــير عليــم بكــل مــا هــو كــائن
ظــاهرا كــان أو باطنــا، ومــا كــان بينهمــا[1]
كل ما هو واضح أو مبهم، وكل ما هــو فــى الأوسـط
فــإن ربى واقـف مطلـع على كـل ذلـك عـارف بـه
لا شــريك لــه فــى إمــارة ملكــه وســلطانه
إن ربــى هــو الملــك الحــاكم بــلا شــريك
إن وحدانيتــه وانفراديتــه ليســت مــن عجــزه
إنــه كثــير قــوى فــى وجــوده الوحدانــى والانفــرداى
إن الذيــن منــاصرهم ربــى وهــو مســاعدهم
فــإنهم ليســوا فــى حاجــة إلى نصــرة أحــد غــيره[2]
مــا الداعــى لأن أبحــث عنــه وأطلبــه فــى مكــان آخــر
فــإن ربــى موجــود بجــانبى داخــل دارى ومجلســى

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

ليس لربي تغيير ولا تبديل يا عبد الرحمن
إنه ثابت متمكن من الثبات دائما أبدا

" ١٥ "

' ٢- محمد خاتم الرسل والأنبياء '

لو لم تظهر صورة محمد ﷺ في هذا الوجود
لما خلق الله هذه الدنيا وما فيها من الموجودات[١]
إن الدنيا وكل وما فيها قد جاء إلى الوجود تكريما لمحمد ﷺ
فالرسول محمد ﷺ هو الأب "الروحي"[٢] لهذه الدنيا كلها
فقد ختمت رسالة النبوة بمحمد ﷺ وتمت
لا وجود لأنبياء جدد ورسل بعد محمد ﷺ
إن نور محمد ﷺ قد جاء إلى الوجود في الوقت الذي
لم يكن هناك وجود لغير آدم وحواء

---

(١) المعنى مأخوذ من هذا القول المأثور: "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك" قال الصغاني هذا القول: "موضوع" ويقول إسماعيل العجلوني الجراحي: "معناه صحيح وإن لم يكن حديثا" راجع إسماعيل محمد العجلوني الجراحي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث عن ألسنة الناس ٢: ٢٣٢ مكتبة التراث الإسلامي بحلب، ودار التراث بالقاهرة.

(٢) الروحي: من إضافتي أنا المترجم لتوضيح المعنى، والسياق يدل عليها

إن عبير محمد ﷺ كان موجودا فى العالم فى الوقت الذى
لم يكن لعبير كل من آدم وحواء أى وجود
فإذا كانت صورة محمد ﷺ أو هيئته قد ظهرت كخاتم للأنبياء
فإنه فى حقيقة المعنى هو الأول من كل الخلق
إن كل موجود نبيا كان أو وليا أو عاصيا
فإن محمدا ﷺ إمام لهؤلاء جميعا وقائدهم
إن كل من اعتنق دين محمد ﷺ وآمن به
فإنه من أهل الجنة فاسقا كان أو زاهدا تقيا
إن محمدا ﷺ مرشد للضالين المضلين وقائدهم الهادى
وإنه كالعصا فى أيدى العميان للاسترشاد
إن النور الحقيقى هو اتباع محمد ﷺ، والاقتداء به
وإلا فإنه لا وجود للنور فى هذه الدنيا بتاتا
إن محمدا ﷺ وسيلة لعلاج حاجة المحتاجين
وهو دواء شاف لداء كل مريض وعليل
لا تعده إلها معبودا لإنه عبد دون شك
وصفاته الحميدة الأخرى كلها صحيحة صادقة
أنا عبد الرحمن كناس (خدام) بباب دار محمد ﷺ
أتمنى آملا ألا يبعدنى الله تعالى عن هذا الباب

" ٢٨ "

' ٣- لا عودة لك بعد الموت '

ليست لك العودة إلى الدنيا مرة ثانية

اليوم وقتك إن كنت تعمل كاذبا أو صادقا

كل عمل يمر على وقته عبثا يتحول إلى عنقاء[1]

والعنقاء لم تقع فريسة في مصيدة لأحد

إن الماء الذي عبر الفتحة في الجدول لا يعود ثانية

كذلك لا يعود الوقت الذي قد مضى مرة أخرى

فالوقت الذي قد مضى مثل الميت في اللحد

و لم يقم أحد أبدا بإحياء الميت بالبكاء

إن كنت صاحب هدف، فأسرع لأن الوقت قصير

لا تكن غافلا مغرورا بطول هذا العمر وبقائه[2]

كل هدف تراه صحيحا مستصابا في قلبك

فإنك ستخطئ ذلك الهدف بغرورك وغفلتك

---

(١) العنقاء: فيما يزعمون طائر عظيم ضخم، معروف الاسم مجهول الجسم، لم يره أحد، ومثله طائر "سيمرغ" في الأدب والأساطير الأفغانية.

(٢) الشاعر متأثر بهذه الآية الكريمة: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ سورة لقمان ٣٣ وسورة فاطر ٥

قطعت "الأيام"[1] آمال الناس وهم يأملون تحققها

لا تكن في غفلة عن مكر "حوادث"[2] الأيام

عندما يتحطم فمك بمسدس الموت

فكيف يمكنك إن تثني "على الله"[3] بفمك المحطم

إن الزوجات النائحات عندما يخاطبن بنواحهن

فإنهن يوجهن حديثهن إليك إن كنت تفهم

لست طفلا صغيرا حتى يعلمك أحد بالقوة والقهر

إنك لعاقل، وكذلك بالغ، وعالم بالأمور أيضا

فكر جيدا في كل من العمل الطيب والسيء القبيح

أفي هذا تكمن مصلحتك أم في ذاك تكمن

أطرق برأسك إلى الصدر، وافتح عينيك وتأمل

ولا تصعد إلى الأعلى أكثر فأكثر مغرورا بلا هدف

لا تعلو السماء ولا ترقاها مغرورا بلا هدف

لأنك في الأصل قد تكونت من تراب الأرض

---

(١) الأيام: من إضافتي أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

(٢) حوادث: من إضافتي أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

(٣) على الله: من إضافتي أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

وبدلا عن العمل، لن يكون "هناك"[1] مثل هذا السؤال:
هل أنت ابن الفلان، أو أنت حفيد الفلان؟
أحسن إلى نفسك، ولاتكن مغرورا مخدوعا
بإحسان الوالدة والوالد؛ وبأعمالهما الطيبة
إن العروس التى لا تتمتع بالجمال فى ذاتها
ماذا يفعل الإنسان "الزوج"[2] بجمال أمها أو جدتها
أوجه هذا الحديث إلى نفسى أنا يا صديقى
لا تكن حزينا، بأننى قد ذكرت اسمك فى الكلام
أذكر اسمك واسم غيرك، وأقول لنفسى
بأن هذه العيوب والنقائص كلها عيوبى أنا
إن كل ما أقوله وأتحدث به، أوجهه إلى نفسى
لا شأن لى ولا تعامل، ولا غرض لى مع الآخرين
وكل كلام أقوله، إنما أوجهه وأقوله لنفسى
بأن كل هذه النقائص والعيوب موجودة فى نفسى
لو كان فى قلبى مكان يسع هذه الغموم
لما كان من داع، لأقوم بإنشاد هذا الشعر

(١) هناك: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.
(٢) الزوج: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.

بينمـــا متـــاعب المـــوت الشـــديدة أمـــامك وبجـــوارك
فلمـــاذا وكيـــف لم تمـــت قبـــل هـــذا يـــا عبـــد الرحمـــن؟

" ٥٠ "

' ٤- لا وفاء لهذه الدنيا '

لم يثبـــت أحـــد وفـــاء هـــذه الدنيـــا أبـــدا
الجميـــع يجبـــون فـــى هـــذه الدنيـــا دون جـــدوى
كـــل مـــن يدعـــى التملـــك والقرابـــة فـــى هـــذه الدنيـــا
فإن هؤلاء جميعا يدعون باطلا لأن الدنيا ليست ملكا لأحد
إن هـــذا الفلـــك فخـــار خـــزاف يصنـــع ويحطـــم
أوجـــد كثـــيرين مثلـــى ومثلـــك، ثـــم أفنـــاهم
كـــل حجـــر وقطعـــة مـــدر يـــابس تبـــدو فـــى هـــذا الدهـــر
فـــإن كلهـــا فـــى الأصـــل رؤوس الملـــوك، أو رؤوس الفقـــراء
لا ينبغـــى لأحـــد إن يضـــع مصيـــدة لمعـــبر أهـــل الدنيـــا
لأنـــه لـــن يتمكـــن مـــن صيـــد طـــائر "ســـيمرغ"[1] والعنقـــاء

---

(١) سيمرغ: بالأفغانية والدرية طائر خرافى موهوم، لم يره أحد، يذكر كثيرا فى الآداب الأفغانية، وهو كطائر العنقاء فى الأدب العربى، كل منهما معروف الاسم مجهول الجسم، وجودهما متوهم خرافى من صنع الخيال والوهم.

كـل مـن أراد إقامـة صلـة الـترابط بهـذه النفـس الفانيـة
فإنه كمن يربط الهواء بالسلسلة وهو أمر غير مستطاع
إن مصير كـل مـن القمـر والشـمس إلى الفنـاء فـي النهايـة
حيث إنهما كالوردة وليس للوردة خلود وإن كانت توجد دائما
لا تسـلك يـا عبـد الرحمـن طريقـا خـلاف طريـق العلمـاء
لم يكـن أحـد مـن العلمـاء أبـدا قـد فضـل حـب الدنيـا

" ٥٨ "

' ٥- الزوجتان '[١]

مـن كـان لـه زوجتـان
من أهـل السـنة وأيضـا زاهدتـان
خادمتـان لـلزوج مطيعتـان
بـالخلق الطيـب متصفتـان

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٤، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٧م وهذه المقطوعة الشعرية لم يأت ذكرها في ديوان عبد الرحمن بابا الذى طبع فى پشاور سنة ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ. وقدم له مولانا عبد القادر، رحمه الله تعالى، وكذلك فى الديوان الذى طبع فى پشاور سنة ١٩٧٦ م/١٣٩٦هـ. وقدم له الأستاذ سيد رسول رسا.

فحـــرام بينهمـــا الفرقـــة والفرقـــان

خاصـا كـان ذلـك أو مـن العـدوان

هـذا مما لـزم علـى الـزوج وجوبـا

ألا يعـود ثانيـة إلى التمـايز والفرقـان

"بينهمـا" فـى المطعـم والملبـس

وفـى المبيـت والحليـة[1] والحـذاء

ولـو لم يفعـل الـزوج هكـذا

فقـد أحبـط عملـه مكشـوفا كـالبيداء

سـيموت ههنـا مجنونـا مـن ناحيـة

ومن ناحية أخرى سيسـود وجهـه هنـاك

فقـد ورد هـذا الحديـث الشـريف

إذا كـان لأحـد فهـم وإدراك بهـذا..

ذلـك الـذى يقـوم بالتمـايز والتفرقـة

أنـا بـرىء منـه، وهـو بـرىء منـى

فقـد جـاء هـذا فـى كتـاب "المشـكاة"

فـاذهب واسـأل العلمـاء

---

(١) المبيت والحلية: ترجمة كلمة "كنه" التى يحتمل إن تكون فى الأصل "كانه" بمعنى الحلية، وطبعت خطأ بالشكل المطبوع، ونظرا كذلك لكثرة التصرف والأخطاء المطبعية والإملائية وغيرها فى الكتب الأفغانية.

يـــا الله احفـــظ عبــد الرحمــن

مـن مثـل هـذا الذنـب والخطأ والعقـاب

" ٦٩ "

' ٦- الدنيا زاد العقبى '

طيبـــة نافعـــة هـــذه الدنيـــا

لأنهـــا زاد العقبـــى والآخـــرة

لا تقـــل المذمـــة فـــى الدنيـــا

اسمـــع هـــذا القـــول واتخـــذه موعظـــة

إنـــه يتـــم فـــى ســـوق الدنيـــا[1]

البيـــع والشـــراء للآخـــرة والعقبـــى

إن فـــى الدنيـــا حكمـــا كثـــيرة

يفهمهـــا ويعلـــم بهـــا الحكمـــاء

لـــو أعطيتهـــا للخصـــم والعـــدو

لجعلتـــه علـــى الفـــور صديقـــا حبيبـــا

---

(١) الدنيا: تأتى فى اللغة الأفغانية بمعنى العالم، والمال، والثروة، والنعيم، والمتاع، والحياة الحاضرة، والكرة الأرضية.

لو تصدقت بها فداء لنفسك

لرفعت عنك البلاء ودفعته بعيدا

لو وضعتها فوق النار

فاحت عنها رائحة كرائحة العود

لو نثرتها فى الصحراء الجرداء

لجعلتها جميلة زاخرة بالزينة

لو أعطيتها نذرا للشيخ المرشد

لذهب فى الطريق مسرورا ضاحكا

وعلى مدى حياته فى الدنيا

يذكرك فى الدعاء والمناجاة

يمدحك بالكرم كحاتم الطائى

ويمنحك خطاب السخاء والكرم

إن كل كريم حبيب عند الله

ولو كان فاسقا خارجا عن الطاعة

وكل بخيل عدو لله

ولو كان زاهدا فى الدنيا

إن الدنيا مزرعة للآخرة

وهذا القول صحيح صادق

طلاب الدنيا كثيرون

إن كان فى مقدور أحد العثور عليها عند أحد

ولكن الشهم في هؤلاء جميعا
هو ذلك الذي يكون كريما وزاهدا
لا عيب في الدنيا ومتاعها
إن لم يكن العيب فيك
لا ذنب للدنيا ونعيمها
إن لم يصدر الذنب منك
إن الدنيا بحر يجري
صافيا نقيا كالمرآة
يبدو فيها كل وجه على حقيقته
جميلا كان الشخص أو قبيحا دميما
فيها خطر القضاء على الحياة
وفي الوقت نفسه جوهرة لا تقدر بالثمن
وهي الوفاء بعينه للوفي
وهي الظلم الغليظ بعينه للظالم
من أحد جوانبها ينشأ الألم
ومن جانبها الآخر يظهر الدواء
تعطي مذاق السم في مكان
وتعطي طعم الحلوى في مكان
وهو أمر كله متوقف
على مطلب الإنسان ومدعاه

فليكـــــن المتصوفـــــة مشـــــاهدين

يشــــاهدون عـــــرض أنفســـــهم

كــل مــا يقــوم الإنســان بعملــه ســيجده

لأن الدنيـــــا مطيـــــة الجـــــزاء

ســيقوم عنـــد البعـــث كمـــا كـــان

جـــــاهلا كــــــان أو عـــــاقلا

أمســك الفتــوى وضعهـــا أمـــامك

ثـــم شمـــر عـــن ســاعدك علـــى التقـــوى

إنهـــا ليســـت بالدنيـــا بـــــل ديـــــن

إذا كـــانت مـــن غـــير المنهـــى عنـــه

يظـــل المســـلم قائمـــا طاعـــة "لله"[1]

مشـمرا رابطـا حـزام ظهــره اسـتعدادا للعمــل

مستمســـكا بالاجتنـــاب عـــن الحـــرام

منهمكـا دائمـا فـى أداء الأركـان الخمسـة

مقـــــرا بكلمــــة التوحيـــــد

جهـــرا وخفـــاء "لســـانا و قلبـــا"

ولأجــــل القيـــام بعمـــل الدنيـــا

لا يـــترك صــــلاة الفـــرض تفوتـــه

---

(١) كل ما هو بين علامات التنصيص من إضافة المترجم، والسياق يدل عليه.

يصوم شهر رمضان

ويقوم بأداء الزكاة

وإذا كان فى استطاعته الحج

قام بأداء فريضة الحج

هذه هى أركان الدين الخمس

التى قمت أنا ببيانها

فالذى يسلك هذا الطريق

ذلك الشخص هو من الأولياء

فإذا كان لديه الكثير من أموال الدنيا

فعليه ألا يخاف من ذلك أبدا

لأن المال سيء وضار لهؤلاء

الذين يكسبونه رياء وتظاهرا

إما إن يكون عمله رياء وتظاهرا

وإما أن يكون قد كسبه سرقة

وإما أن يكون قد جمعه ظلما وعدوانا

وإما عن طريق التجارة فى الخمر

ثم إما إن يدفعه فى الخمر

وإما أن يصرفه فى الفاحشة

إما أن يقوم بقتل الناس دون حق

وإما أن يقوم بأكل أموال الناس

يفـــرض علـــى نفســـه عبـــادة

الملـــوك والأمـــراء "والحكـــام"

يجعـــل الحـــق بـــاطلا، والبـــاطل حقـــا

بســـبب النفـــاق والريـــاء

لا يكمـــن "فـــى قلبـــه" خوفـــه مـــن الله

ولا الحيـــاء والخجـــل والاســـتحياء

لأجـــل "إشـــباع" بطنـــه الواحـــد وحـــده

يقـــوم بتدمـــير ألـــف مـــنزل

ومـــن أذى ظلمـــه وجـــوره دائمـــا

يكـــون النـــاس فـــى صـــراخ واضطـــراب

لا عقـــل لـــه، ولا أذن أبـــدا

ليســـمع بهـــا بكـــاء المظلومـــين

يجلـــس متكـــبرا مثـــل فرعـــون

فـــى كبريـــاء بـــلا خـــوف ولا حـــذر

يتجـــه بوجهـــه نحـــو معبـــد الأوثـــان

"مؤديـــا" ظهـــره نحـــو المســـجد

يخـــالط ذوى الخلـــق الســـىء

ويبتعـــد عـــن ذوى الخلـــق الطيـــب

لا يختلـــج فـــى خـــاطره أبـــدا

أن يتـــولى عـــن ذلـــك، ويتـــبرأ

لا تقـــــدر لعبـــــد الرحمـــــن
يـــا إلهـــى مثـــل هـــذا البـــلاء

" ١٢٤ "

' ٧- الظلم والجفاء '

تعـــال، لا ترتكـــب ظلمـــا فـــى حـــق أحـــد
الحيـاة قصـيرة، تضيـع فـى "ذلـك"[١] يـا عديـم الوفـاء
لا أحـــد بـــاق دائمـــا فـــى العـــالم أبـــدا
كلهـــم راحلـــون ســـائرون اليـــوم أو غـــدا
هـــؤلاء الأصدقـــاء الذيـــن يروقـــون لـــك اليـــوم
ســـيفنون جميعهـــم بعـــد يومـــين اثنـــين
إن كنـــت تحـــب مشـــاهدتهم فـــانظر إليهـــم
لأنهـم عندمـا يفنـون، كيـف فـى مقدورهـم أن يظهـروا ثانيـة
الأوراق فـــى الخريـــف عندمـــا تنفصـــل عـــن الغصـــن
لـن يسـتطيع الحكمـاء بحكمتهـم إعادتهـا إلى الأغصـان ثانيـة
عندمـــا تتســـاقط القطـــرات علـــى الأرض مـــن الســـماء
لا تصعـــد ثانيـــة مـــن الأرض إلى الســـماء

---

(١) كل ما هو بين علامات التنصيص من إضافة المترجم، والسياق يدل عليه.

لا تتخيل ولا تظن أن تعود مرة أخرى
تلك الدموع التى قد فارقت العيون
فى كل يوم من الأيام تطلع شمس جديدة
والشمس التى تغرب "اليوم" لا تشرق ثانية
إن كان دخول الجنة بفضل الله لا بعبادته
إلا أنه يجب على كل عبد القيام بأداء مسئولية العبادة
لو قمت لإرضاء النفس بتحمل مائة مشقة
لن تنفعك مشقة واحدة منها غدا يوم الحشر
لو امتلكت العالم وألقيته كله فى بطنك
لن تحوز بالتذكر لا فى الترحم ولا فى الدعاء
لو أعطيت حبة من الحبوب صدقة لفقير جائع
فإن تلك الحبة ستكون زادا لك فى الآخرة
لو أعطيت قطرة من الماء لظمآن
ستتحول إلى بحر من الماء يحول بينك وبين النار
لو ركعت وانحنى رأسك طاعة لله مرة واحدة
ستكون يوم القيامة أعلى مقاما من كل الناس
هذه سوق لمن يريد البيع والشراء، والحصول على الربح
لا يوجد فى العالم الآخر ربح، ولا بيع ولا شراء
اليوم دور الأصدقاء إذا كان لأحد شئ من الفهم
أن يقدم أحد الأصدقاء نفسه فداء لصديق آخر

إن كانت "هناك" حياة، فإن حياة الدنيا الحقيقية
هي أن يمضي عمر الإنسان بالألفة والضحك
احفظني يا الله في أمان من حياة
تغتاب فيها أنت يا صديقي شخصا وهو يغتابك
تناول السم أفضل سواء كان بالصلح أو بالاستشارة
من تناول السكر في "اضطرابات" الفتنة والغوغاء
وامتلاء البطن بالتراب وقش العيدان بلا غم، أفضل
من امتلائه بالحلوى المطهية بعيدان الغم والقش
الظهر المكسور بالمشقة والمحنة والكدح أفضل
ممن يربط فوق ظهره صرة مملوءة بالحرام
الأعمى الذي لا يرى بعينيه شيئا، أفضل
من الذي يفتح عينيه ناظرا إلى غريب محرم عليه
من المفضل أن يكون المرء أبكم يائسا محروما من البيان
لا أن يصير لسانه يتحدث بالقول السيء
من الأفضل أن يكون الإنسان أصم ولا يسمع بأذنيه شيئا
لا أن يعود أذنيه بسماع السيء من القول
لو أتى الشيطان والحيوان المفترس إلى جنبك أفضل
من أن يأتي - لا سمح الله - إلى جنبك إنسان سيء

الشخص الذى يستأنس بمجالسة الأفعى
أحسن حالا من الذى يستأنس بالجليس الجاهل[1]

إن كانت فى ذلك صعوبة فإن الصعوبة كلها فى إصلاح القلوب
لأنه لا صعوبة فى ربح هذه الدنيا وخسارتها وهو أمر سهل

إن كلا من الحصول على ربح الدنيا أو خسارتها أمر سهل
ما فضح الله وما ابتلى أى إنسان "بهذا" الأمر السهل

ما تم ذلك المطلوب والهدف الخاص
الذى يتأذى به قلب أخ لك أو عزيز[2]

أطعمة شهية يأكلها إنسان، وينظر إليها آخر
فهى ليست بأطعمة بل هى سموم "قاتلة"

ينبغى أن تعمل لرضا الآخرين حينا وحينا لرضاك
ولا ينبغى السعى للعمل دائما لتحقيق رضاك

إذا كان السرور فى أمر مؤقتا، وحزنه دائم
فإن العاقل لا يقوم بمثل هذه الأعمال

انظر إلى غيرك كما تنظر إلى نفسك
فإن لكل إنسان نفسه ورغباته مثل ما لنفسك رغبات

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى، للضرورة المعنوية.

ينبغـــى للمنصفـــين أن يزاولـــوا العـــدل عمليـــا
لا أن يصغـــوا إلى إيحـــاءات الطمـــع والهـــوى
تـــدور فـــى قلـــب الإنســـان وخـــاطره أشـــياء كثـــيرة
عليـــه ألا يظـــن هكـــذا أن كـــل ذلـــك جـــائز وحـــلال
علـــى المتدينـــين أن يلتفتـــوا إلى دينهـــم
فأشـــخاص يفكـــرون صوابـــا، وآخـــرون يفكـــرون خطـــأ
مـــا قـــدر الله أن يرتكـــب الإنســـان خطيئـــة بيـــده
مـــا هـــى رابطـــة نســـبة الخطـــأ إلى العطـــاء
ليـــس الأمـــر علـــى أن النـــاس كلهـــم سواســـية
بـــل إنهـــم درجـــات.. أعلـــى، وأوســـط، وأدنـــى
احـــترام كـــل واحـــد منهـــم وتوقـــيره علـــى قـــدر مقامـــه
لـــن يجـــد أشـــخاص عـــاديون مـــن النـــاس مقـــام الأمـــراء
فأنـــا عبـــد الرحمـــن لا أشـــتكى لذلـــك مـــن أحـــد إلى أحـــد
لأنـــه ليـــس لى من غـــيرك أيهـــا المحبـــوب صديـــق ولا عـــدو

" ١٦٤ "

' ٨- الجور والدموع '

حينمـــــا تقـــــول لى لمـــــاذا تـــــذرف الدمـــــوع؟
ألا يـــــدو لـــــك جـــــورك وظلمـــــك أيهـــــا الحبيـــــب
أنـــــت تجـــــور وتجفـــــو، وأنـــــا أبكـــــى يـــــا محبوبـــــى
فـــإن لم يكـــن منـــك ذلـــك، لـــن يكـــون منـــى هـــذا
إن كـــان رســـم المعشـــوق وعادتـــه مثـــل رسمـــك
فمـــن أيـــن لطائفـــة العشـــاق أن تفـــرح بالســـعادة؟[1]
إن خصـالك هـذه لـو استمرت علـى هـذا المنـوال دائمـا
فإنـه لا يبـدو لى دواء لعـلاج القلـوب المجروحـة بـالألم
أحدهما غضبـك، والآخـر طغيـان أهـل التنـافس والرقبـاء[2]
كـل منهمـا يقتلنـى بـدوره.. هـذا حينـا، وذاك حينـا
كـل مـن سـلك طريـق العشـق[3] وإن كـان أفلاطـون بعينـه
فـإننى أراه مجنونـا.. سـواء كـان ذلـك اليـوم أو غـدا

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٣) العشق: هو الإفراط فى المحبة، وفى مدلوله الصوفى: عشق الخلق للحق المترتب على عشق الحق للخلق بحجة قوله تعالى: ﴿يحبهم الله ويحبونه﴾ المائدة ٥٤ والعشق عندهم جامع الكمالات الإلهية كلها، وهو من المواهب وليس من المكاسب.

افرض بأننى أصبحت على كلام الناس كلبا يحرس حارتك
فإن الكلب لا يجب أن يموت من عذاب الفراق
لا أطلب شيئا أبدا يا عبد الرحمن لان طلبى أنت أيها المحبوب
إننى قد رضيت بذلك، والأمر بعده متروك لرضاك أيها الحبيب

" ١٧٢ "

' ٩- العلماء نور وضياء '

إن العلماء ضوء هذه الدنيا ونورها
العلماء زعماء كل العالم وقادته
من أراد طريقة الوصول إلى الله ورسوله
فإن العلماء مرشدو هذه الطريقة[١]
إذا كان عالم الكيمياء يبحث عن الكيمياء
فإن الكيمياء هى صحبة العلماء
بصحبة العلماء يتحول الإنسان إلى ذهب أحمر
سواء من كان حجرا أو مدرا من طين الصحراء
إن الجهال من الناس مثل الموتى
أما العلماء فهم كالمسيح عليه السلام

---

(١) العلماء: وفى المأثور: العلماء ورثة الأنبياء.

الأوليـاء الذيـن يعـود الميـت حيـا بنفســـهم
فـإن العلمـاء كلهـم مثـل هـؤلاء الأوليـاء
كـل مـن ليسـت لديـه درجـة مـن العلـم
فإنـه ليـس بإنسـان، بـل هيكـل بـلا روح
أنـا عبدالرحمـن عبـد مطيـع لكـل عـالم
أعلـى كـان فـى العلـم أو أوسـط أو أدنـى

" ١٨٠ "

' ١٠- صيد العنقاء '

إن أردت أمنيـة فـؤادك مـن أحـد
فـاجعل نفسـك صيـادا لطـائر العنقـاء
ضع على رأسك قلنسوة حباب البحر
واركـب جـواد الهـواء وتقـدم بعـزم
وانهـض قائمـا للبحـث مثـل خضـر
واشـرب مـن مـاء الحيـاة[1] للخلـود

---

(١) ماء الحياة: كان القدماء يعتقدون أنه ماء ينبوع فى بحر الظلمات، من نهل منه عـاش أبـدا. ويقال إن الإسكندر قد سمع بذلك، فركب البحر بصحبة خضر عليه السلام ليشرب منه، ولما بلغه رآه فى الظلام كأنه خيط من فضة، ولما تقدم إليه للشرب منه غاب عن بصره، فالتفت إلى رفيقه خضر عليه السلام فلم يجده أيضا. وذكر ماء الحياة كثير الورود فى الشعر الأفغانى الصوفى على أنه بمعنى المعرفة.

ارفـــع قدمـــك مــــن الأرض بعزيمـــة
وضعهـا مثـل عيسـى فـى أعـالى السـماء
تتلمــذ علـــى المعلـــم والمربـــى الـــذى
يقـــوم بـــتربيتك وتعليمـــك الكيميـــاء
هــــذا الـــذى بينتـــه لــــك بوضـــوح
لـــو حصلـــت عليـــه وتعلمتـــه كلـــه
حينـــذاك اطمـــع يـــا عبـــد الرحمــــن
فـــى الوفـــاء بـــالعهد مـــن الحســـان

" ١٨٧ "

' ١١- الدنيا فانية '

هــــذه الدنيـــا ليـــس لهـــا الوفـــاء
ليـس لهـا الوفـاء ليـــس لهـــا الوفـــاء
ليـــس لهــــا وجـــه ولا رقبـــة
كمـــدر يـــابس مـــن طـــين الصحـــراء
فـى وقـت مـن الزمـن تستقبل بوجههـا
وفـى وقـت آخـر تسـتدبر بظهرهـا
فى وقت من الأوقات تكـون ملكـا لـك
وفـى وقـت آخـر تكـون ملكـا لى

في ساعة من الساعات يظهر ألمها
وفي ساعة أخرى يظهر دواؤها
في حين من الأحيان يبدو خوفها
وفي حين آخر يبدو رجاؤها
في ساعة يبدو بقاؤها
وفي ساعة يبدو فناؤها
في وقت من الأوقات تكون ساكتة
وفي وقت آخر تكون صارخة
في حين من الأحيان تضحك
وفي حين آخر تذرف الدموع
في ساعة من الساعات يبدو وفاؤها
وفي ساعة أخرى يبدو جفاؤها
في وقت من الأوقات يبدو إفلاسها
وفي وقت آخر يظهر غناؤها
إنها ليس لها ظهر ولا شكل
حينا تتحول إلى هذا، وحينا إلى ذاك
ما ابتلى الله أحدا يا عبد الرحمن
بهذا النوع من أنواع البلاء

"٢٠٠"

' ١٢- الفرح والهم '

لم أفــرح بفــرح أحــد مــن الأصدقــاء قــط
واســود لونــى مــن غــم كــل صديــق وهمــه
إذا كنت أنـا لا أطمـع ولا أتوقـع مـن غـيرى شيئا
فــإن غــيرى يطمــع ويتوقـــع منـــى كثـــيرا
إن كـــان أخـــى، أو عزيـــزى، أو صديقـــى
فــإن كـل واحـد مـن هـؤلاء يطلـب طلبـه
فـى كـل بيـت مرضـى لى يرفعـون أنـين الاسـتغاثة
ولا أقـدر بمـد يـدى لتقديـم الـدواء لأحـد منهـم
إن كـــل الأمـــور فـــى الدنيـــا تتـــم بالدنيـــا
مـاذا يستفيد منـى أحـد حيـث لا أملـك الدنيـا
إن كـان بيتـى كـائن فـى القريـة فـإننى أعتقـد
أنـه ليـس ببيـت، بـل هـو قـبرى فـى الصحـراء
إن الذين لا يتـم بهـم عمـل ولا ينقـص بهـم عمـل
فمن الذى سيقوم بالتعامل مهم بـالضحك، ولمـاذا؟
الأصدقـــاء الذيـــن لا ينفـــع بعضهـــم بعضـــا
فـإن الغريـب أفضـل مـن هـؤلاء الأصدقـاء
إن الإقامـة فـوق الأرض السـاخنة مسـتحيلة
فكيف يمكن أن يعيـش الصديـق مـع عبـد الرحمـن؟

" ٢٠٩ "

' ١٣- عبدك ملك '

إن كــل عبــد مــن عبيــدك ملــك

والعـامى لديـك يجلـس مكــان الخاصــة

متى يكــون ناضجــا مــن يدعــى النضــج

الناضجون فى هذا الدن غير ناضجين لديـك

إن نظره وبصره يكون على الحمية والشهرة

مــن لم يكــن قــد سمــع اسمــك الشـــهير

يصــير مــن مقامــه بــلا مقــام[١] دائمــا

كل من يسـعى منهـم ويبحـث عـن مقـامك

إن لم يغــرق فــى دمائــه كــالوردة

فإنــه لــن يـرى وجهـك الـوردى اللـون

الذين ينتظرونك آملـين كـل صبـاح ومسـاء

فإن صباح هؤلاء الناس ومسـاءهم واحـد[٢]

---

(١) مقام: الصوفى يسلك طريقا حتى يبلغ المعرفة الإلهية، وهذا الطريق ينقسم إلى منازل يسمى كـل منهـا بالمقـام. ولهـذه المقامـات أسمـاء خاصـة، ومدلـولات معلومـة مصطلـح عليهـا، كمقامات التوبة والورع والزهد والفقـر والصـبر والرضـا والتوكـل. فمقـام آدم فيمـا قيـل التوبة، ومقام نوح الزهد، ومقام إبراهيم عليه السلام التسليم، ومقام موسى عليه السلام الإنابـة، ومقـام يحيى عليه السلام الخوف، ومقام محمد ﷺ الذكر.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كيف يمكن أن يؤثر فى قلبه كلام آخر
كل من يصل الى أذنيه كلامك العذب
ينسى كل أنواع السكروالنشوة الأخرى
كل من يتجرع الخمرة من كأسك
إن مصيدة ضفائرك السوداء فتحت العالم
ولست أنا أسير شبكتك الوحيد
أنا عبد الرحمن الأسير أدعو وأسلم على
كل من يبلغني سلامك أنت

" ٢١٩ "

' ١٤- مشاهدة الوجه '

كل من شاهد بعينيه وجهك
فإن وجهه يميل دائما إلى ناحية وجهك
يتنازل عن حياته وماله عديم الدماغ
الذى تصل إليه رائحتك ، وتمر مرورا بدماغه
إن تتكبر فإن خلق كبريائك ليس فى غير محله
حيث إن قامتك عظيمة كبيرة مثل هذه العظمة والكبرياء
جاء الربيع، والناس يتنزهون فى الحديقة
بينما جعل الله حارتك حديقة لنزهتى

ليس في إمكاني أن أتنفس من نفس عيسى
عندما يتم فتح الفم للبيان بحديثك
وبهذا يسيل الصديد ويجرى من عينى
حينما أتذكر قامتك اللطيفة المرغوبة
يكون قلبه فوق النار كالحرمل دائما
ذلك الذى تجلت له خصالك وجمال وجهك
شوكة العقرب تغرز في قلبه وتبقى فيه مكسورة
من رسم في قلبه محيا وجهك منقوشا
لماذا تجره أيها الحبيب إلى السلسلة لغله فيها
تكفى شعرة من شعرك لقيد المجانين بغل عشقك
يرمى نفسه بنفسه من فوق قمة الجبل
من يقوم بإدخال صورة وجهك إلى قلبه
إن حدثت مائة مرة بأنك قد أصبحت لى وأنا أصبحت لك
فإن بحثى عن جمال وجهك ليس بذاهب عنى
التهبت الوردة نارا من حرارة تأوه البلبل يا عبد الرحمن
لأن الحبيب لا يطيع منقادا لضوضاء صراخك الحار

" ٢٣١ "

' ١٥- عادة الإيذاء '

إن كـان طبعـك مؤذيـا مكـدرا للقلـب هكـذا
فبمـاذا سـيصرخ بالسـعادة مـن يطلبـك بكـثرة
واحسـرتاه! إنـه يسـمع ولا يبـدو للنظـر
لأن حسنك ولطـافتك كحسـن المـلاك ولطافتـه
لا يلتفـت مـرة أخـرى إلى وجـه آخـر
كـل مـن شـاهد ورأى جمـال وجهـك
الله يعلـم أنـك صديـق مـن منهـم
لأن لـك مائـة ألـف صديـق فـى كـل جـانب
يبلـغ عـدد العشـاق فـى بلاطـك إلى الحـد
الذى لا يوجـد فيـه مكـان لوضـع القدمـين[1]
إن شاءت إرادة الله، فلن يظهـر عاشق متيـم آخـر
يعشـقك مثلـى أنـا المغـبر المتواضـع
لا تظـن بـى ظنونـا متهمـا إيـاى بظـن آخـر
فعلـى مـدى العمـر كلـه أكـون فـى انتظـارك
إن الحسـن مـن العشـق، والعشـق مـن الحسـن
إنـك أنـت معشـوقى، وأنـا معشـوقك

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

أنت مطلوبي، وأنا طالب لك
أنت طبيبي، وأنا مريضك العليل
إن كنت أنت وردة الربيع الناضرة
فأنا عندليبك في حديقة شقائق النعمان
سواء أكان جورا أو جفاء أو ظلما
فقد قبلت منك ذلك كله دفعة واحدة
إن كان أحد يبيع الجور والجفاء بالثمن
فإنني أشتري جورك وجفاءك
لو ضاعت شعرة واحدة من ضفائرك
سأقدم نفسي فداء لكل شعرة من شعرك
لقد جربت وامتحنتني مائة مرة
ومع هذا – واحسرتاه – لا تثق بي حتى الآن
أتنازل أنا عبد الرحمن من الأمور الأخرى
فلقد شمرت الآن للقيام بالتعامل معك

" ٢٤٦ "

' ١٦- الحبيب زينة الدنيا '

من يطلب فى هذا العالم حبيبا فهذا حبيب[١]

حبيب هذا أم أنه جمال هذا العالم

طيف ضفائره قد أحاط بقلبى وخاطرى

أم أن ثعبانا قد أحاط بكنز ثمين

إن هذا العالم قد خلقه الله من العشق[٢]

فهذا العشق أب كل المخلوقات

ليس فى هذا العالم عمل أفضل وأجمل من العشق

فهذا العشق أجمل من جميع الأعمال

وعليه فإن البلبل لم يكن قد ذكر الوردة على لسانه

إن كان يعلم بأنها شوكة وليست بوردة

ليس لك المجىء إلى هذا العالم مرة أخرى

لا فرصة، لا فرصة، فهذه هى الفرصة

فلينظر عمر الحباب، وكم عمر الحباب يا ترى ؟

إن أراد أحد أن يقوم بعد سنوات العمر، فهذا هو العدد

---

(١) الحبيب (يار) ومعناها بالأفغانية الصديق والحبيب والمعين والنصير وعند الصوفية أنه عالم الشهود ومشاهدة ذات الحق.

(٢) العشق: لمعرفة العشق عند الصوفية راجع ص ١١٨ هـ ٣.

انظر إلى عبد الرحمن وخيال المجنون[1] في خاطرك
فإن هذا هو الذليل الضعيف في عشقك

" ٢٥٤ "

' ١٧- أنا المفتون '

الذى يتاجر برأسه وحياته في سبيلك
لن يكون مفتونا متيما آخر غيرى
لن يوجد في العالم مفتونا آخر مثلى
ولن يكون فيه معشوقا آخر مثلك
إنني قد قبلت الجور والجفاء منك
لأنه من المستحيل أن يحل الضحك محل البكاء
إن الكون والمكان من غير وجهك
لن يكون زادا طيبا لى لا هذا ولا ذاك
لن أقبل الفراق والبعد عنك بأية حال
حتى تنفصل روحى عن هيكلى وقالبى

---

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى الذى يضرب به المثل فى العشق والمحبة. وهو شاعر غزل من أهل نجد. وهو قيس بن الملوح العامرى، توفى حوالى ٦٨٨م. ويعرف بمجنون ليلى نسبة إلى ليلى العامرية التى كان يعشقها، ويكثر من ذكرها فى شعره، رفض أهلها أن يزوجوها به، فهام على وجهه ينشد الأشعار حتى مات. جمع شعره فى ديوان.

كما يتقدم الإمام والمقتدون به خلفه
كذلك أنا فقد اقتديت بك واتخذتك إماما
إنني أرى أن العالم كله يعشقك
ملكا كان في هذا العهد أو معدما محتاجا
ليتني تعطيني وثيقة التأمين
لأجل الوفاء بتنفيذ ما تعدني به غدا
إنني ما عشقتك بنفسي دون باعث أو سبب
بل إن نداء ذلك كان من جانبك
إنني قد عشقتك منذ يوم الأزل
و لم أبدأ ذلك ابتداء من هذا اليوم
لو مات عبد الرحمن شهيدا بسيف عشقك
حينئذ قد أدى ما على عاتقه من الواجبات
انظر صورة عبد الرحمن ذات اللون الأصفر
لأنه يذرف الدموع لأجلك دائما

" ٢٦٦ "

' ١٨– حارتك هي المأوى '

كل من يتخذ حارتك مأوى له
فإن مقامه يعلو فوق الأفلاك

وتبدو لـه نفسـه ملكـا عظيمـا عندمـا

يجعلهـا درويشـا فقـيرا[1] عنـد بـابك

وعندمـا يصبـح درويـش بـابك

يجعـل بعـد ذلـك ظهـره للسـلطنة

لا يقـع بصـره إلا علـى وجهـك

لا علـى الأرض ولا علـى السـماء

لا تبـدو مودتـه إلا لوجهـك

لا لأمـور الديـن؛ ولا لأمـور الدنيـا

فـى سـبيل مودتـك ومحبتـك[2]

يضحـى بـالروح والمـال والمتـاع

---

(١) الفقير أو الدرويش (كذا) بالأفغانية هو الفقير إلى التجليات الإلهية وفيوضات الحق الباقية عند أهل التصوف الإسلامى.

(٢) محبتك: المحبة حال من الأحوال عند الصوفيـة، مقرونـة بالعشـق، وهـى مرحلـة نهائيـة فـى التصوف. وهم يقولون: لا يوجد فى عالم الوجود إلا المحبة والعشق، ولا سـبيل إلى إنكـار العشق إذ لا وجود فى الوجود إلا له. وشـاعر التصـوف يقـول: إنـه لا يـرى فـى الكـون والمكان سوى العشق، ولا ظاهر ولا باطن إلا هو. والمحبة أنواع ودرجـات.. المحبـة العامـة التى هى من إحسان الله إلى العبد، لأن الإنسان مجبور على محبة من أحسن إليـه. ثـم محبـة الصادقين والمتحققين التى تنبعث من نظر القلب. ثم محبة الصديقين والعارفين. وهى نتيجة النظر والمعرفة الكاملة بأن الله علة العلل، وهو بلا علة.

وفـــى ســـبيل حبـــك وودك

ينهب ما فى الدنيا من متاع الناس[1]

يبـــدى رضـــاه برضـــاك عنـــه

ويـترك فـى سـبيل ذلـــك مدعـــاه

كـل جـانب يتجـه إليـه وجهـــك

يوجـه هـــو الآخـــر وجهـــه إليـــه

إن أبديـــت الجفـــاء لشـــخص مـــا

يبـــدى هـــو أيضـــا الجفـــاء لـــه

إن أظهـــرت الوفـــاء لشـــخص مـــا

أظهـــر هـــو كذلـــك الوفـــاء لـــه

إن بكـى فـى وقـت مـــا فـى حياتـه

فـــإن بكـــاءه لأجلـــك وحـــدك

وإن ضحـك لحظـة مـا فـى حياتـه

فـإن ضحكـه معـك أنـت وحـدك

وإن كـان غرضـه الوصـال واللقـاء

فإنـــه ينشـــغل بمشـــاهدة حســـنك

وإن كـان غرضـه التحـدث والحـــوار

فإنـه ينشـغل بـالذكر والثنـاء عليـك

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

هذا هو مقام الصادقين[1] ومنزلتهم

لمن أراد أن يعشق عشقا صادقا[2]

والعشاق فى عشقهم ومودتهم

يفعلون ما يقوله عبد الرحمن

" ٢٨٣ "

' ١٩- زورق من الورق '

من يضع أمله فى عمران هذه الدنيا ومتاعها

فإنه يسير فى البحر فى زورق من الورق

لم يتمكن أحد أن يستحث فرس السماء ليسرع

كيف يمكن لأحد أن يركب فوق ظهر الريح

الذئب لا يتعود بأدب السلوك الإنسانى

ولا أمل كذلك فى أن تكون للأفلاك مروءة

إن أمل الوفاء من الفلك باطل

متى يقوم إبليس بالوفاء لبنى البشر؟

---

(١) مقام الصادقين: لمعرفة المقام فى التصوف راجع ص ١٢٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) عشقا صادقا: لمعرفة معنى العشق الصادق راجع ص ١١٨ هـ ٣، ص ١٢٩ هـ ٢، من هذا الكتاب.

إن الدهر لا يميز فى دورانه بين الإسلام والكفر
متى يميز الأعمى بين الأسود والأبيض؟
لقد شاهدت علامة الدهر وأثره بالعينين
وهى أنه فى كل لحظة يخلق الآلاف ويفنى الآلاف
لا يبدو لى أمل على الإطلاق من دوران الأيام
لأنها تعمل وفقا لفرصتها فى الدوران والمرور
لن يكون أحد قد شاهد ورأى فى حياته
تلك الأعمال التى تقوم بها ضدى كل ساعة
فلو وضعت باقة الزهور الناضرة فى المنديل
فإن حظى النحس يجعل منها هناك شوكا
لو مددت يدى إلى الذهب يتحول ترابا
ولو تمنيت التراب لأعرض واستغنى
إن الفراق أصبح بلاء وابتلاء من عند الله
لا فائدة من بكاء قلبى لأجل الرؤية واللقاء
من أين للعاشق هذا الكم الهائل من الصبر
لكى يقوم بتأجيل وعد اليوم إلى الغد
لو ألبستنى ثياب النار يا من سلبت قلبى
فإنها تعجبنى وتروق لى كأنها ثياب من ديباج

إن كـــان أحـــد يوجـــه إلى الملامـــة[1] فـــى عشـــقى

أعتقـــــد أن هـــــذا كلـــــه ثنـــــائى ومدحـــــى

إلقـــاء اللـــوم يليـــق بالعاشـــق وهـــذه عـــادة

لأن النـــاس الأصحـــاء يضحكـــون مـــن المريـــض

بـــون بعيـــد بـــين العشـــق وبـــين الغـــيرة والشـــرف

كيف يمكـن للشـخص أن يسرق سرا فـى وضـح النهـار

إن كنـت أنـا أطمـع فـى الـورد مـن حسـن الطـالع

فإنـه يعطينـى أنـا الضعيـف الشـوك بـدل الـورد

إن كنت قد اعتزلت الناس فى العالم حفاظا على العشق

فـإن الزمـن يفضحنـى بإفشـاء ذلـك فـى العـالم

يكـون وجهـه فـى الدنيـا منـورا مضيئـا دائمـا

مـن كـان يثنـى علـى حبيبـه ويمدحهـه كـالبلبل

هذا جواب ما قاله الشاعر دولت اللوانى يا عبد الرحمن

"ليت الحبيب يعطينـى حمـرة اللقـاء علـى التـوالى"

" ٢٠٣ "

---

(١) الملامة: فى مفهومها الصوفى أن يقطع الصوفى كل ما بينه وبين الخلق من أسباب، والصد عن الحياة وما يتعلق بها من أمل حتى لا يرى سوى الحق ولا تكون صلته إلا بالذات الأحدية.

٢٠- العاشق والسهر

كيف يمكن أن ينام كائن حي وهو يعشق؟

وكيف يمكن أن ينام من كان مهموما كالمجنون؟[1]

الإنسان معرض للرحيل من العالم في كل لحظة

فمن كان معرضا للرحيل كيف يمكنه أن ينام؟

ومن كان يفارق حبيبه يوم غد

فكيف يمكنه النوم وإن كان متألما مائة يوم؟

إن الله تعالى قد خلق العشق من النار

فمن كان موطنه النار، كيف يمكنه النوم؟

ظمآن الماء لا يمكنه أن ينام أيضا

فمن كان ظمآن اللقاء والرؤية كيف يمكنه النوم؟

لايستطيع العاشق أن ينام من جور أهل التنافس

فالذين كان الشيطان عدوهم كيف يمكنهم أن يناموا؟

ليس في مقدور سجين العشق المجازى أن ينام

فمن كانت الضفائر حبل طوقه كيف يمكنه النوم؟

---

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى العامرية، وهو قيس بن الملوح العامرى الشهير فى الآداب العالمية بتفانيه فى حب محبوبته التى يذكرها فى شعره بكثرة راجع ص ١٣٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

ينام ويضحك من كان بلا هم وغم يا عبد الرحمن
من كان مهموما مغموما مثلك كيف يمكنه إن ينام؟

" ٣١١ "

' ٢١– النوم والهم '

من كان في عينيه تراب كيف يستطيع النوم؟
من كان في قلبه هم الحبيب كيف يستطيع النوم؟
العاشق لا يستطيع النوم بجوار الحبيب أيضا
فمن كان حبيبه في ديار أخرى كيف يستطيع النوم؟
يستطيع النوم في الدنيا من كان غير عاقل
فالكائن الحي المتصف بالذكاء كيف يستطيع النوم؟
أي طالب وجد مطلوبه وحصل عليه في النوم
فمن كان كثير الطلب كيف يستطيع النوم؟
لم يقم أحد باللقاء والرؤية بالعين المغمضة
فمن كان مطلبه اللقاء والرؤية كيف يستطيع النوم؟
لا يوجد طريق أصعب من طريق الموت
من كان أمامه مثل هذا الطريق كيف يستطيع النوم؟
كل نظرة من نظرات الأحباب سيف عَلَي
فكل من قطع بسيف علىّ كيف يستطيع النوم؟
من لسعته العقرب كيف يستطيع النوم؟
ومن لدغته الأفعى السوداء كيف يستطيع النوم؟

أنا عبد الرحمن عبد الحبيب وخادمه
من كان عبدا وخادما كيف يستطيع النوم؟

" ٣٢٠ "

' ٢٢- الحب لغير الله '

إن الكائنين الأحياء الذين يحبون غير الله
فإن حب هؤلاء جميعا فى غير محله
إن حب غير الله و عشقه داء
وإن كان يحب الربابة والناى دائما
إن كل مستبد برأيه حين يحب مستبدا آخر مثله
فإن هذا النوع من الحب لون من الحماقة والجهل[١]
إن أحب الإنسان و عشق حيوانا
يكون فى نتيجته مسلوخ اللحية مقطوع الثياب[٢]
يصعب الرحيل من هذه الدنيا إلى تلك الدار
على كل من يحب هذه الدار ويعشقها
لن يتحول طماع المال والمتاع إلى شمعة أو فراشة
إنه يحب الجمال كالذبابة من بعيد

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.
(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

مـــن يســـعد بظـــل الضفـــائر الســـوداء

كيـــف يمكـــن بعـــده أن يعشـــق العنقـــاء؟

أنـــا عبـــد الرحمـــن أقـــوم بإتبـــاع الرســـول ﷺ

لأن ســـالك الطريـــق يحـــب مرشـــد الطريـــق

" ٣٢٨ "

' ٢٣- العرش والتاج '

إن كان أورنك زيب[١] يقـوم بـتزيين العـرش والتـاج

فـإن المـوت سـيقوم بـالهجوم عليهمـا ونهبهمـا

وستبقى ذكـراه فـى الدنيـا طيبـة كـانت أم سـيئة

ســـواء قـــام بأعمـــال كســـرى أو الحجـــاج

سـرى المـاء فـى العـين فـأصبح نـارا للقلـب

فكيف يمكن لأحـد أن يعيـش مـع مثـل هـذا الطبـع؟

إن الفـــراق يفعـــل بقلبـــى ويؤذيـــه بأعمالـــه

كما يفعل الباز[٢] بطيور القطا والدراج من الأعمـال

---

(١) أورنك زيب: أبو المظفر محى الدين عالمگير (١٦١٨ – ١٧٠٧م) الملك الجبار السادس فى الأسرة الملكية المغولية فى الهند وثالث أبناء شاه جهان، حكم من (١٦٥٨ - ١٧٠٧م)، اتسعت الإمبراطورية فى أيامه.

(٢) الباز: أو البازى جنس من الصقور تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذنابها إلى الطول، ومن أنواعه: الباشق والبيدق.

حينما خرجت دموعي وتدفقت من بحر فؤادي

خرجت كما تخرج النار الرطوبة من اللحم المشوى

إذا كان الآخرون فى حاجة إلى ضوضاء الفرح

فأنا المغموم لم أدر بابتهاج الاحتفال بالعيد[1]

كل سهم ينطلق من شبكة القضاء

فإن الزمن يجعل قلب عبد الرحمن هدفا له

" ٣٣٥ "

' ٢٤– صحبة الوضيع '

صحبة عديمى الإحساس بالألم يجعلك عديم الإحساس به

وصحبة عديمى المروءة يجعلك جبانا عديم المروءة

إن الصحبة لا تكون عديمة التأثير كما جاء فى الحديث[2]

الزعفران يجعل الملابس أيضا صفراء كالزعفران

كل أداة من أدوات المنزل لو وضعها الإنسان على الأرض

لجعلتها تلك الأرض وحولتها من جنس غبارها

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) لعله يقصد هذا الحديث النبوى الشريف: " مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة " رواه البخارى ومسلم.

ما جعل الله إنسانا يذهب إلى مجلس الباكين فى المأتم

فالآهات تجعله فاترا باردا وإن كان صحيحا سليما

لو بعدت التفرقة والنفاق من بين الناس يا عبد الرحمن

فإن المعشوق والعاشق يتبادلان الدلال بتلطف

" ٣٤٠ "

' ٢٥ – المفاخرة بالكنوز '

إذا كان الملك يفخر بالخزانة الملكية

فإن العشاق يفخرون بسيماء المحبوب

إن الدراويش قد وجدوا فى ملابسهم الصوفية

حظ السعادة التى يجدها الأثرياء فى ثروتهم

إن الله تعالى قد منح الفراش فى النار

تلك الحياة التى يعيشها البلبل فى روضة الأزهار

ما بدلت الأيام السعيدة لإنسان بالأيام السيئة

فى وصاله يفكر فى أمر الهجران والدعاء والترقب

إن بطن المرقد وبطن الأم فى المعنى واحد

إلا أنه يصير لأحد لحدا مظلما وللآخر سوقا رابحة

حينما ترضى مشيئة الله على غرق سفينة

فإنه متى تجدى وحدة القلوب هناك؟

إن الوجه الذى لم يخلق من بطن أمه جميلا
يضيع عبثا ما تبذله المشاطة من جهد لتجميله
الحبيب يقوم من نوم الدلال باحثا عنه
عندما يقوم الفلك بإيقاظ حظ العشاق
من غيرك يحترق دائما، وهذه هى حالته
كالشمعة التى يقوم الشخص بإشعالها فوق المزار
طريق سير كل من النشوة والعقل واضح
كل إنسان يسير على ما فيه من النشوة والعقل
من المستحيل أن يترنم الغراب بنغمات البلبل
لكل نشيد من الغناء صوت يصدر من وتره الخاص
إن عبد الرحمن ليس بتاجر أحمق من غير خبرة
أن يبدل متاع الدين وسعادته بالدينار

" ٣٥٢ "

' ٢٦– التقدير والتدبير '

ماذا يفعل العاقل والعالم إزاء الحظ إن أصبح سيئا؟
وماذا يفعل الورد والدعاء والترقب والحكماء عند مايحل القضاء؟
إن الوالدة والوالد يطلبان من الله تعالى ابنا صالحا
ماذا تفعل الوالدة والوالد إن أصبح الولد سيء الحظ منحوسا؟

متـــى يفـــارق الحبيـــب حبيبـــه بقـــوة يـــده (عـــن رضـــا)؟
ماذا يفعل الحبيـب والصديـق عندمـا تعجـز اليـد عـن عمـل شـئ؟
ليس الدعـاء على أمـر أو لـه بفـاعل شـئ لأن الفـاعل هـو الله
والأمـر الـذى لايريـده الله، ليس الدعـاء لـه أو عليـه بفـاعل شـئ
ليس فـى مقـدور الإنسـان أن يكسـب الحـظ بـالقوة والذهـب
مـاذا يسـتطيع القـادر أن يفعلــه فــى إنجــاز هــذا العمــل؟
يــا عبـد الرحمـن أصبحـت الفراشـة فراشـة حـين احـترقت
ماذا يفعل نور الشمعة فى ذلك ؟.. إنه لا يضحك ولا يبكى أحـدا

" ٣٥٨ "

' ٢٧- الدموع وغسيل الوجه '

إن دموعــى التــى تغســل هكــذا كثــيرا
إنهــا تتحمـل هــذه المشـقة كلهـا لتنقـى وجهــى
إن الــذى أســال العشــق دموعــه مــدرارا
يبــدو وجهــه بــين العشــاق مغســولا[1]
ســيرى شــق صــدر العاشــق بوضــوح
مــن أمــال برأســه إلى صــدره وفكــر [2]

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) فى ترجمة هذه الشطرة من البيت شئ من التجاوز والمجاز.

حينمـا تقبـل الشـمعة نـار العشـق فـوق رأسـها
فكيـف للفراشـة أن تحتـج علـى حـرق نفسـها؟
الوردة لاتتحدث بشئ وهى جالسة تغرق فى الدماء
فلمـاذا يتحـدث البلبـل ويجـادل بـالقول عبثـا؟
إن كنت أنا أتمنى الموت من غير حبيب فلست ملوما
إن الفـراق يحـير الإنسـان بحيـث يتـبرأ مـن حياتـه
لم يعثر أحد على المعشوق بتحمل المشقة فى سبيله
لعل الله يتفضل على عبد الرحمن بالعثور على معشوقه

" ٣٦٥ "

' ٢٨- الإغارة والوفاء '

إن لم يغـر الحبيـب علـى العشـيق و لم ينهبـه بجفائـه
فإنـه لا يتعـامل مـع أحـد أبـدا بـالود والوفـاء
لـو قدمـت الـرأس فـداء للقبلـة فـإننى أعلـم
أنـه لـن يقبـل ضعفـى وتواضعـى هـذا أبـدا
من كان سائرا على طريق يرتضيه وهو مجبول عليه من أمه
فإنـه لا يقبـل رضـا الآخريـن ولا يقـدر رأيهـم
لـو لم يحصـل علـى مدعـاه ومايطلبـه مـن المطـالب
فـإن الحسـان لا يتعـاملن علـى لسـان خضـر
لـو دعـوت لـه بطـول العمـر أكـثر مـن مائـة مـرة
فإنـه لا يلتفـت بأذنيـه ولا بعقلـه إلى مـن يدعـو لـه

لـــو قمـــت بـــإخراج الآهـــات النارـيــة مـــن حزنـــه
فإنـه كشـجرة السـرو لا يـبـدى الخـوف مـن الخريـف
إن كان عبـد الرحمن يفكـر فى طلـب الراحـة فىالعشق
فإنـه لا يجيز هـذه الأعمـال المحرمـة فـى بـاب العشـق

" ٣٧٢ "

' ٢٩- الفؤاد والمعشوق '

لا يهـــدأ قلبـــى مـــن غـــير معشـــوقه ســـاكنا
يطـــالبنى بالانتصـــار ولا يتحمـــل الصـــبر
تصعـب الحيـاة فـــى الدنيـــا دون تحمـــل الصـــبر
أيـن الحصـان الـــذى لايتدخـل اللجـام فـى فمـه؟
لـن يكـون هنـاك اسـتقرار وسـكون لقبـة السـماء
لذلك فإن السالك [1] قد ترك هوس القصر والسـطح
حينـا يجلسـه علـى السـطح وحينـا علـى الـتراب[2]
إن الدهـــر لا يرضـــى عـــن أحـــد علىالـــدوام

---

(١) السالك: سالك طريق التصوف، أو الصوفى الناشئ المعروف بالمريد.

(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير**﴾ سورة آل عمران ٢٦.

باستثناء شجرة السرو التى خلقها الله حرة
لذلك فإن الحسان لا يسلمن على أحد
إن الجبال والصحراء أيضا ترتعش من هم الخريف
لذلك فإن الحجلة لا تمشى إلى المرج بتبختر
من وضع رأسه للسجود إلى الحبيب
لا يقوم من هذا السجود مرة ثانية
ما دامت هجرته بدأت متجهة نحو الحبيب
فإنه يجرى كالبحر ولا يتوقف عند مقام
ليس للعاشق استقرار فى مكان كالشمعة
حتى يكمل صورة العشق ويتمها فى النار
والمحظوظ بمجرد رائحة الوجوه القمرية
لا يفكر فى الحصول على قبلة أو رسالة
من وجد لذة الشفائف الحمراء وذاقها
فإنه لا يحب كأس الخمر مرة ثانية
حرام خمرالشفائف الحمراء على هؤلاء الناس
حتى يحرموا على أنفسهم التمتع بلذة أخرى
ليس عند عبد الرحمن برهان يقدمه الى الحبيب
مثل العبد الذى لا يقدم عذرا لسيده

" ٣٨٥ "

' ٣٠- العمران فى الدنيا كالخط على الماء '

مـــن يـــأمل فـــى عمـــران هـــذه الدنيـــا ومتاعهـــا

كأنـــه يضـــع علامـــة بـــالخط علـــى المـــاء

لا بقـــاء للخـــط علـــى وجـــه المـــاء

كمـــن يظـــن بـــاطلا بـــأن المعـــدوم موجـــود

الديـــن والدنيـــا لا ينســـب أحدهمـــا إلى الأخـــر

كيـــف للنـــار والمـــاء أن يعيشـــا معـــا؟

إن العشـــق مـــنزه مـــن خاصيـــة النفـــس

كيـــف يـــؤدى أحـــد عمـــل العـــين بـــالفم؟

كما أن العين والأذن تختلف وظيفة كل منهما عن الآخر

كذلك الدين والدنيا فإن لكل منهما حكم خـاص

تخيـــل الشـــباب فـــى الشـــيخوخة والكـــبر

مثـــل مـــن يتـــنزه فـــى الحديقـــة فـــى الخريـــف

ليـــس لعبـــد الرحمـــن مكـــان آخـــر غـــير عتبتـــه

إلى متـــى يعيـــش المســـافرون فـــى الســـفر

" ٣٩٣ "

' ٣١- العشاق والناصحون '

إن العشـــاق لا يتكلمـــون ككـــلام النـــاصحين

الفيـــل الســـكران لا يخـــاف مـــن الرعـــاة

أقبل الجور كله فى هذا الزمان

راجيا من الله ألا يفارقنى من حبيبى

عندما ظهر اضطراب الورود وتحيرها

وضعت البرعومة رأسها على الركبة وتركت الضحك

كيف تقف البركة الصغيرة أمام اندفاع السيل

إن القلب يذرف الدموع، فكيف لا تدمع العين

إن الدنيا كلها معمورة بالحمق وقليلى العقل

لذلك فإن العاقل لا يربط القلب بالدنيا

الإنسان الذى قلبه مربوط بالهواء

لذلك فهو كالحباب ولايدوم بناء الحباب وعمرانه

جاهل من يبيع الدين بمتاع الدنيا

والشخص العاقل لا يتاجر بمثل هذه الصفقة

لو سأل أحد: من العاقل؟ قل: هو الذى

لا يحب أحدا أبدا غير الذات الإلهية

كل ملك لا يواسى الفقير بالود والحب

فإنه يستحق إن أصابه الفقر والمسكنة[1]

إذا كان مخلوع القلب يتداوى بنظرة واحدة

فهل من العدل ألا يقدم له الحبيب الدواء؟

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كـل مـن خسر قلبه وانهزم أمام الحبيب
فإنه لا يحب أحدا مرة أخرى غير الحبيب
مـن وصل إلى أذنه كلام الحبيب
فإن تلك الأذن لن تصغى إلى كلام آخر
لن يصل إلى سطح منزل الحبيب العالى
من لم يجعل فناء القلب مضيئا بالبكاء
أنا عبد الرحمن مسرور بجفاء ذلك الحبيب
إن لم يظهر الله غرباء أجانب بيننا

" ٤٠٧ "

' ٣٢- التقصير والتغيير '

إن لم يجعل الإنسان تقصيره من علمه
فإن أحدا لن يغير بعلمه ما أمر الله به
الأمور المقدرة للإنسان واقعة بالضرورة طوعا أو كرها
وإن لم ينظر أحد أبدا إلى التقدير الإلهى
إن الذين استيقظ حظهم لا هم لهم ولا غم
وإن كانوا لا يستيقظون ولا يسهرون ليلا للمناجاة
ماذا نقول عن قلة علمنا وفهمنا
فى إن الشخص الفلانى لايفكر ولا يدبر أمره

الضيق والسرور إن كانا في يد الإنسان

فإن أحدا لا يضيق نفسه بيده

إن معرفة الله واضحة في كل شئ

ذهب الله بنور عينيه من لا يرى هذا القياس

هذا التنفس كالبرق والشكل (الهيكل) فانوس

لا يقدرأحد غير الله أن يجعل البرق أسيرا في الفانوس

كل الناس في العالم ضعاف غير قادرين

أين الملك الذى لا يقبل منة الوزير وإحسانه؟

كل إنسان يردد اسم المرشد بلسانه

على أية حال، فلماذا لايعمل بإشارة المرشد ؟

أليست هذه علامات القيامة ؟ فماذا يكون ..

إذا كان كلام الأب لايؤثر في الأبناء ؟

تصدر من الدعاة الناصحين أعمال

لا يقوم بها اللص والزاني من الحياء

يرفع نداء التكبير ويسير خلف الميت

ولا يظن أحد أبدا رفع مثل هذا التكبير خلفه

يتعب لكسب المال والمتاع مدى الحياة

ولا يتعب نفسه لحظة واحدة في سبيل العمل لله

يضحي بحياته وماله لأجل عياله وأهله

ولا يواسي الفقير بقطعة من الخبز

إن عبد الرحمن ملوم ومؤنب لأنه يسمع صرخات الهجران
ولا ينظــر إلى الحبيــب بدقـــة متناهيـــة فى نظــره

" ٤٢٣ "

' ٣٣- البكاء غير مجد '

إن بكـائى لأجـل الحبيـب قـد تجـاوز حـدوده
لا يقبـل حبيبــى طــاعتى بالبكــاء والدمــوع
لـو تحـول كـل حديـث لى إلى الـدر أو اللؤلـؤ
فإنـه مـع هـذا لا يعتـبر حديثــى يليــق بأذنــه
لـو كـان نائمـا لأيقظتـــه بــالصراخ والمنــاداة
يا الله ما العمل! فقد نـام حبيبـى نـوم اليقظـة
إننـى أتحـدث كالرسـالة المكتوبـة بفـم مقفـول
إن صمتـــى الرهيـــب يســـبق ضوضـــائى
زراعة العشق فى أرض ساخنة ليس بأمر سهل
كــأن بحــرا عظيمــا يعيــش فــى صحرائــى
هـذا الـذى فارقـه الهجران منـى ليـس بحبيـب
بـل هـو روحـى التــى انفصلــت مــن بدنــى
أنـا عبـد الرحمـن لا أطلـب شيئا غـير الحبيـب
إذا كــان الله يســتجيب عنـــده لدعـــائى

" ٤٣٠ "

' ٣٤- مفارقة رأسى من عتبة الجيب '

لــو أكــل النصحــاء كبــدى بنصيحتهــم مائــة مــرة
فـإنهم لـن يسـتطيعوا أن يفصلـوا بـين رأسـى و عتبتـك
الصـبر فـى عشـقك! أيـن أنـا مـن هـذا الكـلام؟
لا قـدرة لى علـى القيـام بهـذا العمـل مقـدار شـعرة
إن الرجـوع فـى محبتـك وعشـقك عـار لى
لم لا تتحول بشرتى ترابا فى هذا الطريق بـدلا مـن الرجـوع؟
كـل العشـيقات تقمـن بالاستفسـار عـن العشـاق
إلا أنـت فـإنك لا تسـألين عنـى للحظـة واحـدة
لا هـم لى أبـدا ولا حـزن غـير حـزن فراقـك
مـاذا، وكيـف يكـون هـم آخـر أسـوأ مـن ذلـك الهـم؟
إن نـوم أهـل البيـت والقريـة قـد اضطـرب مـن صرخـاتى
مـا السـبب، لمـاذا لا يظهـر أثـر صرخـاتى علـى قلبـك؟
إن أصبـح العـالم كلـه معشـوقا لعبـد الرحمـن
أيـن يـا معشـوقى معشـوق آخـر لى غـيرك؟

" ٤٣٧ "

' ٣٥- ذكراك دائمة '

إنـك تـتردد باسـتمرار فـى ذاكرتـى هكـذا دائمـا
لأنـك كالأذكـار أرددهـا فـى الصبـاح والمسـاء

كـل كـلام أتحـدث بـه مـن غـير ذكـرك
أنـدم علـى ذلـك الكـلام وأتـوب مائـة مـرة
لـو هـدأت قلبـى مـن غـيرك بمائـة حيلـة
ليس بصـائر، ليـس بصـائر أن أهـدأ بأيـة حيلـة
لـو ضـاعت عنـى الغـيرة والشـهرة فـى عشـقك
فـإن غـيرتى وشـهرتى فـداء عشـقك ومحبتـك
عندمـا بلغـت مقـام العشـق، وقمـت فيـه ثابتـا
فقـد نسيت هنـا كـل مقـام آخـر غـير مقـام العشـق
إلى الوقـت الـذى لم أقـم بإدخالـه دن خمـر العشـق
فإنـه لم يصبـح عقلـى الفـج عقـلا ناضجـا
اليـوم وقتـك إن كنـت تسمع فيـه آهـاتى وصيـاحى
قبـل أن يصبـح كـل عضـو مـن أعضـائى ترابـا
إن الفلك قد قام بتكسير الآلاف مـن كـؤوس الخمـر
إلى متـى سـيدور كأسـى فـى هـذا الـدور
إلى متى سأتحمل أنا عبد الرحمن هذا الحرمان مضطـرا
قـل: متـى سـتحصل لى علـى مـرادى؟

" ٤٤٦ "

٣٦– المعشوق والملامة '

إن كـــل مــــن لم يشـــاهد معشـــوقى

فــلا بـأس أن يـــذم عملـــى فـــى العشـــق

وكـــل مــــن رأى معشــــوقى المحبـــوب

فإنـه – إن شـاء الله – لـن ينكـر علـى ذلـك

إن عتبة معشـوقى أعـز عتبـة لأحـل رأسـى

ليـس لى طريـق آخـر غـير طريـق هـذه العتبـة

إننـى لم أتعلـم شـيئا آخــر غـير العشـق

هذا هو الشىء الوحيد، الذى هو كـل عملـى

لا سمح الله.. أن يؤذى الناس بعضهـم البعض

فيـا مـن سـلبت قلبـى! لا ترتكـب إيذائـى

يـا معشـوقى بسـبب فراقـك وهمـك الكثـير

يجـرى علـى وجهـى نهـر مـن الدمــوع

الكل كبيرا كـان أو صغيرا يتحدثـون بحمـدك

لا يوجـد فـى ديـارى غـير هـذا الحديـث

بماذا أتفـاخر أنـا عبـد الرحمـن فـى العشـق

فـإن انتظـارى هـو الـذى سـيظهر نفسـه؟

" ٤٥٤ "

' ٣٧- روحى فداه '

إن نفسى ومتاعى فداء محبوبى
فداء محبوبى نفسى ومتاعى
إن خسارتى ونقصانى كلاهما من فراق الحبيب
من فراق الحبيب خسارتى ونقصانى
وردتى وريحانتى وجهك وضفائرك
وجهك وضفائرك وردتى وريحانتى
إن مسكى وزعفرانى تراب حارتك
تراب حارتك مسكى وزعفرانى
إن فكرى وقدرتى لا يتمكنان من غمك
من غمك وهمك لا يتمكن فكرى وقدرتى
إن تأوهى وأنينى لا يؤثران فيك
لا يؤثر فيك أبدا تأوهى وأنينى
هؤلاء المرشدون وشيوخى لا يتمكنون من غمك
لا يتمكن من غمك هؤلاء المرشدون وشيوخى
فؤادى وعيناى لا يتمتعان بحالة من غيرك
من غيرك لا يتمتع بحالة طيبة فؤادى وعيناى
حديقتى وبستانى لا يثمران من غيرك
من غيرك لا تثمر حديقتى وبستانى

وصالى وفراقى يا عبد الرحمن خير وبركة
خير وبركة يا عبد الرحمن وصالى وفراقى

" ٤٦٤ "

' ٣٨- لم أسمع بحسان مثلك '

ما رأيت حسانا مثلك بعينى
ولا فى مكان آخر سمعت ذلك بأذنى
ولا وفاء للحسان مع العشاق
لقد جربت كل الحسان فى الإيفاء بالوفاء
منذ أن رأيت وجهك الحسين
ما نظرت منذ ذلك الحين إلى وجه آخر
لقد استولت همومك على فناء قلبى
فأخرجت من قلبى كل الهموم الأخرى غير همك
عندما أمسكت بمهمة العشق فى يدى
فسحبت يدى من المهمات الأخرى غير هذه المهمة
كذلك خرجت الهموم الأخرى من قلبى
لأننى قد زرعت فيه همومك وحدها
إن كنت تقوم بالجفاء أو الجور فكلاهما فى مكانهما
لأننى قد قبلت منك كلا من الجفاء والجور

أنا عبد الرحمن لا أنام ولا أضحك من غير الحبيب

من غيره لا أفضل النوم ولا الضحك

" ٤٧٢ "

' ٣٩- حفلة العرس '

حبيبى! قد أتم أفراح زفافه بالطبل والناى

ولكنه فى وقت لاحق سينشد الزمن نشيد مأتمه

مهما قام بإرضاء قلبى بالحب والدلال والتودد

فإننى أعلم استغناء حبيبى وعدم مبالاته

حينا يصبح صديقى وصاحبى وحبيبى

وحينا آخر لا يعتبرنى مجرد صديق له

إننى أدعوه حبيبى سلوانا لنفسى وخاطرى

وإلا فلا معنى للحب بين الضعيف والقوى

البقاء حيا مدة أو ساعة من غير الحبيب

فإننى أفضل الفناء على هذا البقاء حيا

كل إنسان يشغله الله على عمل من الأعمال

أما أنا فقد اشغلنى الله على مدح الحسان

لا أفهم غير فن العشق أيها الناصح

اضحك! سواء أكنت جاهلا أم عالما بذلك

حيران أنا حيث إنه لا يصغى أحد إلى صرخاتى

لا يهتم أبدا سواء أكان صغيرا أم شابا

من غير رؤية الحبيب الجميلة ، ما خلق الله
في قلب عبد الرحمن أمنية أخرى

" ٤٨١ "

' ٤٠- نقش طيف الحبيب '

من نقش على قلبه خيال الحبيب
يصبح ماله وحياته صدقة للحبيب
يكون وجهه بعد الموت متلألأ كالسيف
عندما يذبح الحبيب بسيف الحبيب
يكون مقامه عاليا في سماء المودة والحب
من يسحق كالأرض تحت الأقدام فداء للحبيب
في كل لحظة يبتهج فيها قلب الحبيب بالسرور
في تلك اللحظة يبتهج قلبي بالفرح والسرور[1]
أعتبر روحي داخلة في بدني في تلك اللحظة
التي أتدخل فيها في الوصال مع الحبيب
عندما تصبح ساعة وصال الحبيب من المحال
تصبح تلك الساعة طويلة كأنها أطول من الحول[2]

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لا يهمنـــى القيـــل والقـــال لأى إنســـان
عندمـــا يصـــل إلى أذنـــى قيـــل وقـــال الحبيـــب
تنبـــت بـــذرة عيشـــى وحيـــاتى خضـــراء
عندمـــا تدخـــل قلبـــى وشمـــة الحبيـــب الخضـــراء
ليـــس لى طبيـــب آخـــر للعـــلاج غـــير الحبيـــب
ولـــن يصبـــح أحـــد أبـــدا علـــى مثـــال الحبيـــب
لا يقـــع نظـر عبـد الرحمـن علـى أى إنســـان آخـــر
عندمـــا يقـــع نظـــره وبصـــره علـــى جمـــال الحبيـــب

" ٤٩١ "

' ٤١- الحلوى والحساء '

إن قمـــت فـــى العشـــاء بـــإمرار الحلـــوى مـــن حلقـــك
فـــإنك ســـتطلب مـــن الله غـــدا حســـاء مـــن اللحـــم
ليـــس لـــك صـــبر وراحـــة فـــى حـــال مـــن الأحـــوال أبـــدا
يـــا فـــاقد الفهـــم! إن أطمـــاعك كثـــيرة وأهـــواءك كثـــيرة
إن البطـن الواسـع الكبـير هـو الـذى سـود وجهـك وفضحـك
د ائمـــا بـــين الأصدقـــاء والأقـــارب الأعـــزاء[1]
إن كنـــت أنـــت لا تهتـــم و لا تخـــاف مـــا يفضحـــك
فكيـف تهتـم علـى الآخريـن وعلـى أمورهـم فـى هـذا العـالم؟

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

عندمـــا تمـــد يـــدك بالدعـــاء إلى الله مـــن أجـــل النفـــس

فهـــل تطلـــب مـــــن الله التعـــب والمشـــقة أو الـــدواء؟

إن النفـس قـد ألقـت فـى البئر كثيرا مـن النـاس بـلا حسـاب

مـــــا جعـــــل الله قـــــائد قومـــــا وزعيمهـــــم أعمـــــى

متى يمكنـه " وهـذه حالتـه " أن يفهـم الحـلال مـن الحـرام؟

ما الفرق بين الحلال والحرام فى نظر حيوان يمشى على الأربـع؟

مـا فـائدة الأذن والعـين لـدى الحيوانـات ذوات الأربـع

لأنهـا فـى المعنـى حيوانـات لا تـرى ولا تسـمع؟

أنـا عبـد الرحمـن أطلـب الحمايـة والمـلاذ مـن ذلـك العلـم

الـذى لا يمـت إلى الديـن والمذهـب بصلـة

" ٥٠٠ "

' ٤٢- القلب والدين '

إن المعشوق قد أطلق قلبى ودينـى وحررهمـا مـن قيـدى

ومـــع هـــذا فإنـــه لا يحســـبهما ثمنـــا لنفســـه

إلى متى أستمر فى وصف حسنه؟ فإننى محتار فـى مفاتنـه

حيـث مـن المستحيل العثـور علـى نهايـة لمفـاتن جمالـه

إنه جميـل نقـى خـال مـن العيـوب فـى صورتـه وشـكله

إنـه كالبيضـة التـى لا وجـود لأصـل الشـعر فيهـا

إن كان وجهه مغطى بالضفـائر فـلا خـوف مـن ذلـك

لأن الكـنز النفيـس تلـف بـه الأفعـى دائمـا

مـن رونقـه يتـلألأ كالشـمس المضيئـة فـى الشـفق

إذا وضـع علـى رأسـه غطـاء الفـرح مـن أغلـى النسـيج

لسـت أدرى علـى أى طريـق مـن الطـرق أسـير إليـه

لأن آلافا ممن ينافسوننى يراقبون عـن شمـالى وعـن يمينـى

مـا جعـل الله أحـدا مـن النـاس يتحمـل الهـم بمفـرده

مثـل مـا أتحمـل أنـا همـك وغمـك بمفـردى

إننـى أحـترق دائمـا بسـبب همـوم الهجـران

فأنـا عبـد الرحمـن أقـول: " نعـوذ بـا لله مـنها "

" ٥٠٨ "

' ٤٣- العاشق الصادق '

إن كنـت عشـيقا تعشـق[١] حبيبـك صادقـا

قـم بـإصلاح الديـن أولا ثـم بـإصلاح الدنيـا

لا تنخـدع بوفـاء مـن يخلـب القلـب مـن الحسـان

لأن هـؤلاء القـوم لا وفـاء لهـم مـن الكبريـاء

---

(١) العشق: الإفراط فى المحبة، وفى مدلوله الصوفى: عشـق الخلـق للحـق المـترتب علـى عشـق الحق للخلق، بحجة قوله تعالى: ﴿ يحبهم الله ويحبونه ﴾ المائدة ٥٤، والعشق عندهم جامع الكمالات الإلهية كلهـا، وهـو مـن المواهـب وليـس مـن المكاسـب. وقـد مـر شـرحه فـى ص ١١٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

إن طائفة فاتنات الوجوه جريئة دون خجل

بحيث لا تسمع صياح الشكوى وصرخة الألم

بسبب كثير من الدلال، وكثير من الكبرياء

لا تعمل ولا تنفذ ما يسدى به الأولياء من النصح

بنصف النظرة تسلب قلب الإنسان ودينه

لا تحس بخشية من أحد، وليس لها الحياء

لن يكون في العالم حيوان مضطرب

مثل العاشق، أو السماء، أو الرحى

أنت إذ تحافظ على نفسك ومالك في العشق

فأين يكون العشق مجانا، وبدون الفداء؟

إن أردت الحبيب فعليك أن تتجاوز عن حور الجنة

ما بدل الله ما يبيعه الشخص نقدا ببيع النسيئة

اشرب وتجرع من يد الساقي[1] خمرة

لتقطع ما في قلبك من وسخ الرياء

من أصبح عشق من يخلب القلب من الحسان مهنته

فإنه لا يلتفت بعد ذلك إلى مهنة الكيمياء

---

(١) الساقي : من يقوم بتقديم الماء أو الخمر للناس. وعند أهل التصوف هو الفياض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل، أو على شيخ الصوفية. وقيل إن الساقي هو الذات باعتبار حب الظهور.

يكفيه قول واحد من البيان يا عبد الرحمن
ما الداعى لتسأل كل ساعة وتكرر السؤال مرة بعد مرة

" ٥١٩ "

' ٤٤- عبور العشق '

إن عشقى له قد مر بقلبى مرة أخرى
وأشعل الفراق اللهب على رأسى مرة أخرى
لو كان سجل قسمتى ونصيبى فى يدى
لقمت بتمزيقه وتقطيعه من شدة همك وغمك
لم أكن قد ذكرت على لسانى اسم الحب بعد
حتى أعد الفراق جيشه لقتالى مرة أخرى
بعد الوفاة سأقدم نفسى فداء لك
إذا أحيا الله صورة جسدى يوم الحشر ثانية
لقد نسى قلبى محنة الفراق كلها تماما
عندما شاهدت بعينى محياك مرة ثانية
الشمس التى كانت السماء قد سترت وجهها بالسحاب
فإن الله قد فتح لى تلك الشمس المضيئة مرة ثانية
الباب الذى أغلقه الحاسد بالسلسلة أمامى
فإن حبيبى قد فتح أمامى ذلك الباب مرة أخرى
إنه قد خطف قلبى وأذهب به بنظرة واحدة
فليقدر الله لنا خيرا عند توجيهه نظرة ثانية

عش يا عبد الرحمن شاكرا له، ذاكرا منته
لا دخل للجوهرة في الصدف مرة ثانية

" ٥٢٨ "

' ٤٥- السعادة والقناعة '

إن السعادة فى هذه الدنيا قد وجدها أولئك
الذين أبدوا قناعتهم فى الدنيا بالقليل
إن أملاك سليمان وسلطانه لألف سنة
لا يساوى عبادة ساعة واحدة طاعة لله فى الدنيا
إن نفسا واحدا فى ذكر الله أولى وأفضل
لا يساويه ما فى العالم كله من ثروة الدنيا ومالها
إن الغنيمة فى الدنيا ينالها هؤلاء الناس
الذين يعبدون الله تعالى فى هذه الدنيا
إن النعمة الحقيقية هى طاعة الله وعبادته
وإلا، فإنه لا توجد نعمة أخرى فى هذه الدنيا
يجب تحمل البلاء والمشقة والتعب فى سبيل الدين
لا ينبغى تحمل مشقة أخرى فى هذه الدنيا
إن الموجودات والكائنات كلها فانية إلا الله
سواء أكانت من متعة لذيذة، أم من زينة جمالية
إن كان الإنسان ملكا فإنه راحل إلى التراب فى النهاية
إذن ما معنى الغربة والقربة فى هذه الدنيا؟

لـن يوجـد فـى الدنيا مــن هـو أكـثر جهـلا مــن ذلـك

الـــذى يطلـــب الراحـــة والهـــدوء فـــى هـــذه الدنيـــا

إنـــك تطلـــب عـــدة ســـاعات لانتهـــاز الفرصـــة

مـــن الـــذى وجـــد فرصتـــه فـــى هـــذه الدنيـــا؟

إن كـل مــن يقـوم بالبنـاء والإعمـار فـى هـذه الدنيـا

مثلـه مثـل مـن يبنـى فـوق رمـل تـذروه الريـاح[1]

إن اســتقامة الإنســان فـــى هــــذه الدنيـــا

ليسـت أقـل مـن سـقطة السـكارى وانزالقهـم فيهـا[2]

إن كـل إنسـان حـى عندمـا يذهـب إلى قـبر الميـت

يكفيـه ذلـك نصيحـة وعـبرة فـى هـذه الدنيـا

اذهـب إلى المـاء السـائر، وانظـر إلى العمـر مـن خلالـه

هـذه إشـارة فيهـا كثـير مـن العـبر فـى هـذه الدنيـا

إن هـــذه الـــدور والمحـــال المحكمـــة البنـــاء

ســـتتهدم عاقبـــة الأمـــر فـــى هـــذه الدنيـــا

إن عيـــون الســـماء الجائعـــة ليســـت بـــالتى

تـترك أحـدا مـن النـاس بمـأمن فـى هـذه الدنيـا

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كـل مـا جـاء إلى هـذا العـالم، ذهـب عنـه وارتحـل
كـل مظهـر مـن مظـاهر العـالم مسـافر مـن هـذه الدنيـا
إن الرياضـة الروحيـة لا تتـم فـى القيامـة، والشـجاع هـو
مـن يقـوم برياضـة العبـادة فـى هـذه الدنيـا
وأيضا ستقوم علـى هـذا الخلـق والخصـال حيـا يـوم القيامـة
ما جعل الله أحـدا سـىء الخلـق والخصـال فـى هـذه الدنيـا
وسـوف يكـون يبـدر حصـاده بعـد المـوت كـل ذلـك
الـذى يقـوم بزراعتـه فـى هـذه الدنيـا
إن كـان لا يبـدو ذلـك العـالم فـى هـذا ولا يظهـر
فـإننى أرى وأشـاهد علامتـه فـى هـذه الدنيـا
لـن ينفـع أحدهمـا الآخـر كـزاد طيـب يـوم القيامـة
لأننـى قـد رأيـت يـوم القيامـة فـى هـذه الدنيـا
كـل مـن يعيـش ويحيـا أمينـا صادقـا فـى هـذه الدنيـا
سيظل داخـل لحـده[1] مأمونـا محفوظـا بأمانـة أيضـا[2]

(١) اللحد: شق يكون فى جانب القبر للميت، وجمعه ألحاد ولحود، قال عليه الصلاة والسلام: " اللحد لنا والشق لغيرنا " وقد استعمل الشاعر كلمة اللحد نفسها مما يدل على علمه فى الفقه الإسلامى، واللغة العربية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

اعتبر الحضور فى الجنة هو العمل، والطاعة
من يتمكن من الحصول على الجنة فى هذه الدنيا؟
إن السلوك الطيب، والعمل الصالح والخلق الحسن
جنة، وراحة، وطمأنينة فى هذه الدنيا
إن العناد والضدية يجعل من عمر الإنسان عذابا
لا ينبغى القيام بالعناد والضدية فى هذه الدنيا
وضع اليد على الرأس والصدر احتراما لكل شخص
ذلك هو الشرف والنبل والخلق الطيب فى هذه الدنيا
من أراد أن ينال مرتبة رفيعة عالية
فإن هذا المقام العظيم هو العدل فى هذه الدنيا
لن يرحل الإنسان من العالم على أمل تحقيق أمنية
غير أمنية المحبة والمودة فى هذه الدنيا
هنا يتم كل البيع والشراء من أجل ذلك العالم
من يقوم بالتجارة والعمل فى هذه الدنيا
إن لم يكن حظ الإنسان منحوسا مشئوما
فإن الحقيقة ليست بخافية أبدا فى هذه الدنيا
الطيب يجدر بالطيب، والسيىء بالسيىء
من أراد الولاية والورع فى هذه الدنيا
لو اجتمع العالم، واتحد كل ما فيه جميعا
لن يغير ذلك حظ الإنسان وما قدر له فى هذه الدنيا

إن كـــان هنـــاك شـــجاع، فالشـــجاع فـــى هـــذه الدنيـــا
هـو كـل مـــن لا يحـوج نفســه لأحــد فـى هــذه الدنيـا
إذا كـانت رغبـة إنسـان مصـدرا لجلـب كـل أنـواع البــلاء
مـاذا يفعـل الإنسـان بمثـل هــذه الرغبـة فـى هــذه الدنيـا
لقـــد مـــر عمـــر عبـــد الرحمـــن، وانقضــــى ســـريعا
كمـا تمـر سـاعة واحـدة وتنقضـى سـريعا فـى هـذه الدنيـا

" ٥٦٥ "

' ٤٦- لا تظنه ذكيا '

لا تعـــــد ذكـــــى الدنيـــــا ومتاعهـــــا ذكيـــــا
عديـــم المعرفــــة مـــن لـــه معرفــــة بهـــذه الدنيـــا
إن النــــور محــــرم علـــــى تلـــــك القلــــوب
التـــى وقـــع عليهـــا غبـــار حـــب هـــذه الدنيـــا
عقيـم الجـــدوى كـــل مـــا يتحـــدث بـــه أهـــل الدنيـــا
مـــن الأمـــوال والأحـــاديث الخاصــــة بهـــذه الدنيـــا
كـــل مـــن يقـــوم بالأعمــــال الخاصــــة بهـــذه الدنيـــا
فإنــــــه كالأطفــــــال يلعـــــــب بالـــــــتراب[1]

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن المحنك، والناضج في العمل في هذه الدنيا
كلهم كالأطفال الرضع أفواههم مليئة باللبن[1]
يكون عديم المعرفة، وعديم الشعور على الدوام
كل من كان مخمورا بتأثير الخمرة ومفعولها
لا تبلغ نشوة شارب الخمر وسكرها
مبلغ نشوة شارب خمر هذه الدنيا وسكرها
لكل مريض دواء لعلاجه في هذه الدنيا
لا دواء لعلاج مريض بمرض هذه الدنيا
يتم علاج كل محروق ومداواته في العالم
إلا ذلك الذى قد احترق بشرارة هذه الدنيا
كل ما يلقيه إلى النار يحترق كله تماما
ولن يشبع طالب هذه الدنيا أبدا
إن المتعلق بالدنيا يغرق في همها وغمها دائما
ما صار أحد متعلقا قلبه بهذه الدنيا
يعيش دائما ملقى في الظلمة والكتمة
من كان أسير الكفار في هذه الدنيا

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

المسلم المختار المتميز من بين المسلمين

هو ذلك الذى قطع زنّار[1] هذه الدنيا

لا فرق بين السجود إلى الصنم، والسجود إلى الدنيا

فعابد الدنيا ومتاعها عابد الأوثان وأصنامها

يبقى جسده بلا رأس، ورأسه يرحل

متى كان سيدا سيد هذه الدنيا ومتاعها؟

يترك أبناءه وبناته أيتاما ويرحل عنهم

عديمة الوفاء أم هذه الدنيا وأبوها

يحمل دائما فوق رأسه حملا من الهموم

من كان على رأسه عمامة هذه الدنيا

كله هم وغم.. أتبيعه أم تشتريه

لا شئ غير ذلك فى سوق هذه الدنيا

كلهم محتالون.. فالاحتيال والمكر ديدن

البائع والمشترى فى هذه الدنيا

لن يحب الدنيا فى أى وقت من الأوقات

من لديه خبر من أضرار هذه الدنيا

---

(١) الزنار: سلسله، أو حزام، أو شريط يشده النصرانى على وسطه. ويعلق به الصليب على رقبته.

من كان نظره مركزا على الدين والإيمان

فهو لا ينتظر شيئا من هذه الدنيا

من كان يخاف من البئر، والخندق العميق

فإنه لا يسير في طريق هذه الدنيا

أصدقاؤه جميعا محتالون مكارون

كيف يمكن الاعتماد على مكار هذه الدنيا؟

كبيرها وصغيرها كلهم أجانب، ليسوا بأصدقاء

أين الصديق في ديار هذه الدنيا؟

الذى يظهر ويأتى إلى الوجود يموت ويفنى جميعا

تعال، وشاهد غارة ونهب هذه الدنيا

كلما أتت إلى إنسان ذهبت منه

إننى قد عرفت مسلك هذه الدنيا

حينا يأتى الربيع، ثم يأتى الخريف

عديم البقاء ربيع هذه الدنيا

لو وضعت لحائطها أساسا متينا ألف مرة

فإنه لا أساس أصلا لجدار هذه الدنيا

مهما أحطت نفسك بسور من حديد

فاعتبر أنه سور من الزجاج حصار هذه الدنيا

تدور كالظل فى وجه الشمس

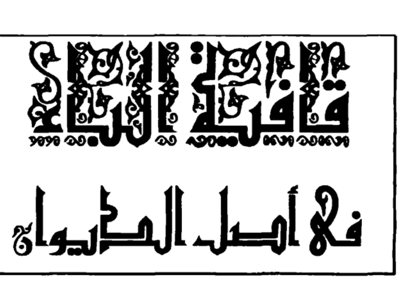
دائما أبدا عديمة الاستقرار هذه الدنيا

لا تظن أبدا على أنها هى الأحسن والأفضل
إنها لنذالة تتعاقب فى هذه الدنيا
يقطع عمر الإنسان دون استعمال المقراض
ليل وكذلك نهار هذه الدنيا
بعد الموت يطلب من الإنسان أن يقدم حسابا
بمقدار ما قام به من الأعمال فى هذه الدنيا
يتحول فى عاقبة الأمر إلى حفنة من التراب
الوسيم ومن كان وردى الوجه فى هذه الدنيا
سيقوم من قبره مع الفقراء جنبا إلى جنب
الأمير ومن كان ملكا فى هذه الدنيا
سيعلو كعلامة فارقة فوق صدر اللئيم
كل درهم ودينار جمعه فى هذه الدنيا
فليكن صدقة وفداء لقناعة القانع
كل متاع وكذلك كل دينار فى هذه الدنيا
وبعد الموت سينزل الجميع مكان المظلومين
الجائرون والظالمون فى هذه الدنيا
ستظل العشرة عشرة، والعشرون عشرون حتى القيامة
لم يتم أحد العدد والحساب فى هذه الدنيا
عندما تحل عليه أيام التكفين والتغسيل
يصبح عديم الحجاب من كان محجوبا فى هذه الدنيا

يخرج من الحجاب عاريا فوق لوحة الخشب
من كان خجولا ذا حياء فى هذه الدنيا
لكانت الثروة لدى الرسول ﷺ أكثر من غيره
لو كان هناك وقار أو تقرب فى ثروات هذه الدنيا
ليس فى إمكان عبد الرحمن القيام ببيان مفاسدها
لأن المفاسد والعيوب كثيرة فى هذه الدنيا

" ٦٠٨ "




في أصل الحيوان

' ٤٧- الخمر والشقائق '

إننـــى ســـكران[1] مـــن شـــراب شـــقائقك

فلـــن يكـــون مثلـــى ســـكران ونشـــوان آخـــر

مـــن خـــلال حبـــك أبســـط يـــدى إلى الـــوردة

كـــالغريق فـــى البحـــر يلقـــى بيـــده حتـــى إلى النبـــات

هـــل هـــذا احمـــرار وجهـــك الجميـــل وبياضـــه

أم أن مطـر الـدم الممـتزج بالمـاء يتسـاقط علـى وجهـى

مـا الأثـر الـذى يمكـن أن يتركـه فيـك دمعـى

إن النـــار تـــزداد اشـــتعالا بدمـــوع الكبـــاب

علـــى العشـــاق أن يفتحـــوا عيونهـــم فـــى العشـــق

هـذا ليـس بوقـت النـوم، بـل إنـه مقـام السـيل والطوفـان

إننـى عندمـا شـاهدت ورأيـت وشمـك بـين حـاجبيك

فإنه ليـس لمثـل هـذا الإمـام والمحـراب وجـود فـى الوجـود

---

(١) سكران (مست) بالأفغانية: وهو عند الصوفية العارف الكامل الذى استولى العشق الإلهى على كل صفاته الباطنة، فغاب عن ذاته فى نشوة العشق الإلهى،فأصبح محو الموهوم. ومراد الشاعر الصوفى من القدح والكأس هو الخمر السرمدية، وهى رمز للعشق الذى تنبثق منه المعرفة، ومن يرتشف ذلك القدح إنما يقصد أن يخرج عن ذاته.

إن السـبب فـى عـدم رؤيـة المـلاك

هو أنه يلف وجهه في الحجاب[1] حياء من جمال وجهك

يخجـل مـن وجهـك عندمـا يطلـع النهـار

ومـن هنـا يعيـش القمـر فـى الليلـة المظلمـة

خـذ الحجـاب وسـود وجـوه هـؤلاء النـاس

الذيـن يمدحـون جمـال الشـمس فـى دور جمـالك

لسـت أنـا الـذى يلقبـك بـالمحبوب الفـاتن

إن الله هـو الـذى منحـك هـذا الخطـاب

إن رسـم الخـط والوشـم علـى صفحـة وجهـك

كعلامـات الإعـراب (التشـكيل) فـى صحـف القـرآن

ليس فى مقدور عبد الرحمن أن يحسب مزايا حسنك

حيث إنه حسن لا حد له.. لا تعد مزاياه ولا تحصى

لم يكتـب أحـد كتابـا واحـدا فـى بنـى "سـربن"[2]

إلا عبـد الرحمـن الـذى كتـب هـذا الكـتاب

"٦٢١"

---

(١) الحجاب: عند الصوفية هو المانع بين العاشق والمعشوق وانطباع الصور فى القلب الذى يمنع قبول تجلى الحقائق، ويحول بينه وبين أسباب ظهور الفيوضات والتجليات الإلهية.

(٢) سربن: ينسب الشاعر عبد الرحمن بن عبد الستار إلى قبيلة "سربن" وهو الجد الأكبر لهذه القبيلة الأفغانية.

' ٤٨- الحسن وحرارة الشمس '

حين رأت الشمس حسنك الذى لا حد لـه ولا حصـر
من هذه الرؤية المقصودة نشأت الحرارة ونبعت من الشـمس
من همك الشديد أصبحت جفونـى كعـروق حمـراء
أو أنهـا خيـام ذات بطانـة سـوداء حبالهـا حمـراء
أمـلا فى انتظار لقائك صارت عـين النرجس أربعـة[١]
واحمـرت باقـة الأزهـار بـدم القلـب وغرقـت
ينبغى لو انعطفت ضفائرك[٢] والتـوت علـى وجهـك
لأنه أين توجد مقدرة الشعر لمقاومة حرارة الشـمس؟
منـذ أن ابتلانـى الله بـالتعرف علـى حـزن همـك
فقد أصبح سرورى وابتهاجى بعد ذلك مفقـودا تمامـا
احمـرت جفونـى بالبكـاء بسـبب الفـراق والبعـد
وأثـر اخضرارهـا قـام واختفـى بسـبب المـاء

---

(١) صارت عين النرجس أربعة: هـذه العبارة ترجمة لمثل أفغانى مأثور. يقول المثل: " دوه ستركى مى په لاره سلور(٤) شوى " ومعناه: أن عينى الاثنتين أصبحت أربعة بسبب طول النظر إلى الطريق انتظارا لمجىء الحبيب أو العزيز منه، يقال هذا المثل عند انتظار العاشق معشوقه بلهفة وشوق شديدين، وهو ينظر إلى الطريق ويطيل النظر فيه بترقب أملا فى وصول المعشوق كأن عينيه تحولت وأصبحت أربعة لشدة تركيز العينين على الطريق.

(٢) ضفائر (زلفى) بالأفغانية و(گيسو) بالدرية فى اصطلاح الشاعر الصوفى عبارة عن طريقة الطلب.. طلب الطالب للمطلوب.

القمر والشمس يخجلان من حسنهما وجمالهما
من أجل ذلك يخفيان وجهيهما من وراء جبل القاب[1]
إنني أعرفك جيدا بأنك في الأصل من التراب
فإلى متى ستنثر بالإصبع التراب المعلق عليك للتنفيض؟
إن كان خيال الحبيب وصورته مازال مستمرا أمام عينيك
فعليك أن تعلم أولا حقيقة سيل الدموع من العيون
سيستيقظ حظ عبد الرحمن في ذلك الوقت
الذي إن فتحت فيه عينيك من النوم ونظرت إليه

" ٦٣١ "

' ٤٩- الربط بقيود الضفائر '

اربطوا يدى بحبل سميك من الضفائر[2]
ثم بيعوني إلى جزار العيون
في سيف عينيه الاثنتين لمعان
بلا رأس كالحباب الذي ليس له رأس

---

(١) جبل القاب: القاب أو القاف اسم جبل وهمى لا وجود له أصلا. وقيل إنه عبارة عن جبال قفقاز، وهى فى نظر الأستاذ أحمد على كهزاد عبارة عن جبال هندوكش الشهيرة. راجع تاريخ أفغانستان ١: ٣٨٣ – ٣٨٥، وجبل القاب يشبه طائر العنقاء فى العربية، و " سيمرغ " بالدرية. فالقاب، والقاف، والسيمرغ، والعنقاء والغول أسماء لمسميات موهومة لا وجود لها أصلا.

(٢) الضفائر: لمعرفة الغرض من الضفائر عند الصوفية راجع ص ١٧٩ هـ ٢ من هذا الكتاب

عندما يضع السرج على ظهر فرس السماء من دلاله
فإن هذا الهلال ينزل ليحل محل الركاب
ويجعل شحاذ عتبة حسنه وجماله أيضا
القمر وكذلك الشمس وفى أيديهما إناء الدراويش
حين أتذكر شفائفها الحمراء وحلقة أنفها الحمراء
فإن شهبا حمراء تسيل من عينّى الاثنتين
حين أنظر إلى رواء وجهه وضيائه
كأن رواء الورود ونضارتها فى نظرى لا يساوى شيئا
عندما يظهر لنا نسيم ضفائره ويهب
فإنه يغرقنى كاملا فى بحر من المسك والورد
أشعر بالفرح والسرور حين أسمع نباح كلبه
كمن يشعر بالرضا والراحة بنغمة الربابة وطربها
كنت أقول: لعلنى أرى وجهه فى النوم
ولكن كيف يمكن أن ينام حبيب من غير الحبيب؟
يتم فى قصيدة الغزل انتقاء بيتين من الشعر
أما غزل عبد الرحمن فكله منتقى ومختار

"٦٤١"

' ٥٠- المطرب والربابة '

كـل مطـرب[١] حـين يقـوم بلـف ملـوى الربابـة

فإنـه يدمـر قلـبي مـن النشـوة بهـذا اللـف

حـين أسمـع نغماتـه وهـو يشـدو الشـعر

أفقـد عقلـي ممزقـا فتحـة القميـص ثمـلا نشـوانا

إن وتـره وكذلـك قولـه يؤثـران تأثـيرا كبـيرا

بحيـث ليـس فـى مقـدور أحـد تحملـه أو مقاومتـه

الأول نغمته، والثانى صوته كصوت الراقصات الغانيـات

الثـالث الشـعر المنتقـى الـذي يبـدأ بـه ذلـك

ورابـع ذلـك أحـد السـقاة الـذي يجلـس بجانبـه

والـذي لا تعادلـه الشـمس ولا القمـر في الجمـال

هـذه الفـتن الأربعـة هـي في الزوايـا الأربعـة

وخامسـها الكـأس الخاصـة بـالخمر الخالصـة

السـادس موسـم الربيـع، والسـابع الشـباب

والثـامن الانشـغال بقـراءة الكتـاب، والتاسـع الربابـة

---

(١) مطرب: هو فى كلام الصوفية المرشد الكامل الذى يأتى بالفيض ويغمر قلوب العارفين بالحقائق بعد كشف رمزها. ويقول بعضهم إنه مطرب العشق، وله عجيب من لحن، وغريب من غناء، وكل لحن من لحونه يفضى به إلى طريق.

فحين يجتمع مثل هذا الكم من الآفات والابتلاء

فكيف يمكن لأحد أن يقوم بالاجتناب عنها؟

من لا يؤثر فيه هذا العدد من مغريات الفؤاد

فإنه إما أن يكون عفريتا، أو جدارا، أو دابة

ستبدو لنا واضحة تقوى المتقين ونزاهتهم

عندما يتمكنون من مجلس فيه الشاهد[1] والشراب

أنا عبد الرحمن أطلب الحماية من زهد فيه رياء

لأن الزهد[2] الذى فيه رياء عذاب وعتاب

" ٦٥٢ "

' ٥١- البحث عن الوشم '

أقوم بتفتيش أوراق كل مكتوب

أبحث فيها عن وشم ورسم خط مطلوبي

حين أتصور دواخلي من خلال العشق

فإنه إما أن يكون تنورا، أو دكان الحدادين[3]

---

(١) الشاهد: استعمل الشاعر هذه الكلمة بشكلها العربي الصحيح، وهي تعني في الأدب الأفغاني الصوفي المحبوب والمعشوق المرغوب.

(٢) الزهد: عند الصوفية أساس الأحوال المرضية، وأول قدم القاصدين إلى رب العالمين، ومن لم يحكم له في الزهد أساسا لم يصح له شئ من بعد، لأن حب الدنيا رأس الخطايا والزهد فيها رأس الطاعات.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

يقوم المجذوب بإلقاء نفسه إلى النار ضاحكا

ما ابتلا الله أحدا مجذوبا[1] بجذبة العشق

إننى حين أتذكر هموم الحسان من داخل قلبى

فإن قلبى ينطلق منى غارقا فى هذه الهموم

انظر! كيف يسهل العشق للعاشق وييسر له

هذه المحن الصعبة كمحن أيوب عليه السلام

بلغ فى الاستمرار فى البكاء إلى الحد

الذى فقد يعقوب نظره فيه فى البحث عن يوسف

هذا عشق حين أصبحت المحبوبة للعاشق

طلعة جميلة رائعة بأسلوب وطريقة الحسان

كيف تسأل عن حال الهجران والوصال ذلك

الذى يصبح هو نفسه محبا ومحبوبا

حين نظر إلى المعانى بدلا من الصورة والشكل

فقد أصبح القبيح والجميل سيان عند عبد الرحمن

" ٦٦١ "

---

(١) المجذوب عند الصوفية من طهر الله نفسه، وبلغ المقامات العالية، حتى يصبح مسلوب العقل، وينال بعد ذلك مرتبة المجذوب المطلق، ومجذوب الحق.

' ٥٢- القسمة والنصيب '

حين أنظر وأفكر في القسمة والنصيب

يصبح كل بحثي وسعي وتدبيري ليس بشيء

لعل الله نفسه طبيب شخص من الأشخاص

وإلا فإنه لا وجود في العالم لطبيب آخر

إن الربح والخسارة لأهل التنافس والرقباء واضحة

إن لم يجعل الله حبيب أحد رقيبا ومنافسا له

حين يصبح حبيب عاشق رقيبا عليه، فشأنه

شأن من أصبح غريبا في وطنه أجنبيا

من أصبح في عداد الغرباء في الوطن فإنه لا فرق

بأن يكون البعد بمقدار فرسخ أو جريب[1]

إنني لم أحصل في العشق على شيء غير الهم

وكل ما يقوله الأديب في ذلك فهو كلام طيب

إن العدو أحيانا يصبح صديقا للإنسان

ولكن الحبيب لا يتعامل مع عبد الرحمن بالحب

" ٦٦٨ "

(١) جريب: جمعه أجربة وجربان، مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع. والجريب بالعربية بمعنى المزرعة، ومكيال قدر أربعة أقفزة.

' ٥٣- الراغب والغائب '

إنني راغب فيك بمائة طريقة

وأنت غائب عني بمائة طريقة

ماذا سيصبح يا من سلب قلبي

حيث إنني ثمل وأنت تائب

لو أشتكي من ظلمك وجورك

فإن هذا غير مناسب ولا بلائق

وإن أقول شيئا لا وسع لي فيه

لأنني مغلوب وأنت غالب

ما معنى التنافس والمساواة

بين المطلوب (الحبيب) والطالب؟

إن محبتك وعشقك قد جعله

الله من الواجب عليّ واللازم

إن آلامك وهمومك ليست بمقدار

حتى أتمكن من تحريرها بواسطة كاتب

إن الفراق والتباعد شاق وصعب

بين الأرواح وبين القوالب

عندما كان المجنون[1] فى سكرات الموت يحتضر

فإنــــه قــــد تركنــــى نائبــــا لـــــه

فقـــــد وصــــانى فــــى ذلـــــك

وصيـــة فيهـــا ألـــوان مـــــن العجـــائب

" وليكـــن مـــن نصيبـــك يـــا عبـــد الرحمـــن

كـــل مراتبـــى ومنـــاصبى فـــى ذلـــك "

" ٦٧٩ "



(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى الذى يشتهر فى الأدب الأفغانى أيضا. راجع ص ١٣٠ هـ ١، ١٣٧ هـ ١ من هذا الكتاب.


في أصل الحيوان

' ٥٤- لقاء المعشوق '

إن تمكنـــت مـــن اللقـــاء مـــع الحبيـــب مـــرة

فـإننى لـن أعـود مـن هـذه العتبـة حيـا مـرة أخـرى

أدعـو الله أن يجعـل مـــن نصيبـى بعـد هـــذا، الإقامـة

فـى هـذه الـدار، أكـان ذلـك فـى الحيـاة أم فـى الممـات

إننـــى لـــو ســجدت لحبيبـــى فإنـــه يســتحق ذلـــك

لأن ذلـــك الحبيـــب قبلـــة[1] اتجـــاهى لقضـــاء حاجـــاتى

ســأجعل كـل عـذب فـداء لشـفائف الحبيـــب الحمـــراء

ســـكرا كـــان ذلـــك أو حلـــوى أو ســـكر النبـــات

إن هـــذا شـــعاع حبيبـــى وضيـــاؤه يبـــدو واضحـــا

كمـا تبـــدو الشـمس بوضـوح فـى صومعـة سـومنات[2]

إن الولى الذى يتحدث عن كشف الحجاب[3] والكرامـات[4]

أكـــثر منـــى حبـــا للذيـــن يســـلبون القلـــوب بجمـــالهم

---

(١) القبلة عند الصوفية هى الاتجاه إلى ذات الحق الواحد، والمآل والمرجع والمحبوب والمطلوب.

(٢) سومنات: كان صنما من أعظم أصنـام الهنـدوس، وهـم يزعمـون أن الأرواح إذا تفـارقت الأجسام اجتمعت إليه على أساس التناسخ، وقد حطمه السـلطان محمـود الغزنـوى وحمـل أجزاء منه إلى غزنه فى أفغانستان سنة ٤١٦هـ.

(٣) كشف الحجاب: الحجاب عند الصوفية هـو المـانع بـين العاشـق والمعشـوق ... لمزيـد مـن المعلومات حول الحجاب راجع ص ١٧٨ هـ ١.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إننــــى أتـــوب إلى الله، وأتـــبرأ مـــن زهـــد الريـــاء
الـــذى يقـــوم بـــه الزاهـــد وفقـــا للرســـوم والعـــادات
يوجـــه فـــى النهـــار الوعـــظ والنصيحـــة إلى الآخريـــن[1]
ويجلـــس فـــى الليـــل مـــع زعمـــاء الخمـــارة وفســـاقها
يضـــع الديـــن كمصيـــدة فـــى طريـــق كســـب المـــال
يســـير إليهـــا الوحـــوش البربريـــة مـــن المخلوقـــات
يحملـــق بعينيـــه اثنتـــين إلى هـــؤلاء الذيـــن
يحملـــون فـــى أيديهـــم صدقـــة الفطـــر أو الزكـــاة
أنـا عبـد الرحمـن أطلـب الحمايـة مـن الأهـل والأقـارب
الذيـــن يتطـــاولون بالمفـــاخرة بخـــلاف المقامـــات

"٦٩٠"

"٥٥- همة العشاق"

مـا أحســن همــة العشـاق ومـا أعظمهـا
لثبـاتهم فـى العشـق على حالـة وجهـة واحـدة
لا تبديـل لهـم فـى وقـت مـن الأوقـات ولا تغيـير
وإن كـان العـالم كلـه يوجـه إليهـم الملامـة

---

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٤٤: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

إذا قام أحد بتوجيه النصيحة إليهم مائة مرة
فإنهم لا يصغون إلى نصيحة أحد في ذلك
من يتجاوز لأجل الحبيب عن نفسه وماله
فأين ذلك الذى يتحمل مثل هذه المشقة
إن جلس المحبوب على عينيه في العمر كله
فإن العمر كله يبدو له كساعة واحدة
إن ابتعد عنه ذلك الحبيب لحظة
في تلك اللحظة يتحول عمره إلى يوم القيامة
لو دخل جهنم من أجل حبه للحبيب
فإن جهنم أيضا يرسل له بشعاعها كالجنة
إن طريق العشق يمكن قطعه بأرجل التوكل
وليس بأرجل الرياضة والتدين
متى يمكن العثور على أمر بالتدبير والسعي
إذا كان ذلك الأمر لا يتم إلا بالعناية الإلهية
إن قلب العاشق أنظف وأطهر من قلب غيره
كالبحر لا توجد على وجهه النجاسة
يا عبد الرحمن إن جعل الله قلب المحبوب حجارة
فإن هذه الحجارة قد سقطت على عمارة العاشق

"٧٠١"



' ٥٦- الغياث '

ليلة الوصال تبدلت بالفراق، الغياث
أتعذب في الحياة بعذاب القيامة، الغياث
كنت أطمع في مزيد من نعم الوصال بالحبيب
حتى تنكست قصعة الفلك فجأة، الغياث
لم أفهم ذلك العمل والتدبير الذي كان في يدى
وأما أنني قد فهمته الآن فقد خرج من يدى، الغياث
على طمع في الوصال، تطوق عنقي بطوق الفراق
ذلك الأمل الذي كنت أطمع فيه أصبح طاعونا، الغياث
لا يمكن أن يحمل أحد حمل العشق بالحكمة والعقل
فقد تحطم في هذا العمل ظهر أفلاطون، الغياث
أنا عبد الرحمن لم أعثر على الوصال بسهولة
فقد تغير اصفرار وجهي بالاحمرار بدم الكبد، الغياث

" ٧٠٧ "

' ٥٧- حب الحبيب '

إن الحبيب لا يشاطر في الحب، الغياث
ولا يشعر بالخوف والوجل، ولا بالتنفر، الغياث
إن نفسي ومالي بالنسبة لمهدئ قلبي الحبيب
لا قيمة لكل منهما مقدار ثمن خرزة واحدة، الغياث

تختطف فؤادی فی هجوم وراء هجوم، لا أفهم
من هی.. أأفريدية[1] أم ختكية[2]، الغياث
إن فراقها وبعدها عنی جعل يشاور تنورا علّی
ابتداء من خيبر[3] حتی إلی أتك[4]، الغياث
لكن عندما تجر المضرب علی وجه الضفائر
يجعل من قلبی المحطم كرة، الغياث
تتعامل بالتجافی دون أن يتبين سبب لذلك
لست أفهم لماذا تعمل ذلك؟ الغياث
إننی قائم أمامه بصدق وإخلاص
لماذا يتعامل الحبيب بالتجافی؟ الغياث
لو تحدثت إليه بمائة حديث عن صدق النية
فإن المحبوب لا يتحدث إلیّ بحديث واحد، الغياث

---

(١) أفريدية: نسبة إلی أفريدی، وهی قبيلة من القبائل الأفغانية منازلها عبارة عن المناطق والجبال الواقعة جنوب وادی خيبر الشهير.

(٢) ختكية: نسبة إلی ختك، وختك قبيلة من القبائل الأفغانية الشهيرة، من أشهر شخصياتها فی التاريخ الأدبی والسياسی الزعيم الشاعر خوش حال خان.

(٣) خيبر: اسم واد تاريخی يشتهر فی التاريخ السياسی بباب الهند، وهو همزة الوصل بين ننكرهار وپشاور.

(٤) أتك: اسم من أسماء نهر أباسين ، واسم قرية بالقرب من شاطئ أباسين ، وقلعة حصينة بناها الملك المغولی أكبر، وجسر شهير فوق نهر أباسين، ومنطقة تقع فيها هذه الأماكن.

عندما يراني يضحك مع الرقيب المتنافس
فيجعل بذلك عيني محمرتين بالبكاء، الغياث
أنا عبد الرحمن أسير دائما على ما يرضى الحبيب
والحبيب يسير على ما يرضيه هو، الغياث

"٧١٧"

' ٥٨- هذا الحديث '

منذ أن قرأت عليك هذا الحديث وسمعته
فإنه قد أصبح بعد ذلك عنوانا لكل حديث
حين بدأت به مدح الحبائب الحسان
فقد أصبح بذلك كنزا لا يقدر بثمن
بالثناء على مرغوبي القلب، ومحبوبي الفؤاد
صار هذا الحديث مرغوب القلب ومحبوب الفؤاد أيضا
كنسيم الصباح الذى يفتح البرعم
فإن هذا الحديث يفتح القلب مثل ذلك النسيم
حين ذكرت فيه أوصاف الشقائف الحمراء
لذلك فإنه صار أعذب وأحلى من الحلوى والسكر
لست أدرى هل هذا الحديث ماء الحياة[1]
أم هو نفس المسيح عليه السلام ؟

---

(١) ماء الحياة: يعتقد أنه ماء من شرب منه عاش أبدا. راجع ص١٢٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

ليس من قول الشعراء ذوى الألسنة الهزلية

لذلك فإن هذا الحديث من الأحاديث النقية الصافية

إن قال أحد: إن وجهك شمس وقمر

فإن هذا الحديث صادق ولا يشوبه كذب

إن قال أحد : من أنشأ هذا الحديث؟

فإن عبد الرحمن يقول: أنا الذى أنشأ هذا الحديث

"٧٢٦"




قافلة العلم
في أصل الحيوان

' ٥٩- اضطراب المزاج '

عندما يجعل العشـق مـزاج شـخص مضطربـا
فـإن الأطبـاء يعجـزون عـن عــلاج هــذا المـزاج
يــذرف الدمـــوع مـــن عينيـــه الاثنتـــين
ويخـرج الدمــاء منهمــا بــدلا مــن الدمــوع
قاطعــا أملـــه يائســا مـــن العـــالمين جميعــا
غارقـا دائمــا فــى أمـواج العشــق المتلاطمــة
إن الذيـن تكمـن فيهـم رائحـة مـــن العشــق
لا توجـــد فيهــم رائحـــة التقليـــد والعـــادات
لم يكن إبراهيم بن أدهـم [1]عديـم الفهـم والعقـل
بحيث يكون نظره إما على العرش وإما على التـاج
لم يكن مجنـون [2] يعشـق ليلى ويحبهـا إلى درجـة
بحيـث يكـون احتياجـه متوقفـا علـى الآخريـن
الجنـــون لا يـــترك المجــانين ولا يغــــادرهم
ســواء تعرضــت بيوتهـم للإعمــار أم للخــراب

---

(١) إبراهيم بن أدهم: من الزهاد المشهورين في بلـخ الأفغانيـة. توفـى سـنة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م، أصله من الأمراء، فترك ذلك، وزاول الزهد والتصوف.

(٢) مجنون: المراد منه مجنون ليلى، راجـع صفحـات ١٣٠ هــ١، ١٣٧ هــ١، ١٨٧ هــ١ مـن الكتاب.

إن وضـع رأســـه فـــى المشـــنقة كمنصـــور[1]
فـــإن هـــذه المشـــنقة معـــراج لعبد الرحمـــن

" ٧٣٤ "



---

(١) منصور: هو الحسين بن منصور الحلاج فيلسوف صوفى، قضى كثيرا من السنوات فى الخلوات الصوفية، ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد، اتهم بالزندقة فحكم عليه وسجن ثمانى سنوات، ثم صلب فى بغداد. أنشأ مذهبا فى التصوف، فأثير حوله الجدل، و لم يبق من مؤلفاته إلا كتاب " الطواسين " .


قافية الهاء
في أصل الديوان

٦٠- توهان الروح

روحى محتارة مضطربة فى السعى وراء الحسان
روحى مضطربة كالهواء فى البحث عن رائحة الورد
روحى تسلم نفسها إلى جمال شمسك بابتسامة
روحى ضاحكة كالصبح بدلا من البكاء
منذ أن رأيت انعكاس جمالك فى نفسى
فإن روحى بذلك متلألئة لامعة كالمرآة
من جمال مرآة وجهك وفيضه أيها الحبيب
فإن روحى تغرد دائما كالببغاء[1] بالطرب والسرور
كما يبدو لون الخمر الخالصة فى الزجاجة
فإن روحى تبدو كذلك فى بدنى النحيف
إننى أنتظر حديقة الوصال بالاستمرار دائما
حتى تحولت روحى كالندى إلى عيون بعينها
حين اقتبست الضياء من جمالك بإلحاحى
فإن روحى تسير كالشمس فى الطريق ليلا ونهارا

(١) الببغاء: هذا الطائر الذى يتميز بجمال لونه يحتل فى الأدب الأفغانى منزلة البلبل فى الأدب العربى.

لأجل ضفائرك ووجهك صار عبد الرحمن بلا وطن
وصارت روحي في عزمة السفر في الهند وخراسان[1]

" ٧٤٢ "

' ٦١- وصالك حياتي '

وصالك هو الذي قد منحني روحي
وهجرانك هو الذي قد سلب مني روحي
فقد اتجه كياني كله وجهتك وغادر بحثا عن وجهك
خرجت روحي لأجل ذلك من هيكلي وبدني
أيها الحبيب إنك قد أخذت روحي وأخرجتها
بطريقة لا يعلم بها ملك الموت أبدا
ضيعت نفسها وذهبت بعيدة في سبيل حبك
بحيث لم يتمكن أحد أبدا من العثور على روحي
وإذا وجدت بمشيئة الله وجدت عندك
لم تذهب روحي إلى جهة أخرى
ليست ببلبل حتى يطير فوق الورود
إن روحي أيها الحبيب قد طارت نحوك

---

(١) يتشهد بعض العلماء بهذا البيت على أن الشاعر عبد الرحمن قد قام برحلات وأسفار إلى كل من البلاد الهندية والخراسانية. كما قام بزيارة كابل حيث ذكر فواكه كابل في بيت آخر من شعره.

لـــو جعلـــت صورتهـــا ترابـــا عنـــد عتبتـــك

فـإن روحـى قـد ارتفـع بذلـك رأسـها حتـى العـرش

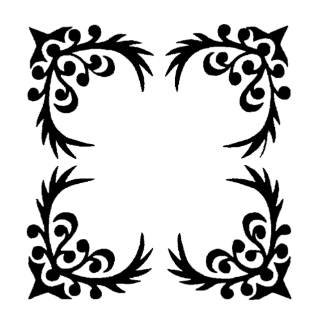
أنـــت تعلـــم إن كـــان شـــيئا أو لا شـــئ

فـــإن غـــيرك لا يعلـــم شـــيئا عـــن روحـــى

أنــا عبــد الرحمــن لا أعلــم شــيئا عــن نفســى

كيـف تمكنـت من إخـراج روحـى أيهـــا الحبـــيب

" ٧٥١ "



قافلة العلماء

في أصل الحيوان

' ٦٢- السحر ومشاهدة الوجه '

مـــن الـــذى شـــاهدت وجهـــه فـــى الســـحر صبـــاح اليـــوم؟

حتى لم أتمكن " من شؤمه "[١] من مشاهدة وجهك فى اليوم كله

إن الله قـــد جعـــل وجهـــى لا قيمـــة لـــه عنـــدك ولا ثمـــن

وإلا فـــإن كـــل حبيـــب ينظـــر عـــادة إلى وجـــه الحبيـــب

لقـــد أظهـــرت كثـــيرا مـــن وجـــوه الجفـــاء والظلـــم

فمتـــى ســـتقوم بإظهـــار وجـــه العمـــل بالوفـــاء؟

إن لم يقـــم مســـدس المـــوت بتحويـــل وجهـــى عنـــك

فإنـــه لـــن يحيـــد ولـــن يتحـــول عنـــك أبـــدا

لقـــد أتيـــت عنـــدك أيهـــا الحبيـــب بهـــذا الوجـــه

مـاذا كنـت أعمـل بهـذا الوجـه لـو لم تكـن أنـت موجـودا

لمـــاذا كنـــت أذرف الدمـــوع بســـببك أيهـــا الحبيـــب؟

لـــو كـــان يوجـــد وجـــه آخـــر مثـــل وجهـــك الجميـــل

لم أكـــن أتوقـــع وجـــود رقيـــب متنـــافس عنـــد عتبتـــك

لقـــد أريتنـــى وجـــه البـــلاء فـــى الجنـــة أيهـــا الحبيـــب

كيـــف يمكننـــى أن أنظـــر إلى وجـــه الرقيـــب المتنـــافس

متـــى ينظـــر أهـــل الســـنة إلى وجـــه الراهـــب المســـيحى؟

---

(١) من شؤمه: من إضافتى أنا المترجم والسياق يدل عليها

ينفصل طائر چكنا[1] عن أنثاه چكنية فى نصف الليل

أصبح وجه الصباح غمازا إلى حالى وحالك

عبد الرحمن ينظر إلى هذه الدنيا البائرة من رؤيتك

ما أرانى الله وجه الدنيا من غيرك

" ٧٦١ "

' ٦٣- اشتريت وجهك منذ الأزل '

إننى منذ الأزل الطالب المشترى لوجهك

أتنازل عن نفسى[2] وثروتى فى سوق جمال وجهك

لا يوجد أمام وجهى شئ آخر غير وجهك

وبسبب وجهك وصلت إلى حالة من الضعف والعجز والنهب

لا أرى نفسى وهيكلى بعينى، ولا أدرى ما هو؟

إننى إلى هذا الحد غارق فى أنوار وجهك

أقوم بإخراج الآلام والآهات بحيلة تدخين التبغ[3]

محترقا ملوثا بالدخان من نار وجهك دائما

---

(١) چكنا وچكنية: طائران أحدهما ذكر وهو چكنا، والآخر أنثى وهى چكنية، ينفصل الذكر عن الأنثى فى نصف الليل، ويعيشان معا نهارا. لعله طائر الخفاش أو الوطواط. پشتو – پشتو تشريحى قاموس ٢: ١٤٤٨.

(٢) نفسى: ترجمة " راسى " بتصرف.

(٣) التبغ: يبدو أنه يقول إن الدخان الذى يخرج مع آهاته وآلامه من احتراق نفسه شغفا بحب الحبيب، ولكنه يعلل ذلك كأنه يدخن التبغ فى النارجيلة وذلك إخفاء حبه على الناس.

الآخـرون مـــن النـــاس يقومـــون جميعـــا بـــأمور الدنيـــا

وأنـــا غـــارق دائمـــا فـــى انتظـــار وجهـــك

شـكرا للحبيـب الـذى نجـانى مـن منـة أنـاس آخريـن

واضعـا رأسـى للسـجود حـاملا منـة وجهـك

إلى أى اتجاه أتوجـه أنـا عبـد الرحمـن فـى نزهـة للقلـب

فإنـه ليـس لى مطلـب آخـر غـير أننـى طـالب لوجهـك

" ٧٦٨ "

' ٦٤- العيون الجريئة '

حـين تولـدت عينـاك وظهرتـا بمثـل هـذه الجـرأة

فلـن يوجـد هنـاك أنـاس آخـرون بمثـل هـذه الجـرأة

ضفـائرك الملتويـة وحواجبـك المنحنيـة فـى انعطـاف

ليس لذلـك مثيـل فـى العقـارب والثعـابين الجريئـة

يوجـد فـى هـذه الدنيـا كثـير مـن الغمـوم الجريئـة

إلا أنهـا لا تبلـغ فـى ذلـك جـرأة البعـد والهجـران

مـن الممكـن أن يكـون الشـيطان بـلا غـم فـى الهجـران

وإلا فإنـه لا يوجـد إنسـان علـى مثـل هـذه الجـرأة

مـا كـان أن توجـد هـذه الفـتن والمفسـدات

لـو لم تظهـر السـماء بمثـل هـذه الجـرأة والجسـارة

لا ينفجـر قلـب الحبيـب مـن غـم الحبيـب وهمـه

خلـق الله هـذا العـالم علـى مثـل هـذه الجـرأة

تم بيع يوسف بقليل من متاع بخس زهيد[1]

ما خلق الله قافلة أخرى على مثل هذه الجرأة

من يرغب فى قبلة من الحبيب بلا أدب

ما جعل الله عبد الرحمن على مثل هذه الجرأة والجسارة

" ٧٧٦ "



(١) معنى هذه الشطرة من بيت الشعر مأخوذ من هذه الآية الكريمة ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ سورة يوسف ٢٠.


في أصل الحيوان

' ٦٥- بناء قصور العشق '

إذا كـان الملـوك والسـلاطين قـد قـاموا ببنـاء القصـور

فـإننى قـد قمـت ببنـاء عمـارات العشـق وقصـوره

أى ملـك مـن الملـوك والسـلاطين العظـام يذكـر اسمـه

مثلمـا يذكـر اسـم كـل مـن المجنـون(١) وفرهـاد(٢)

إن العشـق الحقيقـى مرشـد للعاشـق ومعلـم لـه

لـن يـأتى إلى الوجـود مرشـد ومعلـم آخـر مثلـه

كـل هـذه الأعمـال العظيمـة مـن كرامـات العشـق

الذى يجعل الشخص قطبا(٣) والآخر غوثا(٤) والثالث أوتـادا(٥)

---

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى، وهو قيس بن الملوح العامرى. راجع صفحات ١٣٠ هـ١، ١٣٧ هـ١، ١٨٧ هـ١، ٢٠٣ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٢) فرهاد: بطل قصة منظومة فى الأدب الأفغانى اسمها " شيرين وفرهاد " للشاعر مـلا نعمت الله، وهى تشبه منظومة فرهـاد وشـيرين لعلى شـيرنوائى فـى الأدب الجغتـائى، ومنظومـة خسرو وشـيرين لنظـامى گنجـوى فـى الأدب الـدرى. ويبـدو أن الشـخصيات فـى هـذه المنظومات من صنع خيال الشعراء الثلاثة.

(٣) قطبا: القطب عند الصوفية الولى الذى جعله الله موضع نظره وعنايته، وهو الذى وهبه الله الطلسم الأعظم، ووجوده فى الدنيا بمنزلة وجود الروح فى الجسد، وعليه مدار الوجود.

(٤) غوثا: الغوث عندالصوفية هوالقطب عند الالتجاء إليه،ومن غير الالتجاء إليه لايسمى غوثا.

(٥) أوتادا: الأوتاد عند أهل التصوف هم المرشدون أو الرجـال الأربعة الذيـن هـم الموكولـون على الجهات الأربع من العالم، يحفظ الله بهم الجهات لكونهم محال نظره تعالى.

إن حيل الدنيا وتدابيرها كلها فانية لا بقاء لها

فكيف يمكن لأحد من الناس الاعتماد عليها

فهي كالظل الذي يدور أمام الشمس سائرا

لا يستقر في مكان للسكنى، ولا يتوقف

لم يوف بعهده ووعده مع أحد أبدا

سواء كان جمشيدا[1] أو بهمنا[2] أو قبادا[3]

سواء كان جمشيدا أو بهمنا أو قبادا

أو كان نمرودا[4] أو فرعون أو كان شدادا[5]

---

(١) جمشيد: ملك من ملوك الدولة البيشدادية في آريانا (أفغانستان) وهي أول دولة في تاريخ الآريين (الأفغان والفرس) كان لهذا الملك كأس تسمى " جام جم " أي كأس الملك جمشيد، أو " جام جهان نما " أي مرآة العالم كانت فيها صورة الأقاليم السبعة للعالم. وأهل التصوف يرمزون بها إلى قلب العاشق الإلهي.

(٢) بهمن : اسم عالم مشهور من علماء الزردشتية. وقد أطلق اسمه على الشهر الحادي عشر من الشهور الإيرانية، كما أطلق على اليوم الثاني من كل شهر من الشهور الإيرانية. وبهمن أولى السلالات الإسلامية في الدكن، أسسها حسن علاء الدين بهمن شاه.

(٣) قباد: وهو كيقباد أول الملوك المعروفين في التاريخ الآري (الأفغاني – الإيراني) بالكيانيين في بلخ في شمال أفغانستان، وهو مؤسس هذه الأسرة، ومن أعماله المشهورة إقامة العدل، وإعمار البلاد، ومراعاة الطقوس الدينية الآرية.

(٤) نمرود: هو ابن كوش بن حام، جاء ذكره في كتب العرب، يضرب به المثل في الجبروت.

(٥) شداد: هو شداد بن عاد، حكم جنوب جزيرة العرب، تنسب إليه مدينة إرم في صحراء عدن، وكان من الجبارين.

لم يمّكن أحدا من أن ينال مراده وهدفه فى الدنيا
وبقى الجميع دون أن يصلوا إلى الأهداف
لم يقم أحد بقراءة القرآن والدعاء لأجلهم
لا من أهلهم، ولا عيالهم، ولا أولادهم
أنا عبد الرحمن ذاهب من جور الزمان
إلى صاحبى مستغيثا طالبا العدل والإنصاف

" ٧٨٧ "

' ٦٦- القاصد والمقصود '

قاصدا[١] طالبا كنت أو مقصودا[٢] مطلوبا
فعليك أن تساوى وتقارن بين الخسارة والمنفعة
كل ما يأتى أمامك ويقابلك
اعتبر كل ذلك سلامة لك ومنفعة
كل ما يوجد فى الدنيا من غير الله
اعتبر كل ذلك معلوما زائلا
سلم رضاك واختيارك للقضاء والقدر
وعش دائما جميل المظهر مسرورا راضيا

---

(١) قاصدا: القاصد فى نظر الصوفى هو الطالب العاشق المحب، أو الصوفى الزاهد الذى يطلب ويبحث عن الحب الإلهى.

(٢) مقصودا: المقصود هو المطلوب المعشوق المحبوب، وهو الذات الإلهية عند أهل التصوف والزهد.

إنـه يبدو للوجـود بجلـوة تعجـب النـاظرين

كعـادة سـحاب السـماء وغيومهـا المفيـدة

فكـر مليـا، وانظـر إلى نفسـك بدقـة

وقـرر: إن كنـت مقبـولا أو مـردودا

كـن متفرجـا ومشـاهدا لصـورة نفسـك

واحكـم إن كنـت مسلما أو كـافرا جـاحدا

كـن حنيفيـا مـن أتبـاع أمـة إبراهيـم

ولا تكـن خاضعـا تابعـا مـن أتبـاع نمـرود

انهـض يقظـا مـن نـوم الغفلـة والتغـافل

إلى متـى سـتعيش نائمـا فـى الغفلـة

عـش متقيـدا منهمكـا ومشـغولا بالحـاح

رغبـة فـى الدعـاء والابتهـال والرجـاء

اسـتمر دائمـا فـى الركـوع مثـل السـماء

واسـتمر دائمـا فـى السـجود مثـل الأرض

كـل الأشـياء تـترنم بالثنـاء علـى الحـق[1]

فـى نغمـات كنغمـات داود عليـه السـلام

---

(١) معنى هذا الشطر من البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض وما فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ الإسراء ٤٤.

إن نقت من نوم الغفلة فستسمع بنفسك
هذه النغمة وهذا اللحن فى كل الجهات
إن اصبحت " أيازا[1] " فى العبودية
فستكون جريئا فى الدلال على محمود[2]
كل أسباب وسبل الخير والشر وطرقهما
مهيئة مسيرة، وموجودة أيضا
فإن كنت عاقلا ميز وفرق بين
الأوامر الإلهية وبين المنهيات[3]
إن لم يوضع العود كالحرمل فى النار
فإن رائحة العود لاطعم لها بغير ذلك
نزه نفسك وطهرها من الغش والحقد
مثل البحر اللا معدود واللا محدود

---

(١) أياز: اسم عبد من عبيد السلطان محمود الغزنوى اشتهر بوسامته وفطنته وإخلاصه وتفانيه فى خدمة السلطان، وكان السلطان يحبه حبا جما. وقد تردد أياز فى الشعر الأفغانى باسم محبوب ومعشوق السلطان محمود الغزنوى، ويضرب به المثل فى الإخلاص والعبودية والتفانى فى خدمة السلطان.

(٢) محمود: هو السلطان محمود الغزنوى المذكور فى الهامش السابق.

(٣) معنى هذا البيت والذى قبله مأخوذ من هاتين الآيتين: ﴿إنا هديناه النجدين﴾ سورة البلد ١٠، و﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ سورة الإنسان ٣.

لأجل ذلك مات وهلك يا عبد الرحمن

من لم يتنزه وجوده و لم يتطهر

ليس لعبد الرحمن ذكر غير ذكر الحبيب

ولا يجيد حوارا آخر غير هذا الحديث

"٨٠٧"

'٦٧- التفاخر بالوفاء'

كلما أبديت التفاخر بالوفاء وتباهيت به

فإن ذلك الحبيب لا يقبل ولا يصدق ولو أقسمت له

إن حياتي التي أحياها في الدنيا من غير الحبيب

كالحياة التي يحياها الحرمل (الخردل) في المجمر

مطلب طلاب[1] العشق الكرامة والشرف

ومطلب العبيد إرضاء سيدهم ومولاهم

فكما أن حبيبي مرفوع الرأس في العالم

كذلك أصبحت أنا مرفوع الرأس بتأثيره

حينما بدأت مدح رائعات المحيا من الحسان

أصبح كل شعري محبوبا رائعا ترغب فيه القلوب

---

(١) الطلاب: الطالب هو العاشق الإلهي أو الصوفي الزاهد الذي يبحث عن الحب الإلهي أو العشق الإلهي ويطلبه بإلحاح.

وكمـــا أن أحـــاديثي العذبـــة ذات مـــذاق وطعـــم

لـن يوجـد فـي السـكر مثـل هـذا المـذاق الحلـو والطعـم

ســكر النبـــات الـــذي وضعـــه الله فـــي فمـــي

لـــن يوجـــد عنـــد الحلوانيـــة مثـــل هـــذا الســـكر

كمـــا أننـــي أديـــب متحـــدث وفنـــان شـــاعر

لـــن يكـــون هنـــاك أديـــب وشـــاعر آخـــر مثلـــي

إننـــي فـــي إنشـــاد الشـــعر قـــوي جـــريء كالأســـد

غـــير أننـــي لســـت مفترســـا مثـــل الأســـد القـــوي

إننـــي أجيـــد فـــن المـــدح وفـــن الهجـــاء إجـــادة تامـــة

إلا أننـــي لا أشـــعر بالرضـــا والســـرور بمثـــل هـــذه الأمـــور

ليـــس لي إلا العشـــق ســـواء كـــان ذلـــك عيبـــي أو مدحـــي

لذلـك فقـد قمـت بقطـع العلاقـات الأخـرى عـن الآخريـن

إننـــي عاشـــق، شـــغلي الشـــاغل مـــع آلام العشـــق

لست من بني خليل[1] ولا من الداودزية[2] ولا من مهمنـد[3]

---

(١) بني خليل: قبيلة أفغانية تنسب إلى خليل، وخليل اسم أحد أجداد الشاعر عبد الرحمـن بـن عبد الستار، وذريته تشتهر باسم خليل، وباسم خليل زى، ومعناه بنى خليل، وبنـو خليـل هم الفرع الخامس فى سلسلة القبائل السربنية، والشيخ سربن هو الجد الأعلى لهذه القبـائل الأفغانية. وفيما يلى بيان إيضاحى تاريخى لذلك: خليل بن غوريا (إبراهيـم) بـن كنـد بـن خرشبون (خير الدين) بن سربن رحمه الله. وسربن كان من رجال الأفغان الصالحين، ومن شعرائهم. ومنازلهم واقعة فى شمال غرب بشاور.

مـــن يقـــدم إلى النصـــائح فـــى بـــاب العشـــق
فهـــو كـــالابن الـــذى يقـــوم بتقديـــم النصـــائح لأبيـــه
كـــل مـــن يمســـك المـــرآة بيـــده يضحـــك
كأنـــه بضحكـــه هـــذا يســـخر مـــن نفســـه
علـــى الصبـــاغين أن يصبغـــوا لحـــاهم أولا
فليقومـــوا حينئـــذ بتقديـــم نصحهـــم إلى عبـد الرحمـــن

" ٨٢٢ "

تكملة .....

(٢) الداودزية: داود أحد جدود الشاعر ،وذريته تشتهر باسم داودزى (بنى داود) وهم الفرع السادس فى القبائل السربنية، والشيخ سربن هو الجد الأكبر لهذه القبائل على الترتيب الآتى: داود بن دولت يار بن غوريا (إبراهيم) بن كند بن خرشبون (خير الدين) بن سربن الذى كان من الشعراء والزعماء الصالحين رحمة الله عليهم . ومنازل الداوزية واقعة فى سهول شمال پشاور بين فروع نهر كابل المتعددة.

(٣) مهمند (مومند):وهو فى الأصل اسم لأحد أجداد الشاعر، وذريته تشتهر باسم مهمند (مومند) أيضا، فهو اسم للقبيلة وجدها الأعلى، وقبيلة مهمند (مومند) هى الفرع السادس فى القبائل السربنية، وإيضاح ذلك كالآتى: مهمند (مومند) بن دولت يار بن غوريا (إبراهيم) بن كند بن خرشبون (خير الدين) بن سربن رحمة الله عليهم، ومنازل المهمندية (المومندية) هى السهول والجبال الواقعة بين كونر وپشاور شمالا، وكذلك فى إقليم ننگرهار، وكانت شوكة فى جنب الإنجليز مدة احتلالهم للهند.



' ٦٨- الأغراب والعيون المنهمرة '

عندما شاهدت حبيبى وهو يدخل منطقة الأغـراب

بـدأت عينى من الغيرة الشديدة تقطران سيل الدماء

ذلـك التـنزه فـى الحدائـق مـن حـق البلابـل

ما سير الله الغربان السوداء داخل حديقة شقائق النعمان

إننـى أتحمـل آلام الهجـران والفـراق فـى الوصـل

كالشخص الذى يسـير فـى السوق وهـو خالى اليديـن

لا يهدأ فـؤادى ولا يستريح مـن غير معشوقه الجميـل

مهما قمت بإدخاله وإشغاله برسم النقش وخيال الحسان

فـى أمل العثور على الضفائر وقعت أسيرا فـى الفـخ

لأننى كنت روهيليا[1] صافى القلب داخل بلاد الهند

---

(١) روهيل: نسبة إلى " روه " وهو يعنى موطن الناطقين بالأفغانية، وهـذا الموطن عبارة عن الإقليم الجبلى الذى يمتد من " قاشقر " و " باجور " حتى بلوجستان وبحر العرب شمالا وجنوبا، ومن البنجاب حتى كابل وقندهار وهرات شرقا وغربا. هـذا الإقليم يشتهر فـى التاريخ باسم " روه " ومعناه موطن الناطقين بالأفغانية. وكان أهل الهند يطلقون على الأفغان اسم " روهيل " نسبة إلى موطنهم " روه " وإقليم " روهيلكند " الهندى منسوب إلى الأفغان الذين استوطنوه، وحكموه حتى بعد الاستعمار الإنجليزى للهند. وحكام

تابع

ليـــس لى أن أغــير فــى التســـول للزيــارة واللقـــاء

فقـد أصبحـت شـحاذا متسـولا داخـــل بـلاد المحبـوب

ليـــس فيـــه وجـــود لأوراق أزاهــــير الوفـــــاء

ليتنى لم أكن موجـودا داخـل روضـة أزهـار هـذا الدهـر

إن كـــان فـــى الإمكـــان رؤيـــة الفـــراق قبـــل العشـــق

مـا دخـل عبـد مـن عبـاد الله فـى عمـــل العشـــق أبـــدا

فقد أنقذنى أنا عبد الرحمن من هم التفكير فـى الفـردوس

عندمــــا دخلـــت قريــــة حبيبــــى ووصلـــت حارتـــه

" ٨٣١ "

تكملة .....

" روهيلكند " الأفغان كانوا من أهل العلم والأدب من أمثال محبت خان روهيلى صـاحب قاموس الأفغانية " رياض المحبت " وأحيه الله يارخـان روهيلى صـاحب قـاموس عجـائب اللغات بالأفغانية، وغيرهما.


قافلة الزمان
في أصل الحيوان

' ٦٩- العظمة الإلهية '

أطلب متوسلا بعظمة ذلك الرب الجليل المنزه

بألا يتوقف إنجاز عمل إنسان على إنسان

عندما يتوقف غرض إنسان على إنسان

فتصبح أيامه بذلك عديمة الرونق والاحترام

الاحتياج محنة عظيمة وابتلاء فى الدنيا

تجعل من الأب ابنا، ومن الابن أبا

إذا كان المرشد يطمع فى تحقيق غرض من مريده

فإنه لا يكون له أى وقار أو اعتبار عند المريد

الزمن عديم الشكل بلا وجه ولا حياء

بحيث جعل الكفار يغلبون على الإسلام

فى لحظات يجعل الملك فقيرا، والفقير ملكا[1]

لذلك يوصف هذا الفلك بأنه غير مستقيم السير

فالذى وضع التاج فوق رأسه فى عمره كله

يضع فوق رأسه حزمة من العلف والشوك

---

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى **﴿قل اللهم ملك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾** سورة آل عمران ٢٦.

والذين لم يكونوا قادرين على درهم ولا دينار
يتخذ من رؤوسهم مخزنا للكنوز والذخائر
إن الزمن قد شوى قلب عبد الرحمن
ليس لدى أحد من الناس علم بأحواله

"٨٤٠"

' ٧٠- الدموع الغزيرة '

إن قدرا هائلا من الدموع يسيل على وجهى بغزارة
غرق فيها صدرى، وكذلك أطرافى وجوانبى
إن حبيبى ذلك يجلس فوق قمة قلبى وفؤادى
كأن إنسانا قد وضع وردة فوق تاج العمامة
من يقول: إن الثعبان متى يصعد إلى السرير
فإننى قد لدغنى ثعبان الضفائر فوق السرير
إن الله تعالى قد جعل عيون الحبيب العليلة قاتلة
وإلا، فإن العليل متى يستطيع القيام بالقتل!
إننى راض لو رفعنى الحبيب إلى المشنقة بكلتا يديه
لأن هندام الحبيب وقامة المشنقة كقامة السرو
كفى بأننى مقطوع الأوصال مجروحا بسبب الحبيب
ما جعل الله الحبيب مقطوع الأوصال مجروحا مثلى
هذا القدر الكبير من الجور الذى يظلمنى الحبيب فيه
لا اذكر إن الأغيار قد قاموا بمثل هذا الظلم

إن الحسان يخطفن القلوب بالسحر والشعوذة
تحدث عن المحبوب المرغوب الذى يخطف القلوب دون السحر والشعوذة
المحبوب الذى لا يبالى بطاعة القلوب والانقياد لها
ما الفائدة إن اختطف القلب من الإنسان؟
يتساقط مطر الدموع الغزيرة على صدره دائما
ومع ذلك فإنه لا يزول ولا يختفى غبار قلب عبد الرحمن المستديم

" ٨٥٠ "

' ٧١- القلب المربوط بإحكام '

لقد قيدت قلبك " بالدنيا "[١] وربطته بها بإحكام
فهل هذا العالم يا ترى؟[٢] ملك لأبيك أو جدك؟
انظر وابحث عن أبيك وجدك، أين يوجد مقرهما
هكذا رحيلك وذهابك أنت بعد رحيلهما
إن السلف جسر للخلف يعبر به دائما
لم يستقر أحد أبدا فوق الجسر ساكنا
لست أنا الوحيد الذى يكلمك فى هذا الشأن
إن مئات الآلاف مثلك قد جاءوا وذهبوا

---

(١) بالدنيا: أضفت هذه الكلمة لتوضيح المعنى، والسياق يدل عليها.
(٢) يا ترى؟ عبارة أضفتها، وهى تبدو واضحة من السياق الشعرى.

ليس فى إمكانك أن تجعل بالادعاء الباطل ملك لك
بلاد الغير، وأملاك الأجنبى، وديار الآخرين
من يعيش ويسكن فى بلاد أجنبية غريبة
لا يملك لنفسه اختيار الحرية فى أى شئ من الأشياء
ولو أقسم بالله لإثبات أى أمر من الأمور
فإن أحدا من الناس لا يعمل اعتبارا بالقسم للغرباء
الزهر الذى يتفتح فى الصباح باسما يتساقط فى المساء ناثرا
فما الأمنية التى تتحقق فى الاعتماد على أزهار الروضة؟
سواء كان أخاك، أو قريبا لك، أو صاحبا لك فى الدنيا
لا تعتبره أخا لك، ولا قريبا ولا صاحبا
لأن كل ما نشأ ووجد فى العالم فقد صار فانيا
إن هذا هو العالم يا عبد الرحمن وهذا هو عمله دائما

" ٨٦٠ "

' ٧٢- جور الأغراب '

إن أنت لم تقبل و لم تتحمل جور الأغراب
فإنك لن ترى بعينيك وجه الحبيب
إن الشوكة هى التى تنبت أولا فى جانب الوردة
عندئذ يتفتح البرعم فى روضة الأزهار
لن يدخل الجنة أحد أبدا بالرياضة الروحية
إلا أنه يجب على كل عبد أن يقوم بأداء عمله الروحى

إن كان العثور على الخلق الطيب ممكنا بجوار الرائحة الطيبة

لم تكن الأفعى التى تلف بالصندل قاتلة

إن رواء شقائق النعمان أكثر لمعانا من العقيق

ولكن هذا قدر[1] إلهى بحيث يعز إنسانا ويذل آخر

إن شعر عبد الرحمن يتلألأ فى الديوان حسنا ورونقا

كما تتلألأ ضفائر الحسان فوق الوجه الجميل حسنا وجمالا

" ٨٦٦ "

' ٧٣- الاستحلاف بالله '

فليستحلفنى أحد من الناس بالله العظيم

إذا كان فى بيتى درهم أو دينار

إننى لا أملك الدينار والدرهم فى بيتى

إلا أن أهل العالم يقولون بأننى غنى من الأثرياء

ذلك لأننى لا أرحل من مكانى إلى مكان آخر

ولأننى لست حمالا لمنة مخلوق واحسانه

ما شاهدت الملك الأسفل ولا الملك الأعلى

وليس عندى خبر عن اليمين ولا عن اليسار

---

(١) قدر: ترجمة كلمة " بخت " التى تأتى بمعنى القدر والطالع والحظ والنصيب، ومعنى هذه الشطرة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ سورة آل عمران ٢٦.

الطعام من الماء والأكل يصلني كالرحى في مكـانى
فـى مـنزلى يتـم سـكونى، وكذلـك حركتـى
إننـى قـائم ثـابت فـى مكـانى كالشـجرة
سـواء أقـدم علّـى الخريـف أم الربيـع
إن التوكـل قـد لـون يـدى ورجلـى بلـون الحنـاء
فقـد أقعدنـى ذلـك ثابتـا فـى مكـانى
ربـاه! مـا كتبتـه وقدرتـه لأجلـى يصلنـى
راحـة كـانت أم مشـقة علـى التـوالى
الـذى خلـق ثمانيـة عشـر ألفـا مـن الأقـوام
فـإن ذلـك الـرب العظيـم هـو مربـى
كـل أمـر مـن الأمـور متوقـف بـإرادة الله
وليـس بمتوقـف أبـدا بـإرادة شـخص آخـر
لـن يفكـر " أحـد "[1] أبـدا فـى هـم الدنيـا
لـو كـان هنـاك شـيئا يتـم باختيـار عبد الرحمن

" ٨٧٧ "

---

(١) أحد: من إضافتي والسياق يقتضيها.

٧٤- الصديق والأغيار

هـذا صديـق عزيـز وهـؤلاء أغيـار

هـذا ورد جميـل وهـذه شـوكة

هـذا ورد متفتـح وهـذه شـوكة

هـذا منصـور[1] وهـذه مشـنقة

هذا رقيـب متنـافس وهـذا حبيـب

هـذا كـنز ثمـين وهـذا ثعبـان

هـذا عشـق مفـرط وهـذا عقـل

هـذا غـم وهـم وهـذا حزيـن

هذا فراق وهجـران وهـذا وصـال

هـذا خريـف وهـذا ربيـع

هذه طاعة وعبادة وهـذه معصية

هـذا نـور وضيـاء وهـذه نـار

---

(١) منصور: هو الحسين بن منصور أبو الغيث البيضاوى (٣٠٩هـ / ٩٢٢م) ولد فى الطور بالقرب من البيضاء ببلاد خراسان، فيلسوف صوفى، قضى سنوات فى خلوات الصوفية ولا سيما مع التسترى وجنيد، سجن وعذب وصلب فى بغداد لاتهامه بالزندقة.

هذا عالم عارف وهذا جاهل

هذا نائم غافل وهذا يقظ صاح

هذا عبد الرحمن وهذا محبوب

هذا طبيب ماهر وهذا مريض

" ٨٨٥ "

' ٧٥- التذلل لأجل المحبوب '

كل عاشق لا يكون ضعيفا متذللا

في طلب معشوقه المحبوب

فلتكن عمامة هذا النوع من العشاق

صدقة وفداء للعباءة التي تستتر بها النساء[١]

فألف أسف وألف خسارة

ما الألف، بل مائة ألف خسارة

في أن العاشق في عشقه وحبه

لا يكون حلالا بالذبح، ولا ميتا كالجيفة

لا يكون فراشة لمصباحه

ولا بلبلا في روضة الورد

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على للضرورة المعنوية.

لا كـــالمجنون[1] مفتضحـــا فـــى عشـــقه

ولا كـــالمنصور[2] مشـــنوقا بالمشـــنقة

لا يمكـن الجمـع بـين الاثنـين يـا عبـد الرحمـن

إما أن تكون عشيقا وإما أن تكون غير راغب فيـه

" ٨٩٢ "

' ٧٦- الوجه المنور '

مـــا أجمـــل هـــذا الوجـــه المنـــور

حيـــث إنـــه شمـــس وقمـــرا!

مـــا أجمـــل هـــذه الضفـــائر المسـكية

حيـــث إنهـــا مســـك وعنـــبر!

مـــا هـــذه الحواجـــب المتصلـــة

حيـــث إنهـــا مبضـــع ومشـــرط!

مـــا هـــذه العيـــون القاتلـــة

التـــى هـــى ســـيف وخنجـــر!

---

(١)المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى الذى يضرب به المثل فـى العشـق والمحبـة. وهـو شـاعر غزل من أهل نجد. وهو قيس بن الملوح العامرى، توفـى حـوالى ٦٨٨م. ويعـرف بمجنـون ليلى نسبة إلى ليلى العامرية التى كان يعشقها، ويكثر من ذكرها فى شـعره، رفـض أهلهـا أن يزوجوها به، فهام على وجهه ينشد الأشعار حتى مات. جمع شعره فى ديوان.

(٢) منصور: جاء التعريف به فى ص ٢٣٩ هـ١.

ما هذه الشفائف الخمرية اللون

حيث إنها خمر وسكر!

ما هذه الأسنان البيضاء الناصعة

التي هي درر وجوهر!

ما أعجب تفاحة الذقن هذه

حيث إنها فضة وثمر!

ما أعظم هذا القد والقامة

حيث إنهما وردة وعرعر!

ما أجمل هذا الخصر الرقيق الوضع

الذى هو شعر وخصر!

ما أعجب قلب المعشوق

حيث إنه شمع وحجر!

لست أدرى.. ما أروع هذا الحبيب

الذى هو قلب وحبيب!

إلهى! ما أجمل هذا الصنم (المعشوق)

حيث إنه صنم وبشر!

ما أروع شعر عبد الرحمن

حيث إنه كنز وفن!

"٩٠٥"

٧٧- الروضة الناضرة

لن يدوم تفتح روضة أزهار العمر وبهجتها
ولن تدوم سوق العمر رائحة دائما
يجرى كنهر أباسيند[1] قافزا متموجا
وهكذا رحيل العمر يتم سريعا سريعا
كالبرق يكشف عن وجهه سريعا ثم لا يكون
هكذا سرعة سير العمر العديم السكون
إن ما لديه من التمرد يبلغ إلى درجة
لا يستطيع أحد أبدا أن يمسك زمام العمر
ليس لجواده الأصفر حبل ولا لجام
سيسقط فارس العمر فى النهاية ذاتيا
يقطع فى ساعة مودة عمرها مائة سنة
إن صديق العمر عديم الوفاء بهذا الشكل
من يحسب عمره ويحصيه فى قرارة قلبه
فإنه سينظر إلى صورته بعينى الحباب[2]

(١) أباسيند: اسم نهر من أشهر الأنهار، يشتهر بأسماء أباسين، وأندوس، والسند أيضا، ويتردد اسمه كثيرا فى الأدب الأفغانى قديما وحديثا.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

لا أرحل من منزلى إلى مكان ما ولا أسافر

بلا سفر ولا رحيل يتم قطع طريق عمرى

سيتم قطعك فى النهاية بمقراض الأجل

لن يدوم خيط العمر متصلا بلا انقطاع دائما

ليس له فرصة أخرى فى هذه الدنيا يا عبد الرحمن

كل من فاتت فرصته فى العمر

"٩١٥"

٧٨- السعى فى البحث عن المعشوق

لقد تنازلت وتجاوزت مضحيا بحياتى[١]

فى سبيل البحث عن معشوقى

لن أغادر ولن أترك هذا الباب

ما دمت حيا أعيش فى هذا العالم[٢]

أدور سائرا فى البحث عن الحبيب

مجفف الشفتين مبلل العينين

إحدى خطواتى فى البحر

وخطوتى الأخرى فى البر

---

(١) بحياتى:الحياة ترجمة لكلمة الرأس التى استعملها الشاعر بدلا من الحياة

(٢) قدمت الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

مسكت كلتا يدى رافعتين

فى أول الليل وكذلك فى السحر

ناجيا فى ذلك ربى

متمنيا أن أرى وجهه الكريم

شاكيا من حظى دائما

مشتكيا عاتبا غير راض

حيث إنه لا يتمنى لى

نظرة واحدة من الأحباب

كذلك لم يقم بتعليمى

فنا آخر غير العشق

إن الله قد كشف عشقى

فى العالم كالشمس

إن توجيه النصيحة إلىّ

لا تؤثر فى نفسى بمقدار شعرة

اسمع أيها الناصح واصغ إلىّ

أقول لك باختصار شديد

أقسم بالله مولاى العظيم

كذلك أقسم بروح الرسول ﷺ

لا عودة لى عنه ولا رجوع أبدا

حيث علم العالم أخبار عشقى

ســأبذل فــداء للعاشــق الولهــان
كـل مـا أملـك مـن الفضـة والذهـب
نعم، كل مـا لـدى من النقـرة والذهـب
ومــن الــدرر والجواهـــر
أنا عبـد الرحمـن أتنـازل عـن كـل شئ
ولــن أتنــازل عــن محبـوب القلـب

" ٩٣٢ "

' ٧٩- الشمس والقمر '

لقد أشرق القمر من الأعلى والشمس من الأسفل
إن وجه المعشوق هو الذى يشرق فى الأعلى والأسفل
إن الشمس والقمر يتقلبان فوق سريرى
حتى يضع حبيبى رأسه على الوسادة
يمتلئ أذنه من الذهب والفضة والدر والجوهر
عندما يجعل أذنى بدرر الدموع درا
عندما أراك تسيل الدموع الغزيرة على وجهى
كما يسيل الشمع الذى يواجه الشمس
ليس للعيون الناطقة المعبرة ذكر آخر
غير هذا الذكر الذى هو "الله أكبر"
إن النار والماء ضدان، باستثناء شفائف الحبيب
حيث إنها نار وماء من مياه حوض الكوثر

لا توجـــد فـــى الخمـــر طعـــم حـــلاوة الســـكر
أمـا شـفائف الحبيب فإنهـا مزيـج مـــن الخمـــر والســـكر
وإن كـان يضحـك مائـة مـرة سـرا مـن تحــت الشــفائف
فــإن رواء العقيـــق والجواهـــــر لا يمكــــن أن تتســـتر
إن الله هـو الـذى قـد أعطـانى ذلـك، وإلا فإنـه لا يوجـد
مثـــل هـــذا الصنـــم (المعشـــوق) فـــى معبـــد أصنـــام آزر
ســـوف أدعـــوه بعـــد هـــذا ملكـــا مـــن الملائكـــة
وذلـــك لأنـــه لا يوجـــد مثلـــه فـــى بنـــى البشـــر
إن كان عبد الرحمـن يدعـى صـاحب نظـر، فإنـه يليـق بـه
حيث إنه على الدوام صاحب نظر إلى وجه الحبيب الأنـور

" ٩٤٣ "

' ٨٠- الموت والرحيل '

هكـــذا يســـير الأصدقـــاء إلى القـــبر ســـريعا ســـريعا
كمـــا تســـير القافلـــة إلى منزلهـــا ســـريعا ســـريعا
هكـــذا يندفـــع المـــوت ويهاجمنـــا ســـريعا ســـريعا
كمـا يحصـد المزارعـون المحصـول النـاضج سـريعا سـريعا
إن هـــذه الدنيـــا تتقلـــب بـــين النـــاس ســـريعا ســـريعا
كما تتقلب الرمال السائرة بين بعضها بعضا سريعا سـريعا
هكـذا صـــور وأشـــكال تتهـدم وتنهـــار ســـريعا ســـريعا
كما تتساقط أزهار روضة شـقائق النعمـان سـريعا سـريعا

هكذا يمر هذا العمر الحلو العذب سريعا سريعا

كما يجرى البحر السائر ويسيل سريعا سريعا

لا تذبل أزهار الحدائق هكذا سريعا سريعا

كما يرحل عبد الرحمن عن العالم سريعا سريعا

"٩٤٩"

' ٨١- القدرة والجرأة '

لا تجلس جريئا بجوار أولئك الذين

لا تتعادل معهم فى القوة[١]

إن القوى نار وماء، افهم ذلك لألا

تغرق فى الماء، أو تحرق البشر بنار

وإن كانت الحياة لا تستمر من غير الماء والنار

إلا أن أحدا ما وضعهما فوق صدره على الدوام

لم يسير اللّه السيل إلى منزل إنسان

وإن كان السيل قطعا من ماء الكوثر

ما اشتعلت النار فى بيت أحد أبدا

وإن كان ضياؤها من ضياء الشمس والقمر

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

مـــا أكــل ثمــر تلـــك الشـــجرة التـــى

كــل جســمها يكــون مغربـــلا بالأشـــواك[1]

مـــا جلـــس إنســـان فـــى ظـــل جـــدار

يقـــف كصخـــرة معلقـــة مشـــقوقة الأجـــزاء

أضـــاع الله وجـــع الشـــفرة التـــى تدخـــل بطنـــك

وإن كـــانت ســكينا أو خنجـــرا مـــن الذهـــب الأحمـــر

لا يجـــب إلقـــاء النفـــس العزيـــزة إلى البحـــر

وإلا فـــإن الـــدرر والجواهـــر كثـــيرة فـــى البحـــر

إن المنـــافع الممنوعـــة كثـــيرة فـــى العـــالم

والمنفعـــة الحقيقيـــة منفعـــة الخـــير لا منفعـــة الشـــر

الـــثراء الـــذى لا يكمـــن فيـــه الاحـــترام والعـــزة

ما أعطى الله أحدا مثل ذلك الثراء مـن الفضـة والذهـب

إذا كـــان القـــوى يقـــوم بإيصـــال فيضـــه إلى أحـــد

فـــاعتقد أن مـــع فيضـــه هـــذا إيـــذاء وضـــرر

لا تخدعـــن بصداقـــة الأقويـــاء ومودتهـــم

إلا فـــى حالـــة إذا كنـــت أنـــت أقـــوى مـــن الأقويـــاء

فـــإذا كـــان القـــوى مغلوبـــا وأنـــت غـــالب

عندئـــذ ضـــع فـــوق رأســـه الأقـــدام

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

أو فى حالة إذا كنت لا تضع قدمك على بابه

ففى هذه الحالة اعتبر نفسك سيدا له

من يعتبر صداقة الأقوياء فنا

فأنا عبد الرحمن احتقر هذا الفن

" ٩٦٥ "

' ٨٢- عديم البصر والبصيرة '

إنه فى نظر عديم البصر والبصيرة

أول الليل ووقت السحر كشىء واحد

نعم[١]، أول الليل ووقت السحر كشىء واحد

كذلك الحجر والجوهر كشىء واحد

نعم، الحجر والجوهر كشىء واحد

كذلك التراب والذهب كشىء واحد

نعم، التراب والذهب كشىء واحد

كذلك الخير والشر كشىء واحد

إنه فى نظر عديم النظر هذا يبدو

إن كل ذلك متساو كشىء واحد

---

(١) نعم: هذه الكلمة المكررة ثلاث مرات من إضافة المترجم، والسياق يتطلب تقديرها.

من يحسن إليه ويعامله بالحسنى

فإحسانه أسوأ من العمل السيئ

ومن يسيئ إليه، ويعامله بالسوء

فإن ذلك أحسن من الطيب الأجمل

إنه لا يتألم بالقول السيئ

ولا يعلو شأنه بالطيب الأحسن

وفي كل من الثواب والخطأ

لا يكون له دليل ولا نظر

لا يكون مطلعا عالما بخيره

ولا يكون عالما كذلك بضرره

لا يدرك العيب ولا يعلم به

ولا يعلم الفضل ولا يدركه

ينظر كالأعمى والأبكم ولا يرى

ولا يكون لديه علم ولا خير

الطاعة والعبادة، المعصية والذنب

ماذا يعلم عن كل ذلك الحيوان الأبهم؟

الحيوانات العجماء لا تفهم شيئا آخر

غير التقلب في التراب أو الرعي في المروج

هـــذه أنـــت يـــا نفســـى " الأمـــارة[1] "

التـــى جعلتنـــى أعمـــى وأصـــم

فقـــد خرجـــت كاملـــة عـــن مجـــال العقـــل

تبحثـــين عـــن الدنيـــا ومتاعهـــا تائهـــة

إنـــه لا يقـــوم بـــأداء مـــا فرضـــه الله عليـــه

ولا يـــؤدى كذلـــك ســـنة الرســـول ﷺ

لا يذكـــر المـــوت والهـــلاك فـــى قلبـــه

ولا يفكـــر فـــى يـــوم البعـــث والحشـــر

ســـقطت علـــى الأرض نائمـــا ولا تعلـــم:

" بـــأن علـــىّ ســـفرا ورحيـــلا عـــن الدنيـــا "

فـــى كـــل لحظـــة يفـــارقك " أنـــاس "[2]

هـــؤلاء النـــاس راحلـــون منـــك إن كنـــت تفهـــم

أيـــن شـــعرك الأســـود ذلـــك

الـــذى كـــان مســـكا، كمـــا كـــان عنـــبرا؟

قـــامتك الطويلـــة أصبحـــت كالصفصـــاف المجنـــون[3]

والتـــى كـــانت صفصافـــا وصنوبـــرا

---

(١) الأمارة: هذه اللفظة من إضافتى لإيضاح المعنى المطلوب.

(٢) أناس: هذه الكلمة من إضافتى بغرض توضيح معنى البيت

(٣) الصفصاف المجنون: نوع من الصفصاف، أغصانه تميل إلى الأرض وكأنها معلقة.

أصبح جسمك كله خرابا مختلا مضطربا

و لم يتحرك (لم يستقم) قلبك فى الأعلى والأسفل

تجاوز عمرك عن الخمسين، بل الستين

ومع هذا تطلق على نفسك طفلا صغيرا

لا خوف ولا رعب لديك ولا وجل

ولا تأثير على قلبك لكل ذلك

لن يكون هناك إنسان آخر مثلك أنت

جريئا جسورا شجاعا بلا خجل

لقد أمضيت عمرك فى غفلة

ما صرت على الطريق سائرا ولا مرشدا

أصبحت عبادتك رياء وتظاهرا

كما أخفيت الآلاف من كميات الذهب

فالقلب الذى لا إخلاص فيه للحب

مثله مثل الحجر الذى تم إخفاؤه فى الذهب

وكالبذرة التى توجد فى الفاكهة

فإنها من الداخل حجر، ومن الخارج ثمر

مثله مثلما يختفى فى حبة واحدة من البذر

مائة شوكة من أشواك الشجر

مثله كالسحر والشعوذة التى يقوم بها

الساحر المحتال والمشعوذ المكار

وكالهيكل أو الصورة التي لا روح فيها
والتي قام بتصويرها مصور بارع
وكالقرعة التي لا تحتوى على لب
والتي داخلها فارغ وجسمها سمين
وكالكم الذى لا يحتوى على اليد
أوله كآخره، وآخره كأوله
كما يكون طائر "دكر"[1] بين الطيور
مزيفا غير مستقيم ومكارا خائنا[2]
وكالعروس التي لا تتمتع بالملوحة والجمال
والتي تضع فوق رأسها شالا
من الذى يعلم ما تحت الشال
هل توجد تحته الابنة أم أمها؟
لا تتمتع بالحسن ولا بالجمال
وتخدع الناس بالحلى والزينة
وا أسفاه، من مثل هؤلاء المخادعين
الذين هم كالصخر المشقوق المعلق

---

(١) دكر: اسم نوع من الطيور يشتهر بالخيانة والغدر، يضرب به المثل في التزييف.
(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

الـذى نصفـه داخـل الأرض
والنصـف الآخـر فـى العلـو كـالجبل
يكـون المسـواك مغـروزا فـى عمامتـه
ويكـون الخنجـر تحـت إبطـه
إنـه كـالحجرة المسـتورة فـى الرمـاد
مختفيـة فـى عمـق العشـب
فـى الليـل يشـرب دم المظلـوم
وفـى النهـار يجلـس للوعـظ فـوق المنـبر
قلبـه يكـون أسـود كـالمقلاة
ووجهـه يكـون أبيـض كـالقمر
يلـف ويـدور للحصـول علـى المـال
ويطلـق علـى نفسـه اسـم الدرويـش
تـتردد كلمـة التوحيـد علـى لسـانه
وقلبـه غـير مؤكـد مـن التصديـق علـى ذلـك
فهـو كالمنـافقين فـى ذلـك
لا يكـون مسـلما، ولا يكـون كـافرا
نعـم، لا يكـون مسـلما، ولا يكـون كـافرا
لا يكـون راضيـا ولا يكـون غـير راض
يسـير مضطربـا تائهـا دون علـم أو إدراك
مـن حـارة إلى حـارة، ومـن بـاب إلى بـاب

يـــــتردد دائمــــــا جيئــــــة وذهابـــــا
علـــى أحيـــاء أصحـــاب الـــثراء ومعابرهـــا
فـــى حـــارة أصحـــاب الـــثراء والمـــال
يتنـــاول الغـــائط ويأكلـــه كالحمـــار
كذلـــك كـــان أورنـــك زيـــب فقـــيرا
والـــذى كـــان فـــوق رأســـه قبعـــة حقـــيرة
فجعـــــل ظهـــــره إلى القبعـــــة
عندمـــا تمكـــن مـــن أصحـــاب النفـــوذ
كـــان خلـــق فقـــره ودروشـــته إلى الوقـــت
الـــذى لم يكـــن فـــى يـــده شـــئ
فحينمـــا ســـاعده الفلـــك فـــى تهيـــؤ الفـــرص
حينئـــذ قـــام بتســـخير الملـــك
فـــانظر! مـــاذا فعـــل ومـــاذا ارتكـــب
فـــى حـــق أهـــل وعيـــال والـــده؟
قتلهـــم علـــى التـــوالى واحـــدا بعـــد الآخـــر
"أعنـــى"[1] أفـــراد أســـرة "خـــورم"[2] بكاملهـــا

---

(١) أعنى: هذه الكلمة من إضافة المترجم، والمقام يتطلبها.

(٢) خورم: خرم وهو الاسم الحقيقى للإمبراطور المغولى شاه جهان والـد أورنـك زيـب. وقـد لقب خرم نفسه بشاه جهان بعد توليه حكم الإمبراطورية المغولية فى الهند.

لم يقتل أفراد أسرة خورم فحسب
بل قام بقتل عدد هائل من الناس
قام بابتلاع العالم كله وملأ بطنه
" أعني[1] " كل ما جاء تحت قبضة يده
بكثير من الحيل والخدعة والمكر
استولى على " بيجابور "[2] و " بهانكر "[3]
ليس " بيجابور " و " بهانكر " فحسب
بل استولى كذلك على " جنجى "[4] و " جنجاور "[5]
قام بعمليات الهجوم والطرد فى الهند
وكذلك هاجم كابل، ويشاور

---

(١) أعنى: كلمة أضفتها للتوضيح والربط بين الشطرين.

(٢)بيجابور: مدينة من المدن التاريخية فى جنوب الهند، وكانت عاصمة لدولة مستقلة باسمها عاشت من القرن ١٥ - ١٧ الميلادى استولى عليها أورنك زيب أيام عادل شاه الثانى أحد أشهر ملوك الأفغان فى الهند.وفيها توفى أشرف خان ختك شاعر الأفغانية الكبير منفيا.

(٣) بهانكر: أو " باك نكر " اسم " حيدر آباد " القديم، ومدينة " بهانكر " أو " باك نكر " أو " حيدر آباد " من المدن الشهيرة فى الهند، قام ببنائها الملك محمد قلى قطب شاه أحد ملوك الأسر الأفغانية الحاكمة فى الهند.

(٤) جنجى: اسم مدينة من المدن الهندية تدعى " غريز كوت " أيضا، تقع فى مدراس بالهند.

(٥) جنجاور: اسم منطقة بالقرب من بيجابور بجنوب الهند.

ثم تذكر في قلبه وقرارة نفسه

سلطنة الأقاليم السبعة[1] والاستيلاء عليها

من شدة طمعه وحرصه أصبح كالمعدوم كل

من الملك دارا والإسكندر المقدوني

كان يظن في خاطره ويتخيل:

" أن أجعل البر والبحر ملكا لي "

الخلاصة: انقلب يومه وانصرف

وواجهه وقت العصر مواجهة

لم يتحقق مراد قلبه مما أراده وتخيله

و لم يتمكن من أن يبرد الحرارة في صدره

كل ما كان يملكه قد خلفه من ورائه

ملكا كان ذلك، أو جندا من العسكر

خرج من هذه الدنيا خالي اليدين

مثل المتسول المستجدي من المنازل

لم يحمل معه شيئا من متاع الدنيا

إلا رداء واحدا من الكفن

---

(١) الأقاليم السبعة: كناية عن العالم كله. جاء في الكتب الدينية الهندية أن الأرض تنقسم إلى سبعة أقاليم، كما تحدث عن ذلك كل من أبي ريحان البيروني وياقوت الحموي من علماء المسلمين.

سقط على الأرض ضعيفا حيران

من غير الوسادة والفراش

لم يتم فرش حصيرة تحته

كما لم يفرش تحته بساط من الشعر

أصبح ضعيفا خفيفا كريش الطير

بينما كان فى الماضى ثقيلا كالجبل

دفعه السيل فاندفع أمامه

كالقش اليابس أو كريش الطير

بقيت حقوق الناس معلقة فى رقبته

.. حق الجندى، وحق الخادم والأجير

أنا الذى يقرأ الدعاء على روحه

آملا أن يجعله الله ذا حظ سعيد

وجعل الله تعالى من نصيبه

ماء حوض الكوثر العذب

وبعطور الجنة الطيبة جعل

الله دماغه معطرا مفرحا

كان له حق على أهل الهند كلها

كانت الهند ظلمة فكان هو شمسها وضياؤها

فى ضوء هذه الشمس المشرقة وضيائها

كانت الهند كلها مشرقة منورة

كان الناس يقضون حياتهم فى ضوئها

و لم يكن هناك خوف ولا خطر

إلا أنه عندما اتجه بوجهه نحو الغروب

فظهرت الضجة والفتنة والفساد

السجل الذى كان باسم أورنك زيب

أكل الثور ذلك السجل

وقد جاء الآن دور شاه عالم

وأصبح الدوران فى طور آخر

الله وحده يعلم ماذا سيحدث

عندما يحل يوم عاشوراء والعيد؟

تقوم السماء بألعاب منوعة

إن هذه السماء تقوم بتمثيل دور اللاعب

تصبح مرة كالسم حينا

وتصبح حينا حلوة كالسكر

والذى حدث، قد حدث

وسيحدث ما كان مقدرا

ذكرت أنا اسم أورنك زيب

إلا أن هذه الأوضاع تخص الجميع

كل شخص فى بيته

ملك مطاع، وسيد كبير

كـــــل مــــــن هـــــو أهـــــل للدنيـــــا
أكـــــثرهم هكـــــذا علـــــى هـــــذا المنـــــوال
هـــذا البيـــان كـــان طويـــلا بعيـــد المـــدى
بيّنـــه عبـــد الرحمـــن باختصـــار وإيجـــاز

" ١٠٥٨ "

' ٨٣- طريق العشق '

إذا كان طريق العشق مفروشا بالأشواك فى كل الأوقات
فـإن العاشـق قـد لبـس حـذاء مـن النـار
إذا كـان قـد يتـم لقـاء وردى الخـد بالانتظـار
فـإن عينـى أربعـة كـالندى[1] مـن طـول الانتظـار
إن السـيف الحديـدى يحتـاج إلى مـاء نقـى ملائـم
لأن القـرب والحلـم أكثر تأثيرا مـن القـوة مائـة مـرة
أتـــوب إلى الله مـــن الكبريـــاء والطغيـــان
مـا جعـل الله أحـدا منكوسـا مثـل نكـوس السـماء
يعلم الله: ماذا سيحدث فى السوق مـن البيـع والشـراء؟
لا ينبغى التحدث فى البيت عن البيع والشراء فى السوق

(١) عينى أربعة: كناية عن شدة الانتظار، العاشق يطيل النظر إلى الطريق الذى يحتمل مجىء المعشوق منه، ومن إطالة النظر وشدة التركيز كأن عينه أصبحت أربعة، فينظر إلى الطريق بعيونه الأربعة. راجع ص ١٧٩ هـ ١ من هذا الكتاب.

هـذه المشـاكل كلهـا قـد صـادفت العاشـق
اتهامـا كـان ذلـك أم الملامـة والطعـن
إن الجفـاء والجـور، الـدلال والتعـالى مـن الحسـان
قـد قبلـت كـل ذلـك كـالدين علـى نفسـى
إن الراحـة لم يحصـل عليهـا أحـد دون الكـد
الغـم والسـعادة أخ وأخـت شـقيقان لهـذا الدهـر
أنـا عبـد الرحمن مقطـوع الأوصـال فـى سبيل الحبيـب
كـالأب والأم المقطـوعين أوصـالا فـى سبـيل الأولاد

" ١٠٦٧ "

' ٨٤- المرقد الواسع '

إن أردت أن يكـون مرقـدك واسـعا بعـد المـوت[١]
فعليـك إن قلـت حقـا أن يكـون بيتـك واسـعا مثلـه
لا ينبغى أن يكون العمل زائدا أو ناقصا من نفس الإنسـان وقدرتـه
قـدر نفسـك بالشـبر لتعـرف كـم طولـك. وكـم عرضـك
مـن صـار ثوبـه أو ملبسـه قصـيرا أو طويـلا
فـإن الانتقـاد والتقريـع يوجـه إلى الفنـان (الخيـاط)
كـل شـخص قـد أخطـأ فـى الحسـاب بزيـادة أو نقصـان
فـإن اللـوم يوجـه إليـه وحـده مـن طـرف وآخـر

---

(١) فى ترجمة هذه الشطرة شئ من التجاوز حيث بدلت أسلوب الغائب بأسلوب الخطاب.

مـــن يســـتحق اللـــوم والعتـــاب، وتوجيـــه الاتهـــام

فـإن ذلـك فـى مكانـه إن تمـت إهانتـه، وتم كشـف رأسـه[1]

مـــن لا يكـــون لـــه احـــترام وعـــزة فـــى حيـــاة الدنيـــا

أحـــرق "الله"[2] بالنـــار مثـــل تلـــك الحيـــاة

إن الشـــخص عديـــم الكرامـــة لـــن يحبـــه أحـــد أبـــدا

إلا أن يكـــون بعـــض مـــن النـــاس عديـــم الكرامـــة مثلـــه

يفضـــل مجلســـه علـــى جميـــع المجـــالس الأخـــرى

فـــى أى مكـــان اجتمـــع مثـــل هـــؤلاء الرفـــاق

كـــل جنـــس يرتـــاح مـــع جنســـه ويفـــرح

يحلـــو كـــل نقـــش يتـــم رسمـــه فـــى إطـــاره المرســـوم

الأعمـــى يكـــون بصـــيرا فـــى منطقتـــه

المبصـــرون فـــى البلـــد الغريـــب يصبحـــون صمـــا وبكمـــا

إن أنـــت لســـت ذميـــم العمـــل ســـئ الســـمعة

ما جلس بجوارك أو ما ورثـك إنسـان ذميـم العمـل ردىء السـمعة

---

(١) كشف الرأس: كناية عن الإهانة وفقا للتقاليد الأفغانية.

(٢) الله: من إضافتى إظهارا لفاعل الفعل.

إن الجسد كله يتألم لتألم ظفر واحد[1]
وتهدم المدينة كلها بتهمة رجل واحد
إن تعلقت سنة واحدة في الفم أو انخلعت
يصبح الفم كله كريه المنظر بالضرورة
إن أصبح شخص واحد في الأسرة ملوما
فإنه يسبب اللوم للجميع خمسة كانوا أو أربعة
ما خرج مولود سيئ الخلق من بطن أمه
حيث إنه سيسيئ إلى اسم الآباء وسمعتهم
كل واحد يطلب سعادة نفسه وسروره من الله
غير أن هذا العمل لا يتم بالقوة والذهب
جعل الله بقدرته أحد الأشخاص كبيرا والآخر صبيا
لا يمكن أن تصبح كل مدينة دهلي أو لاهور
إن الناس يقرضون النقود بعضهم بعضا
لم يقرض أحد أبدا حظه وبخته لشخص آخر
شخص يحمل فوق رأسه تاجا ذهبيا وعلى ظهره خنجرا
وآخر يحمل فوق رأسه حملا وعلى ظهره منجلا

(١) المعنى مأخوذ من قول الرسول ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ".

شــخص يركـــب فـــوق ظهـــر الفـــرس وأمامـــه رايـــة
وآخـــر يـــدور بـــه النـــاس محلـــوق اللحيـــة راكبـــا حمـــارا
لم يكـــن أحـــد يذكـــر اســـم الله يـــا عبـــد الرحمـــن
إن كـــان فـــي الإمكـــان أن يقـــوم الآبـــاء بـــأوامر الله

"١٠٨٨"



قافية الراء

(الأفغانية)

في أصل الديوان



٨٥- العيون الساهدة

إن عيونك النعسانة هذه قد اختطفت النوم منى

وشفائفك العذبة قد انتزعت منى لذة الخمر الصافية

لم يبق عندى دموع، ولا الصبر فى هيكلى

كثرة القلق والجزع قد سلب منى ماء الوجه

إن المطربين ثقبوا قلبى بنغماتهم تثقيبا

وسقاة الخمر قد سرقوا عقلى بخمورهم

إن الساقى والحبيب والمطرب قد اجتمعوا

فاختطفوا قلبى من داخل صدرى بسرعة خاطفة

ماذا حدث إن كان قد أخذ قلبى الثمل، فليكن فداء له

لم يأخذه أحد من الأغراب، بل أخذه منى أحبابى

جعلت خطك[1] حروفا سوداء، وجعلت وجهك أوراق كتاب

فانشغالى بكتابك قد اختلس منى الاهتمام بكتاب آخر

كل ما كان عندى من أسباب الزهد والتقوى

فقد استلبتها كلها منى بأسباب حسنك

---

(١) الخط: هذه الكلمة العربية تأتى فى الآداب الأفغانية بمعنى الكتابة، والرسالة، والخطاب، والحاجب، والشارب، وتستعمل مضافة إلى كلمات كثيرة، ويتغير معناها بتغير المضاف إليه. وهى فى هذا البيت من هذه المقطوعة الشعرية بمعنى الشارب.

كنت قد رسمت أنا عبد الرحمن نقش محراب في قلبي

فقد انتزعت حواجبك واستولت على نقش المحراب

"١٠٩٦"

' ٨٦- الهوى وعشق الحبيب '

هوى الأحباب قد خطف قلبي الثمل خطفا

ومخطوف الهوى لا يدرى: من خطف قلبه؟

كل وسيم جميل ينتزع قلبي على انفراد

من الذى أقول له: أنت انتزعت قلبي ؟

القلب الذى كنت أطلب له مقام الضفائر السوداء

فقد اختلسه منى البكاء الملح بسرعة

كيف يستطيع الإنسان أن يأخذه النوم أمام السيل

فقد قام البكاء الملح باختطاف النوم العذب منى

بضاعة الصبر والسكون التى كانت عندى

لم تمنحنى شيئا، فقد أخذها قمرى الوجوه مجانا

إن العقل الذى كان يفاخر بالاستقلالية فى الرأى

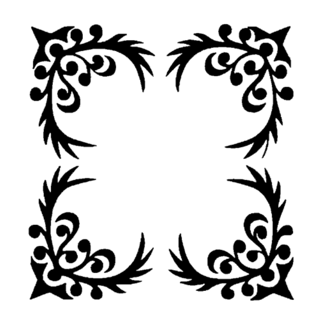
فقد ذهبت به كأس واحدة من زجاجة الخمر

فإن كان قد ذهب به، فليكن قلبي المتعب فداء له

لأنه لم يذهب به الأغراب، بل ذهب به الأحباب

وإن قلـت الحـق فإنــه لم يقــع عليــه الظلــم أبــدا
لأن العشيقة قد ذهبت بقلـب عبد الرحمن عن رضـا

" ١١٠٤ "




في أصل الحيوان

' ٨٧- النظرة البازية '

أنظـــر فـــى وجـــوه الحســـان بإمعـــان وتفـــرس

كمـا ينظـر البـاز (الصقـر) إلى الحمـام بتفـرس[١]

إننـــى لا أتحـــدث بأســـرارى إلى الآخريـــن

غـير الذيـن يمتـازون بشـعور وأهـداب طويلـة

مـن المسـتحيل أن يملـك القلـوب ملـك آخـر

إلا مـن كـان محمـودا[٢] بوجهـه وأيـازا[٣] بوشمـه

بالمقارنـــة بتفاحـــة ذقنـــك تبـــدو لى

ذقـــون بقيـــة الحســـان مثـــل البصـــل

لا تتوقـع عبـير الرائحـة الطيبـة مـن صـورة للأزهـار

بدليـل أن جميـع عشـاق العشـق المجـازى عديمـو الوفـاء

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية

(٢) محمود: هو السلطان محمود الغزنوى أشهر وأعظم فاتح إسلامى فـى الأسـرة الغزنويـة فـى أفغانستان، الشهير بمحطم الأصنام، وله فتوحات شهيرة فى بلاد الهنـد لنشـر الإسـلام فـى ربوعها. اشتهر بتشجيعه العلـوم والفنـون والآداب، كمـا اشـتهر بحبـه لعبـده أيـاز. راجـع ص ٢٢٣ هـ١ وهـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) أياز: عبد السلطان محمـود الغزنـوى، يـتردد ذكـر كـل مـن السـلطان والعبـد فـى الآداب الأفغانية كثيرا، ويضرب بهما المثل فى الحب. راجع ص ٢٢٣ هـ١ وهـ٢من هذا الكتاب.

إذا كـــان الحبيـــب ســـعيدا مبتهجـــا بدلالـــه

فـــإننى أيضـــا ســـعيد بـــدلال الحبيـــب دائمـــا

أرفـــع أكفـــى بالدعـــاء إلى الله دائمـــا

بـــأن يـــدوم دلال الحبيـــب واحتيـــاجى إليـــه دائمـــا

إن ظن أحد أن التأوه والشكوى فـى العشـق عمـل طيـب

فـإننى أعتقـد أن هـــذا العمـــل فـــى العشـــق تغـــامز

إن الســـرور فـــى كـــل مكـــان بمقـــدار الغـــم

كذلـــك فـــإن الغـــم أيضـــا بمقـــدار الســـرور

إن العـــدم يـــأتى دوره عقـــب الوجـــود

بدليـل أن السـفينة إذا كـانت فارغـة لا تغـرق فـى المـاء

مـن القواعـد المسـلم بهـا أن العلـو بمقـدار العمـق

إنـه شـكل واحـد.. يمثـل العمـق حينـا والعلـو حينـا

الـــذى ينظـــر إلى المليـــك والفقـــير نظـــرة مســـاواة

كذلك حبيب عبد الرحمن الذى يعطف على الفقراء بدلال

" ١١١٦ "

' ٨٨- صوت الحجلة '

لـو لم تكـن الحجلـة تغـرد فـى غـير محلهـا

لمـا عـرف الصيـاد مكانهـا ولا الشـاهين

ويبـدو مـن هـذا الكـلام واضحـا

أن صورة كل إنسان وهيكله جاسوس عليه غماز

انظـر إلى حـال منصـور.. مـاذا حـدث لـه؟
مـا فضـح الله السـر الخفـى لأى إنسـان
وا أسفاه! لو كان العقل المؤخر قد ظهر مقدما
إلا أن حديث النهايـات لا يتـم فـى البدايـات
العمـل الصـالح للعلمـاء كـابن صـالح
ما جعل الله أحدا " من الأبناء "[1] حمارا مقامرا
مـن صـار ابنـه حمـارا ومقـامرا
يصبح دار أبيه مرمى للحصى والأحجار
اللهم احفظنى فى أمان من مثل هذه الذرية
التى لا دين لها ولا الديانة ولا تهتم بالصلاة
الشعر الذى لن يعترض عليه " منكر "[2]
فهل هذا شعرك يا عبد الرحمن أم إعجاز؟

" ١١٢٤ "

' ٨٩- المشئوم مشئوم '

المشئوم سيئ الحظ لن يصير سعيد الحظ أبـدا
لـن يتحـول الخـرز درا أو جوهـرا أبـدا

---

(١) من الأبناء: هذه العبارة من أضافتى، والسياق يدل عليها.

(٢) منكر: نكير ومنكر كل منهما اسم للملكين من ملائكه القبور.

إذا كـان مكانـه فـى السـماء.. فهـل قـام بالجهـاد؟

كـل نجـم مضـيء لـن يتحـول إلى شمـس أو قمـر

إذا كـان أصلـه مـن أرض واحـدة، فمـاذا حـدث؟

لـن يكـون الصفصـاف صنوبـرا أو شـجرة سـرو

لـو تسـاقط عليـه المطـر مـدى الحيـاة

فـإن التـبن لـن يكـون " زهـرة النبـى "[1] أبـدا

لا تتوقـع الوفـاء ممـن ليـس بـأهل لذلـك

من المستحيل تحول قصب الغابة إلى قصـب السـكر

يمكـن أن يتحـرك جبـل أسـود مـن مكانـه

إلا أنـه ليـس فـى الإمكـان أبـدا تغـير القـدر

كـل مـا حـدث لعبـد الرحمـن لقـد حـدث

لـن يتـكرر هـذا الدفتر (السـجل) مـرة ثانيـة أبـدا " ١١٣١ "

---

(١) زهرة النبى: أو الزهرة المحمدية اسم نوع من الأزهـار لونـه أصفـر يحمـل علـى ورقـه نقطـا سوداء، يتردد اسمه فى الأدب الأفغانى، ويكنى به عن قلب العاشق، يقول شاعر أفغانى:

لـو وشمت ذقنك بوشوم خضراء لتكـ ـونت منـه زهـرة من الأزهـار المحمدية


قافية السين
في أصل الحيوان

' ٩٠- الهرم وحب الدنيا '

ابيض شعرك واسود بصرك وسقطت أسنانك
ومع ذلك لا تخلع يدك من أمور الدنيا وأموالها
في أية جهة تجدها تجرى وراءها
ولا تنظر إذا كانت من ناحية يمين أو من ناحية يسار
لا يوجد على بدنك قدر شعرة واحدة من العقيدة الدينية
وقد غرقت هكذا من الرأس حتى القدمين في الوسواس
تقول: إن الله هو الرازق، وتقصد أن الرزق في العمل
وبهذه المعرفة تعتبر نفسك عارفا بالحق
لقد اتصفت بمثل هذه الصفة السيئة
فلست أدرى هل أنت خناس من الجنة أم من الناس[(١)]؟
لن تستطيع التوجه إلى التوحيد في هذه الثنائية
حتى وإن اتخذت خضرا أو إلياس مرشدا لك
إن الجميع يلعون سما قاتلا إن كنت تفهم
فإذا بلعت الأنفاس لغير ذكر الله فهو سم قاتل

---

(١) معنى هذه الشطرة ينظر إلى سورة الناس. وكلمتا الناس والخناس من كلمات هذه السورة القرآنية الكريمة.

الأمـر المطلـوب هـو أن تقطـع يـدك عـن النواهـي

وإن لم تفعـل ذلـك فاعتبر نفسـك غمـازا مقصـرا

الخـير كلـه فـي أن ترجـع عـن الشـر

لا نقـاش ولا خـلاف فـي مثـل هـذه الأمـور

إذا كـان قـولي كاذبـا أو زائـدا أو ناقصـا

فقـم أنـت فـي قلبـك بالقيـاس والمقارنـة

إن الإنسـانية هـي الهـدف المطلـوب مـن الإنسـان

لا أن يكـون مسـتورا ملبوسـا بالثيـاب الذهبيـة

لـن يصـير الإنسـان عراقيـا أو تركيـا

بـأن يتخـذ مطيـة لـه حمـارا أو حـوادا

الفـم الظمـآن يتحقـق مطلبـه بالمـاء

لا بالطـاس الذهبـي الـذي وضـع فارغـا مـن المـاء

كـالزاهد الـذي يتفـاخر بـالزهد ريـاء وتظـاهرا

يظـن بـه أن سمنـة جسـمه مـن التـورم والانتفـاخ

إن أمنيتـي أنـا العـاجز المحتـاج، إن حققهـا الله هـي

أن يكـون خـير البشـر شـفيعا لي يـوم القيامـة

يا عبد الرحمن إن العمل الصحيح هو التمسك بعمل الديـن

والأعمـال الأخـرى عديمـة الوفـاء وعديمـة الأسـاس

"١١٤٧"

' ٩١- أنا والهوس '

لقد مضى عمرى كله فى هذا الهوس..
أن تسألنى قائلا: من أنت وما هى شخصيتك؟
إن توجيه سؤال واحد من ذلك الحبيب يكفينى
لأنه إذا كان هناك شخص فاهم فإنه يكفيه قول واحد
وا أسفاه! إننى أهرب منه مع كل نفس
إلى الجهة التى إليها ذهابى فى كل نفس
والشئ الذى أطلبه أنا من الله فى كل نفس
فإننى أرى ذلك الشئ قليلا قليلا وبعد فترة طويلة
وإن كان شيئا يسيرا فإنه للمحتاجين مضعف بخمسمائة ألف مرة
ما جعل الله أحدا محتاجا لشئ يسير
إن كل طير كطائر " الهما "[1] ملك فى عشه
سواء أكان طائر غراب أو حدأة أو ققنس[2]

---

(١) الهما: طائر خرافى كالعنقاء، يقال فى الأساطير الخرافية إنه إذا طار ووقع ظله على إنسان أصبح ملكا. فالطيور الأربعة: العنقاء والهما والسيمرغ الذى مر شرحه فى ص ١٠٤ هـ ١ والققنس الذى يأتى شرحه فى هامش٢ من هذه الصفحة، من الطيور الخرافية ليس لها وجود حقيقى.

(٢) الققنس: طائر خرافى يشتهر فى الأساطير الخرافية بالجمال وعذوبة الصوت، يقال إن فى منقاره ١٦٠ ثقبا، ومن كل ثقب تخرج نغمة خاصة من النغمات الموسيقية.

إذا كان صدر طائر الشاهين كصدر طائر الحجل
فإن العنكبوت صدره كصدر الذبابة
غير أن الكل حين ذهابه إلى التراب يساوى بعضه بعضا
سواء ألبس البعض ملابس خشنة أو ملابس من أطلس؟
إنه يبكيه ذلك الذى يضحكه
ليس لعبد الرحمن غيره الذى ينصفه

"١١٦٥"

' ٩٢- الناموس والعشق '

من يفاخر بالغيرة والناموس والشرف
فإن هذا لا يساوى فى العشق فلسا واحدا
ماذا حصل إذا كان قد لبس ثيابا ذهبية
اعتبر أنه ليس إلا طائرا ذهبيا أو طاووسا
إذا كان قد وضع التاج فوق رأسه، فهل غزا؟
فهو فى نظرى هدهد أو ديك
لا فهم له، ولا فراسة، ولا علم له ولا معرفة
هيكل فارغ خال كالصورة للمصور
ليس في جرنه لب ولا حبوب
هكذا ينثر فوق رأسه التبن عبثا
لا تتوقع من أهل المجاز خيرا
هذا اللوس (المذاق) كله شر وشدة

عمرانــــه كلـــه هـــدم وخـــراب ودمــــار

تعــال، وانظــر وتدبـــر قصـــور كيكـــاوس[1]

إن كـــان فـــى حديثـــى زيـــادة أو نقصــــان

فليبعث أحد جاسوسا إلى المدينة لكشف الحقيقة

أيها الساقى أحضر كأسا وخمرة لأصبح سكرانا

مـــا جعـــل الله أحـــدا محبوســـا فـــى الصحـــوة

لـــو بحـــث أحـــد الدنيـــا كلهـــا بحثـــا دقيقـــا

لـــن يجـــد فيهـــا عروســـا أجمـــل مـــن حبيبتـــى

أنا عبد الرحمن أرى حسن الحبيب من خلال السعادة

لا يختفـــى نـــور الشـــمس بالفـــانوس

" ١١٦٧ "

---

(١) كيكاوس: عادل ونجيب وأصيل، واسم أحد أبناء كيقباد أحد الملوك الآريين الذين حكموا آريانا من عاصمتهم بلخ فى شمال أفغانستان


في أصل الحيوان



' ٩٣- مقام الإخلاص '

انظــر مــا أعظــم منزلــة الإخــلاص

حيــث إن العــالم كلــه عبــد للإخــلاص

الصعود مـن الأرض إلى السماء إذا كـان صعبا

فإن هذا السفر خطوة واحدة بالنسبة للإخـلاص

الـذى يخـبر المخلصـين عـن علـم الغيـب

كــل هــذا إلهـام مــن الإخــلاص

إن عمـر التقـاليد والعـادات ليـس بدائـم

مثــل دوام عمــر الإخــلاص وبقائـــه

ليس فـى الإسلام حلاوة مـن غير الإخـلاص

إن الإسـلام الحقيقـى هـو إسـلام الإخـلاص

ليس بعجب إن كان السكارى جالسين حول

كـل ساق يحمل فـى يـده كـأس الإخـلاص

لا عجب أن يقع طـائر " الهمـا "[١] فـى مصيـدة

كـل صيـاد يحمـل معـه مصيـدة الإخـلاص

لن تكون هذه المحبة والإخلاص مـن بعـد المـوت

إن أردت الإخلاص فإن اليـوم وقـت الإخـلاص

---

(١) الهما: طائر وهمى ليس له وجود خارجى، يعتقد باطلا أنه إذا طار ووقـع ظلـه علـى أحـد أصبح ملكا. راجع ص ٢٨٣ هـ١ من هذا الكتاب.

إن سبب عذوبة شعر عبد الرحمن وحلاوته

هو أن شعره كله شعر الإخلاص للحبيب

" ١١٧٦ "

' ٩٤- الخلاص من الهموم '[1]

لو وصلت إلى حلقك جرعة من كأس خاصة

فى تلك اللحظة ستتخلص من موجات الهم

تبدو البقع على الثياب البيضاء قبيحة المنظر دائما

فلا تجعل الأمور العامة خاصة بالخاص

لو أخذت لقمة واحدة من فم تمساح جائع

فإنك قد أتيت بالغواص بسرعة محققة مؤكدة

يسهل على لباسك، يصعب على صورتك

ستسهل مشاكلك ومصاعبك بالإخلاص

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٣، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م. لم يأت ذكر هذه المقطوعة الشعرية فى ديوان عبد الرحمن الذى قدم له مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، و لم يأت ذكرها أيضا فى ديوان عبد الرحمن مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

لــو أصغيــت وسمعــت بــأذنك نغمــة المحبــة
فســـترقص فــــى الفلــــك كــــالزهرة[1]
إن كنت رجلا حقا فأوجد لنفسك صــورة معنويـة
مــا فــائدة هيــاكل الأشــخاص كالتمـــاثيل؟
ســـينظر إلى خاصيـــــة شـــــئ آخــــــر
ذلـك الـذى ليــس لديــه علــم بخصــائص الحــب
إن لم يجعلــه خيـــوط الطـــول فـــى الثيـــاب
فاحذر بفهم يا عبد الرحمن من الرصـاص والطـلاء

" ١١٨٤ "

' ٩٥- الغواص وجوهرة العشق '[2]

لو أعطانى الغواص جوهرة العشـق[3] فـى يـدى
بعـد ذلـــك ســيثبت لى إخلاصــه ويتــأكد

---

(١) الزهرة: أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة، ثانى كوكب فى البعد عن الشمس، يقـع بين عطارد والأرض.

(٢) ديـوان عبـد الرحمـن ٧٣-٧٤، تحقيـق لفيـف مـن علمـاء الأفغـان، كـابل ١٣٥٦هــ ش/ ١٩٧٧م. و لم يأت ذكرها فى ديوان عبد الرحمن مقدمة مولانا عبد القـادر، الطبعـة الثانيـة ١٩٨٧م، و لم يأت ذكرها أيضا فى ديوان عبد الرحمن مقدمة سيد رسـول رسـا، پشـاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٣) العشق: الإفراط فى المحبة، وفى التصوف عشق الخلق للخالق. راجـع ص ١١٨ هـ ٣ من هذا الكتاب

تـزداد الهمـوم والغمـوم فـى بيـت الرقيـــب

ليتنى عدنى حبيبى عنده من خاص الخاص

إلهى! لا تطلق حتى يوم الحشر سراح المحبوس

فى شبكة قنص حب الحسان المسكر[1]

إلهى! انظر إلى عبد الرحمن نظرة كرم

حتى يكون أمام الله خاصا بلطفه[2]

" ١١٨٨ "

' ٩٦- أمنية الرقص '[3]

أيها الساقى أعطنى كأس الرقص[4]

أتمنى من القلب دائما أن أرقص

قال لى: ساعة السرور ستحل عليك الآن

إن المغنى قد أعطانى رسالة الرقص

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية

(٢) بلطفه: من إضافة المترجم لمزيد من الإيضاح وملء الفراغ.

(٣) ديوان عبد الرحمن ٧٤، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م. ولم يذكرها ديوان عبد الرحمن مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، وكذلك لا يذكرها ديوان عبد الرحمن مقدمة سيد رسول رسا، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

(٤) الرقص: وهو فى اصطلاح أهل التصوف كناية عن حركة السالك، أو الصوفى الناشئ وسيره فى طريق التصوف.

أستاذى هو الذى علمنى علم الموسيقى

وشرح لى كل وتر من أوتار مقامات الرقص

يبدو رأسه فوق السماء التاسعة

من تم إرشاده وترشيده بإعلام الرقص

من تتجلى له جلوة من طرف المحبوب

ليس على ذلك أبدا شرب الرقص

إن كل إنسان لا يليق بالرقص

بل اللائق هو الذى يتم عليه إنعام الرقص

إلى الوقت الذى توجد فيه الروح فى جسمه يا عبد الرحمن

لن يتمكن من إتمام فن حقيقة الرقص

" ١١٩٥ "






في أصل الحيوان

' ٩٧- التعرض بالآخرين '

إن كنت لا تتعرض لشخص آخر بسوء

فالشخص الآخر لن يتعرض لك أيضا بسوء

فالفقير إن لم يتعرض لفناء دار شخص آخر

فإن الكلب لن يتعرض للفقير أبدا

لا تتعرض سفينة أى إنسان للغرق على الساحل

إن لم يتعرض الإنسان للبحر بالدخول فيه

المنزويون فى خلواتهم فى فراغ وأمان

المفتضح هو الذى يتعرض للمفتضح

إن هذه الدنيا عامرة معمورة بالحمقى

والعاقل لا غرض له ولا يتعرض للدنيا

أنا عبد الرحمن راض بألم العشق، مسرور

بحيث لا غرض لى ولا أتعرض للدواء

" ١٢٠١ "

' ٩٨- عرض الطلب '[١]

أرفع عرض حالي إلى عتبة الحبيب خالب اللب

في كل لحظة وفي كل ساعة أقدم له التماسا معينا

آملا أن يتم قبوله في عتبة المولى الطاهرة

بجاه السلطان النبي الرسول المختار الأعظم

مثل الساعة الكبيرة في الأوقات الخمسة

فإن التماس الخوف من الرحيل هذا في اضطراب وهياج

من غير صاحب العمل كيف يمكن أن يتم شيء

وإن كان الدرويش (القلندر) يلتمس العمل دائما

هذا هو عبد الرحمن كيف يطلب من رحمة الله غير الرسول

إنه لا يمكنه كلية أن يلتمس شيئا آخر غير الرسول

" ١٢٠٦ "

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٥، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م. ولا يذكرها ديوان عبد الرحمن مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية، بشاور ١٩٨٧. وكذلك لا يذكرها ديوان عبد الرحمن مقدمة سيد رسول رسا، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

٩٩- التضحية بالرأس[1]

إن طلـــب الحبيـــب رأســـى تعويضـــا للقـــاء

ليكـن الـرأس فـداء حيـث إن الحبيـب يطلـب التعويـض

مـن يجعـل كـل الموجـود معدومـا يصبـح واصـلا[2]

إن الدرويش يطلب الجبة[3] والكشكول[4] تعويضا عـن ذلـك

ما الحاجة التى يتوقـف حصولها على نـار مجمـر الدراويـش؟

إن العشـق يطلـب منهـا الرمـاد تعويضـا عـن ذلـك

اصنـع مـن نفسـك واجعلهـا سـرة الغـزال المسـكية

إن الحبيـب يطلـب العنـبر للمجمـر تعويضـا عـن ذلـك

لا تطمـع فـى القبلـة مـن المزينـين بجمـال الثيـاب

لأنهـم يطلبـون الذهـب تعويضـا عـن القبلـة

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، وكذلك فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.

(٢) الواصل: الوصل عند بعض أهل التصوف عبارة عن فناء العبد بأوصافه فى أوصاف الحق، وقال البعض من أهل التصوف: إن الوصل هو الوحدة بين البطون والظهور.

(٣) الجبة: ترجمة كلمة " كند " الأفغانية، والكند بالأفغانية ثوب خلق مرقع رث جامع الخرق يلبسه الدراويش.

(٤) كشكول: كچكول بالأفغانية، وهو وعاء الشحاذين والمتسولين، يجمعون فيه ما يتمكنون من جمعه أثناء الاستجداء من البيوت وغيرها.

خف واحذر عن مخادعة هذا الدهر وخيانته ومكره
يطلب الأحسن والأنفع تعويضا عن الأصغر والأتفه
ليس بالسهولة واليسر أن تقرأ باب العشق
وهو يتطلب فى هذا المقام الفتحة والكسرة تعويضا عن ذلك
لن تتخلص عن ذلك مرة واحدة يا عبد الرحمن
فإنه يطلب رأسك ومالك تعويضا عن ذلك

" ١٢١٤ "




في أصل الحيوان

' ١٠٠- النشاط فى الدنيا '

لا تطمع فى النشاط فى هذه الدنيا

لن تجد النشاط فى هذا البساط

سيقوم بالرحيل عنها كما جاء إليها

لأن هذا العالم رباط لسالكى الطريق

تحت كل خطوة لهذا الدهر بئر

فعليك أن تضع كل خطوة بحذر

يبدو هذا العالم فى نظر العلماء

بأنه جنة وكذلك نار وصراط

لم يكن على العاشق خطر من رهبة الرقيب

لو لم يكن يجالس ويخالط الحسان

حقير الأصل وعديم الديانة وعديم الصلاة

لا تطمع من هؤلاء قيراطا واحدا من الخير

أحاط على عبد الرحمن هم الحسان

كإحاطة ثوب قطعه خياط على قدر من الجسم

" ١٢٢١ "

"١٠١- التعهد بالوفاء"[1]

أعطانى الحبيب اليوم وثيقة تعهد بالوفاء

قال: خذ هذه وثيقة حبى وودى لك

احذر من ثنائية طريق الغماز

وإلا ستخسر المكان بتعهد قمار المكار

لا سمح الله أن تقطعه فى غفلة

عليك أن تقرأ الوثيقة دائما بدقة وذكاء

سيتم الوصول إلى الغاية بمدد منك

متى كان من السهل وثيقة تعهد دليل حبك!

انهض من نوم الغفلة، وكن فى يقظة

فإن وثيقة اليقظة مسلمة إليك دائما

ضع قدمك مساويا تماما مع حكم الوثيقة

إن أردت وثيقة تعهد الشهرة فى العقبى

إن أردت الأمان فى الميزان يا عبد الرحمن

اقرأ وثيقة التعهد دائما بتواضع وتضرع

"١٢٢٨"

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، ولا توجد فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، وكذلك لا توجد فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.


قافية الطاء
في أصل الديوان

' ١٠٢- الحديث الناضج '

متى كان فجا، بل حديث الواعظ ناضج

كل ما يقوله الواعظ، فقوله قول طيب

الذى يبعدنى عن رؤية الحبيب

فلماذا يقول له الواعظ بعد ذلك - كلا ما فجا

رجوعى عن حبيبى صعب جدا

إذن لماذا يتكلم الواعظ فى ذلك مرة أخرى؟

لقد أخطأت وانخدعت بكلامه العذب الناعم

حيث إن الواعظ يتحدث بحديث عذب ومر

كيف يثق الإنسان فى وعظه ويعتمد عليه

حيث يطالب بالعودة والرجوع عن الحبيب

لا أستطيع القيام بعمل آخر غير العشق

والواعظ يتحدث كثيرا عن الهروب من العشق

لا تعتمد على حديثه الناعم والساخن

فإن الواعظ يتحدث بأحاديث حارة وباردة

لست أنا عبد الرحمن من السامعين ولا القائلين

فإن الأفضل ألا يتحدث الواعظ أكثر مما تحدث

" ١٢٣٦ "

١٠٣- التمتع وجمال الروضة[١]

إذا كانت البلابل تستمتع بالروضة

فإن المشتاقين يستمتعون برؤية الحبيب

إنني مستفيد من نار العشق الحارة

وحشرة سمندر[٢] تستمتع بنار الجمر الملتهبة

براعم الروضة تتفتح بنسمات السحر

والعشاق يستمتعون بكلام القاصد وحديثه

بطلبه أصبحت أكثر نفعا من الكل

الصياد يجد التمتع دائما في صيده

المجنون[٣] وجد سروره ورضاه في الصحراء

كل منصور[٤] يجد تمتعه في رامي سهام المشنقة

إن لم يقم بوضع العالم تحت قدميه

كيف يجد أحد التلذذ والتمتع وهو في مكانه

عندما تتفتح البراعم كلها في وقت السحر

فإن هؤلاء الفتيان يتلذذون بها بلا حساب

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٧ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، و لم يأت ذكرها في ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، وكذلك في ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.

(٢) سمندر: حشرة تتولد في النار ومن النار، ولا تخرج منها.

(٣) المجنون: هو مجنون ليلى العامرية عشيقته، راجع ص ٢٤١ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٤) منصور : هو الحسين بن منصور الحلاج. راجع ص ٢٣٩ هـ ١ من هذا الكتاب.

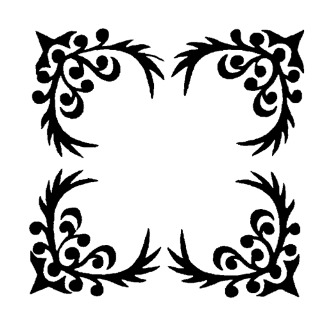
بيــذل الــرأس وفدائــه وجــدت رأس الوصــــل[1]

إن صاحب العمــل يجـد التلـذذ والتمتـع فـى العمـل

إن الـذى مسـك نفسـه وعرضهـا علـى نــار الهــم

هو أنا عبد الرحمن الذى يتلذذ لأجل ذلك بالأنــوار

"١٢٤٥"



(١) الوصل: عند الصوفية عبارة عن فناء العبد بأوصافه فى أوصاف الحق.


قافية العين
في أصل الحيوان

' ١٠٤- إشعال الشمع تكريم '

إن الشـمعة منـذ أن أشـعلت النـار فـوق ناصيتهـا

فقـد نـالت بذلـك إكـرام النـاس وتقديرهـم لهـا

لقـــد تنـــور أهـــل الأبصـــار بأنوارهـــا

فمتـــى ســـتظهر شمعـــة الإنعـــام وفيضهـــا؟

الفراشـات تـدور حولهـا مـن كـل جـانب

لذلـك فـإن الشـمعة لا تهـدأ أثنـاء الاحـتراق

أحـــرق أنـــت نفســـك بشـــعلتى أنـــا

خـاطب الفراشـة بحديـث الشـمع رمـزا

إن مجلســـك خـــاص بـــأخص العظمـــاء

لا ينال شمعته من كان من العوام مثل عبد الرحمن

" ١٢٥٠ "

' ١٠٥- الاستغناء والطمع '[١]

لـــو قطعـــت الطمـــع مـــن النـــاس بصـــدق

فـــأنت إذن ملـــك لا تطمـــع فـــى أحـــد أبـــدا

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٧٨ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، و لم يأت ذكرها فى ديوانـه مقدمة مولانا عبد القادر، وكذلك فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.

اللـــون الأصفـــر يتبـــدل بســـبب الصداقـــة

مـــا خلـــق الله طمـــع صديـــق فـــى صديـــق

مـــن يطلـــب الوفـــاء مـــن حسـان هـــذا الدهـــر

فهـــو كالجـــاهل الـــذى يطمـــع فـــى الكيميـــاء

إن كنت تطلب مراد قلبك مـــن ذوى الوجـوه القمرية

فـــإن مصيدتـــك يمكنهـــا أن تصطـــاد طمـــع العنقـــاء

إن الله تعـــالى قـــد منحـــه جواهـــر العقـــل

كيـــف يطمـــع العـــالم فـــى الجهلـــة عديمـــى العقـــل؟

إن الكلـــب يمســـك برجلـــى الفقـــير وذيلـــه

لأن الفقـــير قـــد قطـــع طمعـــه فـــى كـــرم الله

إن الطـــاعون والحمـــى أفضـــل مـــن هـــذا المـــرض

يـــا عبـــد الرحمـــن، لعـــل الله مـــا خلـــق الطمـــع

"١٢٥٧"




في أصل الحيوان

' ١٠٦- زهرة وابتسامة '

إن كل زهرة من حديقتك أكثر ضياء من المصباح
أكثر ضياء من المصباح كل زهرة من حديقتك
إن غراب حديقتك طائر " الهما "[1] فى نظرى
فى نظرى طائر " الهما " غراب حديقتك
لدماغ المتألمين تراب بابك عنبر
تراب بابك عنبر لدماغ المتألمين
علامة صدر الشاعر المحرقة شمس فى سماء العشق
فى سماء العشق شمس علامة صدر العاشق المحرقة
فراغ قلب عبد الرحمن لا يشحن بغير مرغوبى القلوب
لا يشحن بغير مرغوبى القلوب فراغ قلب عبد الرحمن

" ١٢٦٢ "

---

(١) الهما: طائر وهمى لاوجود له فى الواقع والحقيقة. راجع ص ٢٨٣ هـ١، من هذا الكتاب.


في أصل الحيوان

' ١٠٧- مقام الأشراف '

وليكن الأشراف أمثال أورنك زيب وشاه جهان

نذرا وفداء للدراويش من أمثال منصور الحلاج

إذا كان بدنك كبيرا من الضخامة، فماذا تفعل به؟

لا سمح الله، بأن يتحول جبل الطور(١) إلى جبل القاف(٢)

على صاحب الهوس ألا يبدى هوسه للعشق

كذب هذا بأن يصبح ناسج الحصير مطرز الأقمشة الذهبية

لا شك أبدا فى جلال وعظمة مكة المكرمة

إلا أن الحمار لن يصبح حاجا بالطواف

لو غسل نفسه فى مياه مائة بحر

فإنه لن يصبح طاهرا صافيا حسب اعتقادى

إن ازدادت حمولة السفينة فإنها تغرق

إن الإسراف يصبح مصيبة وبلاء على المسرف نفسه

إن الصابرين تركوا الصبر وأصبحوا حريصين

لم يبق فيهم العدل ولا الإنصاف

---

(١) الطور: جبل يضاف إلى سيناء كما فى قوله تعالى: **﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾** المؤمنون ٢٠، وقد وردت عشرة مرات فى آيات قرآنية عديدة على معان مختلفة.

(٢) جبل القاف: أو جبل القاب جبل أسطورى وهمى ليس له وجود حقيقى. راجع ص ١٨٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

إن المذاهب الأربعة هذه متحدة

أنا وأنت قد اختلفنا فنشأ فيها الاختلاف

إن مالك كل الأملاك والممالك واحد

أكان ذلك ملك جهنم أو الجنة أو الأعراف

إنهم ليسوا بشهداء بل هم بائعو الدماء

إن لم يقوموا بإعفاء دية الدم للقاتل

من الأفضل أن يكون لسان الكاذب يابسا فى فمه

مثل سيف الخشب داخل الغمد يابس

كيف وإلى متى ستجرى فوق الجدار

مثل الكاذب الذى يتحدى الناس كذبا

كم يكون رونق صفاء السكة المغشوشة

إن لم يلق عليها الصراف النظر ناقدا؟

لا تفاخر بمال الدنيا يا عبد الرحمن

إنه لشعرة لا قيمة لها فى نظر من كان نظره دقيقا

أقوم بمدح وهجاء الحبيب والرقيب

إن عبد الرحمن لا يعرف هجاء ولا تفاخر آخر

" ١٢٧٧ "


قافية القاف
في أصل الحيوان



' ١٠٨- قيد الاشتياق '

حـين تقيـدت نفسـه بقيـد اشـتياق ليلـى[١]

فطلـق المجنـون[٢] العشـيقات الأخـرى

عندمـا علـم بلـذة خمـر المطـرب[٣]

نسـى الصوفـى صـلاة النفـل فـى الإشـراق

إمـا أن تـدور كـأس الخمر[٤] وإمـا رقـص[٥] الحسـان

فـى كـل مكـان يجتمـع فيـه العشـاق

نظرهـم يـتركز علـى النقـد دون النسـيئة

سـواء مـدح النـاس لهـم الحـور أو البـراق

حـين يتـأكد أن المعشـوق هـو الوحيـد

فـإن المشـتاق لا يتحـدث عـن الثنائيـة

---

(١) ليلى: ليلى العامرية(توفيت فى حوالى ٦٨٨م) صاحبة قيس بن الملوّح الذى عرف بمجنون ليلى، اشتهرت بحبها العذرى لقيس العامرى.

(٢) المجنون: هو قيس بن الملوّح العامرى. راجع ص ٢٤١ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٣) المطرب: هو المرشد الكامل عند الصوفية، أو هو مطرب العشق. راجع ص ١٨٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٤) الخمر: هو العشق الإلهى فى نشوته، وما يستوجب الملام فى سلوك الصوفى، وحانة الخمر عند الصوفية باطن العارف الكامل، عالم الملكوت.

(٥) الرقص: هو حركة السالك الزاهد أو الصوفى الناشئ. راجع ص ٢٩٢ هـ ٤ من هذا الكتاب.

لا يتحـــــرك عـــــن مكانـــــه كالشــــمعة

وإن كـــانت نـــار عشـــقه ملتهبـــة فـــوق ناصيتـــه

يفـــرح برضـــا فـــى آلام حبيبـــه وهمومـــه

تقـــول: كأنـــه ملـــك يحكـــم آفـــاق العـــالم

يكـــون ممحـــى الأثـــر فـــى خمـــر العشـــق الخالصـــة

بحيـــث لا يعلـــم شـــيئا عـــن الوصـــل[1] والفـــراق[2]

إنـه يكـون موجـودا فـى الظـاهر معدومـا فـى المعنـى

مثـــل لفظـــة " لا " مكتوبـــة علـــى الأوراق

إن لم يفـــن جســـده فـــى العمـــل والجهـــد

فـإن الخيـول العراقيـة لا تحـول وجوههـا عـن الهـدف

إن الخيـــول العراقيـــة تـــؤدى عملهـــا بإشـــارة

أمـــا الحمـــار فيـــؤدى عملـــه بـــالضرب والنغـــز

مـــن أعطـــاه الله فهمـــا يفهـــم بحركـــات الجفـــون

ومـــن لا يفهـــم، فإنـــه لا يفهـــم بضـــرب الســـوط

سواء انتهت فى العشق حياته أوضاع مالـه، لا سمح الله

أن يحـــدث النفـــاق بـــين الطـــالب[3] والمطلـــوب[4]

---

(١) الوصل: فناء العبد بأوصافه فى أوصاف الحق. راجع ص ٣٠٩ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) الفراق: انفصال المحب عن المحبوب.

(٣) الطالب: عند أهل التصوف هو العاشق الإلهى.. راجع ص ٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

(٤) المطلوب: هو المقصود المعشوق المحبوب، وهو الذات الإلهية عند أهل التصوف

أحمـــل فـــى يـــدى ورقـــة الخـــط جالســـا منتظـــرا
لســـت أدرى مـــا فـــى المقـــدر: زوج أم فـــرد؟
أنـت الـذى تقـدم النصـح لعبـد الرحمـــن أيهـا النـاصح
ليتـــك تســتطيع أن تغـير المكتـــوب فـى التقديـــرا!

" ١٢٩٢ "

' ١٠٩- أين الراحلون '

إلهى! أيـن رحـل هـؤلاء النـاس أصحـاب الوجاهـة
بيـض الوجـوه الطـاهرون فــى الظــاهر والبــاطن؟
ليس فى قدرتى الضحك مع الموجوديـن مـن النـاس
حيـث يبكينـى هـؤلاء الراحلـون مـــن النـــاس
لســـت أدرى إلى أيـــة جهـــة ذهبـــوا وارتحلـــوا
لا يظهـر هـؤلاء النـاس الذيـــن كنـــت أراهـــم
مثـل الزبـد الـــذى يســـير علـــى وجـــه المـــاء
مثلـه يسـير ويرحـل مـن جـاء إلى هـذا العـالم
واحسرتاه! لـو عـاد ورجـع إلى العـالم مـرة أخـرى
الذيـن خرجـوا عـن العـالم دون أن يحققـوا آمـالهم
ألـف حيـف! حيـث يغبّر، ويصـير معفـرا بالـتراب
مـن كـان منغمسـا فـى العطـور وروائـح الصنـــدل

وحد عبد الرحمن لذة فى الخلوة والعزلة عــن النــاس
مــا وحــد النــاس مثــل هــذه اللــذة أبــــدا

"١٢٩٩"




قافية الكاف
في أصل الحيوان

' ١١٠- حين يتحول تراب الوطن قبرا '

حين أتذكر فى قلبى لحد تراب وطنى الأسود
يصبح نومى وكذلك طعامى بلا لذة
عندما يفقد النوم وكذلك الطعام طعمهما
فإن الحياة تعادل الموت عندئذ
من الخطأ قول من يقول: إنها حياة
هى تلك التى تمضى فى التأمل المؤلم والاضطراب
من الأفضل أن أكون اليوم ملئ الفم بالتراب معفرا
ما دام هذا طعامى وهذه ثيابى فى النهاية
فى محله إن دفنت نفسى فى الأرض حيا
حيث إن مكانى بعد الموت مكان مظلم عميق
كأنه قد حدث ما كان أن يحدث
حيث إننى مقتول قبل أن أقتل
حين يكون القلب سليما متى يتم شق الصدر!
من الصدر يتبين صدع القلب
ينبغى أن يكون الجسد والمكان والثياب نظيفة طاهرة
بشرط أن يتطهر قلب الإنسان أولا عن حب الآخرين
الإنسان الكامل هو الذى يكون ظاهره كباطنه واحدا
وليس الذى ظاهره ذهب أحمر وباطنه صمغ أحمر
الإنسانية هى الهدف من الإنسان كله
لا فرق بين أن يكون على رأسه طرة أو مسواكا

كـل أمـور الدنيـا وأعمالهـا فانيـة لا بقـاء لهـا
يكون بعض فى سـعادة يومـين وبعض فـى هـم
فى ساعة يجعل البعض مسرورا والبعض حزينا
هـذه الأخـلاق مـن عـادات الفلـك منـذ القديـم
إن الله هو الذى يفعل كـل ما يحدث، لا أحد غيره
مـن هـو عبد الرحمـن.. مـا اختيـاره، ومـا إدراكـه؟

" ١٣١٢ "

' ١١١- التحطيم والتخديش '

يحطـم فمـى بقبضـة اليـد
ويخـدش قلبـى بـالظفر
أصـرخ أو أذرف الدمـوع
لا يبـدى اهتمامـا بمقـدار ذرة
تعـالوا يـا أهـل الإنصـاف وانظـروا
هـذا السـلوك لمـن يخطـف القلـوب
مثـل الـوردة فـى يـد الطفـل
يقطـع قلبـى قطعـا قطعـا
بغمـزة واحـدة مـن عينيـه
تجرحـت وتقطعـت إربـا إربـا
يمتطـى فـرس الفلـك الجمـوح
واضعـا عمامتـه العوجـاء فـوق رأسـه

لا يؤثـــــر فيـــــه أبـــــدا
ألم المتـــــألمين ووخزهـــــم
مـــن يعشـــق يـــا عبـــد الرحمـــن
فليبـــك نفســـه بصـــراخ متـــوال

" ١٣٢٠ "

' ١١٢- حد الرمش وتجريح القلب '

يجـــرح قلبـــى بـــأطراف الرمـــوش الحـــادة
ويكســـر أســـنانى الاثنـــين والثلاثـــين بالقبضـــة
قتلنـــى بغمـــزات العيـــون الســـوداء
مجروحـا بجـراح كثـيرة، مقطوعـا قطعـا عديـدة
مهمـا صرخـت أو قمـت بنثر الـتراب علـى رأسـى
فإنـه قـد حرمنـى بمقـدار ذرة مـن العنايـة
كـالوردة التـى يضعهـا أحـد فـى يـد طفـل
هكـذا قمـت بخطـف قلبـى خطفـا وهـزا
لـو انفجـر قلبـى مـن الألم الشـديد والهـم الكثـير
فـإن ألمـى ووخـزى ذلـك ليـس بشـئ فـى نظـره
قد أغرق العالم كله من رأسه إلى قدميه فى الغم والهم
سواء كان فقيرا فـى هـذا الدهـر أو ملكـا مـن ملوكـه
يمتطـى فـرس السـماء الجمـوح مثـل الشـمس
واضعـا عمامتـه المطـرزة بـالذهب عوجـاء علـى رأسـه

إن كـان لديكـم عـدل وإنصـاف أيهـا المنصفـون
تعـالوا نـاظرين إلى سـلوك خـاطفى القلـوب
لمـاذا لا أقـوم بالثنـاء علـى حبيبـى ومدحـه
فـى حين يرفـع الضفـدع نعراتـه فـى وقـت السـحر
مـن يعشـق جمـال خـاطفى القلـوب وحسـنهم
فليبـك - يـا عبـد الرحمـن - نفسـه بصرخـات

" ١٣٣٠ "

' ١١٣- التقدير لا يعالج بالتدبير '

ليس فى مقـدور أحد أن يقـوم بمعالجـة التقديـر بالتدبـير
فكيـف يقـوم أحـد بتقديـم النصـح فـى ذلـك لأحـد
إن الأمـور والأعمـال التـى تتوقـف علـى التقديـر
ليس فى استطاعة أحد القيام بها بتحمل المشقة والبلاء
مـن ينظـر مؤمنـا إلى القضـاء والرضـاء
فعليـه ألا يلقـى اللـوم فـى ذلـك علـى إنسـان
كـل مـن جـور المطلـوب[1] ووفائـه فضـل وكـرم
فـى نظـر مـن كـان يفهـم حكمـة الحكمـاء ويدركهـا
مـن الـذى يتمنـى لنفسه الهـم والغـم، ولكـن مـاذا يفعـل؟
حيث ليست لأحد قدرة التصرف فيما يفعله الله من الأعمال

(١) المطلوب: هو المعشوق، وهو الذات الإلهية. راجع ص٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

فلينظر الإنسان إلى رياضة إبليس وعبادته
فما فائدة كبرياء الإنسان بطاعته وعبادته ورياضته
المرض يزول ولا تزول عادة الإنسان
ما جعل الله أحدا تتأصل فيه عادة السيئات
أخذني أنا عبد الرحمن سيل الفراق وطوفانه
آملا لو مد أحد يده إليّ بناء على المحبة الإلهية

" ١٣٣٨ "

' ١١٤- جمال الحبيب '

لا يعرف أحد ما لدى حبيبي من الجمال
لو عرفه إنسان ما غادر ذلك الباب أبدا
إن أمور الدنيا كلها فانية لا بقاء لها
فلا حق لأحد أن ينثر التراب فوق رأسه حزنا
من تم قبوله فى عتبة قصر أصحاب الوجوه القمرية
لن يوجد أحد سعيدا مثل سعادته أبدا
لو وقع نظر أحد من الناس على وجه حبيبي
لن ينظر بعده إلى وجه آخر أبدا
مهما كانت الكثرة لمن يخلب القلوب فى العالم
لن يكون أحد أبدا خالب القلب مثل حبيبي

ليســـت عنــــد أحـــد أبـــدا قـــدرة رؤيتــــه[1]

لأنه ليس فـى مقـدور أحـد أن ينظـر مباشـرة إلى الشـمس

إن العشـــق درجـــة عاليـــة وقـــاعدة عجيبـــة

ليـس فـى إمكـان كـل واحـد مـن النـاس أن يبينهـا

لا يوجـــد بـــلاء أشـــد وأصعـــب مـــن الهجـــران[2]

مـــا أصـــاب الله أحـــدا بجـــراح هـــذا المشـــرط

لـــن يميـــل بوجهـــه أبـــدا وجهـــة أخـــرى

مـن أصبحـت حالتـه سـيئة بسـبب عيونـك الخمريـة

لـــن يصـــل إليـــك بســـهولة ويســـر

مـــن لم يضـــع الـــتراب علـــى رأســـه مـــن همـــك

ســـيندم فـــى حســـرة، وســـيذرف الدمـــوع بغـــزارة

من لم يتمكن من الحصول على الخرزة[3] بمكعـب[4] النـرد

---

(١) معنى البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**قال ربى أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى**﴾ الأعراف ٧.

(٢) الهجران: الهجر والهجران فى المصطلح الصوفى هو الالتفات إلى غير الله ظاهرا وباطنا.

(٣) الخرزة: ترجمة " گونته " بالأفغانية، و " مهره " بالدرية وهى قطعـة مـن قطـع النـرد الـذى يعرف بالطاولة.

(٤) مكعب النرد: ترجمة " ششدر " وهو الفص الذى يعرف بالزهر. والنرد عبارة عن صنـدوق وحجارة وفصين. تعتمد على الحظ وتنقل فيها الحجارة علـى حسـب مـا يـأتى بـه الفـص (الزهر) وتعرف بالطاولة.

لا تطلق عليه اسم العشق (أو العاشق)

إن لم يصبح قلندرا[1] (درويشا) في هم الحبيب

من لم ينظر إلى حبيبته وعشيقته

فهو لا ينظر إلى الذهب والفضة[2]

لن يميل إلى أزهار روضة الأزاهير

من يقضي نومه في رماد الحبيب

من الصعب السفر في طريق العشق بدون دليل

هنا يجب أن يعثر أحد من العشاق على دليل

من يرى بعينيه الفراق وهو يعشق

فلن يكون مثل عبد الرحمن بلا فن وخبرة

" ١٣٥٤ "

' ١١٥- حسن الحسان '

من لم يشغله الجمال وحسن الحسان

فأي شيء يشغله في العالم غير الجمال؟

---

(١) قلندر: فرقة من الدراويش ألفها رجل اسمه قلندر الأندلسي في القرن الثامن الهجري، من مبادئها قطع الإنسان الأسباب بينه وبين دنياه زهدا ورياضة. ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة المداومة على الترحال والذهاب في الأرض تعبدا ورقا.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

كيـــف ينظـــر إلى خـــط[1] الغـــير وعبارتـــــه[2]

مـــن يدقـــق النظـــر فـــى خطـــك وخـــالك[3]؟

بقيـــة الحســـان فـــى العـــالم بالنســـبة إلى وجهـــك

كمـــن يوقـــد الشـــمعة فـــى وجـــه الشـــمس

أصحاب القلوب[4] فـى الدنيـا صـاروا كالعنقـاء[5]

فـــإلى مـــن يقـــوم أحـــد بشـــرح أحوالـــه[6]؟

إذا كان العاشق يبكى فى عشـقه فليس بملوم أبـدا

لأنـه لا طاقـة لأحـد أن يتحمـل مثـل هـذه الآلام

حـــين يتـــم حديثـــه وحـــواره مـــع الحبيـــب

فكيـف يمكـن أن يتحـدث ويحـاور مـع الآخريـــن؟

---

(١) الخط: كناية عن الشارب. راجع ص ٢٦٩ هـ ١ من هذا الكتاب

(٢) العبارة: عند أهل التصوف كناية عن وجه المحبوب. وهى فـى اللغـة بمعنـى البيـان وتفسير الكلام.

(٣) الخال: الشامة، وهى فى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية، وإشارة إلى نقطة الوحـدة، وهـى مبدأ ومنتهى الكثرة

(٤) أصحاب القلوب: صاحب القلب كناية عن العاشق والعارف با لله، وهو فـى اللغـة بمعنـى الشجاع والجرئ.

(٥) العنقاء: طائر وهمى ليس له وجود خارجى. راجع ص ١٠١ هـ١ من هذا الكتاب

(٦) الأحوال: الحال فى اصطـلاح الصوفيـة مفهـوم ومعنـى يـرد علـى الخـاطر بـلا كتـاب ولا احتـلاب كـالقرب والمراقبـة والمحبـة والخـوف والرجـــاء والشـوق والأنـس والاطمئنـان والمشاهدة.

إذا كان الله لم يخلق في الأصل مثالا

فكيف تطلب منه مثيلا لوجهك[1]؟

احمرار وجه كل إنسان من دم كبده

وليس من الشال[2] الأحمر الذى يلبسه فوق رأسه

إن رونق وجه العاشق من دموعه

ولا يروق وجهه بمسحه بالمنديل

إن أمور الدنيا فانية، والرجل الشجاع هو

الذى ينظر بدقة إلى الحرام والحلال

كل من يزرع الشعير ويطلب القمح

فعليه أن يطرد هذا الخيال عن خاطره

اعتبر من يفاخر بالعمل الصالح إنسانا

لا الشخص الذى يفاخر بملك الدنيا ومالها

من يصل إلى سمعه شعر عبد الرحمن المومندى

لن يصغى أبدا إلى شعر خوش حال[3] " ١٣٦٧ "

---

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ الشورى ١١

(٢) الشال: ما يوضع على الكتفين من نسيج من الصوف أو الحرير أو غيره؛ واسم قرية شهيرة في أعالى وادى كونر، يقطنها فرع من سادات كونر وأشرافه المشهورين

(٣)خوش حال: هو الشاعر والزعيم الثائر خوش حال خان بن شهباز خان بن يحيى خان (١٠٢٢ - ١١٠٠هـ / ١٦١٣ - ١٦٨٩م) وقد نقد شعر عبد الرحمن بقوله:

فليكن مائة سربنيا فداء غزل واحد ❁ حيث أنشد الكرلانى الشعر بالأفغانية

تابع

١١٦- قليل الحظ[1]

لو أن أحدا لم يكن مغموما من قليلى الحظ حظا

لماذا وكيف كان ينفصل عن حضورك؟

كل واحد يطلب رضاك لأجل رؤيتك

إلا أن الحكم والأمر لا يملكه أحد غيرك

لو كان أحد قادرا على التصرف فى أوامر الله

لم يكن يتحمل المشقة لحظة واحدة دون تحقيق المقصود

هذا رأس واحد قد قدمته نذرا لك

فعبثا من يقوم بعده بتهديدى خوفا على رأسى وقلبى

تكملة .....

فكان هذا البيت من شعر عبد الرحمن ردا عليه، ومن المعروف أن الشاعر عبد الرحمن سربنى مومندى، والزعيم خوش حال خان كرلانى ختكى، ويقول عبد الرحمن السربنى المومندى فى بيت آخر من شعره مفضلا نفسه وشعره على شعر خوش حال خان الكرلانى الختكى:

إن خوش حال ودولت من عبيدى ❁ فقد فتحت أنا عبد الرحمن العالم بالأفغانية

(١) ديوان عبد الرحمن ٨٧ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م وكذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

هــذا كلــه شــؤمى وســوء حظــى الــذى يلاقينـــى

وإلا فــأين أنـــت وأيـــن تقليـــب قلـــوب النـــاس؟

لـــو لم يكـــن قـــد ابتلـــى بحـــب ليلـــى

فما شأن المجنون[1] المسكين وهــذه الصحـراء والجبـال؟

إن العاشـــق يتحمـــل كـــل المشـــقات والصعـــاب

وإلا فـأين عبد الرحمـــن وهــذا القــدر مــن القـول؟

" ١٣٧٤ "



(١) المجنون: هو قيس بن الملوح العامرى.. راجع ص ٢٤١ هـ ١ من هذا الكتاب.


قافية الكاف
في أصل الحيوان

١١٧- الدرع والقتال

البس الدرع وشد الحزام استعدادا للقتال

بعد ذلك قم وخض معركة للغيرة والشهامة

لا تتحدث بأحاديث الغيرة إلى من لا غيرة له

أو اعتبر نفسك ملطخا بدمائك أنت

إن الأبطال المغاوير عندما يتجهون إلى جهة ما

فإنهم لا ينظرون إلى شئ آخر بئرا كان أو صخرا

لا يعلم نفسه ولا العالم المحيط بها أبدا

عندما يقع المصباح فى محيط دائرة نظر الفراشة

إن البلابل تقوم بالطيران متجهة نحو المروج

وحشرة " سمندر "[١] تقوم بالوثوب والقفز إلى النار

إذا كان العالم واسعا فى نظر عديم الفضل الجاهل

فإنه قبر (لحد) ضيق فى نظر أهل الفضل فى العالم

إن المدينة سجن مظلم بالنسبة للجوهرى

إذا كان الياقوت فيها يساوى جوهر الرصاص[٢]

---

(١) سمندر: حشرة - كما يقال - تنشأ وتعيش فى النار. راجع ص ٣٠٨ هـ٢ من هذا الكتاب

(٢) جوهر الرصاص: ترجمة لكلمة " مردار سنك " الأفغانية و " مردار سنك " نوع من الجواهر المصنوعة من الرصاص حمراء اللون، ونوع من الدواء لعلاج الجروح.

إن السـماء والأرض كلتيهمـا فكـا تمسـاح

كيـف يعيـش الإنسـان فـى فـم التمسـاح؟

لا تفـرح أبـدا بفرحـه ومسـرته إن كنـت عـاقلا

حيث إن الغم والفـرح فـى هـذا الدهـر متلازمـان معـا

إن كان فى المقدور أن يجد عبد الرحمن وصال الراحلين

فإنـه لـن يمكـث فـى هـذا الـدور لحظـة واحـدة

" ١٣٨٤ "




في أصل الحيوان



' ١١٨- وردة الحب '

وضعت فوق رأسي وردة حب وجهك الجميل
ثم جعلت عيني السوداوين سنبلا أسود لضفائرك
أنت نفسك حينما تمسك المرآة بيديك تحتار
فمن أين لي أنا الصبر وتحمل المشاق؟
تقوم بالتنزه في المرج وقبضة يدك مملوءة بالأزهار
الله يعلم إن كنت تحمل في قبضتك أزهارا أم قلوبا
شاهدت المسك، وكذلك العنبر في هذا العالم
فهنيئا لك! ما أجمل خصلة ضفائرك كالمسك!
لم يشاهد أحد روضة أزهار مثل روضة وجهك
ولن تبلغ آهات البلابل مبلغ آهاتي
هكذا يتظاهر بالتغافل في الجفاء والجور عليك
والناس يحتارون في دهشة لتغافل عبد الرحمن ذلك

" ١٣٩٠ "

' ١١٩- الحاصل والمردود '

لم أتمكن من الحصول على شئ في هذا العمر
وهكذا بقيت مردودا وغير مقبول

ما عثرت على شمة من رائحة الوصال[1] بعد
حتى سماني الله واصلا[2] بمجرد السيف
إنني غارق هكذا في دوامات الذنوب
بحيث لم أستطع أن أرى الساحل بعيني
يخرجني من الوطن ويطردني عنه في كل وقت
وعيّن الرقباء كرجال للشرطة ليقوموا بمطاردتي
إن كلا من البلاء، والجفاء، والوفاء
هذه الأشياء كلها قد أنزلها الله عليّ
لقد نجست نفسي ولوثتها بنجاسة الدنيا
حيف وأسف على أنني ما أصبحت عالما ولا عاملا
أصبحت لحيتي السوداء بيضاء، وأنا في حيرة[3]
بأنني أنا عبد الرحمن ما أصبحت بالغا ولا عاقلا

" ١٣٩٧ "

---

(١) الوصال: وهو عند أهل التصوف أن يتصل سر الصوفي بالحق بحيث لا يرى سواه، ويغيب عن نفسه حتى لا يعي وجودا لأحد. وهو يتم بلزوم الأسباب وترك الخلاف، والنفاذ في الخدمة، والصبر على الشدائد وصيانة الكرامات

(٢) الواصل: الوصل فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق. راجع ص٢٩٩هـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) الحيرة: في مفهومها الصوفي ما يرد على قلب الصوفي حين يتفكر ويتأمل بحيث يحجب تفكره وتأمله. فمن أراد أن يعرف سر الخالق أحرقه نور الربوبية فبقي في حيرة، ومن شاء أن يطلع على علم الحق أحرقته غلبة هذا العلم فكان حائرا.

' ١٢٠- لا تصغ إلى قيل وقال '

لا تصـــغ إلى قيـــل وقـــال لمـــن هـــو خبيـــث الأصـــل

لا ينبغـــي " الإصغـــاء "[1] إلى قيـــل وقـــال ســـئ الفكـــر

إمـــا أن يكـــون يتفـــاخر بأهلـــه ونســـبه وحبـــه

وإمـــا أن يكـــون يتفـــاخر بآلـــه وأصلـــه وعيالـــه

إمـــا أن يكـــون فـــى ذكـــر الملـــذات والزينـــات

وإمـــا أن يكـــون فـــى فكـــر المـــال والمنـــال

إمـــا أن يـــبدأ كلامـــا فاحشـــا وحديثـــا فارغـــا

بحيـــث مضمـــون حديثـــه لا يكـــون حـــلالا ولا حرامـــا

مثـــل صحبـــة العـــاقل وغـــير العـــاقل

كـــأن يمـــتزج اليـــاقوت والكوتيـــلال[2] معـــا

نعـــم[3]، كـــأن يختلـــط اليـــاقوت والكوتيـــلال معـــا

أو كالصحبـــة والمرافقـــة بـــين عيســـى والدجـــال

إن الحيـــاة التـــى تمـــر مـــع مـــن ليـــس مـــن جنســـه

فمـــاذا تكـــون أحـــوال وأخبـــار تلـــك الحيـــاة؟

---

(١) الإصغاء: من إضافتى والسياق الشعرى يتطلب إظهارها وإضافتها.

(٢) الكوتيلال: نوع من النبات ينبت فى المناطق الحارة بكثرة، يعلو حوالى ٣٠سم، ثمره أحمر اللون جميل يشبه الياقوت فى احمراره، ورقه مدور كبير. وهو يشبه الحرنكش.

(٣) نعم: من إضافتى، والمقام يقتضى تقديرها وإظهارها.

إن أمـــور الدنيـــا وأعمالهـــا فانيـــة، والرجـــل هـــو

الـــذى يعلـــم الثـــواب والوبـــال وســـوء العاقبـــة

إن لســـر نهـــر " أباســـيند "[1] وجريانـــه مجـــال

ليـــس لأعمـــال الدنيـــا وحوادثهـــا مجـــال أبـــدا

إن اتخـــاذ التدابـــير فـــى أمـــور الدنيـــا كـــالحلم والخيـــال

كيـــف يعتمـــد أحـــد علـــى الأحـــلام والخيـــال؟

كـــالملك والمـــال يظهـــر لـــه فـــى الحلـــم ويبـــدو

وعندمـــا يســـتيقظ لـــن يكـــون لـــه ملـــك ولا مـــال

كـــالرغوة والزبـــد الـــذى يبـــدو علـــى المـــاء

فحـــين يمـــد يـــده إليـــه لا يـــأتى فـــى مخلبـــه شـــئ

كالدخـــان الـــذى يبـــدو كالجبـــال الضخمـــة الشـــامخة

يتبـــدد ويتشـــتت بهبـــوب هـــواء خفيـــف

كـــالجليد الـــذى يتجمـــد بقـــوة الـــبرد الشـــديد

لا يكـــون لـــه مجـــال وطاقـــة أمـــام الشـــمس أبـــدا

حينا ينزل المطر مدرارا وحينـا تصبح السـماء صافيـة زرقـاء

كســـحاب شـــهر الأمطـــار فـــى موســـم الربيـــع

---

(١) أباسيند: أو أباسين من أشهر أنهار بلاد الشاعر عبد الرحمن، وهـذا الاسم مركب من كلمتين " أبا " وتعنى الأب، و " سيند " تعنى النهر، ومعناه بعد التركيب: أب النهر، أى أب أنهار البلاد، ويتردد اسم هذا النهر كثيرا فى الآداب الأفغانية. راجع ص ٢٤٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

يقــوم بالبنـــاء فـــى ســاعة، ثـــم يقـــوم بهدمـــه

كالـــتراب والطـــين فـــى يـــد صـــانع الفخـــار

لا وجـــود للوفـــاء فـــى عشـــيقات المجـــاز[1]

لقد قرأت هـذا الطالع وجربت هـذا الفـأل ألـف مـرة

لا تعتمـد علـى مسـراته ولا علـى همـه وغمـه

فإنـه لا ثبـات ولا قـرار لهجـره[2] ولا لوصالـه[3]

حينـا يـنزل علـى الوجـه كالفخـار الأسـود

وحينـا يـنزل علـى الوجـه كـالمنديل النـاعم

إن مثلـى فـى هيمنـة الـرأس والاضطـراب فـى العشـق

كـالملح الـذى قـد وضعـه شـخص فـى المـاء[4]

عندما ألتفت إلى مهاجمة الموت وما فيـه مـن الخسـارة

أرى نفسى من ظلال ذلك موطأ بالنعال كنملة تحت الأقدام

---

(١) عشيقات المجاز: العشق عند الصوفية نوعان.. العشق الحقيقى، وهو محبة الله وعشقه وحبه، والعشق المجازى وهو عشق الإنسان للإنسان وعشق الناس للأمور والشئون الدنيوية. راجع ص ١١٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٢) الهجر: الهجران وهو أن يلتفت العاشق إلى غير الله. راجع ص٣٣٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) الوصال: هو أن يتصل سر الصوفى الحق بالحق بحيث لا يرى سواه، حتى يغيب عنه نفسه. راجع ص ٣٥٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

إن قلبي النشوان يطلب السفرجل إلا إن المشكلة

في أنه يظهر لي كل سنة فأس " لقطعه "[1]

إن تمكنت من وصال الحبيب فأنا كفء ونظير

وإلا فإن عبد الرحمن ليس بنظير ولا بكفء لأحد

" ١٤٢٠ "

' ١٢١- الفراق والفؤاد '

لقد أضعف فراقك قلبي

بحيث تنازل قلبي هذا عن نفسه

يمسك أيدي الناس وأرجلهم طالبا الدعاء

هكذا حَمل الحب قلبي منة الناس

لقد أصابه العشق بجروح كثيرة

بحيث جعله كله روضة شقائق النعمان

ما لقي إنسان أذى بدون سبب

فبأي سبب آذيت قلبي؟

لقد سحبت قلبي بحبل الضفائر

فجعلته أسيرا يتحمل البلاء

قد تمكنت عيناك من الإقامة في قلبي

بحيث جعلته يتنازل عن غيره

---

(١) لقطعه: أضفت هذه الكلمة لتوضيح المراد من الفأس.

أنا عبد الرحمن أتحمل منة العشق وإحسانه
بحيث جعل قلبي يعشق المحبوب

" ١٤٢٧ "

' ١٢٢- الدلال والعين '

من يخفي عينيه من الدلال
كيف يرى من قتلهم وظلمهم بعينيه؟
عندما يوجه إليّ شتائمه بغضب
فإنه يعتبر ذلك منة منه وإحسانا
إنه يتحدث بالإشارة من الدلال
متى يذكر اسم أحد على لسانه؟
حين يثبت على صدره برعومة
فإن العاشق يثبت يديه على صدره بقوة
يفقد مشتريه شعوره من شدة الحيرة
عندما يكشف له في دكانه بضاعة حسنه
حين يبدو له وجهه في المرآة
يلقي برأسه أكثر انخفاضا على نفسه
كل من يرغب في عشقه بنزوة هوس
كأنه يلعب في ذلك بدينه وإيمانه
لا يصرف النظر عن مال أحد وحياته
لقد شاهدت بنفسي حال المطلوبين

إن المجنون سيطر على ملك العشق عندما
قام بإحراق منزله وأثاثه في النار
هذا المقام مقام هؤلاء الناس الذين
لا يرون بعيونهم منافعهم ولا خسائرهم
هنيئا للعشاق والمحبين بعلو همتهم
حيث يرون الحبيب أغلى من المال ومن الحياة
لا طعم ولا لذة لفتح العيون نحو أحد
عندما لا يرى عبد الرحمن المحبوب بعينيه

" ١٤٣٩ "

' ١٢٣- الانفصال والعيون السوداء '

لقد ابيضت عينيّ السوداوان بالبكاء من الفراق
ثم تلونتا محمرتين بمهجة الفؤاد مرة أخرى
كنت أقول: إنني سأقوم برؤية الأحباب
ولم أكن أعرف بأن الأحباب قد تحدد رحيلهم
منهم من ألقى بنفسه في النار كالفراشة
ومنهم من يعيش حيا كالبلبل الناري[١] في الليل

---

(١) البلبل الناري: حشرة تضيء بالليل حمراء اللون تسمى بالعربية حباحب (اليراعة). يلاحظ بأن في ترجمة الشطرة الثانية من البيت نوع من الاضطراب بسبب هذه الكلمة.

حـــدث للموتـــى صعوبـــات المـــوت ومشـــقاته

والأحيـاء أصبحـوا محزونـين فـى حيـاتهم بموتهـم

إن جنـــود القضـــاء قـــد مـــدوا أيديهـــم للهجـــوم

بحيث أصبح ألف خسرو[1] وألف شيرين[2] تحت الأقدام

مـن كـان يضـع قدمه عالية فى السماء مـن الـدلال

قـد أصبـح هـؤلاء المدللـون المتفـاخرون تحـت الأرض

مـــن كـــان ينـــام دائمـــا علـــى فـــرش مـــن الســـنجاب

ينـــام الآن علـــى الأرض بـــلا فـــرش وبـــلا وســـادة

لمـاذا لا يكـون خـــاطر عبـــد الرحمـــن حزينـــا مضطربـــا

فـــى حـــين حـــزن منـــه واضطـــرب جميـــع الجلســـاء

" ١٤٤٧ "

(١) خسرو: لقب عدد من الملوك فى العهد الساسانى، والمراد منه هنا خسرو پرويز من أبناء هرمز وحفيد أنوشيران. وهو أول من أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم رسالة يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام إلا أنه استكبر و لم يعتنق الإسلام. وله قصة حب مشهورة مع جاريته شيرين.

(٢) شيرين: اسم جارية للملك خسرو پرويز الساسانى الذى وقع فى حبها، ولكن قلبها قد خفق لمن يسمى فرهاد. وقد نظم الشعراء قصة فرهاد وشيرين، وطوعوها لمعان كثيرة صوفية وعاطفية راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.


في أصل الحيوان

' ١٢٤- صورة المعشوق '

فـــــى عيونـــــى دائمـــــا

تـــدور صـــورة المعشـــوق

سـواد عينـى أحمـر بلـون الـورد

فـى أمـل اللقـاء بلطيـف البـدن[١]

مـن غـير دمـوع العـين الدمويـة

لا توجـد لـدى خمر[٢] ولا كـأس

فـى السـعى للقـاء مهـدئ القلـب

مـا رأيـت هـدوءا مهدئـا

جعـل الله ذقنـه بـئرا

أقـع فيهـا عنـد كـل خطـوة

إن كـان الخـال[٣] عبـدا لوجهـه

فـإننى عبـد لعبـد

إن كـان محققـو العشـق كثـيرون

فـإن هـذا الإخفـاق مـرادى

إننـى راض فـى العشـق

أمشـتهر أنـا بـالطيب أو السـئ؟

(١) لطيف البدن: المراد المعشوق والمحبوب.

(٢) خمر: وهى عند الصوفية بمعنى العشق الإلهى. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤ من هذا الكتاب.

(٣) الخال: الشامة، وهو عند الصوفية الوحدة الحقيقية. راجع ص ٣٣٨هـ ٣ من هذا الكتاب.

أقبـــل فـــى الحـــب والعشـــق

الملامـــة[1] مـــن الخاصـــة والعامـــة

أطلـــب بـــدلا مـــن الدعـــاء

شـــتائم مـــن فـــم الحبيـــب

إن دعـــائى وســـلامى هـــذا

أقدمهمـــا فـــداء لشـــتائمه[2]

حديثـــه المـــر ألـــذ فـــى نظـــرى

مـــن الزبيـــب واللـــوز

مـــن بلغنـــى رســـالته

فهـــو مســـيح[3] بالنســـبة لى[4]

إن وجـــه الحبيـــب بـــدر كـــامل

فقـــد رآه عبـــد الرحمن كـــاملا

" ١٤٦١ "

---

(١) الملامة: وهى فى المصطلح الصوفى قطع الصوفى كل ما بينه وبين الخلق من أسباب. راجع ص ١٣٦ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) فى ترجمة هذا البيت قدمت الشطرة الثانية على الشطرة الأولى.

(٣) هذا المعنى ينظر إلى هذه الآية الكريمة: ﴿..**أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله**..﴾ سورة آل عمران الآية ٤٩.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

' ١٢٥- مناولة الكأس تكريما '

لـو أكرمنـي السـاقى[١] بإعطـائى كأسـا واحـدة
فهل سيكون هناك احـترام أكثر مـن هـذا الاحـترام؟
يكفينـى أنـا هـذا الفيـض مـن فيوضـات الخمـر[٢]
لأغسـل بـه هـذه الجبـة الزرقـاء اللـون[٣]
إن كـان شـرب الخمر يسئ إلى السمعة فى العـالم
فإننى قـد وضعـت الغـيرة والاسـم تحـت الأقـدام
ياقوتـة حمـراء تسـاوى فـى الميزان حجـرا أحمـر
فالعشـق كذلـك مسـاو بـين الخاصـة والعامـة
إن محبـى الوجـوه البيضـاء والضفـائر السـوداء
مـاذا يهمهـم فـى الحاجـة إلى الكفـر والإسـلام؟
إن المجنـون الـذى فقـد العقـل مرفـوع القلـم
مـا يـأتى أمامـه مـن الحـلال والحـرام سـيان
فالعشـق الحـلال هـو الـذى واجـه عبـد الرحمـن
ففـى الحـلال دائمـا يكمـن الاحـترام " ١٤٦٨ "

---

(١) الساقى: هو الفياض المطلق عند أهل التصوف. راجع ص ١٦٣ هـ ١ من هذا الكتاب
(٢) الخمر: كناية عن العشق الإلهى. راجع ص ٣٢٥ هـ٤ من هذا الكتاب.
(٣) الزرقاء اللون: إن الكلمة المستعملة فى الأصـل الأفغانى هـى أرزق، ويبـدو أن ذلـك مـن أخطاء النساخين والصحيح هو أزرق أعنى زرقاء اللون كما هو فى الترجمة.

' ١٢٦- العشق والسلطان محمود '

انظـــر إلى الســـلطان محمـــود[1] دائمـــا

حيـــث جعلـــه عشـــقه عبـــدا لعبـــد

العمل الصالح هـو هـدف الصـالحين الذيـن

لا ينظرون إلى الوقت صباحا كان أو مساء

مـن لا يكـون متوجهـا بقلبـه فـى الصـلاة

لا ينبغـى لـه ذلـك مقتديـا كـان أو إمامـا

من كان صادقا فى حبـه مثـل مجنـون ليلـى

فهو الذى يقول عليه عبـد الرحمـن السـلام

تطـــرب بــــالنغم والرقــــص والضحــــك

حسان باكرام من روعـة شعر عبد الرحمـن

" ١٤٧٣ "

' ١٢٧- الموت والفراق '

لمـــاذا لا أمـــوت مـــن شـــدة هـــم الفـــراق؟

لمـــاذا لا أمـــوت مـــن مثـــل هـــذا المـــأتم؟

---

(١) السلطان محمود: أشهر سلاطين الدولة الغزنوية فى أفغانستان، اشـتهر بحبـه الشـديد لعبـده أياز الذى اشتهر بوسامته وتفانيه فى حبـه لسيده السـلطان محمـود الغزنـوى هـذا. راجـع ص ٢٢٣ هـ١ وهـ٢ من هذا الكتاب.

حـين يفـارق أحـد الأحبـاب حبيبـه

فلمـاذا لا أمـوت مـن ظلـم هـذا الـدور؟

مـن يضحـك علـى بكـائى كـل صبـاح

فلمـاذا لا أموت مـن مثـل هـذا الصبـاح؟

المحب الذى لا يـرى محبوبـه، فهـو مـوت لـه

فلمـاذا لا أمـوت مـن معشـوقى؟

مـن يـؤدى ظهـره للـوردة بقليـل مـن الحـر

فلماذا لا أموت من الندى الذى لا وفاء لـه؟

إذا كان بجوارك مشقة الموت يا عبـد الرحمـن

فلمـاذا لا تمـوت قبـل تلـك اللحظـة؟

" ١٤٧٩ "

' ١٢٨- ضرب الرأس بالحجر '

إذا كـان ذلـك الحبيـب يضربنـى بحجـر علـى رأسـى

فإنـه لا سمـح الله أن أتنحـى منـه إلى جهـة أخـرى

إن العشـق والسـمعة والغـيرة بعيـد بعضهـا عـن بعـض

إلى متى سيراودنى فـى حيـاتى التفكير فـى السمعة والغيرة؟

إن الله تعـالى قـد جعلـه أحلـى مـن قصـب السـكر

مـا يـأتينى مـن يـد الحبيـب وإن كـان سـهاما مـن خشـب

فـــى أمـــور فـــراق الحبيـــب والمشـــغولية فيهـــا

تتلقـــى نـــاصيتى ســـيف الإفرنـــج دائمـــا

أقـــوم بخدمـــة المعشـــوق كعبـــد فـــى العشـــق

لا أتقاضى مرتبا شهريا من بهلول[1] ولا من أورنـك زيـب[2]

الدخـان الأخضـر تـاج علـى رأسـى، والتكيـة عـرش

أتنـــاول بـــالأكل غبـــار ثروتـــى وترابـــى كالفقـــير

مـــن أجـــل أن أصبـــح فـــاقدا للعقـــل غـــير واع

أتناول فـى همـوم الهجـران كميـات كبـيرة مـن الحشـيش

كمـــن يتمتـــع بالدنيـــا ومـــا فيهـــا مـــن النعيـــم

مثـــل ذلـــك أتنـــاول أنـــا ســـم جفـــاء الحبيـــب

---

(١) بهلول: هو السلطان بهلول اللودى أحد أشهر ملوك الأسرة اللودية، بل هو مؤســس هـذه الأسرة الأفغانية الحاكمة التى حكمت فى الهند للمرة الثانية من سـنة ١٤٥١ - ١٥٢٦م. وقد أسس السلطان بهلـول اللـودى هـذه الأسـرة واسـتولى على الحكـم سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، واستمر حكمه لمدة ثمان وثلاثين سنة، وتوفى سـنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، وكـان عمره عند وفاته ثمانين سنة، ومن أشهر أعماله أنه شارك كل القبائل الأفغانيـة فـى الحكـم وجعل بلاطه منتدى أدبيا للشعراء الأفغان فى الهند وكان هو نفسـه شاعرا.

(٢) أورنك زيب: أحد أشهر ملوك المغول فـى الهنـد، هـو الملـك الجبـار السـادس فـى الأسـرة المغولية. وقد تولى الحكم سنة ١٦٥٨م باسم أبو المظفر محى الدين عالم كير، ومواقفـه مـع الأفغان وبخاصة مع الزعيم الشاعر خوش حال خان مشهورة فى التاريخ الأفغانى.

إن كـــل مـــا يمـــر بحلقـــى ويعـــبر يصبـــح سمـــا
فـى البعـد عـن الحبيـب، وإن كـان كلـه قرنفــلا أو قافلــة[1]
إلى متـــى يمكـــن أن أعيـــش أنـــا عبـــد الرحمـــن حيـــا
حيـــث أدور كالفراشـــة حـــول الشـــعلة المشـــتعلة؟

" ١٤٨٩ "

' ١٢٩- رأسى فداك '[2]

رأســـى ليـــس بلائـــق لأقدمـــه فـــداء لرأســـك
ليـــس لـــدى ذهـــب لأكومـــه تحـــت رجليـــك
بـــدأ عمـــل العشـــق لى فـــى الأول أمـــرا ســـهلا جـــدا
أمـا الآن فـإننى محتـار فـــى كيفيــة قيــامى بهــذا العمــل
ادعـــى خلـــق كبـــير التفـــانى فـــى حبـــك
ما جعل الله أحدا كما جعلنى الحب مشغولا بآلام نفسى

---

(١) قافلة: القافلة شجيرة أزهارها شبيهة بزهرة الفول، وتسمى بالأفغانية " لاچى " وبالفارسية " هل " أو هيل، وبالعامية حبهان. وشجيرة الهيل هـذه تستعمل ثمرتهـا فـى إعطـاء رائحـة طيبة لبعض الأطعمة.

(٢) ديوان عبد الرحمن ٩٥- ٩٦، تحقيق لفيـف مـن علمـاء الأفغـان، أكاديمية البشـتو، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م. و لم يأت ذكرها فـى ديوانـه مقدمـة مـولا عبـد القـادر، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، وكذلك لم يأت ذكرهـا فى ديوانـه مقدمـه سـيد رسـول رسـا، بشاور ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

لا دواء لجــــراح العشـــــق غـــــير التســـــليم
ليــس هـــذا بـــأ لم يمكـــن أن أقـــوم بدفعـــه بـــالدواء
لا يتعـامل العـدو مـع الأعـداء بمثـل هـــذه الأعمـــال
مثـل مـا حـيرتنى أعمـــالك القاســية فــى عشــقك
إن أراد الله ســــيتحول الكــــــافر مســــــلما
حـــين أبـــين حســـنك ولطفـــك لكـــــل كـــافر
يـــــــدو واضحـــــــا إن عـــــاجلا أو آجــــــلا
إننــى أنـا عبــد الرحمــن ســأمزق فتحـة القميــص بيدى

" ١٤٩٦ "

١٣٠- المجنون والخروج على الرسوم

مـــن استولى علــى عقلــى وجعلنــى مجنونـــا؟
مـــن أخرجنـــى مـــن التقـــاليد والعـــادات؟
لست أدرى من يرتكب هـذه الأعمـال ضـدى؟
من جعلنى مجنونـا واخـذ لبـى. بسـحر نظراتـه؟
ما هذه العيون، ما هذه الجفون، ما هذه الغمزة؟
مـن أغرقنـى كالشـهيد فـى الـتراب والدمـاء؟
لم يكـــن لـــدى قـــدرة تحمـــــل الفـــتن
فمـن جعلنـى مفتونـا بفـــتن العيـون السـوداء؟
أنـا عبـد الرحمـن ليـس لـدى خـبر عـن نفسـى
مـــن جعلنـــى هكـــذا مقلوبـــا محزونـــا؟ " ١٥٠١ "

' ١٣١- الدعاء والوفاء '

أدعو الله رافعا يدى فى الصباح والمساء

طالبا من الله حبك ووفاءك فيه

لا أعرف الكذب، ولا الصدق، إن تصدقنى

من أجلك بدأت أقوم بالكذب وأقوم بالصدق أيضا

أنت الكل.. أنت تضحك، وأنت تبكى

أنا بنفسى.. لا أضحك، ولا أبكى

إن لم تكن أنت، فقل لى من هو؟

من جعل رأسى عاريا، ومن جعلنى حافيا؟

لا وجود للنوم ولا للضحك فى أرض الفراق

كيف يمكننى الراحة فى صحراء كربلاء

كل يوم من أيام عمرى حين يمر فى همك

فإننى أعلم بأننى أقوم بالجهاد كل يوم

لم تتعوج شعرة واحدة من شعر بدني

هكذا جرحت قلبى وأصبته بجراح خفية مؤلمة

منذ أن تقمصت ولبست رأس العشق ورجله

فصار عبد الرحمن بهذا الرأس والرجل بغير رأس ورجل

" ١٥١٠ "

' ١٣٢- آلامك غالية '

لـن أبـدل آلامـك بـألف دواء للعـلاج

لـن أبـدل فاهمـا هـذا الربـح بالخسـارة

إن أعطـانى أحـد الدنيـا والعقبـى كلتاهمـا

لـن أعطيـه عشـقك بهـذا ولا بـذاك

إلى الوقت الذى لم يدخل فيه السيف فى جنبى

لن أعطى مسلّما جنبك بسهولة للرقيب

إن وقعـت ضفـائرك فـى يـدى مـرة

فإننى لن أعطى شعرة منها ثمنا للعالم كله

لـو تمكنـت مـن الحصـول علـى تقبيلـك

فإننى لـن أبـدل هـذه النعمـة بمائدة الجنـة

إن لم أتمكن من مشاهدة عينيك، بمشيئة الله

إلى ذلك الحين لـن أعطـى لعزرائيـل نفسـى

إن المعاشـيق ديـن العشـاق وإيمـانهم

لـن أعطـى لأحـد دينـى وإيمـانى

ما قيمة الضفائر الأخرى فى مقابل ضفائرك؟

لن أعطى ريحانة المرج لقاء التبن والقش

حـرام علـى عبـد الرحمـن حمـر شـفائفك

حتـى لا أعـطى كأسا من دمى غرامة لذلـك

" ١٥١٩ "

' ١٣٣- لست أفهم '

لســت أفهــم مــا هــذه الحيــاة

رؤيــا أم خيــال أم خدعــة؟

حين أجد كأس شـفائفه بدمـاء روحـى

لســت أفهــم أزلال هــو أم دم الكبــد؟

إننــى محتــار بــين الفراشــة والبلبــل

لست أفهم أوجهك نار أم وردى اللـون؟

مـع التمشيط انفـرد خيـط مـن ضفـائرك

أم تقطع عـرق مـن عروقـى لسـت أفهـم؟

قــد أقــامنى العشــق علــى مقــام

لســت أفهــم أوصــال هــو أم فــراق؟

إننــى فــى حــيرة مــن علامــة قلبــى

لسـت أفهــم أموســى هــو أم قــارون؟

قد جعل وجه عبد الرحمن مصفرا كالزعفران

يعلـم الله إن كـان ذلـك عشـقا أم طاعونـا

" ١٥٢٦ "

' ١٣٤- أفهم شرابك الجديد '

أفهم بأنك قد شربت خمرة جديـدة مـرة أخـرى

قمــت بزراعــة الـورد علـى وجهـك أفهــم

لـو خضبـت يديـك بالحنـاء ألـف مـرة
فـإننى أفهـم بـأنك قـد غسـلتهما بدمـائى
إن لم تكن المعركة لقتلى، فما هو الأمر الآخـر؟
حيـث أفهـم بـأنك قـد دعـوت الرقبـاء
حـين قربـت أنـت والرقيـب الأذن معـا
فـإننى فهمـت وبكيـت فـى تلـك السـاعة
مـا الحاجـة بـأن يقرأنـى المـلا رسـالتك؟
مـا كتبتـه فيهـا بشـأنى أفهمـه مقدمـا
لماذا تشـرح لى جـورك وظلمـك وجفـاءك؟
أفهـم بـأننى قـد رأيـت وشـاهدت كـل ذلـك
إن الرقباء يعتدون على عبـد الرحمـن لأنـك
قـد قربتهـم وأسكنتهم بجوارك، أفهـم ذلـك

" ١٥٣٣ "

' ١٣٥- الهلاك والرهبة '

لا خـوف ولا رهبـة لديـك مـن المـوت دائمـا
لقـد نسـيت مثـل كـل هـذا الهـم بـأى هـم آخـر
ستنسـى كـل الهمـوم والغمـوم الأخـرى
لـو نـزل وحـل عليـك هـذا المـأتم
الذى لا يستطيع الجريح العثور عليه بـالبيع والشـراء غـدا
يمكـن العثـور علـى ذلـك البلسـم اليـوم مجانـا

ينبغي لك القيام بإعداد الأدوية

حيث ما أصابك حتى الآن سيف الأجل

خذ الزاد معك عندما يرحل بدنك من هذه الدار

ليست هناك دار أحكم بناء من هذه الدار

ليس الذهاب والرحيل بهذا الطريق بسهل

فيه صعوبات وعقبات في كل وقت وعند كل خطوة

إن كنت تخاف من ظلم الناس وجورهم

فأنت أيضا لا تظلم أحدا من الناس

إن كنت تأمل في الرحمة والفضل والكرم

فينبغي لك أن تكون كريما رحيما على الجميع أيضا

ستجد كل ما تفعله مع الآخرين وستلاقيه

لا تذهب ثمرة أية بذرة من البذور هدرا

كل أجر من الأجور يساوي مقدار العمل

فكلاهما متحدان متشابكان بعضهما ببعض

فأنت الآن مخير بين القيام بالعمل الطيب أو السيئ

فكلاهما.. الطيب والسيئ تتم كتابتهما بالقلم

لا تنسى الله بحيلة البحث عن الرزق، واعلم بالتأكيد

أن رزق الإنسان وطعامه أقدم من الإنسان

إن كنت تظن زيادة شيئ في الرزق بحرصك

لن يزيد شيئ أبدا بمقدار سم الخياط

لو بحثت عنه بألف طريق، وقمت بالتردد عليه ألف مرة

لن تستطيع أن تزيد أو تنقص ما قدره التقدير

لا تكن حريصا مطاعا للهوى، واذكر الله

فهو كاف، يكفي فضله للعرب والعجم

واجب عليك عبادة الله مالكك

لا الجيوش والخزائن، ولا الملك والحشم

كسرة من فتات الخبز، وشال (رداء) واحد لكفاك

والأشياء الأخرى الباقية إسراف مسلم به

الغرض من الطعام هو القوت الذى لا يموت معه الإنسان

لا اللحوم والسمن والأرز أو القمح بالضرورة

الغرض من الثياب هو ستر الإنسان نفسه

لا الحرير ولا القماش المطرز بالذهب، ولا التاج والعلم

كيف يمكنك أن تقوم بمعالجة ظلام القبر

إن كنت تخاف فى الظلام فى هذه الدنيا؟

حينما يغلب عليك الحرص والطمع اذكر الموت

هذا هو العلاج القاطع لذلك المرض

إن الغفلة لا تناسب الشيوخ والمعمرين أبدا

فى وقت الصباح والسحر لا يجوز النوم

يستقيم الثعبان عندما يصل إلى فتحة الغار

وأنت قد بلغت إلى حافة القبر و لم تستقم

تقـوم بـأمور الدنيـا منحنيــا ظهــرك طــوال العمــر
و لم ينحـــن ظهــرك لأداء ركعتـــى الصـــلاة نفـــلا
إن كنـــت شـــجاعا ابــك علـــى نفســـك أولا
قبـــل أن يبكـــى عليـــك الأقربـــاء فـــى العـــالم
حين يبكى عليك الأقربــاء بـالضرورة، فكـن منصفـا
يـا عديـم الإنصـاف مـا سـبب سـرورك ورضـائك؟
إن كنـــت أنـــا لا أتكلـــم، فـــافتح أنـــت عينيـــك
تشـــتت بيتـــك، أأنـــت حيـــوان أم ابـــن آدم؟
يـا عبـد الرحمـن مثلمـا أنـت ملـوم مؤنـب أمـام الله
لـــن يكـــون فـى العـــالم ملـــوم مؤنـــب أخـــر أبـــدا

" ١٥٦١ "

' ١٣٦- الصبر وجفاء الحبيب '

إلى متى أداوم على الصبر لتحمل جفاء الحبيـب؟
إلى متـى أقـوم بتدوير الشـمعة أمـام الشــمس؟
مـن الكـذب أن يجتمـع العشـق والصـبر معـا
كيـف يناسبنى أن أقـوم بهـذا الادعـاء كاذبـا!
أيهـــا النـــاصح! لا توجـــه إلى نصيحتـــك
إننـى أقـوم بزراعـة بذرتـى هـذه لنفسـى

أعلم أن العشق نار، ولكن الله جعلنى عاشقا
أقوم بإلقاء نفسى فى النار وأنا عالم
جعل الله تصرفى وعملى فى يد الحبيب
إلى أية جهة يشدنى أسير وراءه وأذهب
إن فتحة قميصى فى يد مودة الحبيب
إننى لا أملك فى هذا العمل عذرا
إن للعشيقات حقا على المحبين والعشاق
فلماذا أقوم بتبديل الحق على الباطل؟
وبما أننى قد فرضت على نفسى مودة الحبيب
فلماذا أقوم بالإعراض عن أداء الفرض؟
ما هذه الحياة التى لا أرى فيها الحبيب بعينى
وأقوم أنا عبد الرحمن بفتح عينى فى العالم؟

" ١٥٧٠ "

' ١٣٧- غمزة وفناء '

بغمزة واحدة من عينيه فنيت نفسى
من الرأس إلى النهاية أصبحت بلا أساس بلا بقاء
إننى لم آخذ نفسى من ألم هم الحبيب
افتضح أمرى وإن لم آخذ نفسى

من الأفضل أن ينسكب وينصب بدني في العشق

كنت قطرة الندى أصبحت الآن بحرا

إنني أنظر إلى وجه الحبيب، والحبيب إلى

فحين بدأت المشاهدة أصبحت موضعا للمشاهدة

كنت في فراقه درويشا أحمل على عاتقي جبة الدراويش

فأصبحت في وصاله ولقائه ملك الأمراء

إن الغربة هي من نصيبي في قريتي ومنزلي

أصبحت وحيدا فريدا كالدرة اليتيمة في الصدف

إن العيون السكرانة اختلست عني صفة المستورية

لذلك فإن عبد الرحمن مفتضح أمره بين الناس

إن السلطنة تقوم بدعاء الدراويش

أنا عبد الرحمن أصبحت ملكا حين أصبحت درويشا

" ١٥٧٨ "

١٣٨- ' الشوكة والعالم '

أصبحت هناك إنسانا سيئا مذموما إلى حد

صرت فيه شوكة في عيون العالم كله

إن جميع الناس في الدنيا يعيشون ويعملون معا

إلا أنا فقد أصبحت في ذلك خشبة عوجاء

إن الناس في العالم كله يتنحون عني

ألبس رداء أبيض، ولكنني أصبحت فخارا أسود

إن الحظ الطيب ليس في حاجة إلى الزخرفة أبدا

قام الجهاد وتم، لا يهم إن كنت مومنديا[1] أو داود زيا[2]

إن ابن نوح عليه السلام كان حفيد جد صالح

أظن بأنني أصبحت حفيد جد صالح أيضا

إن كل وسواس ينشأ من الاحتياط الشديد

وأنا قد أصبت بجنون الوسواس من شدة الذكاء

قد نزل على الآن كرم عطاء الآدمية

حين أصبح عبد الرحمن حارس حارة الحبيب

" ١٥٨٥ "

' ١٣٩- الخلق الطيب '

إنني بطبعي الحسن في غنى عن أذى الحاقدين

وبحلمي وصبري كالماء أكافئ النار جزاء لها

إنني أبدو وأظهر لجميع الناس بشكلي الحقيقي

وإنني كالمرآة بلا مواراة ولا رياء

---

(١) مومنديا: مومند أو مهمند قبيلة من القبائل الأفغانية المشهورة ينتمي إليها الشاعر. راجع ص ٢٢٦ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٢) داود زيا: من بني داود، وداود أحد أجداد الشاعر، وذريته تشتهر باسم " داود زي " ومعناها بني داود. راجع ص ٢٢٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

زاد عمري وطال بالصدق والاستقامة
أعيش دائما ناضرا طريا كشجر السرو
إنني أبدو بملابسي البيضاء معروفا
لأنني كالسحاب.. جوهر وبحر
إن قناعتي أطلس وحرير تحت الجبة..
سلطان العالم كله في الخفاء، وفقير في الظاهر
إنني صامت كالبرعومة بمائة لسان
وناطق كالرائحة بالفم المقفول
لقد حصلت على رؤية الحبيب بالبكاء
وحيد مع الوردة وفريد معها كالندى
من فقد طريق العشق وضل
فإنني أنا عبد الرحمن مرشد الضالين

" ١٥٩٣ "

' ١٤٠- الرحيل السريع '

إنني راحل من هذه الدنيا بسرعة
كورقة في الخريف، إحدى رجلي في الركاب
لو قمت ببناء ألف عمارة في العالم
فإن النتيجة في النهاية دمار بيتي
إن كان أصل حياتي وأساسها ماء
إلا أنني حباب فوق سطح الماء

جعل الله هذا العالم مذبحا لى

أقف معقود الرجلين فى فناء منزل الجزار

فإذا لم يكن لدى علم بمعرفة الله

يظهر من ذلك بأننى إما شيطان وإما دابة

إذا كان شكلى شكل إنسان، ماذا أفعل به؟

لأننى فى المعنى محسوب على ذوات الأربع

كالصنم ينام وعيناه مفتوحتان

هكذا أنا أخذنى النوم فى يقظة

لم أبرد قلبى بالطاعة والعبادة

كاللحم المشوى أنا دائما فى دوامة الذنوب

حين أنظر إلى ذنوبى وأفكر فيها

فإننى أستحق كل عذاب وكل عتاب

مثل من ركب الحمار واسود وجهه

هكذا أنا ضعيف أمام الله وعديم الطاقة

إذا كان القول الحسن على لسانى، فإنه جهاد وتم

وإذا لم يكن عندى أنا عبد الرحمن عمل فإننى كذاب

" ١٦٠٥ "

' ١٤١- الحزين والمحبوب '

إن كنت قريبا من قلبه ويذكرنى ألف مرة

فإننى لست سعيدا حيث لا أرى الحبيب بعينى

إذا وعدني الحبيب للوصال ألف وعد

فإنني من شدة الضجر والجزع لا أصدق ذلك

إنه لا يكتفي على جفائه ووفائه

فأنا شديد الحذر عما يفعله المدللون من الإنصاف

ما الأمل المعقود على حاجة غير المحتاجين؟

بالأمس كنت السلطان خسرو[1]، واليوم فرهاد[2]

إن اشتعلت النار من يد الحبيب فوق بدني

فأنا كالشمعة أقف مستقيما في مقامي

إن الهدوء بدون الحبيب يصبح ضجيجا

فإنني كالريح في حركة دائمة ليلا ونهارا

إذا كان الحبيب جالسا في حضني طول العمر

سأكون أنا في صراخ واستغاثة من هم الفراق

لم أتمكن في وقت ما من العثور على مراد قلبي

فقد خلقني الله في الأصل محروما غير موفق

إلا أنه يحتمل أن أعيش على أمل الوصال لمدة عام

أما في أسبوع الهجران فإنني بلا أساس هكذا

---

(١) السلطان خسرو: هو خسرو پرويز بن هرمز الذى كانت له قصة حب مع شيرين التى كانت تميل إلى فرهاد. راجع ص ٣٥٧ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) فرهاد: اسم بطل قصة مشهورة فى الآداب الأفغانية، وهو عشيق شيرين التى كانت عشيقة السلطان خسرو. راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

لا نتيجة أخرى لذلك غير الهم والغم

فإننى فى حيرة حقا من عدل العشق وإنصافه هذا

لم أكن أتوقع الهجران والفراق فى الوصال

أما الآن فإننى حيران متحير من هذا الفساد

من غير العشق الذى أصبح كحبل اللجام فى أنفى

فإننى حر منطلق من كل قيود الحياة

إن كنت تبيعنى أو تشترينى، لا حيلة لى

فإننى أنا عبد الرحمن خادم الحسان

"١٦١٨"

'١٤٢- الفقير والأمير'

إن عدنى أحد من الفقراء فإننى فقير

وإن عدنى أحد من الأمراء فإننى أمير

أطلب المال لتقديمه صدقة للحسان

وليس حبا فى المال وحزنا لأجله

إن القيام بخدمة جبة الدراويش صعب، وإلا

فإننى خير من يقوم بتلك الأعمال المفضلة

إننى اتعظ.. أقبل النصيحة، وأوجه النصح

فإننى مريد بعض ومرشد بعض

فى الهجران يصاحبنى خيال الحبيب وطيفه

وفى السجن أسير مسجونا مع يوسف عليه السلام

فــى الضحـــك أذرف الدمــوع كالشـــمعة
وفـى الخفـاء عــن العــالم أنــوح علــى نفســى
هــل هنـــاك حريـــة أكـــثر مـــن أن أكـــون
أســيرا مســجونا بــأغلال ضفـــائر الحبيـــب؟
هــل يمكــن أن يكــون هنــاك ســرورا آخـــر
غير حزنى وتعبى فى البحث الدائم عن حبيبـى؟
حــين أسمــع بــأذنى صــراخ الهجــران دائمـــا
فإننى أنظر أنا عبد الرحمن إلى وجه الحبيب بدقـة
إن خــوش حــال[1] ودولــت[2] مــن عبيـــدى
فقــد فتحـــت أنا عبد الرحمـن العالم بالأفغانيـــة

"١٦٢٨"

---

(١) خوش حال: هو الشاعر القدير خوش حال الذى وجه نقده إلى شعر عبـد الرحمن، فكـان هذا البيت من شعره ردا على ما قاله خوش حال فى نقد شعره. راجع ص ٣٣٩ هـ٣ مـن هذا الكتاب

(٢) دولت: هو الشيخ دولت ا لله اللوانى (النوحانى) من شعراء الأفغانية المشهورين فى القـرن الحادى عشر الهجرى، وهو من أبرز أنصار مدرسة بايزيد الأنصارى الأدبية، ومـن مريديـه المخلصين فى التصوف. ومن معاصرى الشاعر ميرزا خان الأنصـارى الـذى استشـهد فـى حرب دكن بالهند سنة ١٠٤٠هـ.

' ١٤٣- الغريق والهم '

مســـرور أنـــا غارقـــا فـــى آلام الحبيـــب وهمـــه

مسرور فـــى هـــذه الآلام بـــلا طاقـــة، بـــلا احتمـــال

إن أنـــا أغـــرق فـــى المـــاء، أو أحـــترق بالنـــار

فإننى مسرور راض بنار الشفائف الحمراء ومائها

إذا كانت هناك علامات خال[١] الحبيب وخطه[٢]

فإننى أرضى سعيدا بقراءة الكتاب معلق الرأس

الأفضـــل مـــن هـــذا الحديث العقيم الـــذى اسمعه

أن استمع راضيا سعيدا إلى نغمة الربابة والنشيد

أفضـــل مـــن عبـــادة الريـــاء غـــير المقبولـــة

أن أكون سعيدا راضيا بخمر[٣] الساقى[٤] وخرابها[٥]

---

(١) خال: الخال هو الشامة، وفى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية.راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب

(٢) خط: الرسالة والمراد منه هنا شارب الحبيب، أو خصلتا الشعر المعلقتان على طرفى وجه المحبوبة. راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب

(٣) الخمر: العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ٤ من هذا الكتاب

(٤) الساقى: هو الفياض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل. راجع ص ١٦٣ هـ١ من هذا الكتاب

(٥) خراب: ثمل، نشوان، سكران، خرب، كلها من صفات الخمر.

إذا لم يكن هنالك انشغال بالعلم والتسبيح والتلاوة
فإننى أسعد راضيا بالنوم من مثل هذه الصحوة
مهما عظمت مرتبة السكوت ودرجة الصمت
فإننى أفضل راضيا سعيدا الحوار مع الحبيب
لا أفضل ولا أرضى بظل شجرة طوبى[١]
وأسعد راضيا بلحم مشوى محروق بلهيب نار وجهك
أعجزنى كثيرا حزن الحبيب وكثرة غمومه
من هنا أرضى أنا عبد الرحمن سعيدا بشرب الخمر[٢]

" ١٦٣٧ "

' ١٤٤- السعيد بآلام المعشوق '

مبتهج أنا بآلام الحبيب وهمه
كالوردة ضاحك وقت الحزن
لا تنظر إلى كونى وحيدا بلا أهل
فقد حفظنى الله كالكنز فى الفلاة
إننى عامر مزدهر فى الدمار والخراب
كالشجرة المملوءة بالثمر فى الغابة[٣]

---

(١) طوبى: فى القرآن ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ الرعد ٢٩، وطوبى اسم شجرة فى الجنة
(٢) الخمر: العشق الإلهى. راجع ص ٣٢٥ هـ٤ أيضا
(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

لا تخلو من العشق شعرة واحدة في جسدي

إنني حارس قافلتي في كل لحظة

منحتني حبوب الدموع طير الوصال[1]

فأصبحت عقدا في جيد الحسان كالدر والياقوت

ببركة العقيدة المتينة الكاملة

أصبحت ملكا للعالم[2] جالسا بجوار مجمر الدراويش

تحصلت الضياء وأدركته في الطلب

أسير في الطريق كالشمس ليلا ونهارا

إلى متى سأصف ضفائر الحبيب الطويلة؟

فإنني أسير في طريق الهند العام راحلا

لا شأن لمظهري بدون الحبيب وفراقه

فشأني شأن الدكان الخالي من البضاعة

إن بلبل الهوس لا يعتمد على

لأنني شجيرة الخريف الصغيرة في نجيلة الإفلاس

---

(١) الوصال: هو أن يتصل سر الصوفي بالحق بحيث لا يرى سواه. راجع ص ٣٥٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) أصبحت ملكا للعالم: هذه ترجمة " شاه جهان ".. شاه: الملك، وجهان: العالم، و " شاه جهان " اسم أحد ملوك المغول في الهند، وكان اسمه الحقيقي " خرم " قبل توليه الحكم فعبارة " شاه جهان " المستعملة في النص الأفغاني تحتمل هذين الاحتمالين.راجع ص ٢٥٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

إنني كالتراب تحت أقدام الأحباب

وكالرأس لبقية العالم في علو السماء

أنثر مالي، وأضحي برأسي في حب الحبيب

أيها الناس، اسمعوا.. فذلك هو عبد الرحمن

إن أنا أشاهد مشاهد جديدة كل وقت

فإني أنا عبد الرحمن في حيرة من عناية الرحمن

" ١٦٥٠ "

' ١٤٥- الهارب من نفسه '[1]

إنني هارب من نفسي في كل وقت

ومن هنا فإنني كدرر البحر ومعادنه

الموت صعب مر إن أصبحت حياة الإنسان حلوة

إن سروري بالهجران أكثر من وصل الحبيب

إن عدم علمي وجهلي أصبح علما، فأنا كالطفل

عفيف طاهر داخل قطعان الثيران القذرة

حين قمت بتسخير مملكة الحرص للنفس

فإنني قد أصبحت عرش سليمان أسير في الهواء

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٠٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م، ولم يأت ذكر هذه القصيدة في ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، كذلك لم يأت ذكرها في ديوانه مقدمه سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

دع بدنى، فإن الحبيب قد خطف قلبى أيضا

وعبثا أقوم بحراسة دار خالية من الأثاث

إننى أعيش حيا بين الأحياء والأموات

كالوردة التى قمت بقطعها وهى معلقة[1]

يبدو لى نفسى وليا حينا، وعاصيا حينا آخر

ليس لدى خبر عن كمالى ولا عن نقصانى

إن محبوبى منقوش مرسوم فى قلبى

بحيث لا أدرى أعبد الرحمن أنا أم محبوب؟

" ١٦٥٨ "

' ١٤٦- المجروح ونظرة المحبوب '

مجروح مجروح أنا بنظرات الأحباب

وأكثر من هذا بأننى أتقطع فى الموئل

أنا سجين سجن الذقن الشبيه بالتفاح

الذى يعيش فيه الآلاف من أمثال يوسف[2]

حين لا أرى هندام الحبيب بعينى

فإننى عندليب[3] على رأس سرو[4] آهاتى

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٣) عندليب: اسم طائر يسمى بالهزار.

(٤) السرو: شجرة معروفة.

رغبة ملحة في الوجه الأبيض والشعر الأسود

إنني مدين وشاكر لكل أبيض وأسود

مثل راكب على حمار وقد اسود وجهه

فإنني كذلك أسود الوجه أمام ربي

أتحمل مشقة كلام الرقيب لأجل الحبيب

وأدعو الله بالخير والبركة للصالح والطالح

لا أعلم غير العشق عيبا كان أو فضلا

فإنني ليس لدى علم بالعبادة والإثم

فقد أمال الله غصن ضفائره بلطفه وكرمه

وإلا فإنني قصير مقارنة بقامة الحبيب

يبدو لى نفسي غير مفيدة بالضرورة

منذ ذلك اليوم الذى تم فيه إطلاعى وعلمى

إن عدم الصبر فى وصال الحبيب جعلنى مهجورا

فأنا " الآن "[1] عشب يابس فى مرج الربيع

أقوم بضرب صدرى أولا ثم أقول آها

فأجعل ديك السحر ساكتا بالصرخات

---

(١) الآن: أنا الذى أضاف هذه الكلمة والسياق الشعرى يقتضيها.

جذبني إلى نفسه بجذبات وراء جذبات

فحبيبي هذا خاطف التبن وأنا تبنه

كثمر الشجر عندما ينضج يتساقط متناثرا

هكذا ربطني الحبيب وشد وثاقي على قارعة الطريق

لم يبق لي الآن مكان في هذا العالم

فقد تحركت حتى الأربعين أو الخمسين

إن علاج الرقيب سهل، ولكن الصعوبة

في أن الحبيب لا يعتمد على أنا عبد الرحمن[1]

" ١٦٧٣ "

---

(١) كنت أقوم بترجمة هذه القصيدة، وفتحت جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار من إذاعة صوت أمريكا باللغة الأفغانية في الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم الجمعة الموافق الخامس من برج الحمل عام ١٣٧٣هـ ش / ١٣ من شوال عام ١٤١٤هـ / ٢٥ مارس ١٩٩٤م، بتوقيت المملكة العربية السعودية، فسمعت نبأ وفاة الشاعر الشهير أمير حمزة شينواري في برنامج خاص أعد بمناسبة وفاته. وأعلن المذيع أن الشاعر أمير حمزة شينواري قد وافته المنية في يوم الجمعة الموافق ٢٩ من برج الدلو سنة ١٣٧٢هـ ش / ٨ رمضان سنة ١٤١٤ هـ / ١٨ فبراير سنة ١٩٩٤م في مدينة پشاور، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في وادي " خيبر " وكان الشاعر أمير حمزة شينواري من أبرز شعراء الغزل الصوفي في العصر الحديث. وله أعمال أدبية كثيرة منها ترجمة ديوان عبد الرحمن إلى اللغة الأردية شعرا. وكان عمره عند وفاته ٨٧ سنة.

' ١٤٧- همك لا يفارقنى لحظة '

إننى لست بلا هم من همك لحظة واحدة

لست بلا هم من ذكرك وفكرك لحظة واحدة

أنت المقصود فى كل مزار قمت بزيارته

فإننى لست بزائر لفناء معبد الأصنام

إننى راض سعيد بالتراب الأسود لبابك

ولست راضيا سعيدا بدونك بمشاهدة إرم[١]

منذ أن عرفت وتنبأت بمشاهدتك

بعد ذلك لا أدرى شيئا عن مشاهدة العالم

لا انتظار لى ولا التفات بمقدار سم الخياط[٢]

إلى وجه آخر غير وجهك الجميل[٣]

إن كان عشاق وجهك الجميل كثيرين

فإننى أول هؤلاء العشاق ولست ثانيهم

لو لم أمت من شدة همك، فقل حينئذ

بأننى إما شيطان أو دابة، ولست آدميا

---

(١) إرم: معنى البيت أو كلمة " إرم " مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد ۞ إرم ذات العماد** ﴾ سورة الفجر ٦ و٧.

(٢) سم الخياط: معنى البيت ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط** ﴾ سورة الأعراف ٤٠.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إننـي فـي الصـدق مسـتقيم القامـة كـالألف

لسـت كالسـهم أنطلـق مسـتقيما إلى الفسـاد

إن قلبـي مقطـع بغمزتـك، فقـد قـام الجهـاد وتم

إن كنـت سـالم اليديـن والرجلـين فلسـت بملـوم

إننى معقـوص الضفـائر ومحراب الحواجب العوجاء

ولسـت معقوصـا منحنيا انحنـاء الأفعـى والعقـرب

إن كان هناك قليل أو كثير من الأمور تقوم بـه يـدى

فـإننى إنسـان لـه بطـن، ولسـت بـلا بطـن

أنـا عبـد الرحمـن أذرف الدمـوع بسـبب الفـراق

لأن الفراق حدث صعب جدا فلست بملوم فى ذلـك

" ١٦٨٥ "




قافية النون
في أصل الحيوان

١٤٨- الزمن يمضى وينقضى سريعا

إن الزمن يمضى وينقضى سريعا

تقول: كأنه برق مضىء لامع

إن السماء تدور حول الأرض

وتسير كالرحى دون استقرار(١)

إن رؤوسا كثيرة للأشخاص

يتم طحنها أى حصدها أثناء ذلك

تأتى إلى الوجود، تموت وتهلك

لا حد لذلك ولا أسباب

لا تعرف لذلك بداية، ولا وسائل

ولا حصر لذلك ولا نهاية

إن بعضهم يعلن الفرح بضرب الطبول

وبعضهم يعلن النوح على أنفسهم

إن بعضهم يبكى مثل الشمع

وبعضهم الآخر يضحك كالورد

إن كنت تراه فإنه روضة من رياض الأزهار

وإن كنت تراه فإنه سجن من السجون

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

إنهـــا لمشـــاهدة للمشـــــاهد العديـــــدة
لا نهايـــــة لهـــــا ولا تنتهـــــى أبـــــدا
ليس فــى المقـدور العثور علـى كيفيـة ذلـك
بإقامـــــة الدليــــــل وتقديـــــم البرهـــــان
إلى أيـــة جهـــــة يســـــير ويرحـــــل؟
أو أيـــــن مكانــــــــه ومســــــتقره؟
إن علـــم ذلــــك عنــــد الله وحـــــده
لا يعلـم عبـد الرحمـن عـن ذلـك شيئا أبـدا

"١٦٩٨"

'١٤٩- الأصدقاء'

كان لكل من حل خان[1] وجمال خان[2] أصدقاء كثـيرون
لم ينفـع أحـد مـن هـــؤلاء الأصدقـــاء فـــى الحـــرب

---

(١) حل خان وجمال خان: زعيمان صديقان من قبيلة مومند التى ينتمى إليها الشاعر، فحينما عين ناصر خان حاكما فى كابل أيام المغول بدأ بإثارة الفتن بين زعماء القبائل الأفغانية، فقام بتحريك جمال خان فهاجم قرية عيسى خان المومندى ونهبها، ثم أثار عيسى خان، فهاجم جمال خان فى بيته ليلة عرس ابنه جلال خان ليلا، وأشعل فيه النار، فاحترق فى البيت واحد وثمانون شخصا من الرجال والنساء والأطفال بمن فيهم جمال خان نفسه. ويبدو أن حل خان كان أحد ضحايا هذا الحريق الذى أشعله الحاكم المغولى ناصر خان.
(٢) جمال خان: اقرأ الهامش السابق.

سود الله وجه جميع الأصدقاء الذين
يتخذ بعضهم بعضا أصدقاء كهذه الصداقة المزيفة
إذا كان أحد الصديقين فى الظل والآخر فى النار
فكيف يمكن أن يسميهما أحد أنهما صديقان؟
إن اللسان عاجز عن مدحهما والثناء عليهما
أنزل الله ألف رحمة على حل خان وصداقته
ماذا تكون شروط الصداقة أكثر من
أن يحترق الصديقان فى النار معا
فقد احترقا مع الأهل والأولاد فى النار
ما جعل الله أحدا مظلوما مثل هؤلاء المظلومين
الذين يلتهبون فى النار فداء لبعضهم بعضا
لم أكن قد رأيت من قبل مخلصا مثل هؤلاء المخلصين
كيف كانت جرأة هذه النار، وهؤلاء الناس
الذين لم يطفئوا النار بسيل من أمطار الدموع؟
فالغياث، فالغياث، فالغياث
حين يظلم إنسان إنسانا آخر هكذا!
لقد شاهدت بعينى أعمال نمرود[1]
الذى كان يقوم بإلقاء الأنبياء فى النار

(١) نمرود: كان ملكا جبارا فى بابل أيام إبراهيم عليه السلام، وادعى الألوهية. راجع ص ٢٢٠ هـ ٤ من هذا الكتاب.

إننـــي أتعجـــب مـــن أمـــر هـــذه الأرض والســـماء

حيـــث لم تقـــم الأرض بـــالصراخ ولا الســـماء

كذلـك فـإنني فـي حيرة مـن أمـر هـذه الجبـال الهائلـة

حيـــث لم تقتلـــع متدحرجـــة مـــن أساســـها

إننـــي قـــد ســـئمت نفســـي اللئيمـــة كـــالكلب

حيـث مـازالت تشرب المـاء أو تـأكل الطعـام فـي العـالم

النـاس يقولـون بـأن القيامـة سـتقوم يـوم الجمعـة

لقـد رأيـت القيامـة يـوم الأحـد فـي هـذا الزمـن

ألـف حيـف وأسـف بـأن مثـل هـذه الأعمـال الظالمـة

تقـــع بســـبب منـــافع الدنيـــا أو خســـارتها

كأن " سربند "[1] لم تكن " سربند " بل كانت كربـلاء[2]

التـــي جـــرى فيهـــا ســـيل مـــن الدمـــاء الحمـــراء

لا ذنـــب لعيســـى، بـــل الذنـــب ذنـــب الدجـــال

بـل هـذه الذنـوب كلهـا مـن مكـر النفـس والشـيطان[3]

قـــام الأقـــارب بقتـــل أقـــاربهم

إن هـــذا كلـــه مقـــدر مـــن عنـــد الله تعـــالى

---

(١) سربند: اسم المكان أو القرية التي وقعت فيها الواقعة.

(٢) كربلاء: مدينة في العراق ، استشهد فيها الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم جميعا.

(٣) في ترجمة هذا البيت شئ من التصرف ليليق المعنى بشأن عيسى عليه السلام.

ليس أنه سيكتفى بما أرتكبه، ولن يرتكب غيره

إن الملوك يقومون بما تطلبه قلوبهم

انظر إلى شاه عالم[1] وأعظم[2] اللذين لطخا

بدماء القتلى البلاد الهندية كلها

إننى فى حيرة من أمر دارا[3] وأورنك زيب[4]

كيف وقع ما حدث بينهما من الأعمال؟

فليتذكر الناس جهاد الحسن والحسين وأصحابهما

الذين قتلوا واستشهدوا بحد السيف

كانت الدماء والدموع تدحرج لحومهم

هكذا غرق فى الطوفان أناس كثيرون بلا حساب

---

(١) شاه عالم وأعظم: شقيقان من أبناء أورنك زيب، كان شاه عالم عند وفاة أبيه فى كابل فتوجه إلى لاهور، وتولى الحكم سنة ١١١٩هـ / ١٧٠٥م بعد أن قتل أخاه محمد أعظم، ولقب نفسه ببهادر شاه. وتوفى سنة ١١٢٤هـ / ١٧١٢م فى دهلى.

(٢) كالسابق.

(٣) دارا: هو دارا شكوه بن شاه جهان وشقيق أورنك زيب الذى قتله دون رحمة أو عطف، وكان سبب قتله التنافس السياسى على السلطة. وهو الذى قد توسط فى يوم ما بين قبائل اليوسفزية (بنى يوسف) والملك شاه جهان للمصالحة بين هذه القبائل والمغول. وكان يهدف من وراء ذلك كسب تأييد هذه القبائل للوصول إلى السلطة.

(٤) أورنك زيب: أحد ملوك المغول، وأحد ألد أعداء الأفغان فى الهند، راجع ص ٣٦٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

فهــــذه حـــال أهـــل هـــذه الدنيـــا ومـــا فيهـــا
ســـواء كـــان إنســـانا أو جنـــا أو حيوانـــا
فأمـا بنـى آدم فـى الأرض فيقتلـون بعضهـم بعضـا
والأسمـاك فـى البحـر تـأكل لحـوم بعضهـا بعضـا
فكمـا أن الأسمـاك تـأكل اللحـوم فـى البحـر
كذلـك تعمـل الطيـور نفـس العمـل فـى الجـو
إن الحشـرات والطيـور فـى هـذا الدهـر
كلها فـى صـراع تتشـابك فيـه القبضـات والصـدور
هـذه هـى جيفـة هـذه الدنيـا وقذارتهـا
مـن أجـل ذلـك فـإن الدراويـش يبتعـدون عنهـا
إن المكـر والحيـل فـى هـذه الدنيـا ليسـت بمقـدار
بحيـث يمكـن لعبـد الرحمـن أن يقـوم ببيانهـا للنـاس

" ١٧٢٧ "

' ١٥٠- الأثرياء والدين '

صاحب الدنيا يعمل لدنياه، أمـا أنـا فـأعمل للديـن
الخوانين[١] يلتقطون الحب الساقط فى ملكـى مـن سنابلى

(١) الخوانين: جمع مفرده خان، ومن معانى هذه الكلمة المتعددة: الشريف، والنجيب، والنبيل، والكريم، والزعيم. وكان الإنجليز فى الهند يمنحون لقب " خان " لأنصارهم ولغيرهم من زعماء القبائل الأفغانية. وقد استعمل السيد جمال الدين الأفغانى هذه الكلمة الأفغانية بهذا الشكل (الخوانين) وبهذا المعنى فى كتاباته السياسية.

إنه ليس بأقل من الحسان ذوات الوجوه البيضاء
بل شعرى المليح أفضل وأحسن تأثيرا من ذلك
إن العشق هو الهدف من السود والبيض
وأمر العشق ليس بمتوقف على الأسود والأبيض
إن لم يكن قد تمت فيه كتابة مضمون متعدد الألوان
فما فائدة ورق البياض أن يكون ملونا؟
من تأتيه مرتبة سليمان ومنزلته العالية
فإن الفص لا يزيد الأمر كمالا ولا ينقصه
إن تذوق الشئ بالفم وليس بالشرب والأكل
سواء أكان شرب الإنسان وأكله مرا أو حلوا
النوم هو الهدف سواء كان على القش أو التراب
فما الضرورة إلى النوم على الفرش والوسادة؟
السيف المصرى (الجيد)يعلوه الصدأ أيضا فى الغمد الردىء
ما جعل الله أحدا جليس رفاق سوء
لا عجب أن يكون فى النهار شمسا وفى الليل قمرا
لأن حبيب عبد الرحمن يكون كذلك أو هكذا

" ١٧٣٦ "

' ١٥١- رحيل الملوك والسلاطين '

إن كان قد رحل من العالم كثير من الملوك والسلاطين
فإن هذا العالم ما نقص بأحد منهم فى شئ

لـو مـات وفنـى آلاف الآلاف فـى لحظـة واحـدة

فإن الآلاف يأتون إلى الوجـود فـى لحظـة واحـدة

لا حسـاب للرحيل مـن هـذا العـالم والمجـىء إليـه

فإنـه كـالبحر الـذى يجـرى جريـا بـلا نهايـة

لا تعاطف ولا حرارة مواساة بعضهـم بعضا فـى الغـم

فالذى قد حل بـه الغم، هـو الـذى يحس بما حـل بـه

قـد مضـى ورحـل عـن الدنيا مثـل نبـى الله المختـار

ولم تتهـدم هـذه الدنيـا بسـبب هجرانـه ورحيلـه

فإذا كان قد أصبح مثـل هـؤلاء العظمـاء تحت الثرى

مـن الـذى يذكرنـا.. أنـا وأنـت، وكـلاب الدنيـا[1]؟

لـو قمـت بغربلـة كـل تـراب الدنيـا وفحصتـه

لن أتمكن من العثور على أمثال دارا[2] وشـاه جهـان[3]

مـا بقيـت رائحـة مـن أثـر اسـم وشـهرة كـل منهمـا

وقـد كانـا يدعيـان الصيـت والشـهرة والاسـم

---

(١) قمت بترجمة هذا البيت بشئ قليل من التصرف ليليق التعبير ويناسب المعنى.

(٢) دارا: هو داريوس الثالث الملك الأخير من ملوك الأسرة الهخامنشية الـذى قتله الإسكندر المقدونى سنة ٣٣٠ق م

(٣) شاه جهان: اسمه الحقيقى خرّم، تولى الحكم بعد وفاة أبيه جهان كير سنة ١٦٢٨م وتوفـى سنة ١٦٦٦م، حارب خان جهان اللودى، كمـا حـارب الإيرانيين. ومـن أشـهر أعمالـه الأثرية ضريح " تاج محل " فى الهند. راجع ص ٢٥٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

إن كنت كاذبا فيما أقول فاذهب أنت وانظر
إلى مقبرة أبيك وجدك وشاهدها
اللذين كانا يقومان بتقبيل كلتا عينيك
فانظر وتدبر أين تلك الأفواه والشفائف؟
واللذين كانا يدعوانك بقولهما دائما: فداك!
هل في مقدورهما الآن أن يدعواك بقولهما: فداك؟
إنني في حيرة من شعر عبد الرحمن الملتهب
كيف لم تشتعل النار في ديوان شعره؟

" ١٧٤٨ "

' ١٥٢- التقطيب والضحك '

هل أنت بتقطيبك حينا وضحك حينا آخر
تحقد العاشق وتعاديه أم تقدم إليه إحسانا
لا يعلم أحد شيئا عن أحوالك، ماذا ستعمل؟
فحينا يبدو منك جور، وحينا آخر تظهر لطفا
أنت محنة العاشقين المحبين، وأنت راحتهم
هذا غير صحيح بأن ذلك بسبب الوصال أو الهجران
تلك الشفائف التي هي الأكثر حلاوة من السكر
فإن العشاق لا يعتبرون الشتائم الصادرة عنها عارا
لا رجوع لأصحاب الحسن والجمال ولا التفات لهم إلى أحد
ليس من شأن السرو النكوص والانحناء أبدا

ما لديك من مثل هذا الجمال والحسن والوسامة
ليس له مثيل لدى أى إنسان آخر غيرك
لماذا تقصد وتنوى إلى هذا الحد يا وردى الوجه
حيث تقتل العاشقين بدلالك الزائد
إن جسد العبد ليس بمصنوع من الحجر
والحجر ليست لديه مقدرة ليتحمل جفاءك
إلى كل ما تصل وتبلغ قوتك إليه
لا تبلغ ولا تصل إليه قوة العالم كله
ليست عند أحد مقدرة أن يقوم بآه
وإن تعرض موطن العشاق للتدمير والتخريب
كما أن العاشق المسكين ضعيف ومحتار من الملك
ما أضعف الله أحدا وما حيره مثل ذلك
كما يقولون: إن فى الوصال كثيرا من الراحة
فإن سجن الفرقة أكثر شدة وأصعب عذابا
إن علامات محياك كلها علامات الشمس
حيث إن العالم كله مستنير بنوره المضىء
ارتفع الضحك فى بيت كل وردة من شدة هوسك
عندما شاهدت ورأت حسن روضتك وجمالها
كيف يصح توجيه النصح إلى العاشق الولهان؟
إن عرف الزهاد وعلموا حسنك وجمالك

إن للون وجهك لون الورود الحمراء

وغدائر شعرك الأسود أغصان الريحان

إن سواد خطك الجديد يبدو جميلا رائعا

مثل جمال كل حروف القرآن وحسنها

إن الانزلاق والوقوع فى البئر كله خطر

أما بئر ذقنك فكله خير وأمان

إذا كان جلاء الدرر ونقاؤها فى غاية الوفرة

فإنها تصبح ظلاما حالكا عندما تظهر أسنانك

إنك يا جاذب القلوب سلطان الحسان

والباقى من كل الحسان عبيد لك وخدم

إن كان الآخرون من الحسان يوصفون بأنهم نجوم

فإن صورة محياك كالشمس الوضاح

كل من يسمع عنه كلامه يقول هذا القول:

بأن جمالك ليس فيه قدر ذرة من النقصان

أصبح إنشاد عبد الرحمن دررا وياقوتا حيث

إنه بدأ يتحدث عن شفائفك الياقوتية اللون

" ١٧٧١ "

' ١٥٣- أين شقائق الحبيب؟ '

أيـــن شـــقائق الحبيـــب، أيـــن غـــم القلـــب والـــروح؟

أيـــن الكوتيـــلال[١]، أيـــن يـــاقوت بدخشـــان[٢]؟

إن العشـــق طـــاهر مـــنزه مـــن خاصيـــة النفـــس

أيـــن بـــثر البطـــن، وأيـــن نونـــة الذقـــن وبـــثره؟

إن التفـــاوت بـــين المجـــون[٣] والزهـــد ليـــس بقليـــل

أيـــن الفتيـــان والفتيـــات، وأيـــن الأرامـــل والأيتـــام؟

إن كـــل مـــن يبيـــع الديـــن بالدنيـــا أحمـــق لا عقـــل لـــه

أيـــن عمـــر خمســـة أيـــام، وأيـــن الحيـــاة الخـــالدة؟

فليكـــن خيـــال الهـــوى والحـــرص نـــذرا وفـــداء للقناعـــة

أيـــن ملـــك مصـــر، وأيـــن قريـــة العبيـــد والخـــدم؟

---

(١) الكوتيلال: اسم نبات ينبت في المناطق الحارة، ثمره أحمر اللـون يشـبه اليـاقوت فـى لونـه، يشبه الحرنكش ... راجع ص٣٥١ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٢) بدخشان: إحدى الولايـات الأفغانيـة، تقـع فـى أقصـى الشـمال الشـرقى مـن أفغانسـتان، حاضرتها مدينة فيض آباد. حدودهـا متصلـة بتركسـتان الشـرقية، بهـا عديـد مـن معـادن الأحجار الكريمة كالياقوت واللاجورد والذهب.

(٣) المجون: ترجمة كلمة " رنـد " الأفغانيـة التـى تعنـى: الثمـل والسـكران، والمحتـال والماجن، والذكى، والحر، وعديم المبالاة. وهو عند أهل التصوف من يرى نفسه أرفع منزلة وأعظـم قدرا من كل ما وسع الكون مـن مخلوقـات، وانطلـق مـن كـل القيـود والحـدود، وعـرف الحقيقة، وأصبح سكرانا من خمر الحقيقة.

من المستحيل أن يعيش الدراويش والخوانين[1] فى قرية معا
أين مقام عزيز خان الثرى[2] وأين مقام الدرويش عبد الرحمن؟

" ١٧٧٧ "

' ١٥٤- نسيت نفسى '

إننى ناس نفسى وروحى فى حبك
ما هى النفس!؟ بل نسيت الحياة الخالدة
كما أننى مسرور بتراب عتبتك
ليس بهذا القدر طرب الملوك بعيشهم
كما أننى أقوم بحمل أحمال غمك
ليس فى مقدور البطل أن يحمل مقدارها
إننى متشرد بلا مأوى فى عشقك
بحيث لا أعرف شيئا عن الحياة ولوازمها
إننى ثمل سكران بحبك دون خمر
بحيث لا أعرف شيئا عن الأرض والسماء

(١) الخوانين: هنا بمعنى الأثرياء والإقطاعيين. ومفردها خان. راجع ص ٤٠٠هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) عزيز خان: اختلفت الآراء فى تحديد المراد من عزيز خان، فقيل إنه من أثرياء قرية الشاعر، وقيل إنه شقيقه، وقيل إنه من أبناء عمومته.

كيف وماذا سيحدث بوعدك لمدة سنة!
بينما من الصعب أن يمر على وقت قصير بدونك؟
كنت فى العمر كله ضائعا فى طلبك
أبحث عنك فى كل مدينة وصحراء
أتطرده أنت من بابك أو تتركه؟
فإن عبد الرحمن عاشق وجهك الولهان

" ١٧٨٥ "

' ١٥٥- إلى متى؟ '

إلى متى يمكننى أن أستمر فى عد غموم الهجران؟
إنها لكثيرة جدا كثرة رمال الصحراء
لم تكن عندى مقدرة لمعاداة إنسان
فابتلانى الله تعالى بعداوة السماء
مثل من يحمّل نملة غير قادرة حمل البعير
كذلك أنا غير قادر على تحمل غمى
إن نار الفراق تتساقط على هكذا
فهل شاهد أحد نارا بهذا الشأن؟
يمكن أن يعدنى الحبيب وغمه ذلك الشخص
الذى تمكن من أن يعد شعر بدنه
من قال: كيف حالك فى الفراق؟
فعليه أن يتخيل فى خاطره حال أهل النار

إن قلبى المضطرب قد طار فى هواء الحبيب
بقى هيكلى الفارغ مضطربا فى المكان
ذكرى الحبيب خطفت قلبى أمام عينى
فبقيت منقوشا مرسوما كالصنم على الجدار
كنت أقول: إن قلب المؤمن عرش، و لم أكن أعرف
أن العشق سيقوم بتدمير هذا العرش
إن العشق جعلنى كالمغشى عليه مدهوشا إلى حد
بحيث ليس لدى عقل ولا صبر ولا متاع
يتم رجمى بأحجار الاتهام من كل جهة
يوجه إلى أهل العالم كله اللوم والتوبيخ
من لم تطرأ عليه هذه الحال و لم تصادفه
فكيف يمكن أن يقبل ويطيع حديث عبد الرحمن؟

" ١٧٩٧ "

' ١٥٦- علامة العشق ورمال الصحراء '

ضيع الله العشق، واسم العشق وعلامته وشأنه
حيث جعلنى حقيرا مهينا كرمال الصحراء
إننى أتنازل فى شأن العشق عن رأسى ومالى
أتمنى أن ييسر الله هذا المشكل ويسهله ببذل رأسى
لقد وقعت فى دوامات العشق مبتلعة البشر
ليس فى مقدورى السير إلى الأمام أو الهرب إلى الوراء

حين أقوم بشرح مرض العشق للطبيب
لا يكون فى مقدور الأطباء والحكماء أن يقولوا شيئا
إن ملوك العالم كلهم دراويش وفقراء فى العشق
إننى حيران تائه اضطرم بنار العشق
لم أقل حالى لأحد، ولم أقل: ما هذا؟
إن العالم كله حيران غارق فى التفكير
اشتعلت فى جسمى نار العشق، يعلم الله بذلك
افتضحت الآن فى العالم مشقوقا فتحة القميص
تعال، ولا تتعامل مع العشق يا عبد الرحمن، وإلا
فتكون جالسا فوق النار دائما وإن صرت ملكا فى العالم

" ١٨٠٥ "

' ١٥٧ السلطان والرحيل '

ثرى العالم وسلطانه
يرحل فى النهاية ذليلا حيران
مغلولا بغل القضاء الإلهى
كالمحكوم عليه بالسجن
ترحل عنه روحه الغالية
لا حول له فى ذلك ولا قوة
لو تصدق بكل المال والملك
لا يعثر على الأمان والاطمئنان

لا نصير له ولا حام
يسيطر الألم على نفسه
يقف أمامه عاجزين ضعفاء
الوزراء والوكلاء
ليست لأحد مقدرة القيام بالعلاج
والحكماء ينظرون إلى الأسفل خجلا
ملكه يبقى وهو راحل
يتمزق قلبه من الحسرة
حين تفارق روحه جسده
يبكى عليه الأبناء
يذرفون دموعهم ساعة
ثم يصبرون فى النهاية عاجزين
ثم يأخذونه للغسيل
فوق لوحة الغسيل عاريا
يطمع بهوس فى ملابسه
الحانوتى وغاسلو الموتى
وبعد العودة من القبر
يستولى الورثة على ماله
يقوم بالادعاء على مسنده
الأضدقاء وكذلك الأعداء

يقوم بالإغارة على رفيقة حياته

هؤلاء المصاحبون له

يختفي اسمه وشهرته وأثره

كأنه بلا أثر بلا علامة

لا يبقى له نقش ولا رسم

ولا يبقى له في العالم اسم

إن هذا العالم كماء جار

ولا يتم النقش على الماء الجارى

إن أقام وبنى ألف عمارة

والنتيجة في النهاية خراب العمارة

سيمر مرورا سريعا كالريح

عمل هذا الزمن ومشغوليته

هذا البيان كان طويلا بعيدا

فقطعه عبد الرحمن بالاختصار

" ١٨٢٦ "

' ١٥٨ الانفصال والاتصال '

لو كان الفراق قبل الصداقة

لم أكن قد أقمت الاتصال بالصديق

حينما رأيت صديقي بعيني ظننت

بأنني قد وجدت حياتي في هذه الساعة

لم أكـــن أعـــرف العـــدل النــــاقص للفلـــك

حيـــث إنـــه ســيرجع عنـــى مـــرة ثانيـــة رجوعـــا

اليـــوم حيـــث تنبـــأت وعرفـــت هـــذه الحـــال

فـــإن حالـــة الأمـــس كـــانت أفضـــل مـــن اليـــوم

إن كـــل مشـــقة تحـــل بـــى أقـــدم شـــكرا لله

فقـــد جعلنـــى العشـــق عـــاجزا إلى هـــذا الحـــد

إن كنت الآن أضرب كفا بكف فإن ذلك غير مجـد

حيث خرج ذلك التدبير الذى كان فى مقدورى القيام بـه

إنـــه يتـــلألأ كالشـــمس فـــى الســـماء الرابعـــة

نـــور محبتـــه قـــد أخرجنـــى مـــن الحجـــاب

مـــن كـــان يحســـدنى بســـبب الوجـــه الجميـــل

فليـــدر الآن راكبـــا فـــرس الســـماء

كيـــف يمكـــن الصـــبر فـــى مثـــل هـــذه الحالـــة

حيـــث عـــدوك يتلـــذذ بـــالتوفيق وأنـــت محـــزون؟

إذا كـان فـى الإمكـان جعـل حجـر أسـود ياقوتـا بالصـبر

مـا جعلـه الله ياقوتـا بمثـل هـذا العـذاب والتعـب

لقـــد أصبـــح هـــوس الدنيـــا محرمـــا علـــى

أقضـــى ليلـــى كـــالظبى فـــى الحظـــيرة

ليته، لـو أصبحـت حالتـه كحـالتى ولـو مـرة واحـدة

حيـــث إنـــه يقـــرأ ليوصينـــى بالصـــبر والســـكون

تبدو لعبد الرحمن نفسه كالسماء في الوقت الذي
يكون فيه ناكس الرأس منحنيا في غمه

" ١٨٣٩ "




قافية الواو
في أصل الديوان

' ١٥٩- أسير الغدائر '

مـــا أصبـــح إنســـان أســـير الغدائـــر الســـوداء
ومـــا أصبـــح كذلـــك أســـير عصيـــان الذوائـــب الســـوداء
يبدو مشتت الفكر مضطرب الحال مثـل الضفـائر السـوداء
كـــل مـــن يكـــون فـــى انتظـــار الخصـــائل الســـوداء
متـــى يكـــون الهـــدوء والاســـتقرار فـــى عـــالم الحشـــر
فمن كان كذلك كيف له أن يطلب الهدوء مع الغدائر السوداء؟
إلى الوقـــت الـــذى لا يظهـــر فيـــه صبـــاح يـــوم حشـــره
لن يتمكن النهار من الظهور من ليلة خيط الضفائر السوداء
غـــير أن يتـــم إيقـــاد شمعـــة وجـــه أبيـــض منـــير فوقهـــا
وإلا فـلا توجـد أنـوار أخـرى لإنـــارة الذوائـــب الســـوداء
يشـــتت عـــش خـــاطر العاشـــق خيطـــا خيطـــا
حين يتحول إلى حلق كل خيط من خيوط الضفائر السوداء
إذا كـــان العـــالم كلـــه قـــد وقـــع مشـــبوكا فـــى مصيدتـــه
فمـــن أيـــن لأحـــد أن ينكـــر تأثـــير[1] الغدائـــر الســـوداء؟
مـــن أيـــة شـــبكة يمكننـــى إخـــراج رأســـى؟
حيـث توجـد بـالآلاف شـبكات قنـص الخصـائل الســوداء

---

(١) تأثير: أضفت هذه الكلمة للتوضيح والسياق يدل عليها.

إنـه قـد سـلك فـي كـل خيـط مقـدارا مـن القلـوب

بحيث أصبحت حبات السبحة فى زنـار الذوائب السوداء[1]

يقـوم بتكسـير العصـا فـوق ناصيـة المحتسـب[2]

حـين يـأتى إليـه مـن بيـده سـوط (درة) الضفـائر السـوداء

سـيطر علـى كـل بـلاد الهنـد والحبشـة

حـين ظهـر فـى الوجـود ملـك الضفـائر السـوداء

يسـير دائـرا حـول الكنـوز كالأفـاعى

ولا ينشـأ مـن ذلـك خـوف فـى قلـب الغدائـر السـوداء

إن كـانت الثعـابين الأخـرى تلسـع بـالأيدى أو بـالأرجل

فـإن القلـب يتعـرض للعـض بفـم ثعبـان الذوائـب السـوداء

يتنـاثر مـن قلـم عبـد الرحمـن المسـك والعنـبر

حـين بـدأ ينشـد شـعر الضفـائر السـوداء

" ١٨٥٣ "

---

(١) فى ترجمة هذه الشطرة قليل من التصرف.

(٢) المحتسب : منصب دينى فى أفغانستان يتولاه أحد علماء الدين للإشراف على أمور الدين، والقيام بمهمة الإرشاد الدينى بين أفراد الشعب الأفغانى. وهو مأخوذ من منصب الحسبة فى الدول الإسلامية الذى كان يتولاه رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب.

' ١٦٠- دموع بلا حساب '

إن دمــــوع عينـــــى بـــــلا حســـــاب

أصبــــح ســـيل عينـــى بـــــلا حســـاب

كـــــل ســـــواد عينــــى أصبــــح بياضـــــا

هكـــــذا أصبـــح كتـــاب عينــــى مغســــولا

احمــــرار عينــــى وبياضهـــــا وســـــوادها

قـد ذهبـت الدمـوع بـه وبكـل أسـباب عينـى

حـين اختفـى جبـين ذلـك الحبيـب عـن عينـى

فإنــه قــد فســد رونـــق عينـــى وشـــعاعها

إن لم يتـم الذوبـــان بهــذه الدمــوع الســاخنة

فــإن حبـــاب عينــــى ليـــس إلا حجـــرا

إن كـان بقيــة النــاس يعيشـون بضيـاء الشـمس

فــإن وجـــه الحســـان شمـــس لحيـــاة عينــى

إننى وضعت السرج على فرس عينـى الأبلـق لخيالـه

فـــلا يضـــع قدمـــه فــــى ركـــاب عينــــى

حـين تم نقـش شـفائف الحبيـب الحمراء فـى قلبـى

فقــد أصبحــت دوامــة عينــى معدنـــا لليــاقوت

كمـا أن الوحـوش تنفـر وتهـرب مـن بنـى البشـر

كذلـــك قـــد هـــرب النــوم مـــن عينـــى

أنا عبد الرحمن عندما فتحت عينى لحبيبى
فأصبح الآن الاحتناب من عينى من المستحيل

" ١٨٦٣ "

' ١٦١- شد الأذن '

بسبب شد أذنى كل ساعة
ازرقت يد السماء حتى المرفقين
حل بى غم الفراق إلى حد
ليس فى المقدور حسابه بالكتابة واللسان
العيون التى كانت نرجسا ولوزا أيضا
أصبحت بقتلى سيوفا حادة صارمة
الشفائف التى كانت أحلى من السكر
لم أعثر على فيض منها غير الشتائم
هذه الرموش والحواجب العوجاء
لا تقوم بشئ غير الضرب الأعوج
بالليل تحمر أظافره بدم العاشق
وفى الصباح يضع الحناء على المخالب
لست أفهم هل هذه يد من قتلنى
أم خرج من الروضة غصن الورود الحمراء؟
ليته! لم يبلغ موته فى الدنيا هدفه
حيث أنه قد أسقط براعم الورود الجميلة

فقد أصبح مقيدا في شبكة الغدائر السوداء

بحيث إنني في حيرة من إطلاق سراح عبد الرحمن

" ١٨٧٢ "

' ١٦٢- خمر ونار '

حين قمت بطلاء شفائفك بلون الخمر

فقد أشعل ذلك النار في منزل الخمارين

حين صنعت وأبدعت قوس الحواجب العوجاء

فإلى متى ستقوم بالصيد في حرم الغزلان؟

حين أطلقت اسم السلسلة على الغدائر

فقد عطرت بذلك أدمغة المجانين

حين بدا على جبينك غبار الخط[1] وظهر

فارتفعت بذلك عباءة الدراويش المغبرين

إن السهام العوجاء تعود ثانية عن الهدف

فقد آذتني أهدابك العوجاء وأضرتني بذلك

إن الذين يقومون بالفصل بيني وبين الحبيب

أسقط الله الحجر على منزل هؤلاء المسيئين

---

(١) الخط: لمعرفة الغرض من الخط راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب

إن كـــان يقبـــل دعـــائى ورجـــائى عنـــــد الله

ســأدعو الله ليطيــل أعمــار ذوى الوجــوه القمريـــة

" البيزوان "[1] الأحمر فوق الشفائف الحمراء يبدو جميلا

كحـرف الجيـم الجميـل الـذى كتبـه الكتـــاب بـــالقلم

و " التيـك "[2] الذهبـى يـــتربع علـــى جبينـــك كأمـــير

و " الخـــال "[3] الأخضـــر حـــارس يحـــرس الســـجين

إن عضديـــك الاثنتـــين ســـيفان مصريـــان شـــاهران

أفهمـــك بـــأنك ســـتقطع بهمـــا رؤوس الضعفـــاء

من غمك يحترق قلب عبد الرحمـن حسـرة علـى نفسـه

كمـا تحـترق الشـمعة مشـتعلة علـى ضريـح الشـــهداء

" ١٨٨٣ "

---

(١) البيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، وتسمى أيضا (بلاق) يتخذ غالبا من الذهب ويعلق فى الحاجز الفاصل بين منخرى الأنف ويتدلى على الشفة العليا. ويذكرها شعراء الأفغانية كثيرا.

(٢) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، يكون من الذهب والفضة، ويذكرها الشعراء غالبا مقرونا بالبيزوان، يقول شاعر أفغانى يجمع بين التيك والبيزوان والعقد القرنفلى:

إن تيكـك ملـك، والبيـزوان وزيـر ۞ والعقد القرنفلى قائد يسير فى المقدمة

(٣) الخال: الشامة الخضراء بين حاجبى المرأة. راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب

' ١٦٣ - قتيلك سيد الشهداء '

مـــن تم حصـــده وقتلـــه بســـيف عينيـــك
فإنـــه دون شـــك ســـيد مجموعـــة الشـــهداء
إن وصـالك[١] لمقطوعـى الـرؤوس يـا مفـرح الفـؤاد
حيـث إن الجنـــة للموتـــى ولا يجدهـــا الأحيـــاء
إن ظـــل الجـــن يجـــب أن يكـــون علـــى العـــاقل
لأن هـــذا المقـــام مقـــام المجـــانين[٢] عـــراة الـــرؤوس
لا يتواجـــد نـــور الشـــمس داخـــل قصـــر مغطـــى
هـــذه الســـعادة قـــد حلـــت بـــأهل الفلـــوات
يتســـاقط الـــدم مـــن عينـــى بســـبب أنـــه
منقـــوش ومرســـوم فيـــه لـــون شـــقائقك
إن خالك[٣] المسكى يبدو فوق الشقائق الحمراء جميلا
كـــالختم المضـــروب علـــى مخـــزن الـــدر والمرجـــان

---

(١) الوصال: هو عند أهل التصوف أن يتصل سر الصوفى بالحق بحيث لا يرى سواه. راجع ص ٣٥٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) المجانين: هم العشاق عند الصوفية، ولمعرفة معنى العشق راجع ص ١١٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

(٣) الخال: الشامة، ولمعرفة المراد من الشامة والخال راجع ص ٣٢٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

إن كل شئ يا عبد الرحمن باستثناء الحبيب
كفر والحاد فى مذهب المجانين والعشاق

" ١٨٩٠ "

' ١٦٤- التأمل والدراويش '[١]

لو نظر أحد إلى عمل الدراويش وفكر فيه
فسيرى بنفسه وقار ورزانة الدراويش
سيصل بهذا الطريق إلى الله ورسوله
من يسير ويسلك مسلك الدراويش
كل قول له سيكون مقبولا عند الله
من يقبل ويوافق على قول الدراويش
يصل إلى العرش بخطوة واحدة
لقد رأيت سير وسلوك الدراويش
لا يوجد فى العالم سوق رائجة
مثل رواج بضاعة سوق الدراويش
إن خلقا كثيرا يقوم بزيارته بعد الموت
حيث تنعقد سوق رابحة عند مزار الدراويش

---

(١) الدراويش: الفقراء، والفقير من الفقر، والفقر لغة نقيض الغنى، وفى الاصطلاح الصوفى: ألا يكون لك، فإذا كان لك لا يكون لك حتى تؤثر... قال إبراهيم الخواص: الفقر رداء الشرف، ولباس المسلمين، وجلباب الصالحين.

كــل ملــوك الدنيــا ينــامون هنــاك ويســتقرون

كاســتقرار الــتراب عنــد بــاب الدراويــش

كــل ربيــع فــى نظــام الكــون يعقبــه خريــف

لا خريــف أبــدا يعقــب ربيــع الدراويــش

سينســى قطعــا أزاهــير روضــات الجنــة

مــن يشــاهد روضــة أزهــار الدراويــش

إن الدرويــش تــرك متــاع الدنيــا إرضــاء لله

فلتــنزل مائــة رحمــة علــى أيــام الدراويــش

انظر إلى حـال قـارون[1]، وتـأمل مـاذا حـدث لـه؟

فأقبل متوجها، ولا تنكر ما مـن الفضـل للدراويـش

كـل مـن أغـرز فيـه الدرويـش سـهام قـوس غضبـه

فقد أصاب، لأنه لا تخطيء رميـة سـهام الدراويـش

وليكـن كـل ديـوان عبـد الرحمـن فـداء هـذا الغـزل

حيــث تحــدث فيــه وبــين ســلوك الدراويــش

"١٩٠٣"

---

(١) قارون: كان من أثرياء العبرانيين فى أيام موسى عليه السلام، وكف عـن الأخـذ بالتعـاليم السماوية، وناصب موسى العداء السافر، فذهب الله بثروتـه الهائلـة، وقـد ورد ذكـره فـى القرآن الكريم أربع مرات، منها هذه الآية الكريمة: ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**﴾ سورة القصص ٧٦

١٦٥- پيزوان[١] وغدائر[٢]

إن فص پيزوانك يبدو جميلا فوق الشفائف

وغدائرك السوداء سلسلة للعاشقين

تيكك[٣] الأحمر أمير يجلس على خصلة[٤] شعر الناصية

وخالك[٥] الأخضر يعني كأنه سجين

كلتا شفتيك أجمل من الياقوت الأحمر

أسنانك البيضاء قد فضحت البرد الأبيض

---

(١) البيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، تصنع غالبا من الذهب، وتزين بالفص، وتعلق في الحاجز الفاصل بين المنخرين، وتتدلى على الشفتين. راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) ديوان عبد الرحمن ١٢٦ طبعة كابل ١٣٥٦هـ / ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، ولا ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.

(٣) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، وتصنع في الغالب من الذهب وتزين بالفصوص، التيك، والپيزوان، والخال، وخصلة شعر الناصية، والعقد القرنفلي من الحلي التي يتردد ذكرها في الشعر الأفغاني بكثرة. راجع ص ٤٢٢ هـ ٢ من هذا الكتاب.

(٤) خصلة شعر الناصية: لا تغير الفتاة الأفغانية شكل هذه الخصلة إلا بعد الزواج. وبعده تقوم بتفريقها إلى مجموعتين يمينا وشمالا.

(٥) الخال: الشامة. راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

إن كلا من خديك تفاحتان من سمرقند
وعلى صدرك نارنجان[1] لعلاج المعلولين
كلا ساقيك جعلتهما سيفين مصريين شاهرين
أفهم من ذلك بأنك ستقطع بهما رؤوس الضعاف
حواجبك السوداء المنحنية على الوجه تبدو جميلة
كحرف جيم وقد كتبه الخطاطون على الورق
إن ظل الكبر يجب أن يكون على العاقل
لأن المقام مقام المجانين عراة الرؤوس
إن وصالك أيها الحبيب لمقطوعي الرؤوس
لأن دخول الجنة ليس للأحياء بل الجنة للموتى
تصادف أن قابل المجنون كلب حارة ليلى
فقام بتقبيله بعينيه الاثنتين مرات ومرات
كل ما هو موجود فى الكون يا عبد الرحمن باستثناء الحبيب
كفر وإلحاد فى مذهب المحبين والعشاق

" ١٩١٣ "

---

(١)نارنجان: النارنج فاكهة شبيهة بالبرتقال، وشجرة النارنج تشبه شجرة البرتقال أيضا.

' ١٦٦- المفازة والراحلون '

مهمـا حـاولت البحـث فـى المفـازة والقـرى
لم أجـد أثـرا أو خـبرا عـن هـؤلاء الراحلـين
إن الله وحده يعلم: أين ذهبـوا ومـا هـى أحوالهـم؟
لست أدرى: إن كانوا قد سقطوا من فوق الصخـر
ينفجر قلبى ألما وغمـا، إن كـان يعلـم بذلـك أحـد
يـا انتـم وقـد حفظكـم الله: أخـبرونى أنـا أيضـا
إلى أيـن ستذهبون بعـد هـذا، ومـا هـو مكـانكم؟
قولـوا لى، يـا مـن أتيتـم إلى سـراى الدنيـا
لعـل الله يرحمنـى ويعفـو عنـى لوجهـه الجميـل
ارفعـوا أيديكـم إلى الله، أيهـا الأخيـار
لا وجود لأخباركم أبدا فى أية جهـة مـن الجهـات
وإن بحثت عنهـم بـالراكبين والمشاة ليـلا ونهـارا
لا يتـم السـؤال والاستفسـار عـن الجهلـة
إننـى أخـاطبكم أنتـم يـا مـن تفهمـون
لا أعلـم مـاذا تم وكتـب فـى حقـى؟
أنـا عبـد الرحمـن فـى خـوف مـن هـؤلاء الحسـان

" ١٩٢١ "

قافلة الزمان

في أصل الحيوان

' ١٦٧- العتبة والجاه '

أمـــام بـــاب مـــن يخلـــب اللـــب

لا حرمـــــــة لى ولا جـــــــاه

يقـــوم بقطـــع جـــذور لبـــى

بنظـــــــــرات العيـــــــون

لا قيمـــــــة لى عنـــــــده

كقيمـــــــة العشـــــــب

لا يلتفـــــــت إلىّ بنظـــــــرة

تكريمـــــــا وإرضـــــــاء لله

لا أعلـــم شـــيئا عـــن نفســـى

مـــا ذنبـــى، ومـــا تقصـــيرى؟

لـــو أخفيـــت رأســـى مـــن غمـــه

ليـــــس لى مخبـــــأ آخـــــر

ما جعل الله أحدا مثل عبد الرحمن

ضـــــائع الحـــــال هالكـــــا

" ١٩٢٨ "

' ١٦٨- الشح والعبادة '

إنك قد قضيت نهارك فى البخل وليلـك فـى النـوم

متى ستقوم بذكر الله، يـا مـن أصبـح بيتـك خرابـا

إن تفهم فإن ذهابك من هذه الدنيا على عجل

فلا تكن غافلا عن عجلة هذا العمر وسرعة مضيه

إن التنفس والقدم كلاهما بحساب ههنا

لا تضع على الطريق قدمك خطأ بلا حساب

ذكر الله حساب الإنسان على أعماله فى الكتاب

فعليك أن تعلم أن هناك حسابا وكتابا

انظر إلى حسناتك وسيئاتك بدقة

بأى مقدار تتجاوز سيئاتك، وتتعدى الحسنات

كيف يمكنك القيام بالإجابة فى العالم الثانى

إن كنت عاجزا عن الإجابة فى هذا العالم؟

ستذهب إلى التراب المظلم فى النهاية

إلى متى ستنفض التراب عن جسمك بالإصبع؟

أنا أعرفك بأنك فى الأصل من التراب

يا من تنفض نفسك من التراب بالأصابع

إن لم ترتوى بالماء فى هذه الدنيا من العطش

لن يرتوى صدرك بالماء يوم القيامة

ماذا ستفعل عندما تصبح الشمس قدر رمح

إذا كنت الآن تهرب من الشمس إلى الظل؟

إلى متى ستقوم بالتنزه فى زورق من الورق

إن الموت سيقوم بإغراق هذا الزورق؟

لا ترضى يا عبد الرحمن بإيذاء أحد
إن كنت تريد النجاة من العذاب يوم القيامة

" ١٩٤٠ "

' ١٦٩- بلا مطلب بلا أدب '

إنك تجلس فى النهار بلا مطلب
وتنام فى الليل بلا أدب
فقد تقلعت يداك من الاثنين
من النهار، وكذلك من الليل
لا أنت ههنا، ولا هناك
وقد ضعت بين الاثنين مذبذبا
وعبادتك صارت رياء وتظاهرا
وفى المذاهب أصبحت سئ المذهب
مقيد دائما بالبحث عن السبب
ولا خبر لديك عن المسبب
تحاول عبثا إخراج الزبد من اللبن الرائب
ولا علم لديك عن المطلب
إنك قد ركبت الجواد نائما
وجوادك يسير فى السفر بلا لجام
لقد أحرقت نفسك بالسيف عبثا
ووصمت الجواد بلا منصب

إن الراكب حين يسلب حريته
فإنه لا فائدة له من المركب
إنه يجلس مع الأحياء
وهو مركب من الأموات
كبرت صغيرا فى الماء كالسمك
ولا تعرف الماء أيها السمك!
مثل الحصاة أو الفخار من الطين اليابس
ناشف الشفتين من العطش فى البحر
عديم الإطلاع وتعتبر نفسك مطلعا
إن هذا الكلام من العجائب
المعرفة هى المراد من الزهد
وليس المراد أن يقتل الإنسان نفسه عبثا
إن شراب عبد الرحمن من العشق
لا من عصارة العنب

" ١٩٥٥ "



١٧٠- المحبوب والغبغب

إنك شهلاء العينــين سـكرى الشـفتين

وردى الوجــه، فضيــة الغبغــب[1]

إنــك نــادرة فــى النــوادر

وعجــب عجـائب فـى العجـائب

فــى كــل العاشــقين والأحبــاء

أنــت ذو العجــائب المختـــار

حســين جميـــل أنــت دون الزينـــة

منسـق مرتـب أنـت دون التنسـيق

ذلـــك هــــو عـــدل إلهـــى

مـــن دون البحـــث والطلــــب

إن مـــاء الحيـــاة[2] قــد نــال الحيـــاة

بســبب بركـــة مـــن شـــفتيك

---

(١) الغبغب: قطعة اللحم التى تتدلى تحتك الحنك من الإنسان وغيره.

(٢) ماء الحياة: كان القدماء من الأفغان يعتقدون أنه ماء ينبوع فى جزيرة نائية ببحر الظلمات، من نهل منه عاش أبدا. وفيما يروى أن الإسكندر قد سمع بذلك، فاعتزم الوصول إليه مع خضر، ولما بلغه رآه فى الظلام كأنه خيط من فضة، ولما أراد الشرب منه غاب عن عينيه. وهذا الماء الوهمى كثير الورود فى الأدب الأفغانى الصوفى على أنه بمعنى المعرفة. راجع ص ١٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

إن وجهك أبيض مـن الفجـر الأبيـض
وضفائرك أكثر سوادا من ليلة سـوداء
إن عـرق وجهـك حبـة جوهـرة
مزينـة، زينتهـا أكـثر مـن الكوكـب
لا حـدود لجمـالك وحسـنك
مـن المشـرق إلى المغـرب
العثـور علـى وصلـك صعـب
إلا بفضـل مـن الله الموصـل
مـن نـزل عليـه الفضـل مـن الله
فقـد نجـا ذلـك مـن الغضـب
هـذه السـعادة تنـال بعـدل إلهـي
ولا يعثر عليهـا بالحسـب والنسـب
إن العشـق ليـس بعلـم
يمكـن تحصيلـه فـي المدرسـة
إن المدرسـة تعلـم أمـور الديـن
والعشـق غـير المذهـب
ومذهـب العاشـق هـو
أنـه لا يتنفـس عبثـا بـلا مطلـب
فـي وصـف حسـنك وجمـالك
أصبح عبد الرحمن أبكـم مـن الأدب

" ١٩٧١ "

' ١٧١- الغالب والمغلوب '

كـــل قلـــب حـــين يقهـــره حـــب الحبيـــب

فإنـــه لا يناســـبه بعـــد ذلـــك حـــب آخـــر

إن كـــل المراتـــب الأخـــرى لا تعنـــى شـــيئا

عنـــد مـــن يعلـــم مثـــل هـــذه المراتـــب فـــى العشـــق

إن كـــل إنســـان لا يليـــق بالعشـــق ولا يناســـبه

لأن العشـــق درجـــة مـــن الدرجـــات العجيبـــة

احـــذر عـــن التقصـــير يـــا طـــالب المطلـــوب

مهمـــا كـــان طريقـــك قصـــيرا يـــا طـــالب المطلـــوب

إن العشـــق كـــنز بـــارز، والمســـكين هـــو ذلـــك

الـــذى غـــاب عنـــه هـــذا الكـــنز البـــارز

لا وجـــود لحـــظ أفضـــل مـــن حـــظ الحســـان

ولو كتبت فى ذلك ألف نوع من الكتب أيها الكـاتب

لا تســـأل عـــن أداء الفـــروض والواجبـــات

هـــؤلاء الذيـــن أوجـــب الله عليهـــم العشـــق

يتنـــازل العشـــاق للحبيـــب عـــن أنفســـهم وأموالهـــم

اللهـــم لا تجعـــل هـــذه الطائفـــة كاذبـــة

أعيش أنا عبـد الرحمن عيشـة تنبـع مـن رضـا صـاحبى

مـــا فـــائدة هـــذا العبـــد الـــذى لا صـــاحب لـــه؟

" ١٩٨٠ "

' ١٧٢- العيون السوداء '

إنــــك حــــين نظــــرت إلى بعينيــــك الســــوداوين

فإنك قـد نفـرت بذلـك قلبـى مـن المخلوقـات الأخـرى

إننـى قلـت فـى تلـك اللحظـة التـى رأيتـك فيهـا

بـأن شـغف قلبـى بـك لـن ينهـزم بعـد ذاك

الشيوخ والزهـاد الذيـن يخـاطبوننى بـالوعظ والنصيحـة

فـإنهم لا يعلمـون شـيئا مـن مفـاتن وجهـك

لا بأس، إن أصبحت فـى حبـك المشـار إليـه بالبنـان

لأن محبـة القـاضى وكذلـك الشيخ أكثر من محبتـى لـك

أمـوت غضبـا بـأن هـؤلاء النـاس يصرفونـك عنـى

ثـم يجـرون نحـوك جريـا ليروك قبـل أن أراك

أنا عبد الرحمن حين أرى المحبوب أقول: أللهم اجعل خيرا

فقـد امـتزج المـلاك النورانـى بجوهـر ابـن آدم

" ١٩٨٦ "

' ١٧٣- العقل المؤثر '

إن كـان فـى رأسـك شـئ مـن أثـر العقـل

لا تضـع يـدك على رأسـك تحية عند بـاب كـل أحمـق

إن الـتراب يتحـول إلى الذهـب بنظـرة أولئـك

الذيـن لا يلتفتـون إلى الفضـة والذهـب

من الأفضل شرب كأس السم بلا من ولا أذى
لا أن تتحمل المن والأذى ولوفى حاجتك إلى الكوثر
عليك أن تعلم جيدا أخبار يوسف عليه السلام وبعد ذلك
تحدث بأخبار الزمن وأحواله إلى أخيك
إن هذا الفلك لم يهب أحدا من الناس شيئا ما
و لم يسترد منه ذلك الشيء مرة أخرى
اعتقد أنه من الجائز أن يرفع دعوى بمقدار مائة "من"[1]
من كان له في ذمتك شئ قليل من المال قدر حبة شعير
لو تحول وجهك من الله تعالى إلى العباد
فسيتحول وجهك من جنة الفردوس إلى نار السقر
وستدور من باب إلى باب مطرودا منها دائما
ولن تعثر على مكان للمعيشة والسكنى أبدا
لهذا البدن الضعيف منة على عبد الرحمن وفضل
حيث لا يستطيع الذهاب من بابه إلى باب آخر

"١٩٩٥"

(١) من: مقياس وزن يساوى ثلاثة كيلو غرامات تقريبا، "من" هذه مستعملة فى كتب الفقه الإسلامى بمعنى كيل أو ميزان قدره ١٨٠ مثقالا شرعا، و٢٨٠ مثقالا عرفا.

' ١٧٤- النظر والحيرة '

عندما أنظر إلى وجوه الحسان الجميلة
أحتار مثل المرآة بسبب هذا الأمر
من دهشته لا أستطيع أن أستفسر عن الدليل
الله يعلم: ماذا عساه قد قال الدليل
ياع فيه أهل الخلوة والاعتزال كالعبيد
لا تعلو أصواتهم فى سوق الحسن والجمال
إنك تسألنى عن حقيقة الحبيب
من الذى يبوح بأسرار الحبيب إلى الأغيار؟
إن آلام العشق وهمومه ليست بمقدار
يمكن أن يصل عقل أحد إلى معرفة مقداره
أنا وحبيبى عندما نعد ونحصى همومنا
فإننى أحتار لهمومه، وهو يحتار لهمومى
إن أمور الدنيا تتم كلها فى أوانها
إن غموم حبيبى لا تتركنى إلى أوانى
متى يتفرغ عبد الرحمن من العشق
حتى يصغى بأذنيه إلى الناصح المتفرغ؟

" ٢٠٠٣ "

' ١٧٥- الدهر والصراع '

إننـــى قــد صفعــت هـــم الدهـــر بقدمـــى

والفضــل فـــى ذلــك يرجـــع إلى كـــأس الخمـــر

إذا كـــان مـــاء الحيـــاة[١] فـــى ظلمـــة ســـوداء

فإن أصحـاب الوجـوه البسيطة أعطونـى إيـاه فـى الضيـاء

ذلـــك الحبيـــب الـــذى أعطـــانى كـــأس الخمـــر

فـــإننى قـــد شـــربت دمـــاء الأعـــداء دون صعوبـــة

إن الإغمـــاء أنقذنـــى مـــن غـــم الدنيـــا

ووجـــدت الطريـــق خـــارج الجهـــات الســـتة

إننـــى أضحـــك مـــن عـــداوة العـــدو ســـاخرا مبتهجـــا

كالشمعة التى ضحكت وابتهجت مـن خصومـة المقـراض

أعتـــبر كـــل الشـــرور والأضـــرار خـــيرا وفـــائدة

أجلــس فــى فــم الأســد فــارغ البــال مــن الخــوف

المـــوت أفضـــل لمـــن ليســـت لديـــه المـــروءة

اللهـــم لا تجعـــل أحـــدا فـــى العشـــق بـــلا مـــروءة

الملتهـــب المشـــوى الـــذى يحـــترق بالنـــار يقصـــد بذلـــك

أن يحـــترق بالنـــار أفضـــل مـــن أن يفقـــد المـــروءة

(١) ماء الحياة: يعتقد أنه ماء من شرب منه شربة عاش أبدا. راجع ص ١٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

إن الإنســـان يتذكـــر الله عنـــد ابتلائـــه بـــالمرض
فـــالابتلاء بـــالمرض ليـــس أقـــل مـــن العبـــادة
متـــى يمكـــن العثـــور عليـــه بالتدبـــر والبحـــث
ذلـــك العمـــل الـــذى يتوقـــف إتمامـــه بالعنايـــة الإلهيـــة؟
إن وجـــه إليـــه أحـــد مائـــة نصيحـــة
لا يلقـــى بأذنيـــه إلى نصيحـــة أحـــد
أنا عبـد الرحمـن مغلـول بـأغلال مائـة حلقـة مـن الضفـائر
أضيفـت إليهـا حليـة البيزوان[1] وكذلـك حليـة النتـه[2]

"٢٠١٥"

١٧٦- الجمال اللانهائى

لا حـــدود لمحاســـن وجهـــك ومفـــاتن جمالـــه
لذلـــك ليـــس لـــدى مجـــال للصـــبر والتجلـــد
لا تخـــف علـــى حيـــاتى، ولا علـــى مـــالى
لأنـه لا خـوف لـدى على الحيـاة ولا علـى المـال
وإنمـــا سـبب خوفـــى الـــذى يهزنـــى وأرتعـــش
لأن فـــى الخـــوف منـــك ثـــواب ولا وبـــال فيـــه

---

(١) البيزوان: الأفغانيات يزين أنوفهن بأنواع من الحلى منها " البيزوان " الحلية التى تعلق فى الحاجز الفاصل بين المنخرين وتتدلى على الشفتين راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) النته: نوع من الحلى لتزيين أنف المرأة الأفغانية.

لو وعدتني لأجل عمل ما بعد ساعة
فإنه لا أمل لي في ذلك العمل لمدة سنة
انظر إلى أحوال الشهداء، ما أحوالهم؟
فإن حالتي من غيرك هي تلك الحالة لا غيرها
إن نور عيني وضياءهما هو مشاهدتك
لا وجود في هذا البيت لمصباح أو لشمعة أخرى
إنك أنت شجرة السرو على ضفة نهر عيني
لا وجود على شاطئ هذا النهر لغرس آخر
إن وجهك يتلألأ جمالا دون الخط والخال
بحيث لا حاجة له إلى الخط ولا إلى الخال
لو نظرت إلى وجهنا لوجه أيها الحبيب
فإن في رؤيتك ثواب وأجر بعيدة عن الوبال
إن في وجه الشمس زوال في كل يوم
لا زوال في شمس جمالك وحسن الكمال
لقد جذبت الحبيب إلى بجذبة الحب
بحيث لا حاجة لي بعد ذلك إلى الدليل
إن عبد الرحمن منشغل بذلك انشغالا
بحيث لا وجود في قلبه مكان لهموم الوصال

"٢٠٢٧"

' ١٧٧- وجه وشمس '

لو قلت: إن وجهك شمس، فإن الشمس ليست لها ضفائر مفرقة
ولو قلت: إن قامتك شجرة السرو، فإن شجرة السرو لا ترحل ولا تسير
كل من يقول: إن وجهك الشبيه بالنار وردة
فإنه يقول كلاما عقيما حيث لا يوجد وقار الروضة فى وجه النار
يقول الناس بغير حق: إن ضفائرك أزهار السنبل يا خالب القلب
حيث إنه لا علاقة ولا تشابه بين العشب والمسك
إننى عندما سمعت بأذنى نباح كلاب عتبتك
فإنه لا توجد بلبلة فى المرج بمثل هذا الكلام العذب
إن رؤيتك تعمل عمل ذلك الذى لا رأس فوق جسده
لأنه لا سبيل لصاحب الرأس للوصول إلى حور الجنة
لن يوجه الله الحبيب وجهة الرقيب المتنافس يا عبد الرحمن
لأنه لا غرض ولا عمل أبدا للكلاب مع الملائكة

" ٢٠٣٣ "

' ١٧٨- لا خسران '

من سحب يده من الربح لا يرى الخسران
لا ضريبة على الدرويش ولا غرامة
من أراد شراء الوفاء فليذهب إلى جهة أخرى
هذه البضاعة لا توجد فى دكان الزمان

الفـــراق ينشـــأ مـــن الصداقـــة والمـــودة

عديم الصداقـة لا هـم لـه مـن الغـم ولا الفـراق

إن الأمـن والأمـان فـى تسـليم النفـس إلى الله

وإلا فإنـه ليسـت هنـاك جهـة أخـرى للأمـان

أيـــن أبحـــث وأطلـــب ذلـــك الحبيـــب

الذى ليـس لـه منزل ولا مقـام فـى أى مكـان؟

مهمـا زاد عـدد مـن يخلـب القلـوب فـى العـالم

ليس لحبيبى الذى خلـب قلبى مثيـل فـى العـالم

الذى له قامة رشيقة، وغدائر، وشفائف حمراء

لا وجـود لمثـل هـذا الشـمس فـى السـماء

إن العشـــق للعاشـــق الولهـــان روضـــة

لا طريـق للخريـف إلى حديقـة هـذه الروضـة

إن كـــل العاشـــقين ســـلاطين فـــى العشـــق

لا وجود فى هـذه المدينة للمسكين والضعيف

مـن يصـدق فـى العشـق ويخلـص كـالمجنون

فليـس هنـاك حـارس يحـرس بـاب ليلـى

العقلاء هـم الذين يفهمـون قـول عبد الرحمن

ليس هنا عمل لكل من ليس بأهل ولا بفـاهم

"٢٠٤٤"

١٧٩- لاشئ غير وجه الحبيب [1]

لا شئ يوجد فى الدنيا غير وجه الحبيب
كل ما يوجد هو رؤية الحبيب، لا شئ آخر
حين أنظر وأفكر فى فراقه ووصاله
أحدهما جهنم والآخر روضة الأزهار، ولا شئ آخر
مصانع هذه الدنيا التى تشاهد وترى
كلها نتيجة لعمل العشق، لا شئ آخر
كل رمشة من رموشها يعمل بجسمى وقلبى
أقول لنفسى: كأنها ذو الفقار[2] بعينه، لا شئ آخر
حين يأخذ الرجل الشجاع الغدائر من وجهه
فذلك كنز وثعبان أخذهما، لا شئ آخر
إلى متى سأقوم بوصف حسنات المحسن ومدحه؟
فأقول بالاختصار: بأنها بلا حساب، لاشئ آخر

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٣٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان،أكاديمية البشتو كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة عبد القادر، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، وكذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) ذو الفقار: اسم سيف على بن أبى طالب رضى الله عنه.

إلى أية جهة توجهت بأذن القلب بدقة
وجدت سوق المحبة والمودة قائمة، لاشئ آخر
حين تم مشاهدة وجهه الأبيض وغدائره السوداء
فذلك هو الكنز والثعبان، لاشئ آخر
كلما عرضت نفسى على أى طبيب يقول:
إن العشق هو مرضك، لا شئ آخر
إن أحب عبد الرحمن الضعيف شخصا آخر
فإنه يستحق القتل، لاشئ آخر

" ٢٠٥٤ "

' ١٨٠- الاحتياج '

إنك تعلم جيدا ما فى قلبى من الاحتياج
فلماذا تسألنى، وتقول: ماذا تطلب أيها المحتاج؟
كنت قد علمتك ما للطالب[١] والمطلوب[٢] من أسرار
لو كنت لا تعلم هذا الرواج والتقليد
لا بأس فى أن الحبيب لا يقول أخباره للحبيب
لأن الأمزجة المخفية مكشوفة على الحكيم

(١) الطالب: العاشق، أو الصوفى الزاهد الذى يطلب ويبحث عن الحب الإلهى أو العشق الإلهى. راجع ٢٢٤ هـ١ أيضا

(٢) المطلوب: هو المعشوق، وهو الذات الإلهية عند أهل الزهد والتصوف.

إن كنت تسألني عن حالتي، فإن حالتي
هي: أن نهاري أشد عتمة من الليل المظلم
كيف كان في استطاعتي أن أستمر في الحب
لو كنت أعلم ما لبعدك عني من غارة السلب والنهب
إن كان يقبل دعاء واحد من كل مائة دعاء
فما جعل الله أحدا مريضا معتلا بلا علاج
فليصب البلاء عبد الرحمن، إن كان مريضا حزينا
عش أنت منشغلا ومهتما بتختك والتاج

" ٢٠٦١ "

' ١٨١- الكأس والراح '

عندما علمت ما في كأس الساقي من الراح والنشاط
فالتقيت بذلك بالأرواح كالأموات
عندما أرى ضفائر الحبيب في المنام
يهطل على المسك في الليل حتى الصباح
إن الصبح يبشر العاشق المهجور بالوصال
يتم العثور على أخبار الوطن من السياح
إن جعلت المعشوقات[1] شرب دماء العشاق مباحا
فمن الذي يستطيع أن يخرج عن صلاحية الحسان؟

---

(١) المعشوقات: من إضافتي، وهي واضحة في السياق، ويقتضيها المعنى.

كل ساق من السقاة يحمل فى يده كأس العشق
فإن كأسه هذه مباحة لسكارى " العشق "[1]
من يمدح الوجه دون حب، فلا يمكن ذلك
من يعلم قدر الممدوح من غير المداح؟
عروسة الدنيا التى تطلب الدين فى عقد الزواج
احذر يا عبد الرحمن، من مثل هذه العروسة والزواج

" ٢٠٦٨ "

' ١٨٢- لم الابتعاد دائما؟ '

لماذا ابتعدت للإعراض عنى دائما؟
لماذا أنت مستنفر منى كل صباح ومساء؟
إننى أدعو لك أنت كل صباح ومساء
فلماذا تداوم أنت على أن تشتمنى دائما؟
تعيش دائما كالحيوان الوحشى فى وحشة
لماذا لا تركن إلى الهدوء معى لوقت قصير؟
تبتعد عنى وتذهب دائما إلى الأمام
كالعمر لا تخطو خطوة للعودة، فلماذا ذلك؟
قل وأمرنى، وسأقوم بما تأمر به
لماذا تقوم بمنح الجائزة للرقباء المتنافسين؟

---

(١) العشق: كلمة أضفتها وفقا لمقتضى الحال.

أدعـوك لوجـه الله: اتـق واجتنـب الرقيـب
لمـاذا تقـوم بخلـط الحـلال والحـرام معـا؟
إن عبد الرحمن يعشق وجهـك بـلا غدائر أيضـا
فما الجـدوى من نشر شبكة الصيد لـه، ولمـاذا؟

"٢٠٧٥"

'١٨٣- لماذا تزيد المغموم غما؟'

لمـاذا لا تنظـر إلى نظـرة صـدق صحيحـة؟
لمـاذا تزيـد المغمومـين غمـا وحزنـا؟
حـين يرانـي العـالم مغمومـا بغمـك يبكـي
فلمـاذا تبكـي العـالم أكـثر مـن ذلـك؟
لا أفهـم مـا مطلـب شـفائفك الحمـراء
التي تشرب دم قلبي كـل لحظـة، فلمـاذا ذلـك؟
قـل لعينيـك السـكرانتين وتحـدث معهمـا
لمـاذا تقومـان بقطعـي إربـا إربـا؟
إن الظـالم حـين يظلـم، يعلـل ظلمـه بحيلـة
فلمـاذا تظلمنـي أنـت، ومـا سـبب ذلـك؟
إرادة الله بـألا يسـعد الشـخص بـدون الحبيـب
فكيـف أعيـش أنـا سـعيدا مبتهجـا مـن غـيرك؟
أنا عبد الرحمن ألوم نفسي بنفسي حيث عشقت
فلمـاذا تلومنـي بقيـة العـالم، مـا سـبب ذلـك؟

اســـأله قليـــلا: كيــــف حـــــال قلبــــه..
لمـاذا تتساقط القطرات مـن عينى عبد الرحمـن؟

" ٢٠٨٣ "

' ١٨٤- ماذا أقول؟ '

إن تحدثــت عـــن الهجـــران مــــاذا أقـــول؟
مــــاذا أقـــول عــــن هـــذا الألم العضــــال؟
لا طاقـــــة لى لأتحـــــدث إلى الحبيــــــب
وإذا لم تكن لدى الطاقة، فماذا أقول بلا طاقــة؟
عندمــا أراه لا أعلــم شــيئا عـــن نفســـى
وإذا لم يكن لدى خبر عن نفسى، فكيف أقول؟
ليـس هنـاك تحـدث أو تنبـأ عـن حـــال القلــب
مــاذا أقــول عــن عديــم الحديــــث والأثـــر؟
ســر العشـــق الـــذى لم يبينــه أحـــد أبـــدا
فماذا يمكننى أن أتحدث عـن هـذا السـر والبيـان
إننى من غم حبيبـى غريـق فـى الدمـوع كـاملا
ماذا أقول عن مثل هـذا الطوفـان مـن الدمـوع؟
أنـا الـــذى وقـــع ســاقطا فــى تنــور الهجـــران
مـــاذا أقــول عـــن روضـــة أزهــــار الوصــــال؟
ينهـــب حيــاة الإنســـان وثروتـــه ويغنـــم قلبـــه
مـاذا أقـول عـن مثـل هـذا الخـاطف للقلــوب؟

يدعو الغربان ويطرد البلابل عن الحديقة
ماذا أقول عن بستاني حديقة هذا الدهر؟
كل ما أقوله فإنه أفضل وأحسن من الكل
أنا عبد الرحمن ماذا أقول عن المحبوب؟

"٣٠٩٣"

' ١٨٥- الصمت والصيت '

ماذا حدث إن كنت صامتا عن التأوه البارد
فإن الناس جميعا يعلمون حبنا المتبادل
لا داعي لأن يتفاخر أحد معلنا عشقه على اللسان
متى تخفى الشقائق الناشفة واللون الأصفر؟
إن أهل الدنيا كلهم عديمو المروءة، أضاعهم الله!
أدعو الله ألا يبتلى أحد بلقاء عديم المروءة
متى يمنح شخص قلبه لعديمي الألم في العشق؟
إنني أقدم مائة من عديمي الألم صدقة لذوي الألم
من غير مجمع أتربة (مزبلة) شهداء عشقك
متى ينبت شقائق النعمان الأحمر في غبار كل تراب؟

إن خوش حال[1] وتسعة وتسعون من قبيلة " ختك "[2]
فداء فرد[3] واحد من أفراد عبد الرحمن السربنى[4]

" ٢٠٩٩ "

' ١٨٦- حبى لغيرك حرام '

إن حبى لك أيها الحبيب ليس بخطأ
فحبى لغيرك ليس بجائز، إنه حرام
من ينظر إلى غير وجهك الجميل
فإن مرآة نفسه قذرة ليست بصافية
كل عاشق يذرف الدموع رغبة فى لقاء الحبيب
فإن هذا البكاء كله ضحك سعادة وليس ببكاء

---

(١) خوش حال: أو " خوشال " شاعر قدير وزعيم بارز ينتمى إلى قبيلة ختك الشهيرة كانت له صولات وجولات مع المغول. راجع ص ٣٣٩ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٢) ختك: قبيلة من القبائل الأفغانية المشهورة تنتمى إليها أسرة الزعيم الشاعر خوش حال خان (خوشال خان) وقد ترامت زعامتها إلى خوش حال خان نفسه الذى كان ينافسه عبد الرحمن فى زعامة الشعر والأدب.

(٣) فرد: يحتمل أن يكون المراد منه فرد من شعره الجيد، ويحتمل أن يكون المراد منه فرد من أفراد قبيلته السربنية.

(٤) السربنى: سربن قبيلة من القبائل الأفغانية الشهيرة منسوبة إلى جدها الأعلى " سربن " بن قيس عبد الرشيد. راجع ص ١٧٨ هـ٢ من هذا الكتاب.

من يتفاخر بمشاهد الدنيا الخلابة بدلال

فإن هذه النزهة يتمتع بها اليوم، ولن يجدها غدا

إن كنت تعاملنى بجفاء مائة مرة

فإن جفاءك كله وفاء وليس بجفاء

لقد انقضى الزمن الذى كنت أسترق فيه الحب

وقد افتضح الآن فى العالم كله وليس بسرقة

إن تم العثور على المعشوقة ببذل الرأس

فإن ذلك بالنسبة لعبد الرحمن بلا ثمن

" ٢١٠٦ "

' ١٨٧- التبسم للأغيار '

التبسم مع الأغيار غير مطلوب

التعامل بالتجارة مع الأغيار غير مرغوب

مائة صداقة تقام لأجل حبيب واحد

الأنس مع كل صديق غير مقصود

القبيح مع القبيح والطيب مع الطيب

الوفاء مكان الجفاء غير مطلوب

سيثنى عليك كل بلبل إن أصبحت وردة

ثناء الإنسان على نفسه غير مرغوب

إن العشق يبوح كالرائحة وفمه مقفول

الغوغاء فى هذه الأمور غير محبوب

إن داء العشـــق كلـــه راحـــة للعاشـــق

البحث عن الدواء لمثل هذا الداء غير مقصود

بين العشاق والحرص على الميول النفسية بون بعيد

الهـواء الشـديد لنفس العليـل غـير مطلـوب

إن العشـق عمـل نـادر الوقـوع فـى العـالم

إلا أن التعامل فيه مع غير الله غير مسموح

قســما، إن فعلتــه لا أعتــبره شــيئا

إن التعلق الشديد بالدنيا ومتاعها غير مقبول

يسـمع أن حـب الدنيـا ومتاعهـا بـلا نفـع

وعندمـا رأيتـه ثبـت أنـه غـير مفيـد

إن عشت أنا عبد الرحمن فى الدنيا طويلا أيها الحبيب

فـإن حيـاتى وعيشـتى بدونـك غـير مطلـوب

"٢١١٧"

' ١٨٨- إياك وكاشفة الوجه '

تنبه! من الذى سيتلقى ضربة حجر صلد على قلبه

حيث تسير سكرانة نشوانة كاشفة عن وجهها؟

إنـك حـين تطلـب وردة المـودة مـن البسـتان

عليك أن تكون أولا على علم بشوكة الهجران وعقدته

إن كان الطالبون[1] غير راضين فهم فى الواقع راضون

فإن الطالب لا ينال هذه النشوة بدون مطلوب[2]

إننى قد شاهدت رستم الدهر بعينى

يذرف الدموع من جور حبيبه كأرملة

إن سبب نحافة العاشق وضعفه

هو انتفاخ قلوب فرقة العشيقات بشدة

ماذا سأفعل بحور الجنة بدون الحبيب؟

ما جعل الله سرو أحد من الناس صفصافا

لن يزول عن ذاكرتى ساعة الشدة عند الفراق

وإن امتلأ قبرى المظلم نشوة وهوى

أنا عبد الرحمن أدعو الله لذلك الحسن والجمال

الذى يجتمع عنده مؤتمر المحبين والعشاق

"٣١٢٥"

---

(١) الطالبون: عشاق النور الإلهى، أو الزهاد الذين يبحثون عن الحب أو العشق الإلهى. راجع ص ٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) المطلوب: هو المقصود الذى هو الذات الإلهية عند أهل التصوف والزهد. راجع ص ٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

' ١٨٩- الجور والوفاء '

إننـى حـين شـاهدت جـور الحبيـب وجفـاءه

كيـف أطمـع فـى الوفـاء مـن الأغيـار؟

كيـف يطمـع أحـد فـى الوفـاء عـن العـدو

حـين يصبـح الغـم مضعفـا مـن يـد الصديـق؟

إنـه لا يـؤلم كثـيرا إن قـام الظـالم بـالظلم

والحيف فى أن يتحول المعشوق ظالما مؤذيا للقلب

هـذه الشـكوى تكـون بكـثرة مـن هـؤلاء

الذيـن يكونـون مطمـع آمـال طيبـة كثـيرة

الأمر مـتروك لـك الآن.. أتقوم بالجفـاء أم الوفـاء؟

فقـد انخلعـت كلتـا يـدى عـن الاختيـار

إن الطـالبين[1] ملومـون عنـد المطلـوب[2]

مـا جعلـك الله أيهـا الوفـى عديـم الوفـاء

إنـك لا تلتفـت بنظـرة إلى أحـد مـن الحيـاء

التفـت بوجـهك قليلا لإرضاء قلـب عبـد الرحمـن

" ٢١٣٢ "

---

(١) الطالبين: عشاق النور الإلهى. راجع ص٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) المطلوب: الذات الإلهية. راجع ص ٣٣٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

' ١٩٠- الربيع والفراق '

جـاء الربيـع وحـل موسمـه وأنـا مفـارق عـــن الحبيـــب

واحسرتاه، ثم واحســرتاه! يمضـى الربيـع دون الحبيـب

نـار القلـوب المجروحـة التـى تشـتعل فـوق قمـة الجبــل

فترتفع أعمدة الدخان الملتهب من الصنوبر والصفصاف

هــل هــذا عجـز وضعـف حيـث اكتـب علـى الـورق؟

انتبـــه واتـــــق إيـــــذاء قلـــــوب العاشــــقين

ليســـت هـــــذه بدمـــــوع تســـيل عــــن العيـــون

إنهــا دمــاء تتدفــق عـــن جـــرح قلـــب الضعيـــف

إن مرضـــى الشـــديد يشـــتد علـــى فـــى كـــل وقـــت

فلأجـــل الله أيهــــا الطبيــــب أقـــــدم وإلا فمـــــت

إن الجبــــال تنهــــار وتتهـــدم حـــين تعلـــم بحـــالى

بحـــر مـــن الدمـــوع يجـــرى آتيـــا مـــن أرض الجبـــال

كـــل ذلـــك ليـــس إلا بســـبب صرخـــات الفـــراق

فأقدم إن أردت سماعها من كل وتر من أوتـار الربـاب

إننـى ضعيـف مهـــان فـــى العشـــق يـــا عبـــد الرحمـــن

بحيث لا ينظـر إلى الأغـراب ولا الأقـارب مـن العـار

" ٢١٤٠ "

' ١٩١- المصطنع فى المودة '

إننى مصطنع كاذب فى مودتـك مـن الـرأس إلى القـدم

أيها المحبوب حيث أعيش حيا رغم آلام غمك الشـديد

كـان مؤكـدا أن أمـوت مـن شـدة غمـك منـذ زمـن

غـير أن النفـس بيـد الله وحـده أيهـا المدلـل

لم أكـن قـد قبلـت الفـراق عـن الحبيـب لحظـة واحـدة

لـو وضـع أحـد المـوت والفـراق معـا وخـيرنى بينهمـا

إن غدائـرك السـوداء ليلـى، ووجهـك المنـير سـحرى

ولا تسـألنى بعـد ذلـك عـن الليـل، ولا عـن السـحر

حـين علمـت بوصـالك، وكذلـك بهجرانـك

فـلا علـم لى بعـد ذلـك لا بـالفردوس ولا بالسـقر

بـدون وجهـك أصبـح علـى النهـار ليـلا مظلمـا

أيـن ومتـى يكـون نـور النهـار بـدون الشـمس؟

مـا أصبـح أحـد مـن النـاس فـاقدا أسـباب الحيـاة

مثلـى أنـا بـلا أسـباب ،وبـلا رأس

غـير مقبـول فـى نظـرك فـن مـن فنـون فضلـى

ولـو تفننـت وأتقنـت فـى عشـقك مائـة فـن

لا تؤثـر دمـوع عبـد الرحمـن فـى الحبيـب أبـدا

مـا جعـل الله دمـوع أحـد مـن النـاس بـلا أثـر

" ٢١٤٩ "

' ١٩٢- العار والطعن فى العشق '

لا عار لى من الطعن أو اللوم فى العشق

لا حذر لى ولا خوف كالمشوى المحترق بالنار

كأنه يضع ختم الشمع على فم البحر المحيط

ذلك الذى يمنعنى من الثورة وهيجان العشق

لا كد لى ولا تعب آخر غير الهجران

غير أنه لا يوجد كد آخر غير هذا الكد

فكما أن الله قد جعلك جميلا بالضرورة

كذلك جعلنى عديم الصبر جزعا بالضرورة

من الذى يقبلنى بين الأسود والأبيض

لو لم يكن وجهك أبيض وقلبك أسود؟

ماذا أقول عن سوء أخلاق الرقيب

فشاهده أكثر سوء عندما ينضم إليه الحبيب

إن دينه أكثر صعوبة من دين الموت

التوبة والأمان من دين الفراق الأسود!

هذا نصيبى وطالعى الذى يلاقينى

وإلا فكيف ومتى يصل الغم إلى المغموم؟

سيحظى بملك واسـع مـن القـاف إلى القـاف[1]

مـــن يحظـــى بظـــل مـــن ظـــلال غدائـــرك

إن العشق يجعل الإنسان مجنونـا يـا عبـد الرحمـن

وإلا فمـــن الـــذى يـــترك بيتـــه وهـــو عـــاقل

" ٢١٥٩ "

' ١٩٣- أين جمال الحورية من جمالك؟ '

لا تبلـــغ الحوريـــة إلى روعـــة جمـــالك

كيـــف تصـــل الخادمـــة إلى منزلـــة الســـيدة؟

لا ترتفـــع إلى علـــو قـــامتك ولا تعلـــو

أشـــجار الصنوبـــر والعرعـــر والنخـــل

والســـرو مطـــرق الـــرأس خجـــلا مـــن قـــامتك

والشـــمع بـــلا نـــور فـــى مواجهـــة وجهـــك

كـــل مـــن ينظـــر إلى حســـنك وجمـــالك

فـــإن المـــلاك غـــير منظـــور فـــى نظـــره

حـــين وضعـــت خمـــر الشـــفائف فـــى الأفـــواه

فقـــد جعلـــت طائفـــة أهـــل التصـــوف ســـكرانة

(١) القاف: أو القاب اسم جبل وهمى لا وجود له فى الحقيقة والواقع، وهو كناية عن البعد الشاسع أو العلو الشامخ. وقد قيل إنه عبارة عن جبال قفقاز، وجبال قفقاز هذه هى جبال " هندكوش " الشامخة العالية كما يقول الأستاذ أحمد على كهزاد فى كتابه تاريخ أفغانستان ١: ٣٨٣ - ٣٨٥. راجع ص ١٨٠ هـ١ من هذا الكتاب.

قــل لى الآن: كيــف أمدحــك بالثنـــاء عليــك

فقـــد فقـــدت شـــعورى فـــى عشـــقك؟

إن لم تكــن هــذه جذبـة العشـــق فمـــاذا تكـــون؟

هـل يمكـن لأحـد أن يخرج عـن العـادات والتقـاليد؟

والآن لمـــــاذا ســـــأقبل منــــة الســــهر

حيـــث أحضـــرت لى محيـــاك فـــى المنـــام؟

إذا كــان الابــن أقــل غــيرة وناموســا مــن البنــت

فليكـــن الابـــن العديــــم اللياقـــة فـــداء للابنـــة

إذا كــان الابــن افضـــل مـــن البنـــت مائـــة مـــرة

جعل الله أم مثـل ذلـك الولـد " عديـم اللياقـة " ثكلـى

إذا كان الابن أكثر شهرة وقدرا مـن البنـات مائـة مـرة

فليكـن الابـن العديـم الجـدارة صدقـة ونـذرا للابنـة

الأحسـن أن يكـون للإنسـان أبنـاء عـم غيـورون وإلا

فـإن بنـت العـم الغيـورة أحسـن مـن ابـن العـم

إن جمـــال المحيـــا بـــدون العشـــق غـــير مجـــد

مثلـه مثـــل شـــجرة ذات أوراق كثيفـــة بـــلا ثمـــر

مـــن يتقمـــص بلبـــاس النحـــل، هـــل تم الجهـــاد

مـــا حصـــل أحـــد علـــى العســـل بـــدون النحـــل

يعـــز علـــى عبـــد الرحمـــن الحســـان كثـــيرا

مـــن يعـــرف قـــدر الطبيـــب غـــير المـــريض؟

" ٢١٧٤ "

' ١٩٤- فى سكرات الموت '

حين تقوم بخلع لحيتك وقت سكرات الموت

فلماذا حالس أنت اليوم بدون تفكير فى التدبير؟

كل من يرى أن أمامه خطر الغم فى المستقبل

من هم ذلك الغم يعيش منذ اليوم حزين الفؤاد

حين تتحسر غدا ندامة على نصائح المرشدين

فلماذا لا تبحث عن المرشد من اليوم يا عديم المرشد

كيف تتمكن ذكرى الحبيب من المقام فى فؤادك

إن لم تقم بإبعاد ذكرى غير الحبيب من الضمير؟

أنت تبحث عن لقمة العيش ناسيا ربك

أين ومتى يكون الزهد هكذا أيها الزاهد؟

بدل الله غمك هذا بالسعادة والسرور

ما حزنت فى البحث عن الحبيب أيها الحزين

مهما كان عدد الحسان فى العالم كبيرا وكثيرا

فإن حبيب كل عاشق من العشاق بلا نظير

كل شخص يسير فى ضوء ذلك الوجه

الذى يكون منزل خاطره منيرا بذلك الوجه

إن العشـــاق بتأثـــير الشـــفائف الياقوتيـــة اللـــون
ينـــامون ويعيشـــون دائمـــا فـــى النـــار والمـــاء[1]
أنـا عبـد الرحمـــن أبحـث بحثـا عـن الحريـة الطليقـة
لا التحرر من سلسلة الغدائر السوداء على كل الأحوال

" ٢١٨٤ "

' ١٩٥- العشق وفقدان الشعور '

إننـى فـى عشـقك قـد فقـدت شـعورى فقدانـا
بحيـث لا أقبـل ولا أوافـق علـى قـول مـن الأقـوال
يقـول الأطبـاء: بـأن الصـبر هـو الـدواء لدائـك
إلا أن الله تعـالى قـد خلـق طائفتنـا عديمـــة الصـبر
تشد السيوف فـى كـل مكـان وزمـان ضـد العـدو
إلا أن عينيك يا حبيبـى تقتـلان الأصدقـاء بالسيف
اجتمعت معشـوقات العصـر ومحبوبـات الزمـن معـا
فقـامت بالإغـارة علـى منـزل فـؤادى ونهبنـه نهبـا
لست أنا وحيدا منفردا فى الابتلاء بغمك بالضرورة
بـل إن العشـق قـد خلـق بـالضرورة للإبـلاء
يأتى نور النهار بعـد كـل ليلـة وفقـا لنظـام الكـون
إلا أن الفـراق قـد جعـل عمـرى كلـه بـلا نـور

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

إن قمری الوجوه لا یوفون بـالعهد مـع أحـد أبـدا

هــذا القــول هــو القــول المشــهور فــى العــالم

كل الذين يعلمون الحال يعضون أصابعهم بالأسنان

مــا نبــأك الله بحــال المهجــور فــى الهجــران

يحــرس نفســه عــن أذى عيــون الرقيــب الســيئة

كـل عاشـق محظـوظ بالاستفادة مــن الحضــور[1]

إنـه قطعـة سـوداء مـن الفخـار فـى نظـر الأدعيــاء

فــإننى لــو أجلســته فــوق الســرير فهــو مــلاك

إن رطوبـة عينـى عبـد الرحمـن ستجف فـى وقـت

إن جفـت فيـه رطوبة جـرح مـن أصيـب بالناسـور

"٢١٩٦"

---

(١) الحضور: مقابل الغيبة. وفى اصطلاح أهل التصوف: الغيبة عن الخلق والحضور عند الحق، ويسمون مقام الوحدة حضورا، وقال بعضهم: إنه حضور القلب لدى ما يخفى عـن العين وذلك بصفاء اليقين.

١٩٦- قال قلبی[1]

كـــان قلبـــی يقـــول لی دائمـــا: ابـــك ابـــك

اطلـــب الحبيـــب الراحـــل بصـــراخ البكـــاء

وللبحـــث عنـــه ألبـــس مـــئزر[2] عـــدم الغـــيرة

واخلـــع ملابـــس الكرامـــة ولفهـــا بإحكـــام

إن كنـــت راضيـــا بعلـــو مقـــام الحبيـــب ورفعتـــه

فتوجـــه ضاحكـــا مبتهجـــا عـــالى الـــرأس

إن هـــذا الفلـــك الـــذى يـــدور كـــالرحى

لـــن يـــترك فـــى العـــالم حبـــة واحـــدة قائمـــة

اعلـم، أن كـل مـا بوجـد فـى العـالم مـن الأحيـاء

ســـيقوم بقطـــع رقابهـــا بســـيف الآجـــال

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٤٨، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، آكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م. ولم يأت ذكر هذه المقطوعة فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، آكاديمية البشتو بشاور ١٩٨٧م، ولا فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

(٢) مئزر عدم الغيرة: فى الأصل الأفغانى " مئزر مصليات عدم الغيرة " ولقد قمت بحذف كلمة " مصليات " احتراما. والمراد من " مئزر عدم الغيرة " مئزر العار. أى ابعد العار عن فكرك وابحث عن الحبيب.

الحجاج يمسكون بأيديهم حبال ستائر الكعبة
ليت لو أمسك عبد الرحمن كلتا غديرتى الحبيب[1]!

" ٢٢٠٢ "

' ١٩٧- حينا وحينا '

حينا يحترق بالحر وحينا يرتعش من البرد
حينا يموت جوعا، وحينا يموت شبعا
كل من أتى إلى هذه الدنيا فهو فى غوغاء
لا هدوء البال لهؤلاء الجياع ولا لهؤلاء الشباع
حينا يضعون أيديهم على الرؤوس إظهارا للتواضع
وحينا يضعون أيديهم على السيوف إظهارا للمواجهة
تراب آدم الذى قام الملائكة بتخميره
قد لوثوه وخلطوه كله بالغموم والآلام
لا بأس، إن قام أحد اليوم بالضرب والتقييد
فإنه سيواجه من يضربه ويقيده بالأغلال
إلى متى سيلوم بناؤنا الضعيف صحيح الجسم
إننى قد تعبت وعجزت من أعمال المساندة والبياض
ينبغى أن يضحك بعد الموت فى لحده
من بكى وذرف الدموع بنفسه فى هذه الحياة

---

(١) غديرتى الحبيب: المراد الضفيرتان اللتان تتدليان على طرفى الوجه عند الأذنين.

أرى أن الجميع راحلون، ولن يبقى أحد أبدا
سيرحل مسافرا على هذا الطريق شابا كان أم شيخا
كل الناس يطلبون غدائر الحبيب بإلحاح
الكبار والصغار، والعظماء والفقراء
من تم قبوله عند بابه فهو حسن الحظ سعيد
ومن تم طرده من بابه فهو سيئ الحظ شقى
قد وجه إليه الدعوة مئات مثل دعوة عبد الرحمن
يعلم الله من الذى قبله ذلك المحبوب؟

" ٢٢١٣ "

' ١٩٨- الدنيا والدمار '

ستتحول بنفسك مرغما إلى الخراب يا بازار الدنيا
تطأ كل نفس تحت أقدامك بغارة الفراق
ما فتحت البرعومة عينيها فى الحديقة بعد
حتى قامت ريح الخريف بتدمير منزل فؤادها
هبت ريح الفناء والهلاك بحيث
أسقطت قبعة شقائق النعمان من الاضطراب

كيـف البلـوغ إلى عظمـة البـاز[1] وطـائر الهمـا[2]
لـو قـام طـائر " خـراره "[3] بـالذكر الشـفهى مائـة مـرة
لـو مـر بهـا ألـف ومائـة سـنة فـى المـاء
لـن تلـين الأرض الحجريـة الجـامدة ليونـة
الفنـاء أفضـل مـن مثـل العمـر الـذى
تتحول حالة كل عمره إلى سكرات الموت أو نزع الـروح
الأفضل أن تكون مسجونا يا عبد الرحمن بدلا من الحرية
إن وقـع قيـد ضفـائر المحبوبـة فـى عنقـك

" ٢٢٢٠ "

---

(١) الباز: أو البازى جنس من الصقور تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذنابها إلى الطـول. ومن أنواعه: الباشق والبيدق.

(٢) الهما: طائر وهمى يقـال ويعتقـد بـاطلا أنـه إذا وقـع ظلـه علـى أحـد صـار ملكـا. راجـع ص٢٨٣ هـ١ من هذا الكتاب.

(٣) خراره: نوع من الطير لونه يشبه التراب، يعيش فى الصحراء، وهو فى حجم طائر الحجـل المعروف، أو أصغر منه قليلا، لم أعرف اسمه باللغة العربية.

' ١٩٩- الأهداب السوداء '

حين تغرق الأهداب السوداء فى الماء من ألم القلب[1]

فينهدم المنزل بأثاثه بقطرات من رطوبة القلب

يتحدث بغموم القلب وهمومه إلى ذى الأهواء النفسية عبثا

ماذا يفهم الأطفال الصغار من غموم القلب الجريح وهمومه؟

لقد قمت بربط عيون القلب المجروح ربطا محكما

ذلك لأمنعها عن النظرة إلى وجه آخر غير وجه الحبيب

المرغوب الذى يستقر تحت قدميه العرش والكرسى

كذلك الأمر فى قدم القلب فإنه أعلى شأنا وأرفع منزلة أيضا

إن هذه الكعبة كعبة القلب أعلى وأعظم شأنا من كعبة الخليل

إن قام أحد بإعمار حرم القلب الخرب فإنه أعظم من الخليل

إن كان الناس الآخرون يضعون أقدامهم فوق الأرض

فإننى قد رفعت قدم القلب ووضعته فى السماء فى العلو

هذا المكان والفراغ الذى هو كائن بين السماء والأرض

فإن هذا المكان خلوة مناسبة للانفراد وسلم لصعود القلب

ممن يمكننى أن أطلب المرهم والدواء النافع من غير الله؟

لأنه ليس فى مقدور الأطباء أن يقوموا بعلاج القلب بالمرهم

---

(١) ألم القلب: ألم ترجمة لكلمة " يم " الأفغانية، ومهما حاولت معرفة معناها فى القواميس المتوفرة عندى لم أجد لها معنى يناسب هذا المقام، فترجمتها بالألم.

إن أصحاب الأنس والتمتع المادى الجسدى كثيرون فى العالم
غير أن عبد الرحمن الجريح القلب لا يحصل على أنيس الفؤاد

" ٢٢٢٩ "

' ٢٠٠- قم أيها الساقى '[1]

انهض أيها الساقى وقم بإعداد كأس الخمر[2]
إن الحياة لا تتعطل، تسير وتمضى سريعة
إن سيفك يلف من عنقى فى كل لحظة ويدور
كل نفس فى خوف ووجل من سيف نفسها
لا بلاء أكبر وأخطر من بلاء الأنانية
كن خادما فى بلاط من تنازلوا عن الأنانية
هذا العمر القصير (عمر خمسة أيام) فرصة طيبة
عليك أن تشكر الله على هذه النعمة
إن كنت تطلب من يشاركك فى الغم والحزن
فعليك أن تختار زجاجة مملوءة من الخمر

---

(١) الساقى: عند أهل التصوف هو الفياض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل. راجع ص ١٦٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) الخمر: عند أهل التصوف بمعنى العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤ من هذا الكتاب.

ما دمت تعيش فى الدنيا وعيناك مفتوحتان
عليك أن تشاهد محبوبك كل ساعة
من الذين لا يلفقون بالتهم الباطلة؟
لا تلق بأذنيك إلى أحد، واقض عملك
كل أحباب هذا الزمن عديمو الوفاء
والذى سيصبح حبيبك بعد الموت اتخذه حبيبا
إن المدعى يقول كل ما يأتى على لسانه
فعليك أن تصغى بأذنيك وعقلك إلى كلام المحبين
يقول عبد الرحمن: إن الدنيا وشئونها فانية
عليك أن تعير اعتبارا لهذا الكلام وتثق فيه

" ٢٢٣٩ "

' ٢٠١- التنازل عن الإرادة '

حين خلق الله حبى لك وجعلنى عشيقا لك
فقد قمت بالتنازل عن إرادتى منذ ذلك اليوم
والأمر الآن متروك لك إن كنت تجفو أو تفى
أما أنا فقد قبلت جورك بدلا من وفائك
من الذى يرضى أن يشترى الورد بالجوهر والياقوت
من غيرى أنا حيث كنت أبكى وأنت تضحك ؟
من غيرى أنا الذى يشترى غمك وهمك بالهوس
من هو الشخص الذى يتاجر بهوس الغم والهم؟

لا يوجد فى العالم أحد قد رأى حبيبين اثنين
معا.. أحدهما يشتم الآخر، والآخر يدعو له بالخير
إننى قد جعلت ظهرى للعالم كله وتوجهت إليك بوجهى
وأنت توجهت بوجهك للعالم كله وجعلت ظهرك إلىّ
إن المنادك فى العالم كثيرون، من الذى يذكرهم؟
والعشق هو الذى رفع من شأن " هير " و " رانجها "[1]
كذلك فقد ارتفع اسمه واشتهر أكثر من الجميع
عندما وافق العندليب وقبل راضيا جفاء الورد
ماذا يعرف عن غم الفراق من لا يعرف الحب وهمه؟
هذا البلاء قد جعله الله من نصيب من حرب الحب
إن العشاق يبذلون حياتهم فداء لكلاب المحبوب
وإلا، فلماذا كنت أهتم بالرقباء ومحاباتهم بحذر؟
أنا عبد الرحمن عندما أصبحت مداحا لحسنك وجمالك
ومن أجلك أنت فقد أصبح العالم كله مداحا لى

" ٢٢٥٠ "

---

(١) هير ورانجها: إن " رانجها " اسم عاشق، و " هير " اسم معشوقته، وقصة حب رانجها وهير مشهورة فى الأدب البنجابى بالهند، وهى تشبه فى ذلك قصة مجنون وليلى فى الأدب العربى.

' ٢٠٢- اتق الله واطمع فى جنته '

قم ببناء سد لماء " باره "[١] ثم ازرع البذور

اتق الله واخشه ثم اطمع فى الجنة ونعيمها

العقلاء يتقدمون إلى الأمام وينظرون إلى الوراء

دبر فى الدنيا للنهاية وعاقبة الأمر فى الآخرة

إن القيام بالعمل على الفور صعب بالضرورة

قبل أن تصبح فى الغربة اعمل لزاد الغربة

قبل أن يقوم أناس آخرون بتوجيه اللوم إليك

عليك أن توجه اللوم إلى نفسك قبل الآخرين

إن كان فى المقدور العثور على العقبى بأجر الدنيا

فخذ هذه العمارات، واجعلها عمارات هناك

إلى متى ستقوم بالانتظار إلى أيام القيامة

فاتخذ هذا العالم واجعله يوم القيامة على نفسك

حين يتم وزن الحسنات والسيئات فى الميزان

فخذ بنفسك ميزانا، وقم بالعدل والإنصاف

---

(١) باره: اسم قرية فى " تيراه " بإقليم " ياغستان "، ينسب إليها النهر الشهير الذى يمر بجوارها، والذى يروى كثيرا من الأراضى الزراعية فى بشاور، ولأهمية مياه هذا النهر هناك مثل بالأفغانية ترجمته: " الكأس الواحدة من ماء " باره " أفضل من مائة منّ من السمن ". والمنّ معروف وهو كيل أو ميزان أو رطلان. ولمعرفة المنّ راجع ص ٤٣٩ هـ١ من هذا الكتاب

لــو غلبــك جيــش الحــرص والهــوى وانتصــر بـــالقوة
فـــأدخل برأســـك فـــى قلعـــة القناعـــة والرضـــا
ليــس مــن الممكــن أن تجعــل قفــاك إلى وجــه الحــق
إن أردت الحق ورغبت فيه فاتجه بوجهـك إلى وجـه الحـق
انظــر! أى قلـــب مـــن القلـــوب هـــو "عـــرش الله"
دع ذلك[1]، وقـم بخدمة جميع القلوب مـا دمت قـادرا
الراحلـون الســابقون كـــانوا جميعـــا رجـــال مثلــك
أنـــت أيضـــا انهـــض واعمـــل أعمـــالهم بهمـــة
إن الدنيـــا وكـــل شـــئونها فانيـــة لا بقـــاء لهـــا
إذن فـانهض وفكـر فـى حكمـة أخرى مـن نـوع آخـر
إن العشـــــاق لا يتعـــالجون بواســـــطة الأطبــــاء
فــاذهب إلى جهـــة أخــــرى ودار هنــــاك مشــــقتك
مــا دمــت لا تعـثر علـى الحـق فـلا ترجـع ولا تعــد
ساعد نفسك، واقلب العالم رأسا على عقب بحثا عن الحق
يـا عبـد الرحمـن خــذ أنـت أولا النصيحــة مـن العــاقل
بعـــد ذلـــك قـــم بتقديـــم النصـــح إلى الآخريـــن

"٢٢٦٥"

(١) دع ذلك: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم للربط بين الشطرتين.

' ٢٠٣- النضارة والغم '

إننــي مــن غمــك أيهــا الحبيــب نــاضر
مثــل كــل نبــت ينضــر برطوبــة المــاء
فقــدت عينــيّ إن جففتهــا مــن الرطوبــة
إذا كــان حبيبــي ينضــر بــالدموع
لا دخــل لى فــى أمــور النــاس بــدون الحبيــب
كــل إنســان نــاضر بروحــه ونفســه
إن غــم الحبيــب المتجــدد يولــد الوصــل
ويشفى جرحا محروقا بالدواء والبلسم الناضر
لو تمزق قلبك وشق من الغم فلا تكن حزينا
لان الكتــاب يجعلــون القلــم نــاضرا بالشــق
إن الأحباب ذوى الحسن كالورود يا عبد الرحمن
فقد أزبل الفراق أكثرهم، والقليل منهم نــاضر

" ٢٢٧١ "

' ٢٠٤- الأزهار والنار '

لست أرضى بالسعادة تحت ظل الأزهـار الحمـراء
أرضــى ســعيدا محترقــا بلهــب نــار وجهــك
المدينــة المحترقــة بالنــار خاويــة، فمــا الحكمــة فــى
أننى قد احترقت بنار وجهك ومع هذا سليم لم أتهدم

سأجعلك لى بأى وسيلة يمكن أن تصبح بها لى
إن وجدتك أنا بالصدق كان ذلك أم بالكذب
إن أردت الرؤية واللقاء فإننا موجودون اليوم فى الدنيا
لن تأتى أنت إلى الدنيا مرة أخرى ولا أنا
هذه الوعود الطويلة التى تعد بها أيها الحبيب
ليتنى وجدت فرصة أخرى فى هذه الدنيا
إنك لا تنظر إلى أحد من شدة الحياء
فقد قطعتنى شدة حيائك إربا إربا
حينما لم أمت من غمك وهمك وحزنك
فإننى حجر أو حديد، بل قل كأننى لست آدميا
ليت لو كان فى الإمكان النزول إلى القبر زوجا زوجا
فبكائى على أنه إما أنت لا تكون فى القبر وإما أنا
بسبب كثرة دموعى وسيله العارم
أدور دائما أكثر اضطرابا من الفلك والرحى
لو قاس أحد دموعى الغزيرة ووازنها بدموع أخرى
لثبت أننى أسير عائما كالقش فوق البحر
ليس فى مقدورى أنا عبد الرحمن ثناء الحبيب ومدحه
فليتنى لم أكن فى هذه الدنيا ناطقا

" ٢٢٨٢ "

' ٢٠٥- أقبل يا راحة الفؤاد '

أقبل أقبل يا راحة فؤادى

أقبل يا قامة السرو يا لطيف البدن

كل الحسان يتبعونك ويقتدون بك

فأقبل أقبل يا إمام الكل

من غيرك لا كرامة للعشاق

أقبل أقبل يا كرامة المشتاقين

يعلم الله هل سيأتى مثل هذا الوقت مرة ثانية؟

فأقبل أقبل إننى أخاف من الأيام

اليوم وقت إن كنت تجفو أو تفى بالعهد

فأقبل أقبل، إن الأمور لا تتم فى غير وقتها

هذا العالم رباط من الربط للمسافرين

أقبل أقبل، فإنه رحيل رحيل من هذه القرية

يا ملاك الوجه، يا سنبلى الشعر، يا ملكى الخلق

أقبل أقبل يا عنبرى الرائحة يا زهرى اللون

دع الليل فإن نهارى بدونك أصبح ليلا

يا بدر عبد الرحمن أقبل أقبل

" ٢٢٩٠ "

' ٢٠٦- حبيبى كالشمس فوق الشمس '

إنه فـى زمنـى ظهـر معشـوق وسـيم مـن العـدم
كـأنك تقـول: أشـرقت شمـس فـوق شمـس
إما أن يكون طالعا سعيدا للزمن وإما أن يكون طـالعى
حيـث ظهـر معشـوق مثـل هـذا الوجـه الحلـو المليـح
حـين بشـره القـاصد بوجـود يوسـف المفقـود
عـاد النظـر إلى عينـى يعقـوب ورجـع إليـه مـرة ثانيـة
لسـت أدرى هـل هـذا عشـق أم فسـاد
هذا الذى ظهر فى العالم من شر الاضطراب والغوغاء؟
يـا ليـت لـو لم تنبـت نخلـة العشـق أصـلا
حيـث ظهـر مـن غصنهـا ثمـر الغـم والهـم
مـا علـم جماعـة الملائكـة بغـم العشـق ومشـاقه؟
أنـا الـذى ظهـرت أمامـه مشـقة هـذا السـفر الصعـب
أحدهمـا اسـتغناء الحسـان والآخـر آلام العشـق
فقـد ظهـر بذلـك جـرح آخـر فـوق جرحـى
كيـف يسـعد بـالفرح أبـو ابـن غـير لائـق
حيـث ظهـر مـن صلبـه مثـل هـذا الابـن اللئيـم؟
لـن يتـم شـفاؤه مـن داء العشـق مـرة ثانيـة
كـل مـن ظهـر فـى بدنـه أثـر غـم العشـق وهمـه

الفـن الـذى يجعـل الفضـل عيبـا والعيـب فضـلا
هذا الفـن هو الذى ظهر فى زمن عبد الرحمن وعصره

" ٢٣٠٠ "

' ٢٠٧- شق الصدر جرح القلب '

منـذ أن أصبح شـق الصـدر وجـرح القلـب مـن نصيبـه
مـن ذلـك الوقـت بـدأ الجـرس بالشـكوى والصيـاح
حـين وصـل نـداء العشـق إلى العاشـق
فنهـض مـن نـوم الغفلـة واسـتيقظ قائمـا
إن عبـادة المرائـى والمنـافق غـير مجديـة
فإنـه كـالضفدع يمـوت فـى النهـر جيفـة
إن زهـد الجـاهل لا يعـد زهـدا مقبـولا
فإنـه مثـل مـال الخمـار الـذى يصـرف علـى الخمـر
إن مشـقة الجهلـة وعملهـم كلـه عقيـم بـلا ثمـر
فإن ذلك العمل كسحاب بلا مطر تحول إلى غبار بلا نفـع
إن علـم العلمـاء الذيـن لا يعملـون بعلمهـم
مثـل كـنز الكتـب التـى حملـت علـى ظهـر الحمـار
النـاصح الـذى يوجـه النصـائح إلى مـن ليـس بجديـر
فإنـه مـا الفـائدة مـن نصيحـة مثـل هـؤلاء النـاصحين؟
إن كـلام عبـد الرحمـن فـى أذن مـن لا فضـل لـه
كـالدرة فـى يـد الطفـل أصبحـت بـلا ثمـن

" ٢٣٠٨ "

' ٢٠٨- اعتزال الدنيا فى الدنيا '

اعتزل الدنيا فى الدنيا وانزو فى ركن منعزل

كن كدودة " سمندر "[١] وردى الخد فى النار

إن رغبت فى الحياة بعد الموت أجعل رأسك قشا

وبرأسك المقطوعة اجعل من نفسك مرجا جديدا

ماذا ستفعل بهذا الماء المر من البحر

كن بنفسك ذا رواء كرواء الجوهر ومائه

لا تقبل لغير الله منة لأحد

كن فوق حجر صلد شجرة كشجرة أرض صلبة

فإن طلبت الأزهار والأثمار كالشجر

اجعل نفسك فى الشمس ظلا لكل متواضع

إن كنت تقوم بإتمام عملك يدا بيد

قم أولا بإتمام عمل غيرك قبل عملك

إن خفت من ضعفك وعجزك واضطراب حالك

ساعد الضعفاء والعجزة، وكن عليما بأحوالهم

إن دار فى خاطرك هواء الجنة ونعيمها

فاجلس فوق تراب على باب ذلك الحبيب

---

(١) سمندر: دودة تعيش فى النار. راجع ص ٣٠٨ هـ٢ من هذا الكتاب.

إن طلبت نـورا وضيـاء فـى ظـلام حـالك

كـن مشـاهدا لغدائـر الحبيـب ووجهـه

إن طلبت حلاوة الشـفائف الحمـراء وعذوبتهـا

فكـن أحمـر اللـون كالرمـان بدمـاء مهجتـك

إن رضيـت بـأن تحضـر راضيـا روضـة فـؤادك

فـاذرف الدمـوع غزيـرة كغـزارة مطـر الربيـع

أصبـح عبـد الرحمـن بصـيرا فـى فـن العشـق

من قال: إن العاشق أعمى، فقد أصبح قوله ضعيفـا

" ٢٣٢٠ "

' ٢٠٩- الفؤاد والغدائر '

مـرة أخـرى أصبح قلبى أسـير الغدائـر السـوداء

واحتـل جيـش الحبـش الأسـود يسـارى ويمينـى

أطلقـت سـهام الدعـاء والتضـرع فـى كـل جـانب

إلا أنـه لم يكـن فـى السـهام سـهم ليصبـح نافعـا

إلى أيـة جهـة أتوجـه بـأذنى أسمـع غوغـاء ..

إمـا صـراخ الفـراق وإمـا كأنـه قـام يـوم الحشـر

الوعـاظ يقومـون بـالمواعظ، ولكنهـم مـاذا يفعلـون

حيـث يواجهـون ويقـابلون مجـانين العشـق؟

النـاصح الـذى كـان يعظنـى كـالأب الحنـون

برؤيتك ولقائك أصبح ذلـك الواعـظ كأنـه ابـن لى

إن الذيـن يلازمـون عتبـة بـابك سـعداء الحـظ
ومـن خـرج مـن بـابك أصبـح شـريدا تائهـا
كيف يقوم أحد بضماد جرح العشق يا عبد الرحمن
فإن ضماده وخياطته تصبح جرحا على جرح

" ٢٣٢٧ "

' ٢١٠- لا أعلم ماذا حدث؟ '

لا أعلـم ولا أفهـم أبـدا: مـا هـذا الـدوران؟
حيـث أصبـح حبيبـي مثـل الأغيـار شـكلا
إن الزمـن يقتلنـي بيـد الرقيـب المتنـافس
الـذى كنـت أعتبره كلبـا أصبـح علـيّ أسـدا
إن غمـوم الهجـران وهمومـه قـد عذبتنـي عذابـا
حيث إن العمر الذى اعتبرته قصيرا صار الآن طويلا
بمـا أننـي كنـت ألعـب بالسـيف فجزائـي
المناسـب أن يتقطـع قلبـي بسـيف الحسـان
لا يمكـن أن يعـود إلى أحـد الوقـت الـذى قـد مضـى
مـاذا أقـول الآن بعـد أن مضـى وانقضـى ؟
حـين قمـت بتنـاول كـأس الفـراق المـرة
فقد أصبحت لـذة الوصـال مـرة أيضـا كالسم القـاتل
بمـا أنـه لا ذكـر لـه.. لا بالوفـاء ولا بالجفـاء
لأجل ذلك فقد نسى الحبيب ذكر عبد الرحمن فى قلبه

" ٢٣٣٤ "

' ٢١١- اشرب كأس العشق '

قـــم وارتـــو مـــن كـــأس العشـــق ارتـــواء

اشـــرب الخمـــرة مـــن قـــدح القمـــر والمحبـــة

العبوديـــة فـــى البدايـــة ثـــم الحريـــة فـــى النهايـــة

إن قصـــدت الحريـــة فـــاجعل نفســـك عبـــدا

أنقـــذ نفســـك مـــن وحشـــيات الصيـــاد المرعبـــة

كـــن بنفســـك مطيعـــا أليفـــا كالدجـــاج

ادفـــن نفســـك الحيـــة فـــى الـــتراب كـــالبذر

إن أردت العظمة اجعـل نفسـك فى مقـام الـتراب

تمتـــع بالعـــالم كلـــه بخلـــق مـــن التواضـــع

ومثـــل الأرض كـــن تحـــت الأقـــدام

فـــى عـــدم الوجـــود ابحـــث عـــن مرتبـــة الوجـــود

كـــن مشـــاهد ســـطحك فـــى الخـــراب والدمـــار

لا تقـــل العيـــب للعـــدو بنفســـك

اقتـــل نفســـك قبـــل المـــوت لتصبـــح خـــالدا

صـــاحب العقـــل فـــى جماعـــة الســـكارى لـــص

إن كنت خاصا عند الآخرين، كن مـن العـوام هنـا

يـا عبـد الرحمـن عليـك أن تتعلـم لغـة البلابـل

بعـد ذلـك قـم بمـدح نـاعم الجســم ورديه

" ٢٣٤٣ "

' ٢١٢- لا تحزن لأجل الدنيا '

لا تحــــزن لأجـــــل منفعـــــة الدنيــــــا ومتاعهــــــا

فكـــر بحـــزن فـــى أمـــور الديـــن ولا تكـــن ملحـــدا

كـــل عقـــدة لهـــا طريقـــة حلهـــا يـــا قليـــل الحـــظ

فـــلا تيـــأس مـــن رحمـــة الله ولا تكـــن عبـــوس الجبـــين

كثير من الأثرياء النائمين يلقطون الحبوب من الأرض

ما دام لك رزقـك من الماء والحبة لا تكن لاقط الحب

كـــل طـــائر يقـــوم بـــأكل لحـــوم الآخريـــن فهـــو حـــرام

اجعل نفسك حلالا، ولا تكن كالكركى[1] والشاهين

بالســـعى والبحـــث احتضـــن الشـــمس كـــالذرة

ولا تكـــن موضوعـــا مرميـــا علـــى الأرض كحجـــرة

لا يتـــم العمـــل بـــالكم الخـــالى مـــن اليـــد

ضـــع يـــدك علـــى اللحيـــة، ولا تكـــن كمـــا بـــلا يـــد

بـــين العشـــق والغـــرور بـــون بعيـــد

إن كـــان العشـــق هـــو هدفـــك، فـــلا تكـــن مغـــرورا

إن ســـفرك فـــى بيتـــك إن كنـــت تفهـــم

فـــلا تكـــن مســـافرا إلى الهنـــد أو الصـــين

---

(١) الكركى: اسم طائر ويسمى اللقلق واللقلاق أيضا، وبالأفغانية الزانه، وبالدرية الكلنك.

تـــابوتك واقــــف أمـــــامك كالحصــــــان المســــــرج

فـلا تكـــن فـــى فكـــر زاد آخـــر مـــن الفـــرس والســـرج

مـــن لا تقـــوى لـــه ولا الديانـــة يـــا عبـــد الرحمــــــن

لا تكـــن جليســـــا مصاحبـــا لمثـــل هـــــذا المصـــاحـــب

" ٢٣٥٣ "

' ٢١٣- الأمل والمستقبل '

لا يغرنـــك ولا يجرأنـــك الأمــــل فـــى المســــتقبل

فـــرق بـــين نقـــدك ونســـيئتك ولا تكـــــن أبـــــتر

لقـد أفقـد الفلـك النـاس آمـالهم وهـم فـى آمـال

فـلا تكـن غـافلا عـن إغـارة الفلـك لقطـع الطريـق

ملـــوك الدنيـــا يلتمســـون مـــن الفقـــر مطـــالبهم

فكـن ملكـا لمثـل هـــذا الملـــك ولا تكـــن طالبـــا

ذق مثل طائر " الهمـا "[1] عظمـا جافـا واجعلـه طعمـة

لا تكـــن كالذبابـــة طالبـــا الشـــهد والســـــكر

قـــرب نفســـك إلى الـــتراب كـــالصدف فـــى البحــــر

لا تكـن عائمـا كـالزبد والرغـوة فـوق ســطح البحــر

إن نـــاعمى القلـــوب أعـــز مـــن قســـاة القلـــوب

فكـن أنـــت قطـــرة مـــن دمـــوع، ولا تكـــن جوهـــرة

---

(١) الهما: طائر خرافى كالعنقاء لا وجود له. راجع ص ٢٨٣ هـ١ من هذا الكتاب.

إن الـدواب مشـغولة أيضـا بذكـــر الله وتســـبيحه

إنــك ابــن آدم، ولا تكــن أســوأ مــن الــدواب

إن النفـس والشـيطان يخـرج الإنســان إلى الكفــر

ارحـــم، وافهـــم نفســـك ولا تكـــن كـــافرا

إن العشـاق عمـى تماما لا يـرون عيـب الحبيـب

فـلا تكـن أعمـى تماما بالنسبة لفضـل ذلـك الحبيـب

هذا المكان يا عبد الرحمن مكان العشاق عديمى القلوب

فلا تكن جريئا فى حـارة الحبيبـات جاذبـات القلـوب

" ٢٣٦٣ "

' ٢١٤- العين ودم القلب '

حـين ظهـر وتسـاقط دم القلـب مـن العـين

فتحولت كل الأحجار فى نظرى إلى الـدر والمرجـان

إن قلبى الخرب الـذى كـان يبكـى مـن غـم الحبيـب

فقد أصبح بعد ذلك ضاحكا كأجر أو جـزاء لـه وفاقـا

إن التواضـع قـد أنقذنـى مـن الآفـات كلهـا

فقـد أصبـح كالـتراب فـى عيـون الأعـداء

إن سـم الغضـب تحـول بالصـبر إلى الشـهد

فـأصبحت النـار كالروضـة علـى إبراهيـم الخليـل

إن العشـق عـدل وإنصـاف للعاشـق مـن ربـه

هـذا العـدل لا يبـدو ولا يحظـى بـه كـل النـاس

حين تم نقش غدائر الحبيب ووجهه على قلبى

فصارت خراسان والهند مكانا لخلوتى

إن الدواء المر هو العلاج لداء المريض

أما المنى فهو داء ودواء.. مرض وعلاج

حين وصلت إليه رائحة عرقك

جرى على وجه العطار نهر الدموع

إن علامة استغنائه تكون واضحة

من ضحى بنفسه وحاله فى سبيل ذلك

لن يتأخر أبدا فى شق فتحة قميصه

من كان كبده مشقوقا قبل شق فتحة القميص

إن العشق مرهون جبهة الحبيب الوضاءة

إلا أنه عندما عقد جبهته حصلت الخسارة

إن غم الجهلة وهمهم الأكبر هو المال

والرجل الشجاع هو الذى يفكر فى التدبير لنفسه

ماذا ستكون علامة الجهل أكثر من

أن يندم الإنسان بما صدر منه من الضربة

إن الإنسانية ليست بالمال يا عبد الرحمن

لا يصير الصنم إنسانا لمجرد صنعه من الذهب

" ٢٣٧٧ "

' ٢١٥- العقل والحظ '

إن سـرت وراء العقـل لم يجـد و لم ينفـع نفعـا
وإن طلبت النصـر مـن الحـظ لم يصبـح نصـورا
النوم العميـق الراسـخ كالجبـال يهـرب بقطـرة مـاء
أمـا حبيبـى فلـم يسـتيقظ ببحـر مـن دموعـى
يبـدو أننـى إنسـان قليـل الحـظ فـى كـل العـالم
لأن حبيـب العـالم كلـه لم يصبـح حبيبـى
انظـر الطـالع.. كيـف يذمنـى ويمـدح الرقيـب
حيث إن الإنسـان عنـده أقـل قـدرا مـن الكلـب
إن كـان قـد أقـر العهـد معـى مائـة مـرة
إلا أن قلبـى المضطـرب لم يهـدأ لـه حـال
إن الغمـوم كثـيرة أتحمـل همومهـا بنفسـى
ليس لى فـى هـذه الدنيـا من يشـاركنى فـى الغـم
وإن كنـت قـد قدمـت لـه مائـة نصيحـة
إلا أن من أضله الله فمن المحال أن يعود إلى الطريـق
إن أصـاب الألم قلبـى، فإنـه مـن الأمـور السـهلة
بشـرط ألا تصيـب الأذى خـاطر تلـك السـكرانة

" ٢٣٨٥ "

' ٢١٦- العبور والإخلاص '

إن كان شئ من العبور يتم كل ساعة بدون مخلص
ألف مرة: واحسرتاه على عبور بدون مخلص
من قال: إنه لا يوجد شئ أعز على الإنسان من نفسه
إلا أن وجود نفسى بدون مخلص خسارة
مثل الشمعة أموت فى النهار واحترق فى الليل
إن حياتى كلها بدون مخلص خسارة
يأتى على البلبل الربيع حينا والخريف حينا
أما أنا فأعيش بدون مخلص فى الخريف دائما
إن تساقط فوق رأسى ندى النور دائما
فإن ذلك بدون مخلص كتساقط الأحجار من السماء
قد مر بى كثير من غموم الهجران وهمومه
أما الآن فإنها صعبة شاقة على بدون مخلص
إن شعلة نار محبة الحبيب وردة لى
والوردة بدون مخلص محرقة كالنار
لم أكن أرى فى الوصال موتا ولا حمى
أما الآن فإننى أموت فى كل وقت بدون مخلص
إننى فى حيرة من حياة هولاء الذين
يسهل عليهم العيش بدون مخلص
لا يهدأ ولا يرتاح قلب عبد الرحمن إلى أحد
فهو حيران كالغريب من غير مخلص

" ٢٣٩٥ "

٢١٧- كشف السر[1]

حين علمت سر عزة نفس الحبيب وكرامته

حزنت واحتار قلبي من هذه الجماعة

كيف يطمع أحد في الوفاء من الحسان

حيث إن لفظة " الطمع " خالية من النقط

لن أضع قدمي في سفينة العشق

إن تمكنت من الخروج عن شط الغم والهم

اقطع رأسك حتى تصبح منصورا[2] لكل شئ

يصير القلم[3] حادا بالقطع والتقليم

إلى متى ستقوم المحبوبة بحمل القلوب في قبضتها؟

فقد جاءت مقبلة كالبطة البيضاء

إن غم الحبيب سيستقر في قلبك ساكنا

عندما تبتعد الغموم الأخرى من قلبك الأليم

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٣ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولم يأت ذكرها في ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، ولا في ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) منصور: هو الحسين بن منصور الحلاج فيلسوف صوفي، اتهم بالزندقة وصلب في بغداد. راجع ص ٢٠٤ هـ١ و٢٣٩ هـ١ من هذا الكتاب.

(٣) القلم: المراد منه قلم القصب الذي كان رائجا للكتابة في أيام الشاعر.

أحضـر الدليـل اليـوم رسـالة لى مـــن الحبيـــب
انظر! مـاذا سيظهر فـى هـذه الرسالة مـن الرمـز؟
بمـا أن قامـة الحبيـب ممـدودة وليسـت بقصـيرة
لذلـك فـإن عبد الرحمن قد أخذ بيديـه الأوسـط "٢٤٠٣"

'٢١٨- وصمة الحرقة '[١]

إن الذيـن احـترقت صدورهـم بنـار الهجـران
ما علاقتهم بعد ذلك مـع السكون وهـدوء البـال؟
هـذا المكـان مكـان البلابـل والببغـاوات
عليك أن تبتعـد مـن أزهـار المروج أيهـا الغـراب
بشـمة أصبحـت معطـرا مـن الـرأس إلى القـدم
حيث جاءت اليوم رائحة غدائر الباز[٢] من الحديقـة
سـأعيش مخمـورا بـلا وعـى إلى يـوم القيامـة
إن ناولنى السـاقى[٣] جرعـة مـن خمـر هـذا القـدح

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٣ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولانا عبد الرحمن، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، كذلك لم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

(٢) الباز: أو البازى جنس من الصقور، تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذنابها إلى الطول، من أنواعه الباشق والبيدق.

(٣) الساقى: هو الفياض المطلق عند المتصوفة. راجع ص ١٦٣هـ ١ من هذا الكتاب.

إننــــى ســـأمضى عمـــرى كلـــه عنـــد بـــــابك
بينمـــا كـــــانت حيـــاة المجنـــون فـــى الصحـــراء
بنـــورك سأشـــوى أنـــا عبـــد الرحمـــن نفســـى
إن تمكنت مرة واحدة من مشاهدة مصباحى الجبين

"٢٤٠٩"

٢١٩- وا أسفاه (١)

لمـــاذا كنـــت أتـــأوه بالاســـتغاثة والأنـــين، وا أســـفاه؟
لـو كــان الحبيــب المؤنــس بجــوارى دائمــا، وا أســفاه!
مـــن الفـــراق أغســـل وجهـــى الحزيـــن بدمـــــاء القلـــب
ليتـه لـو لم يكـن فـى العـالم المـوت والفـراق، وا أسـفاه!
إن البلبل العاقل الأصيل يذرف الدموع فـى موسـم الربيـع
خوفا من أنه سيأتى عليه الخريـف فـى النهايـة، وا أسـفاه
إننـــى واقـــف أمـــام المشـــهد فـــى حـــيرة، وأرى بعينـــى
بـــأن الأحبـــاب يرحلـــون عنـــى دائمـــا، وا أســـفاه!

---

(١) ديوان عبد الرحمـن ١٦٤ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، بشاور ١٩٨٧م، كذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

لم أمـض قليــلا مــن الوقــت فــى طاعـــة الله

فقد ذهب عمرى الذى لا يقدر بـالثمن هـدرا، وا أسـفاه!

إننى عـاجز أكثر من الحـدود فى التغلب على التمـرد

لعـل الله يعطـى عبـد الرحمـن قـوة الطـاعة، وا أسـفاه!

" ٢٤١٥ "

' ٢٢٠- وا حسرتاه '[١]

لـو رأيـت ذلـك الحبيـب مـرة واحـدة، واحســرتاه!

وشــاهدت المغــرور حــوان، واحســرتاه!

حتــى أقــوم بغربلــة العــالم كلــه باحثــا بــالعقل

ليتنــى شــاهدت النصــل مطحونــا، واحســرتاه!

لقــد أصبحــت روضــة أزهــار كــل بدنــه أشــواكا

ليتنــى أبصــرت الأرض الشــوكية حديقــة، واحســرتاه!

الجســم الصحــى الســليم ملــك والصحــة عرشــه

ليتنى رأيت شاه جهان[٢] جالسا على العرش، واحسـرتاه!

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٤ - ١٦٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، وديوانه ٢٣٤ مقدمة مولانا عبد القادر، پشاور ١٩٨٧م. ولم يـأت ذكرهـا فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) شاه جهان: أحد ملوك المغول فى الهند، واسمه الحقيقى خرم. راجع ص ٢٥٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

مدينــة بدنــه وبنائــه أصبحــت خرابــة مدمــرة

ليتنى رأيت هـذه الخرابـة معمـورة ثانيـة، واحسـرتاه!

كمـا أننــى هــارب بغــرض الابتعــاد عــن النــاس

ليتنــى شــاهدت الكلـب هاربـا كذلـك، واحســرتاه!

إن الانكســار والانهــزام قــد علمنــى هــذا الــدرس

ليتنــى رأيــت عمـل المنهزمـين الصحيـح، واحســرتاه!

وقت الشدة قد جعـل السماء والأرض سيان فـى نظرى

ليتنى رأيت الفـرق بـين السـماء والأرض، واحسـرتاه!

إننــــى حـــيران مـــن حـــيرتى وتحـــيرى

ليتنى شـاهدت نفسـى الحيرانـة مبتهجـة، واحسـرتاه!

طوبـــى، أن أســعد بتــلاوة القــرآن والحديــث

ليتنى رأيت القرآن والحديـث فـى اليـد ثانيـة، واحسرتاه!

مــن يعتــبر محنتــى ومشــقتى عيبــا يطعننــى بــه

ليتنــى أبصرتـــه فــى المحنــة مثلــى، واحســـرتاه!

إن أحبــابى يذرفـــون الدمـــوع بســـبب مشـــقتى

ليتنى رأيت هـؤلاء الأحبـاب ضـاحكين، واحسـرتاه!

أتمنــى أن أرى وأشــاهد غدائــر الحبيــب فــى اليــد

ليتنــى شــاهدت ســدا فــى طريـق الهنـد، واحســرتاه!

يا ليتنى كنت أتسول عند باب الحبيب صباحا ومساء

ليتنى رأيت نفسى فى هذا العمل ضيفا، واحسرتاه!

إن درخانية[1] وآدم خان[2] قد رحلا حاملين أملهما

ليتنى قد شاهدت تحقيق أمل قلبى، واحسرتاه!

يا ليتنى كنت فى حوار مع الحبيب وجها لوجه

ليتنى قد رأيت هذا الفضل من الحبيب، واحسرتاه!

ليقوم بالعفو عن كل الأخطاء يا عبد الرحمن

ليتنى رأيت الحبيب عطوفا مثل ذلك، واحسرتاه!

" ٢٤٣٢ "

---

(١) درخانية: معرب درخانى، ابنة طاووس خان اليوسفزى، وبطلة قصة حب أدبية شهيرة فى الأدب الأفغانى تدور أحداثها العاطفية بينها وبين حبيبها الولهان آدم خان فى سهل " سمه " حيث منازل قبائل اليوسفزية فى شرق پشاور. وقد ماتت غما وهما وألما عندما سمعت بوفاة حبيبها آدم خان بالقرب من " مصرى بانده " أى " العزبة المصرية " وكلاهما مدفونان فى هذه القرية.

(٢) آدم خان: هو ابن حسن خان اليوسفزى. وبطل قصة حب أدبية مشهورة فى الأدب الأفغانى، وكان الحب قد نشأ بينه وبين " درخانية " من الصغر حيث كانا من سكان قرية واحدة، وانتهى حبهما بالفشل، فمات كل منهما بعيدا عن الآخر متأثرا بآلام البعد ومشقة الفراق، ودفنا فى قرية واحدة تسمى " العزبة المصرية " فى سهل " سمه " بالقرب من شاطئ نهر كابل الشهير.

' ٢٢١- أيها الحقود '

إنك تحسدنى من غير سبب أيها الحسود

لن تستطيع أن تنظف مرآتك بالحسد

من يرفع السيف على آخر بدون سبب؟

عمل الإنسان هذا هو الذى أهلك الدنيا

كان الورد يضحك من تنفس البلبل البارد

فمزق الله الغطاء المحيط به، وشق صدره

وابيضت عين الحباب وذهب نورها أولا لأن

الفقاعة تنفجر فوق البحر بغضا وحقدا

لو جعلت البدن أرضا والقلب بذرا والدموع مطرا

فإنك ستطلع برأسك كالنخلة من التراب

ستصبح أنت عالى اليد (مرتفعا) على الأشجار الأخرى

لو تعلمت التحية (التواضع) من شجرة العنب

لن تنال حرية الحسان وحكم سلطانهم

حتى لا تخرج عن حرية العالم كاملة

إن الذى سينال حياة العالم الثانى

هو من يخلع يديه من حياة هذا العالم

إن كنت تحافظ على حياتك ومالك فى العشق

فأين يكون مثل هذا العشق أيها المجوف الثرثار

حين تذهب بمثل هذا الضيف العظيم إلى بيتك

فنظف قبله فناء دارك من القمامة

لـــن تصـــل إلى التوحيـــد عـــن الثنائيـــة
حتـــى يتطهـــر ضمـــيرك مـــن الإشـــراك
كـــل هـــذا الـــذى يبـــدو إنمـــا هـــو حجـــاب[1]
لأن نـــور جمـــالك أعلـــى مـــن الأفـــلاك
لا تنخـــدع بالشـــكل الظـــاهرى للإنســـان
انظـــر داخلـــه إن كـــان ذا لـــب، أم مـــن غـــير لـــب
الأوليـــاء لا يظهـــرون فـــى العـــالم، لأنهـــم
يحـــافظون علـــى أنفســـهم بعيديـــن عـــن الأنجـــاس
لم يـــوف الفلـــك بعهـــده مـــع أحـــد و لم ينفـــذه أبـــدا
فكيـــف يشـــكو عبـــد الرحمـــن مـــن الأفـــلاك!

" ٢٤٤٧ "

' ٢٢٢- الجور والجفاء '

إن تعـامل حبيبـى ليـس الجفـاء أو الجـور وحـده
إنـه يتعـامل بالوفـاء أضعـف مـن الجفـاء مائـة مـرة
كمـا أننـى أعشـق وأحـب حبيبـى حبـا زائـدا
فإن حبيبـى يحبنـى كذلـك بنسـبة الواحـد إلى المائـة

---

(١) الحجاب: وهو فى اصطلاح الصوفية المانع بين العاشق والمعشوق الذى يمنع تجلى الحقـائق. راجع ص ١٧٨ هـ١ من هذا الكتاب.

فقد قام ينهب القلب بالإحسان وليس بالجور
لذلك فإن المجنون يذرف الدموع ويبكى لأجل ليلاه
كل العالم يتحمل دلال وزهو الحسان
إنهم لا يتدللون ذلك الدلال علىّ وعليك وحدنا
كيف ولماذا لا ينظر عبد الرحمن إلى ذلك الوجه
الذى يقوم الملائكة بمشاهدة حسنه؟

" ٢٤٥٢ "

' ٢٢٣- الخيمة والسيل '

عندما أصبحت خيمته واقفة أمام السيل
فهى حباب[١]، وانظر مشهد الحباب حتى لحظة
لا ينبغى الاعتماد على ظل صخرة معلقة والسرور به
وإن كان تحتها قدر كبيرة من الحديد
كل هذه المخلوقات السفلية ستصبح مسحوقة
إلا الذى رفع رأسه عاليا وصعد إلى السماء
إن الذى خلقه الله فى الأصل مقلوبا منكوسا
كيف وماذا يأكل من " كان مثله "[٢] من مائدة الدهر؟

---

(١) فهو حباب: هذه العبارة من إضافة المترجم، والمقام أو السياق يدل عليها
(٢) كان مثله: هذه العبارة من إضافة المترجم، لإيضاح المعنى.

الذيـــن جعلـــوا العـــدو كـــالصديق المحـــب

كـن فـى حـذر مـن الأمـل فـى مساعدة هـؤلاء النـاس

تعـال وقـم بإلقـاء الـتراب فـى فـم النفـس

قبـل أن تمـوت ويمتلـئ فمـك بـتراب القـبر

كـل مـن مـات وامتـلأ فمـه بـتراب القـبر

فقـد أصبـح تـذوق الأشياء بعد ذلـك فـى حكـم الحـرام

إن كان الناس يهنئون ويباركون بعضهم البعض بأشياء أخـرى

فليبـارك الله لعبـد الرحمـن فـى حبيبـه

"٣٤٦٠"

' ٢٢٤- شد البطن بالحبل '

اربـط بطنـك بـالحبل وشـده بإحكـام

ولا تطمـع فـى رغيـف العيـش مـن الفلـك

كـل سـائل يطلـب الخبز مـن السـماء

كأنـه يضـع القمـر المنـير فـى الكشـكول[١]

مـن يطمـع فـى الوفـاء مـن السـماء

فاعتـبر طمعـه هـذا طاعونـا دون شـك

(١) الكشكول: أو الكجكول وعاء يضع فيه الشحاذون ما يحصلون عليه من الحسنات. يصنع من الفلز أو الجلد، أو القشر أو غيره.

يتساقط البرد مع مطره كالرصاص بحيث يكون

كل جرح من جروحه أسوأ من جرح البندقية

إن أشفق عليه أحد أو أصبح رحيما به

فإن ظلمه وجوره أسوأ من ظلم الأزبك[1] وجورهم

لن يشبع الإنسان أبدا إلا بالقناعة

وإن كان منزله مليئا بالفضة والذهب

لن يصل الإنسان إلى الكمال إلا بالتواضع

وإن كانت خيمته منصوبة فوق العرش

إن كان العالم فسيحا على الآخرين

فإنه يصبح أضيق من الشبر على ذوى العيون الضيقة[2]

لا رواء ولا صفاء فى أحباب هذا الدهر

ولو بحثت عن ذلك من السماء حتى السمكة[3]

الدموع المرة كالماء والملح بالنسبة للعاشق

ما حرم الله أحدا من الناس من الماء والملح

---

(١) الأزبك: من قبائل آسيا الوسطى، وينتشر جزء منها فى شمال أفغانستان، من صفاتهم الشدة والقسوة، يقول مثل أفغانى: لطف الأزبك يساوى غضب الأفغان (قهر أفغان رحمت أزبك).

(٢) ذوى العيون الضيقة: كناية عن البخلاء والحاسدين.

(٣) من السماء حتى السمكة: يقصد البحث من أعالى السماء حتى أعماق البحر.

لا تفكر في هذه الأفكار المملة يا عبد الرحمن
لأن أمور الدنيا وشئونها ذاهبة في لحظات

" ٢٤٧١ "

' ٢٢٥- الحال والسؤال '

من يسألني عن حالي[١] في الهجر
فإن حالتي أنني ضعيف بلا وسع
إنني في عجلة شديدة من رؤية الحبيب
لأنني لا أرى بقاء العمر مستمرا لمدة سنة
إن لم أبذل نفسي فداء لجماله وحسنه
فإن سبب ذلك لأنني خجلان من جمال الحسان
لا تقدم إليّ نصحك أيها الناصح
فإن العشق لا يبالي بالثواب ولا بالعقاب
باستثناء مدح جمال الحبيب وحسنه
لا تسألني أبدا عن بقية القيل والقال

(١) حالي: الحال في التصوف معنى يرد على الخاطر بلا اكتساب. راجع ص ٣٣٨ هـ ٦ من هذا الكتاب.

إننــى لم أقــرأ فــى درس العشــق شــيئا آخــر
غـير الغدائـر[1]، غـير الخـط[2]، غـير الخـال[3]
ما حرمنـى الله.. لا فـى الدنيـا ولا فـى الآخـرة
مـــن وصـــال الوجـــوه القمريـــة النـــيرة
إن طلـب الحبيـب رأسـك ثمنـا للقـاء فـلا تـتردد
فقد أصدر عبد الرحمن هذه الفتوى أيها الدليـــل

" ٢٤٧٩ "

' ٢٢٦- طريق الوصول إلى الله '

لــــن تصـــل ولــــن تبلـــغ إلى الله ورســـوله
حتى تهدم حد البدن الفاصل بينـك وبـين الله ورسـوله[4]
وضـع الله أمـامك الديـن والدنيـا وخـيرك فــى الاختيـار
فاخـــترت وقبلـــت الدنيـــا مـــن بــين الاثنـــين

---

(١) الغدائر: جمع مفرده الغديرة وهى الذؤابة، والضفيرة، وهى فى التصـوف كناية عـن مرتبـة الإمكانية والجزئيات.... راجع ص ١٧٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٢) الخط: الكتابة والرسالة والخطاب والشارب. راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب.

(٣) الخال: الشامة، وهى فى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية. راجـع ص ٣٣٨ هـ٣ مـن هـذا الكتاب.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

ليس بلاء أسوأ وأقبح من بلاء الحرص
فقد نزل هذا البلاء السيئ على منزلك
لم تكن ساعة واحدة مشغولا بذكر الله وعبادته
بينما شغلك غم نفسك وهمها فى حياتك كلها
حين تبيع الحياة الباقية الخالدة بالحياة الفانية
فبأى علم ومعرفة تعتبر نفسك عالما أيها المجهول
فقد أعرضت عن الخالق، وتوجهت إلى المخلوق
ثم تطلق على نفسك عاقلا يا عديم المعقولية
صارت النصيحة لك مرة، وأصبحت فى ذلك كالطفل
يا من تبحث عن حلاوة الدنيا حزينا مهموما
إن لم تصبح راضيا مسرورا بابتهاج النول[1]
لن تستطيع النجاة أبدا من نول القلب

" ٢٤٨٧ "

' ٢٢٧- من أين إلى أين '

لست أدرى من أين أتى بى وأوجدنى
ثم إلى أين يبعثنى ثانية: " بأن اذهب "؟

---

(١) النول: النول فى الشطرة الأولى بمعنى النوال والنعم، وفى الشطرة الثانية بمعنى نول الحائك ومنواله الذى يلف عليه الثوب، فبينهما جناس تام حيث يتفق اللفظان فى النطق ويختلفان فى المعنى.

كـالأعمى الـذى يضــع يــده علــى كتــف غــيره
وهـو لا يعلـم شيئا عـن المنخفضـات والمرتفعــات
فقــد ابتلانــى الله بطريــق ضيــق غــير معــروف
مثل لفة الخيط (البكـرة) المخلوطـة المفقـودة الـرأس
إن قلبــى الخــرب[1] يهــوى الضفــائر الســوداء
لقــد وقــع فـــى شــبكة الصيـــاد كالطـــير
إن العشـــق قــد ســـحرنى " وأخـــذ بلبـــى "[2]
بحيث أصبح قلبى الحجرى أكثر نعومـة مـن الشـمع
لا خـوف للحســان مــن الله تعــالى ولا وجــل
الغيــاث مــن عــادات الحســـان وتقـــاليدهم
حينـــا يعطينـــى خمـــر[3] الشـــفاه الحمـــراء
وحينـا ينـاولنى كـأس السـم ويـأمرنى بشـربها
إنك تعد نفسـك بـأنك مـن طـلاب[4] المطلـوب[5]
كـن أولا يـا عبـد الرحمـــن كفـئا، ثـم اعـثر عليـه

" ٢٤٩٥ "

---

(١) الخرب: الثمل والنشوان.

(٢) وأخذ بلبى: هذه العبارة من إضافة المترجم للتوضيح.

(٣) الخمر: عند أهل التصوف هى العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤

(٤) الطالب: هو العاشق الإلهى. راجع ص ٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

(٥) المطلوب: هو المقصود، والمعشوق، والمحبوب. راجع ص ٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

' ٢٢٨- الاعتماد على المال والسلطان '

إلى متـــى تعتمـــد علـــى المـــال والســـلطان

إلى متى تسـير هـذا السير الخلفـى إلى الـوراء؟

إلى متى تسير باللحية البيضاء خفية هربا مـن المـوت

إلى متـى تقـوم بالسـرقة فـى وضـح النهـار؟

إنـك تطلـب الوفـاء بـالعهد مـن أحبـاب الدهـر

إلى متـــى تقـــوم باصطيـــاد طـــائر العنقـــاء[1]؟

ليس فى المقدور معالجة الشيخوخة بالعصـا الغليظـة

إلى متـى تقــوم بهــذا العمــل بقــوة العصـا؟

كيـف ترجـو الرحمـة والعطـف وأنــت فـى غفلـة

إلى متـــى تقـــوم بمعالجـــة داء الناســـور بـــالدواء؟

حـين تقـدم نصحـك لعبـد الرحمـن أيهـا النـاصح

إلى متـــى تقـــوم بالشـــكوى مـــن القضـــاء؟

" ٢٥٠١ "

---

(١) العنقاء: طائر وهمى، معروف الاسم مجهول الجسم، ما رآه أحد قط، ومثله طائر السيمرغ وطائر الهما وطائر الققنس فى الآداب والأساطير الأفغانيـة، كلهـا طيـور وهميـة ليـس لهـا وجود حقيقى إلا فى الخيال والأساطير الخرافية. راجع ص ١٠١ هـ١ من هذا الكتاب.

٢٢٩- الشمعة وعين المعشوق [1]

إن عين المعشوق شمعة، والعاشق فراشة

يحرق بها نفسه فيصبح بيته خرابا ودمارا

إن المطرفى المعنى بحر يتكون من حب المعشوق

فصار صدف العين كله مملوءا بحبات الدرر

إن غمى الشديد قد أخرج دماء القلب عن طريق العين

إنها دماء وليست بدموع، غير أنها خرجت بحيلة الدموع

إننى أقوم بإسالة بحر الدموع من عينى

نظرا لما يقال: من إن سمك الوصال يكون فى الحوض

إن ينبوع العين أصبح صافيا بدماء غمك

لأجل ذلك فإن دموعى تسير جارية على الدوام

امنح خير رؤيتك هدية لهذا العاشق الضعيف

أنت يا محبوبى غنى بكنز من ثراء وجهك الجميل

إن دموع الفراق قد أرغمتك بالقوة يا عبد الرحمن

إنها سكرانة ثملة بلا خوف ولا حذر

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٧٠ - ١٧١ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، ولا يذكرها كذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

إنــك قــد ســلبت عقــل عبــد الرحمـــن بالجفـــاء
فلا تقـم أيها المحبـوب، لا تقـم مثل هـذه الصـداقة السيئة

"٢٥٠٩"

'٢٣٠- العمر المديد وتحقيق الهدف'

لقــد أمضيــت عمــرا مديــدا فـــى الدنيــا بـــلا جـــدوى
فليكـــن بعـــد ذلـــك رأســـى وعتبـــة الأحبـــاب
لم أتمكــن مــن الحصــول علــى شــئ فــى الزهــد والتقــوى
فـلورى بعـد هـذا فـى كـل مـا يحـدث فـى الخمــارة[1]
الشيخ: والزهــد والــورد والوظيفــة الدينيــة والذكــر والفكــر
أنــا: والســاقى والكــأس والخمــر والصنــج[2] والنغـــم
إننـى فـى حيرة مـن أمـر الزهـاد، وهـم فـى حـيرة مـن أمـرى
المجنـون يضحـك مـن أمـر القريـة، والقريـة تضحـك مـن أمـره
ولیكـن كـنز الـدر فـداء قطـرة واحـدة مـن دمـوع العاشـق
خــروار[3] مــن العقــل لا يســاوى حبــة (ذرة) مــن العشـــق

---

(١) الخمارة: الحانة وهى عند أهل التصوف باطن العارف الكامل، عالم الكون.

(٢) الصنج: چنك- بالأفغانية آلة موسيقية وترية معربها الصنج، وتسمى ربابة أيضا.

(٣) خروار: كلمة أفغانية وزن يعادل ٣٠٠ كيلو جرام تقريبا، ووزن خروار يختلف مـن ولايـة إلى أخرى فـى أفغانسـتان، فهنـاك خـروار كـابلى وخـروار قندهـارى وخـروار كونـرى، والخروار الأخير عبارة عن ثمانين منا مع ملاحظة الاختلاف فى تقدير المنّ أيضا.

إن السيف من يد الحبيب فوق حلق العشاق

يحلو ويلذ مثل لذة كأس الخمر وحلاوتها

سأتوجه إلى الله لأحل التفكير في وجه الحبيب

ما لى مراد آخر في الكعبة ومعبد الأصنام

من شدة الحب أصبحت عاشقا مفتونا بمجرد رائحة من الحبيب

يكفي قدر قليل من الماء دائما للطين المبلول

لأحل جنة واحدة يقوم الزاهد بزهده

لا يستطيع أن ينشر رأسه مضحيا لأحل ذؤابة[1] المحبوب

حذار يا عبد الرحمن من أن تصلب كمنصور الحلاج[2]

لا تتحدث بأحاديث العشق السكرانة غير هياب

لا توجد علامة أخرى للعشق يا عبد الرحمن

غير أن تصبح بلا اسم وبلا علامة، إن أردت علامة للعشق

" ٢٥٢٠ "

---

(١) ذؤابة: خصلة شعر ناصية الرأس التى تسمى بالأفغانية " أوربل " المركبة من كلمتين " أور " النار، و " بل " الاشتعال.

(٢) منصور الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج فيلسوف مسلم صوفى، قضى سنوات فى خلوات الصوفية، ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد، أنشأ مذهبا فى التصوف، فقدسه البعض وكفره البعض، فصلب بعد أن عذب فى بغداد سنة ٣٠٩هـ/ ٩٥٣م.من مؤلفاته الباقية " كتاب الطواسين ". راجع ص ٢٠٤ هـ١ من هذا الكتاب.

' ٢٣١- ذرفان الدموع على عتبة المحبوب '[١]

أقوم دائما بالبكاء والاستغاثة على عتبة المحبوب

فمتى يا ترى سيكشف لى السكران عن وجهه؟

إننى واقف كالمجنون انتظر اللقاء بليلى

الآن ستأتى ليلى بالوجه القمرى والغدائر الممشوطة

أتيت لزيارتك، فإن لم أكن متيقنا من القلب

فإن التيك[٢] والپيزوان[٣] كلاهما نذر لك يا مرشدى

لقد وضعت سيف المعشوقات على عنق العاشق

فإن ذلك يبدو جميلا رائعا كالخمر فى الكأس

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٧٢ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م. ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، ولا فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ . ولعل سبب ذلك أن عددا من أشعار هذه المقطوعة الشعرية مكررة بتغيير بعض الكلمات فقط الأمر الذى أدى إلى إهمالها فى طبعتى پشاور المذكورتين.

(٢) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، تصنع من الذهب أو الفضة. راجع ص ٤٢٢ هـ ٢ من هذا الكتاب.

(٣) الپيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، وتسمى أيضا " بلاق " تصنع من الذهب أو الفضة. راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

حذار يا عبد الرحمن مـن أن يتم رجمك مثـل منصـور
لا تتحـدث بأحـاديث العشـق الكثـيرة السـكرانة

" ٢٥٢٥ "

' ٢٣٢- رفع الحجاب '

لـو رفـع الأحباب الحجب عـن الوجـوه ونحوهـا جانبـا
فـإن الله سـيعطى المعشـوقات أجـرا وثوابـا عظيمـا
كيف يمكن أن تكون شمس من الشموس مثل ذلك الحبيب
وإن أصبحـت الشـموس فـى السـماء بـالآلاف
إننـى غـارق فـى دوامـة ذقنـه غرقـا
مـا غـرق أحـد أبـدا فـى مثـل هـذه الدوامـات
كمـا أننـى فـى عـذاب أليـم مـن هـم غمـه
مـا أنـزل الله علـى أحـد مثـل هـذا العـذاب
إن تحدثـت إليـه لا يؤثـر فيـه الحديـث أبـدا
ولـو قمـت بتصنيـف كتـب فـى همـوم غمـه
يـرد بإجابـة واحـدة علـى ألـف سـؤال منـى
هكـذا يقـوم بـالرد علـى الأسـئلة الكثـيرة
لا يتـم العثـور علـى نهايـة فـن مكـره أبـدا
فكيـف يطلـب أحـد ويبحـث عـن نهايـات البحـر؟
لـو أقفلـت عينـى للراحـة قليـلا يقـول لى:
إن النـاس لا ينـامون فـى العشـق

يغـرق كـــل أمـــوال هـــؤلاء وأملاكهـــم فـــى المـــاء
الذيـــن تسـيل مـــن عيونهـــم ســـيول الدمـــوع
إننـــى فـــى حـــيرة مـــن محـــراب حاجبيـــه المنحنيـــين
مـــا المناسـبة بـين الأصنـــام (المحبوبـــات) والمحـــاريب؟
إننـــى قـــد ســـحبت يـــدى مـــن الزهـــد عندمـــا
قـــام المطربــــون[1] بـــأخذ الربـــاب فـــى أيديهـــم
إنـــه قـــد لبـــس الملابـــس الأرجوانيـــة يـــا عبـــد الرحمـــن
فقـــد هيـــأ بذلـــك أســـباب قتلـــى مـــرة أخـــرى

" ٢٥٣٧ "

' ٢٣٣- إيقاد النيران '

إنـه يطعننـى ويقـول فـى طعنـه لى إننـى بـلا شـعور
وبذلـك يقـوم بإشـعال النـيران فـوق نـاصيتى
لا يوجد شئ آخـر، وكـل الموجـود لحوم القلـوب
التـى تقطـع وتفـرم إربـا إربـا بسـيوف المحبوبـات
كـل نظـرة مـن نظراتـه كأسـد فـى خلـع القلـوب
دائمـا يجـرب قوتـه وعضلاتـه القويـة علـىّ

---

(١) المطربون: جمع المطرب وهو المرشد الكامل عند الصوفية. راجـع ص ١٨٢ هـ١ من هـذا الكتاب.

ما جعل الله أحدا مفتونا بفتنة العيون السوداء
إن عوالم كثيرة تضيع بسبب هذه الفتن
قام بإشعال نار الحسن والجمال فى العالم
فأحرق بهذه النار كثيرا من البيوت والمنازل
إن الرقباء جعلوا منى لصا بسبب حب الحبيب
وإن لم يكن كذلك، فهل لهم ديون علىّ
ارتفعت صيحة عشق عبد الرحمن عالية
بحيث قامت بسببها ضجة فى كل مدينة من المدن

" ٢٥٤٤ "

' ٢٣٤- تغلب الهموم على الخاطر '

تغلبت غمومك على خاطرى
فلوجه الله ضع أقدامك هنا قليلا
قدر قليلا دموعى الكثيرة، وقس
أين و كيف كانت هذه المياه فى جسمى؟
كل من يحيا بنفخة وردك لا يتم شفاؤه
مهما تداوى من غيرك بقراءة أوراد الحيل
لو قرأ ونفخ على نفسه ألف ألف ورد
لن يستطيع أن يغير حظه بقراءة الحيل
ليس فى مقدور أحد إنقاذ نفسه مما قدر له
وإن دخل حرم مكة هاربا من القدر المقدر

متى يمكن لأحد أن يصل إلى الهدف بسعيه
لو لم تصاحبه العناية والكرم الإلهى؟
إن الغنى عندما يحصل على كنز القناعة
ماذا يفعل بعد ذلك بالدنانير والدراهم؟
يقسم بأن يترك شأن الحسان ثم ينقض قسمه
فما الاعتماد على قسم عبد الرحمن وأيمانه؟

" ٢٥٥٢ "

' ٢٣٥- الأحياء وأمور الدنيا '

إن الأحياء يقومون بأمور الدنيا وأعمالها
أما الأموات فتتراكم عليهم أكوام التراب
البعض يذهب إلى التراب عارى الرأس حافيا
والبعض الآخر يضع على رأسه عمامته المائلة تبخترا
ليس فى مقدور شقيقين أن يعيشا معا عيشة طيبة
بل إن كلا منهما يلحق الأذى بالآخر
تنشأ وتتفرع من غصن شجرة واحدة
الأزهار والأشواك فى حديقة واحدة
كثير من الناس يرحلون عن الدنيا يوميا
بحيث ليس فى مقدور أحد حسابهم وإحصاؤهم
لكل واحد من الناس دوره فى الحياة يمر عليه
لا تدوم هذه الأدوار فى الحياة على أحد

إن أسواقا كثيرة للأحداث الحارة مرت في حياتي
ليس لأحد أن يبدى لى الدلال أو يتفاخر بالأحداث
إن فراق الأحباب يوجه في كل لحظة
ضربات السيوف إلى عبد الرحمن وقلبه

" ٢٥٦٠ "

' ٢٣٦- اشتعال الخاطر '[١]

إن النيران تشتعل في خاطرى في السر والخفاء
عندما تتماثل في ذاكرتي وجوه المحبين
" إن الهاتف "[٢] يقرع دائما جرس الرحيل الجماعى
أيها الشباب الغرباء شدوا الرحال واربطوا الأحمال
تعال واذهب إليه وانظر إليه ما حاله؟
لقد سقطت القبور فوق المحبين والعشاق
أنت حين جعلت هذا البشر المليح تراب صحراء
فظهرت من جسده المليح الحلو الأشواك

(١) ديوان عبد الرحمن ١٧٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، وكذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) إن الهاتف: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم، وقد أضفتها للإيضاح، والأسلوب الشعرى يدل عليها ويتضمنها بوضوح.

إن المحبين الذين كنت تراهم، لا يبدون الآن
لقد أصبحوا سجناء في حصار القبور
امنح عبد الرحمن ذرة من حبك وودك
حتى لا تدخل أفكار أخرى في قلبه

" ٢٥٦٦ "

' ٢٣٧- ليتني شاهدتها '

ليتني شاهدت مرة واحدة تلك الوجوه
ذات الأهداب والقامات الطويلة الفارهة..
صاحبة القامة الطويلة، والأهداب الطويلة، والغدائر الطويلة
والشفاه الصغيرة، والفم الصغير، والأسنان الصغيرة
سأقوم بتقديم الشمس والقمر نذرا وفداء لها
كذلك كل ما على وجه الأرض من الأزهار الزاهرة
عندما أراها تجرى الدموع على وجهي
كالأمطار الغزيرة تنهمر من وجه الربيع الباسم
لو شاهدت ورأيت وجهها بعيني مرة واحدة
فإنني قد قبلت ووافقت في قلبي على تقديم النذور
في ليلة الهجران والفراق أصبح السرير الأحمر كالنار الحمراء عليّ
ليس في مقدوري أن أضع جنبي عليه لحظة
حين تتدلى الغدائر على خدودك البيضاء
كأنها أفاع تتلوى فوق أغصان شجرة الصندل

إن يســـر الله عليـــه غـــم الفـــراق والهجـــران وهمـــه
فـــإن الغمـــوم الأخـــرى تبـــدو لعبـــد الرحمـــن يســـيرة

" ٢٥٧٤ "

' ٢٣٨- الوجه الأسود '

لــو لم تكــن أســود الوجــه ســيئه أيهــا العــدو
فـــإن مـــرآة قلبـــى ليســـت بمتســـخة
إنـــك حـــين تنظـــر إلى بنظـــرة العيـــب
فـــإن ذلـــك كلـــه عيبـــك أيهـــا المعيـــوب
كــل شــخص يــرى شــكله ويشــاهده فــى المــرآة
إن كــان وجهــه صافيــا نقيــا أو وســخا قــذرا
يطلــق علــى آكــل الحــرام اســم آكــل الحــلال
ليس من الممكن صدور قــول السوء مـن أناس طيبين
إنـك حـين تبـين ســوءات الآخريــن، فـإننى أخــاف
من أن تعين وتحـدد فـى وقـت مـن الأوقـات سـوءاتك
سيبدو له عيبـك قبـل ظهــور عيــب ذلــك الرجــل
الــذى تتحــدث إليــه عــن عيــوب شــخص آخــر
ما زرعته من أنواع البذور ستحصل عليه عنـد الحصـاد
إن كـل شـجرة مـن الأشـجار تثمـر ثمرتهـا الخاصـة

إن أردت يا عبد الرحمن إنقاذ نفسك من العيوب
لا تسأل عن عيب إنسان آخر أبدا

" ٢٥٨٢ "

' ٢٣٩- العشق يجفف الدم '

كنت أقول: إنني لن أظهر حبي للحسان
لأن حب الحسان يجفف الدم في الأبدان
جعل الله الحب من نصيبي من الأزل
إنني راض على هذا النصيب مرا كان أو حلوا
كل أرض تشتعل عليها النار هي التي تحترق
أما الناس الأصحاء فإنهم يتفرجون على المرضى
إن مجرد تشجيع أهل القرية لا يجدي نفعا
الرجل الشجاع الشهم هو الذي يحمل الحمل عن المغموم
ماذا أفعل بالعالم، فقد أصبحت مريدا لذلك الشخص
الذي أعطاني رسالة صاحب دلال ولطف
إلى متى أمسح عيني بقبضة اليد من هم الغم
إلى متى تتساقط دماء قلبي من الكم دائما؟
إن نار الفراق قد اشتعلت في جسم عبد الرحمن
آن وقتك إن تساعدني بالمدد يا " ميران محي الدين "

" ٢٥٩٠ "

' ٢٤٠- التقوى والانكباب '

تقـــول ذاكـــــرا بلســــانك مكــــة والمدينـــة
وتنكـــب بجســـمك علـــى مـــا حرمـــه الله[١]
تقـــوم بالمراقبـــة معلـــق الـــرأس كالبرعومـــة
ومتـــاع قلبـــك فـــى الســـر منقـــوش بـــالألوان
تطلـــب قبـــاء مـــن الحريـــر فـــلا تعـــثر عليـــه
فرغما عنـك لبسـت عباءة الدراويـش مـن الصـوف
هـــل عبـــادتك تزيـــد علـــى المعـــاصى
ضـع المـرآة أمـامك لـترى نفسـك علـى أقـل تقديـر؟
الحقـــد والعـــداوة والحـــرب حـــرام دون شـــك
باسـتثناء الحقـــد والعـــداوة مـــع النفـــس والشـــيطان
إن المـــــرأة الطـــاهرة ذات التقـــوى والزهـــد
أفضـــل مـــن الرجـــال ذوى الفســـق والفجـــور[٢]
مهمـــة الشـــجعان مـــن الرجـــال محاربـــة النفـــس
لا الـتزين والتجمـــل بالحليـــة والفصـــوص كالنســـاء
وليكـــن مائـــة رجـــل فاســـق ممـــن لا ديـــن لهـــم
فـــداء فـــردة حـــذاء امـــرأة عفيفـــة ذات ديـــن

---

(١) فى ترجمة هذه الشطرة من البيت شئ من التصرف المناسب يليق بالأماكن المقدسة.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

الرجال ذوو الأعمال الحسنة أفضل وإن كانوا صغارا

من الكبار ذوى الأعمال السيئة الأقدمين

الفاسق ذو مائة سنة فى نظر عبد الرحمن

طفل رضيع كأنه مولود ليلة البارحة

" ٢٦٠٠ "

' ٢٤١- الوجه والإعراض '

ما البلاء الذى قد حل حيث أعرضت بوجهك

من أية جهة ظهر هذا البلاء وجاء؟

كيف يكون يوم الإنسان السئ، إن لم يكن ذلك

مثلما أصبح فيه ظهر حبيبى نحوى إعراضا عنى؟

هذا إما لأن حبيبى لا يوجد فيه الحب والوفاء

أو أن الدنيا كلها قد خلت من الحب والوفاء

فقد حظيت بمحبوب مرغوب جذاب للقلوب

لا يخاف ولا يخشى من الله، ولا يتقى منه أبدا[1]

عندما أرى حسنه وجماله أحتار من أمره

فقد ظهر لى وبدا مثل هذا المشهد العجيب

لا حد للحديث ولا الحساب، فقد تجاوز الحديث ذلك

فإن صبرى قد انتهى، وتجاوز الحساب

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

أصبح الاستقرار والتأخير في الطلب حراما

وعدم الحزن أصبح في مذهبي غير جائز

الذي قد وجهت إليه سهم دعائي

فقد أخطأت في إصابة تلك العلامة

مثل اللوز الذي لا لب فيه ولا فائدة

هكذا أصبح دعائي بلا لب، بلا فائدة

العشق الذي كنت استرقه سرا وخفية كالسارق

تلك السرقة قد افتضحت في العالم كله

ماذا سأحصل من المعاملات التي تتم نسيئة

حتى ما كان في كف يدي نقدا أصبح نسيئة أيضا؟

باب العودة قد أصبح أمامي مغلقا مقفلا

لم يكن من نصيبي غير هذا، وقد حصل وتم

قد منح الله تعالى لكل إنسان نصيبه

فأصبح نصيبي في ذلك حبي لحبيبي

كيف يمكن أن تقع في شبكة التدبير

معشوقتي التي قد أصبحت كالعنقاء[1]؟

كيف يكون اليوم السيئ للإنسان، إن لم يكن كذلك

مثلما أدار حبيبي ظهره نحوي إعراضا عني؟

---

(١) العنقاء: طائر وهمي لا وجود له في الحقيقة، فهو في ذلك كطيور السيمرغ، والهما والققنس التي لا وجود لها في الواقع. راجع ص ١٠١ هـ١ من هذا الكتاب.

جعل العشق من وجهي الأصفر المغبر ذهبا

إذن لم يكن العشق بالنسبة لي إلا كيمياء

إن الله قد وضع في حب الحبيب حكمة ما

بحيث أصبح للعاشق الولهان داء ودواء

ليس هذا الذي ينزل من السماء مطرا

بل إن الطيور تذرف الدموع لأجل عبد الرحمن مواساة

"٢٦١٨"

' ٢٤٢- التعلق بغير الله '

حين تقوم بربط قلبك بشيء آخر غير الله

ماذا تفهم إن كان تعلقك في محله أم في غير محله؟

ليس في الإمكان أن تعيش دائما أبدا

وإذا عشت فإنك ستعيش مائة سنة

سترحل أخيرا وإن أصبح عمرك مائة سنة

فقل لي: ماذا ستعمل بعد ذلك يا ترى؟

لا يمكن القيام بالعمل على الفور فجأة، والشجاع يكون

على حذر وفي يقظة من العدو من زمن بعيد

إنك في الأصل إنسان ولست بهيمة

فلا تقم بأعمال ذوي الأربعة يا ذا الاثنين

ستصبح مرتبتك مثل مرتبة الذبابة والنحلة
فلا تربط قلبك باللحوم السمينة يا طائر الهما[1]
لا يمكن أن تشبع بالحرص والطمع بدون القناعة
يا من جلست على عرش أورنك زيب وأنت درويش
تزود بالزاد للرحيل إلى السراى المقبل يا عبد الرحمن
قبل أن تسافر وترحل من هذا السراى

" ٢٦٢٦ "

' ٢٤٣- شهداء العشق '

ينبغى نظر العطف واللطف إلى حالة العشاق
ينبغى القيام بالعبور لزيارة الشهداء
من الذى يسأل عن حال المريد غير المرشد
إن الآباء هم الذين يتقطعون ألما لأجل الأبناء
من الصعب الوصول إلى الحبيب بدون الدليل
ينبغى وجود مرشد الطريق فى حارة الوجوه القمرية
لم يجد أحد من الناس الحظ والثروة بدون فن وفضل
الفضل والفن هو القيام بخدمة أصحاب القلوب

(١) الهما: طائر وهمى لا وجود له فى الواقع كالعنقاء والسيمرغ والققنس. راجع ص ٢٨٣ هـ١ من هذا الكتاب.

إننى ألاحظ بـالضرورة خطرا مـن عينيـك السـوداوين

ينبغى الحذر والخـوف مـن أصحـاب القلـوب السـوداء

إنه لأمر طيب بأن جعـل الله فـى عيـون الحسـان دلالا

لعلهـــا تـــترك أثرهـــا فـــى قلـــوب الظـــالمين

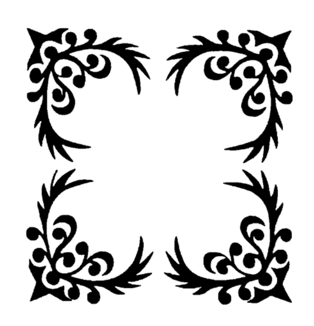
لـــن يتشـــرف كـــل قلـــب بحمـــل علامـــة حرقتـــك

هـذا التـاج ينبغـى أن يكـون فـوق رؤوس العظمـاء

إن الحبيب يعمـل سيئا بعـدم سؤاله عـن عبـد الرحمـن

ينبغـــى أن يســـأل الملـــوك عـــن حـــال الفقـــراء

" ٢٦٣٤ "




في أصل الحيوان

٢٤٤- المزهو بنفسه

منحــت قلبــى للمســتبد برأيــه

اتكــالى فيمــا يحــدث علــى الله

فــى التعــامل مــع العشــق

ســأصبح إمــا ملكــا أو درويشــا

إمــا أن أجلس حـول مجمـرة الفقـراء

وإمــا تحــت ظــل طــائر الهمــا[1]

يتــم ويحــدث مــا يريــده الله

ليــس لى إلهــا آخــر، ولا ملجــأ

لــن أعطــى لغــير الحبيــب

أيــا كــان مــا فــى قلبــى مــن رأى

لــن أتــرك تقبيــل قدميــك

مــا دامــت فــى نفســى طاقــة

فــى هــذا العــالم إمــا ضحــك

إمــا بكــاء بــالأنين والصــراخ

مــن غــير هذيــن العملــين

لا يوجد شئ آخـر فـى هـذا السراى

---

(١) الهما: طائر وهمى لا وجود له فى الواقع كالعنقاء والسيمرغ والققنس. راجع ص ٢٨٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

ينبغـى أن يكـون العاشـق صادقـا
لا متشـبثا ولا معتـدا برأيـه
مـا جعـل الله أحـدا فـى العشـق
كمـن يقـدم القمـح ويبيـع الشـعير
أنـا عبـد الرحمـن أجيـد العمـل
إن انضـم إلىّ صـاحب العمـل

" ٢٦٤٥ "

' ٢٤٥- ليتنى كنت ترابا '

ليتنـى كنـت تـراب بـابك أو رمـادا
حتـى تكـون قدمـك فـوق رأسـى دائمـا
أو تقابلنـا أنـا وأنـت وجهـا لوجـه ولـو مـرة
وليكـن صـدرى بعـد ذلـك هدفـا لسـهامك
وأصبـح جسـمى كلـه مطحونـا دقيقـا كـالكحل
بشرط أن تغمرنى نظرة من نظرات العيون السـوداء
لقـد تمكنـت بـاللون الأصفـر والدمـوع البيضـاء
مـن لقـاء الحسـان لـو كـان بالفضـة والذهـب
لمـاذا كنـت أسمـع لـوم النـاس علـىّ
لـو كـان أحـد منهـم يعـرف جـاذبيتك؟
لـو ظهـرت لهـم مرتبتـك فـى العشـق
لقـال جميـع الملائكـة مـا يقولـه البشـر

إنه لو ظهرت لك مشاهدتى فى الوقت الذى
تكون فيه مسلوب القلب مثلى وأنا محبوب
لما كان يقطر منه الدم كما يقطر من عينى
لو كان وجهى يحمل جرح السيوف الحادة
بسبب الإصابة بألمك يقول الطبيب لعبد الرحمن
من الأفضل لو كانت حالتك أشد من ذلك

" ٢٦٥٤ "

' ٢٤٦- الصدر وعلامة الحرقة '

كل واحد من الناس يحمل علامة حرقة على صدره
سواء كان ملكا من ملوك الولاية أو كان فقيرا
لا شبع من نبع الحياة فى الدنيا ونعيمها
كل واحد من عطاشها فى البحث والغوغاء
إن راحة قليلة تأتى بعد مشقة كثيرة
فقد أصبح قش هذا الدهر صعب المنال كالمحرم، وإن كان مجانا
سعادة الدنيا ونعيمها لا تأتى بدون مشقة الغم
الخير القليل من بيت البخيل يأتى فى مقابل البلاء
لم لا يكون هدوء البال وراحته محرما عليه
من دخل قصر هذه الدنيا (من جاء إلى هذه الدنيا)؟
ما الحاجة أن يقوم الإنسان بالاستفسار عن قصة المجنون
حيث يوجد فى كل بيت فى هذا العالم ليلى ومجنون

فقـد نفـخ العشـق فـى العـالم دمدمـة مـن الخدعـة

بحيث أصبح العاشق أعمـى وهـو بصـير بعينيـه السـوداوين

لقـد أعطـى الله كـل واحـد مـن النـاس نصيبـه منفصـلا

لكـل فـرد مـن أفـراد النـاس نصيبـه الخـاص

كـل مـن الإعطـاء والأخـذ فـى يـد غـيرك

ليـس لى ولا لـك أى دخـل فـى ذلـك

كـل مـا أراده صـاحب القلـب ورضـى بـه

فهـو جـائز للعبـد، وإن كـان غـير جـائز فـى الأصـل

يسـتوى فـى أنـه راض بـالمقدر أم غـير راض

فـإن حـظ الإنسـان أحـد الاثنـين.. الرضـا أو عـدم الرضـا

ينبغـى تسـليم الأمـر فـى المـال والنفـس إلى الـذى

جـرى حكمـه وسـار أمـره علـى كـل المخلوقـين

كـل مـن سـلم إليـه الحـاكم الحكـم وفوضـه إليـه

فـإن العـالم كلـه يطيعـه وينفـذ مـا يطلبـه

إن لم يكـن مـولاه نـاصره يـا عبـد الرحمـن

فإنـه وحيـد منفـرد وإن كـان معـه جيشـه

" ٢٦٦٨ "

' ٢٤٧- نفيس لا يقدر بالثمن '

إن الله تعـالى قـد أعطـانى نعمـة عظيمـة

بحيـث لا يسـاويها شـئ، ولا يقـدر بـالثمن

أولا: خلقنـــي الله آدميـــا فـــي أحســـن تقويـــم

ثانيـــا: إن محمـــدا ﷺ رســـولي وهـــو مرشـــدي

إن كـل مـن اليـد والرجـل والأذن والعـين والفـم واللســان

أعضـــاء جســـمي الواحـــد تســـمي بأسمـــاء متعـــددة

إن الســماء والأرض والشــمس والقمــر والنجــوم اللامعــة

والكـــون كلـــه مســـرح المشـــاهدة والتفـــرج لنظـــري

إن شـــعاع البـــدر والشـــمس يجعـــل الليـــل والنهـــار

وكذلـــك وجـــه الأرض كلهـــا مثـــل الفضـــة والذهـــب

كـــالمطر يـــنزل علـــيّ المســـك ليـــلا والكـــافور نهـــارا

وقـــد غـــرق فيـــه كـــل جســـمي مـــن الـــرأس إلى القـــدم

فـــي كـــل لحظـــة مـــن اللحظـــات يمنحنـــي الحيـــاة

كل نسمة من النسمات تأتي من جهة الحبيب فهـي كالمسيح

عندمـــا أنظـــر إلى أزهـــار المـــروج الحمـــراء

فـــإن كـــل زهـــرة منهـــا تضحـــك إليّ مـــن بعيـــد

تجلـــس أمـــامي عروســـة الخمـــر الورديـــة اللـــون

تلبـس قميصـا بـالجلاجل نقـش بـاللون النحاسـي كـالبلور

وتمســـك فـــي كـــف اليـــد دمهـــا

فكـــل قـــدح مـــن أقـــداح الخمـــر فـــداء للخمـــارين

يجلـس علـى شـاطئ نهـر أخضـر وفـي يـده نشـيد

كـــل مطـــرب مـــن المطربـــين مغـــردا كـــالبلبل

إن لجالبــات القلــوب وجوهــا بيضــاء وأشــعة حمــراء
كــل طلعــة مــن رؤيتهــا نــور وضيــاء كنـــور الشــمس
حــين أكرمــه " الله " وتفضــل عليــه بمثــل هــذه المعرفــة
فــإن ذلــك فضــل ورحمــة مــن المــولى على عبـد الرحمــن

" ٢٦٨١ "

' ٢٤٨- ثمل وهجوم '

حبيــب مــن هــذا الــذى أقبــل وهــو ســكران مــن الخمــر؟
يقوم بهجومه على فناء من، ومن الذى دوره فى الهجــوم؟
الضربــة التــى لا ترحــم حتــى صيــد الحــرم الشــريف
لمــن هــذه الضربــة عديمــة الإحســاس بــالألم والحــذر؟
لم أقــم بــإيذاء أحــد مــن النــاس بــلا ســبب
فــالذى يؤذينــى، فبســبب إيــذاء مــن يــا تــرى؟
إن الوجـــه الـــذى يعيـــش العـــالم كلـــه بنـــوره
من صاحب هذا الوجه المضىء الـذى يتـلألأ كالشـمس؟
الروضــة التــى لا يستطيع البلبــل الوصــول إلى أزهارهــا
مــن صــاحب هــذه الروضــة النضــرة داخــل الحــرم؟
الــذى لا خــوف فــى قلبــه أبـــدا يـــا عبـــد الرحمـــن
مــن صاحــب هــذا المحبوب عديـم الخوف عديم الخاطر؟

" ٢٦٨٧ "

' ٢٤٩- الجواهر والغواصون '

إن أراد الغواصـــون الجوهـــر فهـــذا جوهـــر

إن أراد مسلوبو القلب من يجلب القلب فهذا جالب القلب

لـن يكـون مثـل حبيبـى محبوبـا آخـر يجلـب القلـب

إنـه سـيد جميـع هـؤلاء الذيـن يخطفـون القلـوب

إن طعـم شـفائفه وحـلاوة نونـة ذقنـه

تعـال وشـاهد، فـإن هـذا هـو زمـزم وهـو كوثـر

عندمـا أنظـر وأفكـر فـى وصالـه وهجرانـه

فـإننى أعتقـد أن ذلـك هـو الجنـة وهـو السـقر

أنـت أيهـا الخطيـب لمـاذا تقـول الخطبـة علـى المنـبر؟

دس نفسـك بـالأقدام، فهـذا هـو المنـبر

إن السـفر إلى الكعبـة سـهل، غـير أنـك سـتكون شـجاعا

عندمـا تسـافر عـن أهـواء نفسـك، فهـذا هـو السـفر

كل منعـم أراد إرضـاء قلـب درويـش (قلنـدر)[١] وتدليلـه

فإن ذلك ليس بدرويـش (قلنـدر) بـل هـذا هـو الدرويـش

---

(١) درويش (قلندر): فى القرن الثامن الهجرى قام رجل يدعى قلندر الأندلسى بتكوين فرقة من الدراويش، كانت من مبادئها قطع الإنسان الأسباب بينه وبين الدنيا رغبة فـى الزهـد، ورياضة النفس على التطهر من كل الشوائب الدنيوية. وكانوا يداومون على الترحال فـى الأرض تعبدا ورقا. وإمعانا منهـم فـى تشويه ظاهرهم كـانوا يحلقـون رؤوسـهم ولحـاهم

تابع

عندمـا يحصـل الغنـى والـثرى علـى كـنز القناعـة
فإنـه ليس فـى العـالم غنـى آخـر، إن هـذا هـو الغنـى
ليـس بفضـل وفـن مـن يجعـل الـتراب ذهبـا
بل الفضل والفن يـا عبـد الرحمـن مـن يجعـل الذهب ترابا

" ٢٦٩٦ "

' ٢٥٠- القلب الملتهب بنار العشق '

ذلـك القلـب الـذى قـد انشـوى بنـار عشـقك
لـو وضعـت عليـه البلسـم ففيـه عظيـم مـن الثـواب
ينبغـى القيـام بالحجـاب والسـتر مـن الأغيـار
مـا معنـى الحجـاب والسـتر فـى حـب الأحبـاب؟
مـن غيرك أيهـا المحبـوب حيـث جمـالك بـلا حسـاب
فـإن أصحـاب الحسـن والجمـال فـى العـالم بحسـاب
الحوريـات وإن كـن علـى قـدر كبـير مـن الجمـال
فـإن جمـالك مـن بـين جمـالهن متمـيز بالانتخـاب
كمـا أن الزهـرة فـى خجـل مـن الشـمس اسـتحياء
كذلك الشمس فإنها فى خجل من جمال وجهـك الأخـاذ

تكملة .....

وشواربهم وحواجبهم. وهذه الطائفة تشتهر باسم القلندرية نسبة إلى مكونها. راجع ص ٣٣٧ هـ١ من هذا الكتاب.

ليس هذا لمل الخمر، ولا سكرها واحمرارها
بل إن سيف العيون غارق في الدماء
ماذا أقول أنا عبد الرحمن في إجابة الحبيب
ماذا تكون إجابة الأموات إلى الأحياء؟

" ٢٧٠٣ "

' ٢٥١- قدح الساقى وربابة المطرب '

فى يد الساقى كأس من الخمر الخالصة
والمطرب قد وضع الربابة على الركبة
وأنت أيها الناصح تنصحنى بالتوبة
من يستطيع أن يتوب فى مثل هذا الوقت العصيب؟
أنا حين أقوم بمنع نفسى عن عمل العشق
فما هو الربح والثواب فى مثل هذا العمل الممنوع؟
هذه السماء التى تدعى كبيرة عقلا
فإنها فى محيط العشق فقاعة من الفقاعات
المحتسب بدأ يرقص بلا خوف ولا يراه عيبا
والصوفى مقيم فى الخمارة يبحث عن السكر مخمورا
كيف يحفظ العاشق نفسه وماله فى العشق
وقد قام ببناء بيته ومنزله أمام مجرى السيل [١]

---

(١) فى ترجمة البيت شئ من التصرف الضرورى.

إن الغفلة قد غلبت الرقيب المتنافس ونام
فرفع الحبيب طرف الرداء عن وجهه، فهو بلا حجاب
أنت الذى يطلب النوم فى العشق فقل لى
من الذى قد تمكن من النوم فى فم الأسد؟
ماذا يحدث لو وضع الكتاب على الرأس بلا عمل؟
كأنه قد وضع الكتاب تحت قدميه
إن كنت تتوقع الخير من أعمال الشر
فإنك كالعطشان تجرى وراء السراب
عليك أن تخاف حذرا من مكر العدو
لا تعتمد خطأ على لين طبعه لأنه كالحجر فى الماء
قم بالعبادة بسرعة يا عبد الرحمن
سرعة عمرك الذى يمر ويمضى سريعا

" ٢٧١٥ "

' ٢٥٢- قسوة القلب '

قد منحت قلبى أنا قليل الحظ وقدمته إلى ذلك
الذى قلبه أشد قسوة من الحجر أو الحديد[١]
إلهى، متى تسخر لى بعطفك ذلك السارق
الذى قام بنهب متاع خاطرى وسلبه

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لـن يكـون أحـد قـد نـزل عليــه هــذا الكــم مــن الغــم

مثـل غـم حبيبـى وهمـه الـذى أصبـح جــزءا منـى

السيف الحـاد يمكنـه أن يفصـل الحبيـب مـن الحبيـب

وإن لم يكن كذلك فإن الغصن مع غصنه شجرة لا تنفصل

لا حاجــة لــه إلى الســرير ولا إلى الكرســى

لأن الأحبــاب يجلســون علــى عــرش القلــوب

ليـس فـى المقـدور معرفـة الوقـت مـن شـدة الألم

قـد جـاء على عبد الرحمن مثل ذلك الوقت بدون الحبيب

" ٢٧٢١ "

' ٢٥٣- مراد خاطرك مرادى '

إننـى أقبـل مـن يـدك ظلمـا كـان أو إنصافـا

لأن مـرادى أنـا هـو أن يتحقـق مـراد خـاطرك

كـل شئ فـى حبـك وودك يهـرب مـن أمـامى

آفــة كــانت أم ضــررا، أم فســادا

كــل جــزاء أعــاقب بــه فــى عشــقك

فــإننى أقبــل ذلــك الجــزاء بعينــى

لـو رفـع العـالم كلـه ووقـع أمـام عينـى

فـلا يبـدو لى مـن غـيرك، ولا أتذكـر شـيئا

إننـى حـين أصغيـت إلى نشـيد عشـقك

فقـد حفظـت بعـد ذلـك النصـح بـأذن قلبـى

مـاذا أفعـل الآن بالغـيرة والاسـم والشـهرة
مـا دام ثبـت واشـتهر بـأننى عاشـقك
كل روضة لاحظ لها من ذوى الوجوه الجميلة
فإنهـا فـى نظـر العاشـق فنـاء دار الصيـاد
انظر نظـرة دلال إلى عبـد الرحمن بمقـدار طاقتـه
حيـث إنـه آدمـى و لم يتكـون مـن الحديـد

" ٢٧٢٩ "

' ٢٥٤- عناد واعتماد '

سـواء كـان حبـا ومـودة منـه أو عنـادا ومعـاندة
فـإننى قـد اعتمـدت وتـأكدت مـن حـب الحبيـب
أنا وحبيبى وإن كنا اثنين فى الجسـد واحـد فـى المعنى
البيوت وإن كانت تعد بالآلاف فمدينـة بغـداد واحـدة
أنـا وحبيبـى لا فضـل بـين بعضنـا البعـض أبـدا
كـل عمـل موقـوف إنجـازه بأوانـه
إننـى أطلـب مـن الله أنينـى وتـأوهى الملتهـب
سواء كان خـاطر الحبيـب مـن الشـمع أم مـن الصلـب
إن الابتهـاج ليـس بموقـوف بجمـال المعشـوق
لأن خـاطر العاشـق سـعيد مبتهـج بحبـه
إن لم يكـن فـى مقـدوره التـأوه والاسـتغاثة
فإن كل صمـت وسـكوت تـأوه الضعفـاء واسـتغاثتهم

مـن المحتمـل أن يكـون للعشـق مائـة اسـم آخـر

كاسـم كـل مـن المجنـون[1] وفرهـاد[2] فـى الشـهرة

إنـه يجلـس ويقـوم فـى المكـان الـذى يريـده قلبـه

لأن العشـق عـروس فـى دار العقـل والفضـل

الملـوك يصبحـون دراويـش فـى العشـق

مـن فـى ذاكرتـه ذكـر مثلـى ومثلـك مـن النـاس؟

إن لم يكـن مضطربـا اضطـراب غدائـر الحبيـب

فإن جمعية تلك القلوب واتحادهم فساد كبير وخطير

إن كان صدقا بأن الكنز موجود مع السكر والثمل

فـإن الخمـارة لعديمـى الأصـل أصـل وأسـاس

إذا كـان الكمـال والتمـام بمقـدار التواضـع

فإنـه يعنـى تفـوق التلاميـذ علـى الأسـتاذ

إن تنـازل عاشـق عـن النفس والمـال لأجـل الحبيـب

فإننا نعتقد على أن عبد الرحمن كذلك فـى هـذا المجـال

---

(١) المجنون: المراد من المجنون هو قيس بن الملوّح العامرى الذى يضرب به المثل فى العشق، وهو شاعر غزل من أهل نجد. راجع ص ١٣٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) فرهاد: هو بطل قصة حب مشهورة فى الأدب الأفغانى، وعشيق شيرين التى كانت عشيقة السلطان خسرو، ولكنها كانت تميل إلى فرهاد. راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

لا يعمل ما يعمله العشاق والمحبون الآخرون
لأن عبدالرحمن قد اجتهد فى ذلك اجتهادا آخر جديدا

" ٢٧٤٣ "

' ٢٥٥- خاطر وغبار '

يتناثر غبار غمك على خاطرى
يتنامى على خاطرى دائما أكواما على أكوام
إذا كان الخضر[1] عليه السلام مرشدا لمضلى الطريق
فإن خضر العشاق هو مرشد إليك أيها المحبوب
لعله قد يكون هناك من قبله الله وليا مقربا
فإننى أستغيث به بسببك باحثا عنه فى كل الديار
انظر بدقة واستمرار إلى جروح الشهداء
هكذا يقطر الدم متدفقا من عينى الاثنتين
الذى قد قام بسحب قلبى بتحميل الغم عليه
فإنه هو الذى قد تم نقشه فى قلبى مرارا
الذى يقوم بقتلى بسيوف الغمزات كل لحظة
فإن قلبى يشكر لتلك العين منتهيا

(١) الخضر: وهو صاحب موسى عليهما السلام. وقيل إنه صحب الإسكندر فى سفرته إلى ماء الحياة. كما يذكر أنه حى يتولى هداية من ضل الطريق. وعند الصوفية كناية عن البسط، كما أن إلياس عليه السلام كناية عن القبض.

فلتكـــن هـــذه السـماء عونـــا لهـــؤلاء

الذيـــن جــــاءوا وبشـــرونى بأخبـــارك

إن كـان الحبيـب يجفـو ويجـور عليـه مائـة مـرة

فـإن عبـد الرحمـــن متـى يعتـبر ذلـك هكـــذا

" ٢٧٥١ "

' ٢٥٦- التواضع أمر نادر '

إن التواضــــع أمـــر نـــادر

يظهـــر منـــه الكمـــال والتمـــام

مـــن قـــام باختيـــار التواضـــع

فإنه كثـير (خـروار) يختفـى فـى حبة

الديـك رخيـص الثمن وهـو حـلال

والبـاز عـالى الثمـن وهـــو حـــرام

مـن صـار سمـاء أصبـح مضطربـــا

مـن صـار أرضـا أصبـح مســـتقرا

انظر إلى الصنوبـر وهـو يعلـو ويرتفـع

انظر إلى شجرة العنب مقلوبـة الـرأس

ضعفـت الـــذرة فصـــارت شمســـا

والســـحاب كثيـــف فهـــو غبـــار

ارتفـع الجبـل فصـار حجـرا أســـود

وصغر الياقوت فأصبح عظيمـا جليـلا

السماء العالية صارت مقلاة سوداء

والشمس الشفافة أنوار خالصة

انظر يا عبد الرحمن رجلا صغيرا

يحمل فيل ضخم أحماله

" ٢٧٦٠ "

' ٢٥٧- البنفسج والصنوبر '

إن غدائرك من طولها تصل من الرأس إلى القدم

أو أن عيدان البنفسج تتسلق الصنوبر

إن شفاهك ماء الحياة، أو سكر أو حلاوة

لعلنى أخطأت، فإنها أحلى وأفضل من الكل

ليس فى المقدور أن يبلغ قامتك فى العلو

لأن الإسراء (ليلة المعراج) من معجزات الرسول

حين وزنت جمالك مع الشمس والقمر بالميزان

سار القمر والشمس فى الميزان ووصلا إلى السماء

قطرات المطر تنزل من السماء فوق الجميع متساوية

والندى على الخضرة كالجوهر فى الصدف

التقدير هو الذى مكن البعض من الحصول على العرش

والبعض الآخر مقطوع كبده بغم الشوكة إربا إربا

حين قصدت الريح أن تجعل ضفائرك مضطربة

بسبب ذلك قد تراكم كل غبار العالم على رأسه

عندما يصبح اسمك عبد الرحمن ستصبح إنسانا

بماذا تكون إنسانا الآن وإن قرأت الكسرة والفتحة

الدموع الرقراقة والوجه الأصفر بسبب الحب

فإن ذلك فضة وذهب للعشاق يا عبد الرحمن

" ٢٧٦٩ "

' ٢٥٨- الثروة والفن '

إذا كان الثرى ثريا بالفضة والذهب

فإن عند أهل الفضل كنزا من الفضل والفن

مهما كان صاحب الدنيا كثير القوة

فإن اعتبار نفسه قويا لا جدوى منه[1]

لا تقل: بأننى وحيد فريد فى العالم

لأن الله قد خلق عظيما فوق كل عظيم[2]

فقد جعل الله البعض أنبياء أو أولياء

وليس كل واحد من الناس نبيا أو وليا

تظهر فى الأحجار ياقوتة بقدر شعيرة

وبقية كل العالم جبل من الأحجار السوداء

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم﴾ سورة يوسف ٧٦.

أحدهـم ملـك يسـير خلفـه جيـش مـن الجنـد
ليس خلف كل واحد من الناس جيش من الجند
خلق الله النـاس فـى تفـاوت مـن الدرجـات
وليس العـالم كلـه متسـاويا فـى الدرجـات
لـو نظـر أحـد إلى مضـى العمـر سـريعا
فإنه سيقول: إن العمر كالشمس وقت الغروب
مـن وضـع رأسـه علـى الأرض لأجـل الحبيـب
فإنـه صـاعد إلى السـماء عاليـا كالشـمس
لا تعجـب، ولا تندهـش مـن كـثرة دموعـى
لأننـى قـد وجـدت الجوهـرة فـى هـذا البحـر
مـا ألبـس الله أحـدا جبـة الريـاء والتظـاهر
إن عبد الرحمن ربط عمامة عوجاء تبخترا وهو درويش

" ٢٧٨٠ "

' ٢٥٩- كلتا العينين '

كلتـا عينـى تتمـايلان نحـوك أيهـا المحبـوب
غارقتـان دائمـا فـى بحـر الفـراق مـن المـاء المملـح

إننـــي كلــب ذو العيــون الأربعــة مــن كلابـــك
حيـث إن عينـى الاثنتـين أربعـــة [1] لمراقبــة بــابك
أمسـك فـى يـدى أقـداح (جفــان) كلتــا العينــين
رافعا إياها كالمتسول عند كل باب لدى كــل بيـت
حـين شــاهدت شــامة المعشــوقات داخــل قلبــى
فـإن كلتـا عينـى تنحنيـان وتنعطفـان نحــو القلــب
لا تعتمد على الحبيب فـى هـذا العصـر ولا تثـق بـه
لأن كلهـــم نـــاهبون لأمتعتهـــم وأغراضهـــم
إننـــى قـــد قبلـــت دلال الرقيـــب لأجلـــك
لأن الربـح والخســران فـى هــذا العــالم شــقيقان
لا تجعــل عبــد الرحمــن موضعــا للظــن هكــذا
فالـذين ينخدعـون بغـيرك هـم آخـرون ولسـت أنـا

" ٢٧٨٧ "

---

(١) إن عينى الاثنتين أربعة: للمرة الثالثة يستخدم الشاعر هذا الأسلوب، ففى المرة الأولى قـال: " صارت عين النرجس أربعة " صفحة ١٧٩، وفـى المـرة الثانيـة قـال: " عينـى أصبحـت أربعة " صفحة ٢٦١، وهذه هى المرة الثالثـة حيـث يقـول: " إن عينـى الاثنتـين أربعـة " والأساليب الثلاثة كناية عن شدة الانتظار وطوله حتى تتحول العينان إلى أربعة من الزغللة احتمالا. راجع صفحات ١٧٩ هـ١، ٢٦١ هـ١ من هذا الكتاب.

' ٢٦٠- الهم والغم والطنين '

طنين في رأسي من شدة غمك وهمه

كأن مدينة لاهور قد استقرت في رأسي

بخدعة العيون السوداء ودمدمة سحرها

قد تنفر قلبي الخرب (الثمل) من العالم كله

إذا كان قلبي ينفلق من الغم، يقول لى:

لا تظن أن هذا هو وحده غم الهجر، فهناك غم آخر

لقد اتضح لى في مرض الهجران والفراق

بأنني أعاني بسبب إيذاء الوالدين

هذه الدنيا أصبحت كدار للغموم والآلام

فالذى يتفاخر بدلال بمثل هذه الدار فهو أعمى

هذا العالم ليس ملكا لأحد، ولن يكون ملكا لأحد

فقد تركه البعض برضاه، والبعض الآخر بالقوة

حين يموت واحد من مديوني الأجل والموت

فإنه ابن جميع المديونين وأخوهم

إذا كان العشق يسبب لى أنا عبد الرحمن الإهانة

فإننى قد قبلت على العين الطعن بسبب هذه الإهانة

" ٢٧٩٥ "

' ٢٦١- المحبوب وطريق الحرم '

إذا كـان المحبـوب يضـع قدمـا مـن أقدامـه إرضـاء لى
فكأنـه يطـأ بكـل قـدم مـن أقدامـه طريـق الحـرم
لـو منحنـى قبلـة بـلا منـة، فـإن ذلـك فـى محلـه
أى كريـم يقـوم بـالمن علـى غـيره بسـبب كرمـه؟
ينبغـى أن تكـون المحبوبـة مشـفقة وحانيـة
لا مثـل قـارون الـذى أطلـق علـى نفسـه اسـم حـاتم
إن الله قـد جعـل الآلام كأزاهـير الجنـة
وإن كـان يقـوم بوضـع علامـات حرقـة الغـم علـى قلبـى
أقـوم هكـذا بإخفـاء وجهـى الأصفـر مـن النـاس
كما يقوم البعض بإخفاء الذهب من الناس فى مكان خفى
ليس لأحـد أن يقـوم بالشـكوى عـن العيـون السـكرانة
أى سـكران يضـع قدمـه علـى الطريـق مسـتقيما؟
مـا وجـد أحـد مـن النـاس الراحـة بـدون المشـقة
أى طبيـب يضـع البلسـم (المرهـم) علـى جسـم سـليم؟
إننـى أسـتحى مـن إلهـى الصمـد بـالضرورة
حـين يضـع الـبرهمى[1] رأسـه عنـد أقـدام الصنـم

---

(١) برهمى: المنسوب إلى طائفة " برهمن " الهندوسية التى تعتبر نفسها أسمى الطوائف الدينيـة، وتحتل المركز الأول فى النظـام الطبقـى الهندوسـى. وبرهمـن يطلـق علـى الكـاهن والمعلـم الدينى عند الهندوس.

إن يــــد العقـــــل لا تصـــــل إلى الســـــماء العاليـــة

هــذا عشــق يضــع قدمـــه علـــى العـــرش والكرســـى

أنـــا عبـــد الرحمـــن أعتـــبر جـــور الحبيـــب تاجـــا

وإن كـــان يضـــع فـــوق رأســـى حمـــل الجـــور والظلـــم

" ٢٨٠٥ "

' ٢٦٢- الغش والخداع '

أعمـــال الدنيـــا وكـــل شـــئونها خدعـــة وتضليـــل

لا تعتقـــد ولا تظـــن بـــأحد: " أنـــه قريبـــى "

مـــا بقـــى فـــى هـــذا العـــالم طعـــم ولا عذوبـــة

كأن الإنسان[1] يتناول زاده من الخبز البارد مع الماء

إذا كـان فـى مخـزن غلالـك كيـلان مـن الحبـوب

فقـل بعـد المغـرب بأنهمـا لغـيرك، ليسـا لـك

كـل واحـد مـن النـاس لـه أنـف وأذن مـن اللحـم

إن أردت أنفا وأذنا للفضيحة فهذا من الأمور الباطلة

إن عـددت عيبـين أو ثلاثـة مـن عيـوب غـيرك

فـإن غـيرك سـيقول لـك : إن عيوبـك عشـرون

إن نصيحـــة النـــاصحين لا تـــترك أثـــرا

فـــلا فـــائدة مـــن دق الحديـــد البـــارد

---

(١) كأن الإنسان : من إضافة المترجم، السياق الشعرى والمعنى يدل على ذلك

إن هـؤلاء الجلساء عديمو الأهلية لا يفهمون
وإن كانت الزنابير تتجمع على صدر عبد الرحمن

" ٢٨١٢ "

' ٢٦٣- الوجه والشامة '

انضم الوجه المنير إلى الشامة المسكية
أو أن محمودا وأيازا جالسان فى مجلس الأنس
لا بأس أن يختفى وجهك فى الغدائر
لأن ماء الحياة[١] مختفية أيضا فى الظلام
من ضفائرك ووجهك، ومن شفاهك الحمراء
قد نشأ أول الليل والشفق ووقت الصباح
وفى فمك تتجلى الأسنان وتتلألأ
أو أن البراعم فى باقة الندى من الزهور
ليس الآن فقط قد تقطع قلبى بغمزتك
بل إن العداوة بين السكين واللحم قديمة
إن ذا العينين السوداوين لا ينظر إلى أحد بغير البكاء
تفتح النرجس يتم برطوبة ماء النهر وحدها

---

(١) ماء الحياة: خرافة ماء الحياة مشهورة فى الآداب الأفغانية. يعتقد أنه ماء ينبوع فى بحر الظلمات، من شرب منه عاش أبدا. راجع ص ١٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

ما وجد أحد من الناس الراحة بدون المشقة

أما أنت فجفاؤك ووفاؤك منقسمان

ببركة الثناء على حسنك، وبفيض مدحه

ساد[1] صيت شعر عبد الرحمن وشهرته العالم كله

" ٢٨٢٠ "

' ٢٦٤- المعشوق والكأس '

بما أن المحبوب بجواري والكأس في يدي

فإن أورنك[2] (ملك) العصر اليوم عبدي

متى يدوم الثراء مع أصحاب الثراء؟

باستثناء العشق فإن دولته مستديمة

نهاية دوران حصان الحارس هي السماء

إلى متى سيدور حيث دورانه فوق سطح المنزل؟

إن أعمال الدنيا وأمورها مثل الظل

كيف يستطيع الظل الوقوف أمام الشمس؟

إذا كان صبحه جميلا رائعا باسما مبتسما

فإنه مع ذلك يأتي بعد كل صبحه أول الليل

---

(١) ساد: من إضافتي أنا المترجم والسياق يدل عليها.

(٢) أورنك: يعني الملك، ويحتمل أن يكون أورنك زيب، وهو ملك من ملوك المغول، حكم الهند، حارب الأفغان، وحاربوه كثيرا وألحقوا به العديد من الهزائم.

لا وجـود للهـدوء فـى الشـمس ولا فـى القمـر
وقد جاء كل واحـد منهمـا إلى الدنيـا مضطربـا
أين الهدوء وراحة البال فى الدنيا يا عبد الرحمـن
فليخـبرنى أحـد بإنسـان بـلا غـم، أيـن هـو؟

" ٢٨٢٧ "

' ٢٦٥- سلمت نفسى إليك '

رميـت بنفسـى وطرحتهـا فـى ذيـل (حاشـية) ثوبـك
إنهـا لـك، ليسـت لى، عاقلـة كـانت أو جاهلـة
إننـى نـاس كـل مـا لـدى مـن التمـرد والكبريـاء
هكـذا فـإن نفسـى فـى حـيرة مـن عظمـة قـامتك
إن قمـت بـالتنزه فـى روضـة الأزهـار مـن غـيرك
فـإننى لا أحـس بهـا إن كـانت روضـة أو سـجنا
مـن كـان يعرفنـى قبـل أن أكـون عاشـقا فـى العـالم؟
أمـا الآن فـإن اسمـى افتضـح بسـببك فـى كـل العـالم
كثـير مـن قرنـاء المجنـون مضـوا بـلا اسـم ولا علامـة
إن العشـق هـو اسـم وعلامـة وشـهرة للعاشـق
الفراشة ليست أكبر الديدان حتـى أصبحـت مضـرب الأمثال
كـل ذلـك واضـح وبـين لأنـه بسـبب العشـق

انظر إلى الجميع بنظرتك إلى نفسك.. إن كنت عاقلا
يا عبد الرحمن، إن العالم كله عبد الرحمن

" ٢٨٣٤ "

' ٢٦٦- باسم السبحان '

أبدأ هذا البيان باسم الله الذى
أحد أسمائه الكثيرة العديدة سبحان
إنه ملك كل الملوك فى العالم
و هو كذلك سلطان على رأس كل سلطان
العمل الذى يبدو صعبا فى نظر كل الناس
فهو من الأعمال السهلة الميسرة عنده
من الذى فى مقدوره رفع الشمس وإشراقها فى السماء؟
هو الذى رفع الشمس وأشرقها فى السماء بقدرته
من الذى فى قدرته أن يبسط الحجاب على وجه الشمس؟
هو الذى حجب الشمس وأخفاها فى السحاب
من الذى فى استطاعته أن يخلق نور القمر فى الليل؟
هو الذى قد خلق القمر المضىء البراق فى الليل
من الذى فى إمكانه إنزال قطرة ماء واحدة من السماء؟
هو الذى قد أنزل علينا المطر مدرارا
من الذى فى مقدوره إدخال الروح فى بعوضة؟
هو الذى قد أحيا العالم كله بالروح

من الذى فى قدرته أن يمنح الحجر لون الأزهار؟
هو الذى منح الحجر اللون الوردى (الأرجوانى)
من الذى فى استطاعته إنبات (إخراج) زهرة من التراب؟
هو الذى خلق من التراب روضة الأزهار
من الذى فى إمكانه أن يخلق الماء من النار؟
هو الذى خلق فصل الشتاء من النار
من الذى فى مقدوره أن يخلق من الحجر جوهرا؟
هو الذى قد خلق من الحجر الدر والمرجان
من فى قدرته إيصال الرزق إلى جميع المخلوقات؟
هو موصل الرزق إلى كل فرد من المخلوقات
من الذى فى استطاعته أن يمنح الإيمان للعباد؟
هو الذى قد منح الإيمان لكل مؤمن من العباد
من الذى يمكنه أن يصعد من الأرض إلى السماء؟
هو الذى قد منح عيسى عليه السلام هذا الإمكان
من الذى يستطيع أن يتكلم مع الله؟
هو الذى قد شرف موسى عليه السلام بهذا الشأن
من يقدر أن يضع السرج على فرس الهواء الجموح؟
هو الذى قد وضع بقدرته عرش سليمان على الهواء
من يستطيع أن يعيش بلحيته البيضاء حتى القيامة؟
هو الذى قد أحسن بذلك إلى خضر عليه السلام

الذى يستطيع أن يعمله بقدرته، ليس فى إمكان غيره عمله

كل قادر قوى ضعيف فى مواجهة قوته وقدرته

بنى بقدرته قلعة حجرية حصينة فى الماء

ومنح فيها الأمان للنار بلطفه وكرمه

وضعت الأرض رأسها وانحت للسجود إليه

كذلك السماء فإنها معلقة للركوع إليه

كل شجرة من الأشجار تقف قائمة لعبادته

لسان كل نبات من النباتات يسبح بحمده

الكل مشغول بالتسبيح له والثناء عليه

سواء أكان من الملائكة أو الجن أو الإنس

كل سمكة من الأسماك فى الماء تسبح بحمده

وكل طائر من الطيور فى المروج يثنى عليه

لم يقدر أحد أبدا أن يثنى عليه حق الثناء

ولم يصدر من أحد أبدا مثل هذا البيان

إن المخلوقين فى العالمين لم يتمكنوا من معرفته

مثل ما لدى ذاته قدر ذاته الكريمة

لم يتمكن أحد من العثور على حده النهائى

كذلك معرفته بحر لا نهاية له

لا يوجد أحد يشبهه أو يشبه شأنه

ولا هو يشبه أحدا أو يشبه شأنه

لا يتضــــــرر، ولا يـــــــزول، ولا ينقـــــص
إنـــه بـــلا ضـــرر، بـــلا زوال، بـــلا نقصـــان
لا مثـــــل لـــــه، ولا مثـــال، ولا مكـــــان
إنـــه بـــلا مثـــل، بـــلا مثـــال، بـــلا مكـــان
تيقـــن بأنـــه نزيـــه بـــلا شـــك بـــلا ظـــن
مـــن شـــك الشـــاكين، ومـــن ظـــن الظـــانين
لا يـــراه أحـــد بـــالعين ولا يبـــدو للعـــين
وهـــو ظـــاهر مـــن غـــير الكيـــف والهيئـــة
إن قـــال أحـــد: إنـــه لا يبـــدو، فهـــو لا يبـــدو
وإن قـــال ظـــاهر: فإنـــه عيـــان ظـــاهر للجميـــع
إنـــه مـــنزه كريـــم بعيـــد عـــن كـــل الجهـــات
ثـــم إن كـــل جهـــة مـــن الجهـــات معمـــورة بكرمـــه
لـــن يكـــون أحـــد أن رأى الحســـن بـــلا حجـــاب
وإن قـــال أحـــد بذلـــك فإنـــه ظـــن منـــه فـــارغ
تعـــال وتنبـــه! بأنـــه مـــن صفاتـــه التـــى تعـــد بـــالآلاف
قـــد بـــين منهـــا عبـــد الرحمـــن أقـــل مـــن النصـــف

" ٢٨٧٠ "

' ٢٦٧- الذكر والفكر والخريف '

إن قلبـــى روضـــة الأزهـــار بذكـــرك وفكـــرك
و مـــن غمـــك الشـــديد فـــإن بدنـــى ورقـــة خريـــف

إننــي مســتفيد مــن غــم غمــك وهمــه الشــديد

بحيـث تكـون فـى عينـىّ معـدن مـن معـادن الـدر

إن نظرتـك قـد تركـت فـى قلبـى جرحـا عجيبـا

بحيـث يسـيل منـه الـدم الغزيـر وهـو ضـاحك

لقـد انعكـس علـى محيـاى لـون دم قلبـى

بحيـث يبـدو لى كـل نفسـى فـى شـكل الحبيـب

إذا كـان ثعبـان غدائـرك يقتـل النفـوس

فـإننى قـد وجـدت فـى ذلـك حيـاة خـالدة

مهمـا قيـل بـأن حالـة النـزع حالـة مريـرة

فإنهـا بمـدد مـن شـفائفك وعونهـا مـاء الحيـاة

إن الحـب والـود ليـس بـأضعف مـن الفـراق

بدليـل أن كـل بـلاد كنعـان[1] معطـرة بعبـير مصـر

كمـا أن الشـمس يمكـن رؤيتهـا فـى السـماء الرابعـة

كذلك فإن الحب يبدو ويظهر من خلال مائة حجاب

متـى يسـتر ويختفـى نـور الشـمس بالفـانوس؟

إن العشـق يبـدو واضحـا فـى حجـاب العقـل

---

(١) كنعان: اسم منطقة فى آسيا الغربية (فلسطين وفينيقية)سكانها هم الكنعانيون ورسولهم يعقوب عليه السلام. وقد أسسوا حضارة خاصة، وزاولوا التجارة والصناعة، وقد تحدثت عنهم التوراة.

إن لم يكن في وجهك حتى رائحة الحجاب

فإنني من شدة حرصي أعتقد أنه محجوب

من رأى وشاهد غدائر طاووسية اللون

بحيث كل شعرة منها بعدة ألوان وأشكال

لن يكون أحد قد رأى حسنا بلا حجاب

ومن قال ذلك فإن قوله ظن فارغ بلا أساس

إن السعادة لا يحصل عليها الإنسان بسهولة كالغم

والحمر بدمائه ياقوتة من يواقيت بدخشان[1]

ليت الوصال كان في كل زمان، واحسرتاه!

كغم الهجران وهمه الدائم في كل زمان

من غير لقائك ووصالك الذي أصبح صعبا

فإن كل الصعاب الأخرى سهلة لا صعوبة فيها

كذلك فقد أصبحت الغموم الأخرى سهلة لا صعوبة فيها

نظرا لأن غمك عزيز على وغال بلا نهاية

لا تعتمد عليه قافلة الصبر، ولا تثق فيه أبدا

لأن منزل قلبي مدمر بسبب غمك وهمه

---

(١) بدخشان: إحدى الولايات الأفغانية، تقع في أقصى الشمال الشرقي من أفغانستان، حاضرتها مدينة فيض آباد. حدودها متصلة بتركستان الشرقية، بها عديد من معادن الأحجار الكريمة كالياقوت واللاجورد والذهب. راجع ص ٤٠٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

لـــن أبتعـــد عـــــن بـــابك مقـــدار نفـــس واحـــد
مـــا دام لى نفـــس واحـــد بـــاق فـــى هـــذا العـــالم
كمـــا أنـــه ليـــس لغدائـــرك متـــاع ولا أثـــاث
كذلـــك قلبـــى، فإنـــه بـــلا متـــاع وبـــلا أثـــاث
كما أنك قد نثرت ذوائبك السـوداء على وجهـك
كذلـك فـإن قلبـى الثمـل مضطـرب مهـتز هكـذا
إلى متى سيسلم خاطر عبـد الرحمـن الضعيـف الهـزل
مـــا دام لـــه عبـــور ومـــرور علـــى قليـــب ذقنـــك

" ٢٨٩١ "

' ٢٦٨- حروف عشقك حمراء '

حـروف عشـقك وردى اللـون وليسـت بسـوداء
لأنهـــا مكتوبـــة مرســـومة بـــدم الكبـــد
لم يصبـح جـرة (دن) العشـق خاليـا مـن الخمـر
ذلك الدن الـذى طينـه مـن طـين فرهـاد[١] والمجنـون[٢]

(١) فرهاد: من القصص الأدبية فى الآداب الأفغانية قصة فرهاد وشيرين، كان كل مـن فرهـاد والملك خسرو يحاولان كسب حب شيرين، وكانت هى تفضل فرهاد على الملك - راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٢) المجنون: هو قيس بن الملوح العامرى الذى يعرف بمجنـون ليلـى العامريـة. راجع ص ١٣٠ هـ١ من هذا الكتاب

إن أعمـال الدنيـا وأمورهـا كلهـا فانيـة لا بقـاء لهـا
فلمـاذا يزيـد جـورك وجفـاؤك ولا يـزولان؟
إن هؤلاء الذين خرجوا مـن الأرض فـى أكفـان حمـراء
هـم قتلى غمـزات عينـك وليسـوا مـن اليـاقوت[1]
هـؤلاء الفتيـات اللاتـى ليسـت عنـد الشبان مهورهـن
لسـن بفتيـات، بـل إنهـن خزائـن قـارون[2]
إن الملـوك يصبحـون شـحاذين فـى لحظـات
إننـى قـد رأيـت فسـاد هـذا العصـر وخرابـه
إذا صـار دمـع عبـد الرحمـن الدمـوى مقبـولا
فإنـه سـتصبح بـه وجـوه المحبوبـات ورديـة اللـون

" ٢٨٩٨ "

' ٢٦٩- غلبة الغم '

إن غمـك قـد تغلـب علـى بحيـث
لا مكـان لى فـى الداخـل ولا فـى الخـارج
مـن صرخـاتى أصبـح النـاس فـى عـذاب
بسـبب اليـابس يحـترق الأخضـر دائمـا

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قارون: من أثرياء العبرانيين أيام موسى عليه السلام ومن أعدائه. وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم أربع مرات. راجع ص ٤٢٥ هـ١ من هذا الكتاب.

إننـــى أبكـــى بســـبب غمـــك كالشـــمعة

وأنـــت تضحـــك مـــن بكـــائى كـــالصبح

إن قلبـــى عـــالق مـــائل نـــاحيتك

كضفـــائرك التـــى تتـــدلى علـــى وجهـــك

لقـــد أحرقـــت بنـــار التفكـــير الكثـــير فيـــك

كـل أفكـار الدنيـا والتـأمل فيهـا كحـرق الحرمـــل

عندمـا يحـــل علـى الإنســان غــم كبـير فالعــادة

أن الغمـــوم الأخـــرى تصبـــح تحـــت أقدامــــه

كـــل مـــن أراد أن يعوقنـــى منـــك بالنصيحـــة

فإنـــــه يــــأتى إليـــــك قبـــــل إتيـــــانى

ماذا تفعل الشعلة الحمراء بالنبـات اليـابس يـا تـرى

الحبيب يفعل بعبد الرحمن كما تفعل الشعلة بالنبات

" ٢٩٠٦ "

' ٢٧٠- الدين أساس وهدف '

إن العمـــل فـــى الدنيـــا هـــو العمـــل لأجـــل الديـــن

مـــا أحســـن فعـــل القـــائمين علـــى هـــذا العمـــل!

مـــن صـــارت التقـــوى والتديـــن مـــن نصيبهـــم

فـــإن نجـــم الســـعادة والســـرور والفـــرح قرينهـــم

قـــد وضعـــت القناعـــة طعمـــا لذيـــذا فـــى فمـــى

بحيث أصبحت قطعـة خبز يابسـة فـى فمـى كالعسـل

ملـك يـأمر وينهـى دون أن يملـك أفيـالا أو جمـالا

فـى قطعـة مـن حصيرتـه الباليـة يكمـن السـجاد

حـين يرفـع يديـه طالبـا قضـاء حاجـة مـا

فـإن الملائكـة فـى السـماء تقـول: آمـين

مـن قبـل التواضـع والتذلـل فـى الدنيـا

فإنـه متيقـن ومتـأكد مـن علـوه وتفوقـه

إن الماء ينزل مـن مكـان عـال إلى مكـان واطـئ دائمـا

إن الله قـد منـح الكمـال والفضـل للمتواضـع

إن التواضـع مرتبـة عاليـة للمتواضعـين

إذا كـانت ملابسـهم متسـخة فـإن قلوبهـم نظيفـة

المتكبرون المتطاولون وإن بلغـت رؤوسـهم إلى السـماء

فـإن مكـانهم بعـد يومـين تحـت الأرض

مـن كـانت فـى رأسـه كبريـاء، ويقـوم بالتعـالى

فإنـه لا يسـتحق الرحمـة، وهـو لعـين

وإن كـان شـكله شـكل الإنسـان ويدعـى إنسـانا

غير أنه فى المعنـى والحقيقـة ليس بإنسـان بـل شـيطان

إذا كـان عبـد الرحمن لا يملـك شـيئا مـن متـاع الدنيـا

فالشـكر علـى أنـه ليـس بمسـتبد ولا بمغـرور

"٢٩١٨"

' ٢٧١- الشمس والقمر ووجه الحبيب '

إن كلا من وجه الحبيب والشمس والقمر واحد
وكلا من القامة، والسرو، والصنوبر واحد
ليست لى حاجة إلى العسل ولا إلى السكر
لأن كلا من شفائف الحبيب والعسل والسكر واحد
إن كنت أنا نائما ملقى فوق الفراش بدون الحبيب
فإن كلا من النار والشوك وهذا الفراش واحد
حين أنظر وأشاهد بابه وجدار بيته
فإن الحديقة والبستان وهذا الباب واحد
عندما يأتى غبار حارته ويقع على
فإن كلا من هذا الغبار والمسك والعنبر واحد
ما ابتلى الله أحدا بمشقة هجر الحبيب وفراقه
لأن كلا من الإغارة والقتل وهذا الخبر واحد
فى الوقت الذى يرحل فيه الإنسان من العالم
فإن كلا من التراب الأسود والفضة والذهب واحد
إن الدرويش[1] إذا كان صادقا فى دروشته
فإن الخان (السيد) والسلطان والدرويش واحد

---

(١) الدرويش: الفقير، والفقر لغة نقيض الغنى، ويعده أهل التصوف نعمة من الله، وقال بعضهم إن رعاية الفقراء من شروط التصوف. وقال إبراهيم الخواص: الفقراء رداء الشرف ولباس المسلمين وجلباب الصالحين.

ما سافر أحد إلى أرض غيره بدون الدليل أبدا
لأن كلا من الأعمى والبصير والأصم فيها واحد
إذا لم يكن لك في المدينة حبيبا أو صديقا
فإن كلا من تلك المدينة والبحر والبر واحد
أما في دكان الجوهرية العمى (عديمي الخبرة بالجواهر)
فإن كلا من الخرز والياقوت والجواهر فيه واحد
ما على الغلمان أن يعيروا من عشقي
لأن كلا من العاشق الطاهر والغلام والأب واحد
بسبب الحكام الظالمين وحكمهم الظالم الجائر
فإن كلا من القبر والنار ويشاور أصبح واحدا
هل تم الغزاء والجهاد إذا مدح أحد نفسه لعبد الرحمن؟
لأن كلا من عديم الفضل والبقرة والحمار واحد

" ٢٩٣٢ "

' ٢٧٢- يدا بيد '

إذا كان الأمر هكذا أنه يترك الدنيا يدا بيد
فما فائدة من أن يمسح نفسه بالعطر والصندل؟
هذه الدنيا مثل السد والموت سيل
فما فائدة من أن يضع (يبني) سدا أمام السيل؟
ما كاد أن يتزوج الفتيات والفتيان حتى يصبحوا أرامل
إن أعمال الدفن هذه يقوم بمثلها مركب الموت

قوافل المخلوقات التى دخلت الدنيا

يبدو مؤكدا أنها سوف ترحل عنها كذلك

إن هذه الرحلة ستسهل كثيرا على الذين

قد قاموا بتدبير الزاد والاستعداد قبل الرحيل

الذين يتأسفون فى غير وقته وهم نائمون فى وقت العمل

فإنه ينبغى نتف ذقون هؤلاء الناس نتفا

إننى أقلد وأعمل كل ما يسر الحبيب ويرضيه

لأن تقريب الأحباب وإرضاءهم يتم بتقليدهم

أضع غم الحبيب وهمه فوق رأسى كالتاج

أما الغموم الأخرى فهى موضوعة تحت أقدامى

إن المعشوقات تحس إحساسا مؤكدا بالعاشقين

فما الداعى هنا إلى إبداء علامات العشق؟

إن شاربى الخمر لو عرفوا سكر خمره

فإن خمر خمارة عبد الرحمن أحق بشرب الشارب

" ٢٩٤٢ "

' ٢٧٣- بلبل الوصال '

إننى بلبل وصالك، ما الحديقة وما شأنها؟

ما روضة الأزهار، وما شأنها بالنسبة لوصالك؟

من يعرف ويألف بابك وحائط دارك

فلماذا وما فائدة انتظاره عند روضة الرضوان؟

مـــن نـــال الشـــهادة ورزق بهـــا بســـيفك

فمـــا حاجتـــه بعـــد ذلـــك إلى عـــين الحيـــاة[1]

مـــا قيمـــة دكـــان العطـــارين فـــى نظـــر هـــؤلاء

الذيـــن مســـكن قلوبهـــم دن انحنـــاء ضفـــائرك؟[2]

مـــن وضـــع نفســـه ووجـــوده تحـــت قدمـــه

فالعرش يصبح تحت قدمه، فما هى السماء فى ذلك؟

ماذا حدث لو طلب منك ذو الأهواء النفسية قبلة

فإنه ثرثار يتشدق بأنواع الكلام أكثر من الجاهل

إننى حيث أذرف الدموع من غمك، وأصرخ

فما هو البرق والرعد فى ذلك، وما هو المطر؟

لقد نسيت نفسى ومالى فى الدنيا لأجل حبك

لست أدرى: ما هو النفس، وما هو المال؟

إنك أنت الذى لا ينظر إلىّ، فافهمنى قليلا

ما ضررك فى تصرفك هذا وما النقصان؟

إن كانت عيناك قاتلتين فأنا المقتول

قل: ما الأمنية الأخرى التى بقيت فى خاطرك؟

---

(١) عين الحياة: لعله يقصد ماء الحياة الخرافى الذى يعتقد أنه من شرب منه عاش أبدا. راجع ص ١٢٠ هـ١ أيضا

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

هـل أنـا عديـم الصـبر، أم أنـت عديـم الحـب؟
فمـا ظنـك فـى قلبـك بالنسـبة لهذيـن الاثنـين؟
لمـاذا تسـألنى عـن حـالى عندمـا ترانـى؟
العيـان الظـاهر للعـين لا يحتـاج إلى البيـان
كل ما تقوله وتطلبه " فحبلك ورقبة عبد الرحمن "
مـا حجـة الضعيـف ومـا برهانـه أمـام الأقويـاء؟

" ٢٩٥٥ "

' ٢٧٤- سهام رموشك وصدرى '

تغـرزت سـهام رموشـك فـى صـدرى
فدخلت كبدى من جهة وخرجت من جهته الأخرى
تلـك الأفئـدة التـى هـى مـرآة بـدون الصـدأ
تضـع وجههـا المنـير علـى وجـه الحبيـب دائمـا[١]
ليـس اليـوم قـد أصبحـت مفتـون جمـالك هكـذا
بـل إن غمومـك قديمـة عتيقـة فـى قلبـى
كمـا أن النجـوم تزيـن السـماء بارقـة لامعـة
كذلـك علامـات حرقتـك فصـوص تزيـن صـدرى
إننـى أقـول لـك: إحـذر واتـق آهـات
هـؤلاء الذيـن ملابسـهم مـن الصـوف

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لماذا اسود إنسان عينى من الشئ بالتحميص
لولا لهب مشاعل وجهك المحرقة؟[1]
كيف يمكنك أن تنظر مستقيما إلى أحد فى الصباح
حيث إن عينيك ممتلئتان من الخمر فى الليل؟
العيون التى خلقها الله مسيلة الدم قاتلة
فهى غاضبة حاسدة دون الغضب
إن الخمارين حين يجدون الخمر يحتسونها
متى يمتنعون عن ذلك بالعيد والجمعة؟
بما أنه قد تلون كل جسمه بدم كبده
فقد صارت أحاديث عبد الرحمن ملونة أيضا

" ٢٩٦٥ "

' ٢٧٥- العاشق وباب المعشوق '

ليس الأكل والنوم مطمح نظر العاشق الصادق
ليس مراده بابا آخر غير باب الحبيب
أنت لا تنظر ولا تفكر بناء على فنك وعقلك
هذه الأسباب ليست بأسباب فى نظر العاشق
من يحاسب حبيبه ومعشوقه حساب الدنيا
فإن ذلك ليس بمحسوب فى زمرة العشاق

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن لم يصبح العاشق سيدا بارزا فى العشق

فإنه ليس بسيد وإن أصبح سيد العالم كله

كل من يمنع الحبيب عن " جواب "[1] حبيبه

فإن هذا الكتاب ليس بكتاب العشاق

هذا الحجاب[2] الذى يدعوه العالم حجابا

فإنه ليس بحجاب بينى وبين الحبيب

العمل من غير وجه الحبيب وإن كان ثوابا

فإننى أعتبر ذلك العمل من غير ثواب

إن كانت زليخا قد رأت يوسف عليه السلام فى الرؤيا

فإننى قد رأيته فى اليقظة لا فى المنام

إن أردت المراد فاتخذ الصبر طريقا لك

لم يقم أحد بهذا العمل بالعجلة دون صبر

إن عبد الرحمن قد طلب قبلة من الحبيب

غير أنه لم يتلق منه الجواب حتى الآن

" ٢٩٧٥ "

---

(١) جواب: هذه الكلمة من إضافتى أنا المترجم بغرض إيضاح المعنى.

(٢) الحجاب: وهو عند الصوفية المانع بين العاشق والمعشوق، وانطباع الصور فى القلب الذى يمنع قبول تجلى الحقائق. راجع ص ١٧٨ هـ١ من هذا الكتاب.

' ٢٧٦ - جرح العشق ليس كالجرح '

إن جـراح العشـق ليسـت كـالجراح الأخـرى فـى شـئ
ليسـت بسـهلة يسـيرة فـى التحمـل كـالجراح الآخـرى
العشاق ومن يحبهم يفهمون "السر فى جروح" بعضهم البعض
هـذا السر ليس بواضح مكشوف لبقية الناس فى العـالم
إن نظرت إلى العشق فإنه ليـس بعشـق حقيقـة بـل هـو حـيرة
مـن الـذى ليـس فـى حـيرة مـن عمـل العشـق؟
فليخـبرنى أحـد مـن النـاس بـأن عاشـقا مـن العشـاق
لا يجرى نهر مـن الدمـوع علـى وجهـه بسـبب العشـق
إن دموعـا غزيـرة تتسـاقط وتجـرى علـى صـدر العاشـق
بحيث تجعلـك تقـول: بأنـه نهـر وليـس بصـدر العاشـق
إن الفـراق هـو الـذى جعـل المـوت صعبـا علـى العاشـق
وإن لم يصحبه الفـراق فإنـه ليـس بصعـب علـى العاشـق
إذا كـان الإنسـان يكـن الكراهيـة للغمـوم الأخـرى
فـإن غـم الحسـان لا يكرهـه أحـد مـن النـاس
إذا كـانت الحـرارة فـى نـار جهنم تتجاوز الحـد فى الشـدة
فإنهـا مـع ذلـك لا تعـادل الحـرارة فـى نـيران الفـراق
مـن يوصـف فـى بـاب العشـق بقلـة العقـل
فـإن قليـل العقـل هـذا فى قمـة العقـل وليس بـلا عقـل

عندما أنظر إلى العالم وهو خال من الحبيب
أقول أنا عبد الرحمن: بأنه خراب وليس بعامر

" ٢٩٨٥ "

' ٢٧٧- المعشوق والوفاء '

المعشوق الذى لا يتصف بالوفاء ليس بمعشوق
الروضة التى لا زهرة فيها ليست بروضة
الحبيب الذى لا يتصف بالإخلاص ليس بحبيب
والعمل الذى لا فائدة فيه ليس بعمل
إننى أفضل أناسا سكارى بمرارة الخمر
الشوكة التى تتصف برائحة الزهرة ليست بشوكة
التدين والحرص على الدنيا بعيد بعضهما عن بعض
ما رأيت أبدا متدينا وهو ثرى من الأثرياء
إذا كان عهدك فى الدنيا مزاولة العشق
فإن عهد بقية هذا العالم ليس بعهد
إن لم يكن تصديق الإنسان قويا محكما فى قلبه
فإن هذا الإقرار الظاهرى باللسان ليس بإقرار
كل قلب يتراكم عليه غبار غم حبيبه
فإن هذا الغبار سحابة الرحمة وليس بغبار
لم يقم أحد من الناس بشئ آخر غير العشق
لأنه على كل حال كنز إلا أنه غير ظاهر لكل الناس

إن المعشـوقة لا تفـى بوعدهـا مـع أحـد أبـدا
وإلا فمـن الـذى ليـس بشـار لهـذه البضاعـة؟
وصال الحبيب يتـم الحصول عليه بفضـل مـن الله
إن عملـى هـذا ليـس فـى اختيـار أحـد أبـدا
إن للمعشـوقات منـة على عبـد الرحمـن وفضـلا
ولا يحمل منة المعشوقات اللاتى لسن ذوات الحسن

"٢٩٩٦"

' ٢٧٨- المحبوب عديم الوفاء ليس بمحبوب '

المحبـوب عديـم الوفـاء بعهـده ليـس بمحبـوب فـى شـئ
العمـل الـذى لا يتصـف بالبقـاء ليـس بعمـل فـى شـئ
إن كـانت التضحيـة بـالرأس صعبـة علـىّ وعليـك
فـإن ذلـك أمـر سـهل فـى العشـق وليـس بصعـب
إن التفكـير بـالتخوف يوقـظ الإنسـان مـن نومـه
و قليـل التفكـير إذا كـان يقظـان فإنـه ليـس بيقظـان
إذا كان للعاشق شئ من العمـر فـإن عمـره عمـر الوصـال
وعمـر الهجـران والفـراق ليـس فـى عـداد العمـر
فى طرفـة العين يحـدث مـا يحـدث مـن التقديـم والتأخير
لذلـك فـإن الاعتـداد باعتبـار الزمـان ليـس بـاعتداد
إن أصبـح الإنسـان أبـا لعشـرين ابنـا مـاذا يفعـل بهـم؟
لأن الابـن الجـاهل لا ينفـع الوالـد فـى شـئ

إن العشيقات دائما يتدللن على العشاق بتفاخر
أما عبد الرحمن فإنه ليس بمتأذ بالدلال من حبيبه

"٣٠٠٣"

' ٢٧٩- العشاق ونار العشق '

هل أحرقت عشاقك بالنار أم لا؟
هل انشووا بنار عشقك أم لم ينشووا؟
كل صعوبات الهجران والفراق فى العشق
فهل علمتنى إياها كلها أم لا، يا ترى؟
يقال: النفس والمال أعز شئ فى الدنيا
ألم أخسر كلا منهما النفس والمال لأجلك؟
إن أقواس الحواجب وسهام الأهداب
ألم تطلقها أنت على نفسى أنا دائما؟
يا من يتمزق قلبى دائما من غمه
هل عطفت وثنيت غدائرك السوداء أم لا؟
تعال، وانظر أحوال العاشقين
هل ماتوا سحقا بسيف عشك أم لا؟
إن الناصحين عندما ينصحوننى
ألم يعشقوا هم أيضا فى وقت من الأوقات؟
ذوو الجمال والحسن وإن كانوا كالملائكة
أليسوا عطاشا إلى خلع القلوب؟

إن البلابل تنادى قائلة يا عبد الرحمن
هل أزهار الربيع تفتحت ناضرة أم لا؟

"٣٠١٢"

' ٢٨٠- الأحياء أموات '

هؤلاء الذين يبدون أحياء هم جميعا فى الحقيقة أموات
وإن كانوا شيئا، فقل إنهم ليسوا بشئ أصلا
إما أنهم تراب أسود فى مهب الرياح
وإما أنهم جميعا نبات يابس أمام النار
عندما أتذكر فى قلبى أيام عمرى ولياليه
يبدو لى بأنها تجرى كما تجرى المياه الجارية
ماذا يفعل من كان غافلا بما يراه أو يسمعه؟
لأن ذلك رؤياه وحلمه وليس برؤيته واستماعه
من لم يكن عليما بمعرفة ولا يدرى ذلك
فإن كل هؤلاء نيام وإن كانوا فى يقظة صاحين
يعلم الله حالة قلب عبد الرحمن وأخباره
وما الذى يوجد فيه من غم الحبيب وهمه؟

"٣٠١٨"

' ٢٨١- عبدك ملك الملوك '

إن المستجدى عند بابك فى الصورة الظاهرية

هو فى الحقيقة حاكم الكل ومختار الجميع

إن مجنون ليلى أصبح رونقا للحديقة كالصفصاف

حيث إنه من غمك وهمك رأسه على ظهر القدم

إن الباكى من غمك الشديد كالجرس

مرشد وهاد لجميع المضلين والتائهين

من أعطى قلبه ومنحه لعينيك السوداوين

فإن مقامه ومكانه تحت محراب حواجبك

من يصبح مسكن قلبه دن الخناء غدائرك

فإن جلوس هؤلاء الناس فى ظل طائر الهما[١]

من يشاهدك ويراك ثم يوجه نصحه إلى

فلا تشك فى أنه عنيد مستبد برأيه

إذا كان ذوو الذهب أصحاب ذوى الذهب

فإن الله هو الرفيق الحفيظ لأصدقاء عبد الرحمن

" ٣٠٢٥ "

(١) الهما: طائر خرافى، يقال إذا وقع ظله على أحد صار ملكا. راجع ص ٢٨٣ هـ١ من هذا الكتاب.

' ٢٨٢- الميت مرشد الحى '

إذا كـــان هـــدف الإنســـان هـــو الله وحـــده

فـــإن كـــل ميـــت مرشـــد الأحيـــاء إلى ذلـــك

إن المســافر حــين ينــادى الآخريــن أثنــاء الرحيــل

فـإن كـل نـداء مـن ذلـك جـرس بالنسـبة للنعسـان

لـــو نظـــر الإنســـان إلى الحقيقـــة وأدركهـــا

فـــإن الأحيـــاء يجلســـون فـــى أمـــاكن الأمـــوات

إنــه حــظ بــأن جعــل إنســانا أبيــض وآخــر أســود

وإلا فإن الغراب كالهما فى كون كـل منهما مـن الطيـور

فكمـا أنـه لا فـرق بـين كـل مـن طـائر الهمـا والغـراب

فإن ذلك هو نفسه دليل عدم التمييز بين الملك والفقير

لا تنظـر إلى عمـل مـن يقـوم بـالعمل مـن العـاملين

لان العمـــل كلــــه موقـــوف علـــى آمـــر العمـــل

إن الســالكين[1] حــين يتفرجــون علــى مشــاهد العــالم

فـإن هدفهـم مـن ذلـك مشـاهدة مـن أنـار العـالم وزينـه

مـن يتنـازل عـــن مقدرتـــه وقوتـــه ويتركهـــا بعيـــدا

فـــإن الله هـــو نفســـه متكـــأ للضعفـــاء ونـــاصر لهـــم

---

(١) السالك: سـالك طريـق التصـوف، أو الصوفـى الناشـئ. راجـع ص ١٤٦ هــ١ مـن هـذا الكتاب.

لا يوجد فى ذلك العالم عمل طيب أو سىء

كل مطلب للطالبين[1] يكمن فى هذا السراى

لست أنا عبد الرحمن الوحيد فى هذا العمل

لأن كل حبيب يصرخ دائما وراء الحبيب

"٣٠٣٥"

' ٢٨٣- العاشق فى نظر الناس '

إن العاشق وإن كان آدميا فى نظر الناس

غير أن هذا العاشق الضعيف كالكلب فى حارة المعشوق

كل من عد نفسه وأدخلها فى زمرة كلاب الحبيب

عند ذلك سأقول له: إنه حقا إنسان شجاع من الشجعان

ما جعلنى الله فارغ البال من غم الحبيب

لأن هذا يعد خرابا ودمارا فى مملكة العشق

إننى راض بوجهى الأصفر من غم الحبيب

فخريفى هذا ليس بخريف، بل إنه ربيع

إن الحياة فى نظرى هى وصال الحبيب

وإلا فإن كل فرد من أهل النار يعد أيضا حيا من الأحياء

إنك حين تقوم بمنعى عن باب الحبيب

فهل يوجد باب آخر أكثر فوزا وعلوا من هذا الباب؟

---

(١) الطالب: هو العاشق الإلهى. راجع ص ٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

إن حب الحبيب هو الذى جعلني مفتون الحبيب
وإن ظن أحد بأن ذلك هو أنا، فلست أنا، إنه هو
الشئ الذى جر المجنون البدوى وجذبه إلى المدينة
كان ذلك الشئ هو حبل ضفائر ليلى الذى جذبه هكذا
إن كان أصحاب الذهب يشربون الماء بكأس الذهب
فإن إنائى من الفخار أحب إلىّ من كأس الذهب
إذا كان أورنك زيب يتفاخر بعرش دهلى
فإن بيت كل فقير ومنزله دهلى فى نظره
حين يخرج الإنسان من بيته يصبح غريبا
من يعرفه إذا كان حرا أصيلا أو عبدا مملوكا؟
حين يختلط ترابه بالتراب ويمتزجان معا
فمن يعرفه إنه كان حفيد أى جد من الأجداد؟
الليل المظلم نهار منير بالنسبة للعارفين
والنهار المنير ظلام أسود لغير العارفين
ليست عيون وأنوف وأذن قليلى المعرفة
فى الحقيقة إلا كجدار مثقوب من الجدران
إن العشق قد أنقذ العشاق من غم الدنيا
لأن العشق كالفص فى خاتم الملك سليمان عليه السلام
من كان يحمل فى قلبه حب العشق
فإنه شاب وإن كان بالقطع صاحب مائة ربيع

هــل هــذا هــلال يــرى ويشــاهد فــى الشــفق
أم أن ســوارا لامعــا يحيــط بعضــد لطيفــة البــدن؟
كيــف يمكــن لغير الحبيــب أن يحصــل علــى حظــه منــه
إذا كــان ميلــه وهجومــه دائمــا علــى الحبيــب ؟
أفهــم بأنــه يقــوم بتســمينى ليقدمنــى للأضحيــة
لعــل هــذا هــو الســر فــى عطــف قلبــه علــىّ
الــذى يدعــى ويذكــر بالاســم ولا يــرى ولا يشــاهد
يبــدو أنــه إمــا حوريــة، وإمــا مــلاك
إن النــاس يســقطون ســقوط خطــه فــى قليــب ذقنــه
لأن قليــب ذقنــه يشــبه البــئر تحــت الخضــرة
أنــا عبــد الرحمــن راض عــن الحبيــب وإن جفــا
إن لم يجــف فإنــه يــوف، مــا هــذا التجــاوز والاعتــداء!

" ٣٠٥٧ "

' ٢٨٤- أنهار من الدموع '

إن أنهارا من دموع غمك قد تكونــت فى وجهى
فاسأل عن حالى قليلا لتعرف ما سبب ذلــك
إننــى مجنــون مــن أجلــك ولســت بقــارون
حتى يكون هدفى قطعــان البقــر، أو الســرقات
إن الســحر الــذى أسرتنى فيــه أيهــا المحبــوب
متى كــانت ليلــى قــد ســحرت المجنــون بمثلــه؟

إننى جعلت المصليات مئزرا لى تهيئا للبحث عنك
فأى درويش لم يجعل المصليات مئزرا له مثلى؟
إن رائحة من وفائك لم تهب ناحيتى
إننى أقوم بتسلية نفسى بنفسى
إن النصيحة لا تؤثر فى قلب الشاعر أبدا
وإلا فإننى أحفظ كثيرا من المواعظ
لو استشهد عبد الرحمن بسيف العشق
فإن حوريات الجنة كلهن ههنا حاضرات

"٣٠٦٤"

'٢٨٥- خيبة الأمل'

من علق آماله وأمانيه وربطها بالدنيا
فإن على رأس كل هؤلاء الناس تراب ورماد
إن كان عديمو العقل يتفاخرون بأمور الدنيا
فإن كل ذلك فى نظر العاقل مزاح وسخرية
إن الناس الذين يحبون غير الله
فإن ذكورهم حمير ونساءهم أتن
لا تخاطب ولا تقل للمسن مسنا معمرا
لأن الجميع أطفال صغار فى المهد
قل: هل على رؤوسهم ضفائر من شعر النساء؟
أم أنهم قد وضعوا فى العمامة عرف الديك؟

لا يمكن الحصول منهم على فيض أو فائدة
إنهم جميعا بلا فيض وبلا فائدة
لا تقم بتكنيز المال فى الدنيا يا عبد الرحمن
لأن كل ذلك كنوز وذخائر من التراب

"٣٠٧١"

' ٢٨٦- الجواهر والخرز '

فى كل مكان يتم فيه الثناء عليك أيتها الجميلة
فإن الخرز يتحول فيه إلى الدر واللؤلؤ
كل من كان عيناه فى انتظار زهرة وجهك
فإن دموع تلك العينين تكون وردية اللون[1]
متى يمكنه أن يسمع أحاديث الناصحين فى النصح
كل من يسمع كلامك وحديثك العذب الجميل؟
إنه يجعل العاشق غير راض عن كل الناس
ما أصبحت المعشوقات غير راضية عن أحد
فى ساعة واحدة يقوم بقتل الإنسان وإحيائه
إن طوائف الحسينات الصبيحات الوجوه ذات سحر
إننى أعتبر نفسى من غيرك غريقا فى دمائى
ولو أغرقنى أحد من الناس فى الشهد والسكر

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

قد قربت إلى كل غم من غمومك البعيدة
حين قمت برفع الحجاب عن وجهك لأجلى
عندما ذكرت على لسانى اسم ضفائرك السوداء
فبدأت جيوش البلاء السوداء تسير فى أعقابى
لا يطيع أبدا ولا يعترف بالحق لأصحاب الحق
وهو ينكر دائما تحمل ما يطلبه قلبى
إن حبى وحبك واضح ظاهر فى العالم
فلماذا تقوم بإخفاء مثل هذه الشهادة الواضحة؟
إننى حين أذرف الدموع من غمك مستغيثا
يستمر فى منزل الرقيب ضرب الدف والغناء
من لم يأكل فواكه كابل و لم يتمتع بطعمها
فإن الزبيب فى نظره يساوى عنده فاكهة الجرجر[1]
إن العيون العمياء لا تحتاج إلى الكحل
كيف يمكنك أن تتغنى بالعروس السيئة الشكل

---

(١) الجرجر: معرب كركره أو كوركوره، وهى نوع من الشجر تنبت طبيعيا فى الجبال، ذات شوك حاد، تثمر فاكهة تسمى الجرجر أيضا تشبه الكرز (القراصيا) ولكنها أصغر منه حجما وأشد سوادا، وطعمها حلو، قليلة اللحم كبيرة النواة. من الفواكه الجبلية الطبيعية الصيفية.

لا خوف من أن أسير وأحول في الجبال والسهول
لأن الأسود تجول دائما في الأعالي والمنخفضات
لماذا لا يكون شعر عبد الرحمن نادرا
حيث يقوم بالثناء على نادرة الزمان مثلك؟

" ٣٠٨٦ "

' ٢٨٧- العشق ثقب حلقي '

إن العشق قد ثقب حلقي
فلا يعبر حلقي شئ بدون الحبيب
كيف يكون للعقل أثر في رأس
من جلس فوق رأسه ملاك ؟
يجذب قلبي بقبضات الأهداب
فقد جعل الله عيون العشيقات الجريئة أسدة
لن يكون زاده غير الغم والهم
كل من يخدم الحسينات كعبد أحمر
زودوني أنا أيضا بقليل من دروس الصبر
إن كان أحد يملك هذه الطاقة في العشق
إلهي، بأي ذنب سلمتني إلى يد حامي القلعة؟
الذي يعزف بي كالناي ليلا ونهارا
صعدت حمى خفيفة وسرت في جسمي
عندما قمت بتكحيل كلتا عينيك تكحيلا رقيقا

أين وفى أية جهة أبحث عن أدلاء الوصال؟
حيث أصبحت مسجونا فى محكمة الهجران
إنك حين ارتديت ملابس الخيال الخفيفة
فهل يمكن أن يختفى نور الشمع بالفانوس؟
العشيقات اللاتى جعلت قلب عبد الرحمن رقيقا
ظهورهن لطيفة ناعمة، ورقيقة كالشعر

"٣٠٩٦"

' ٢٨٨- المحبوبة والحور '

لو لم يكن الحياء منك أيتها المحبوبة
لما كان وجه الحورية والملاك مستورا
حين أصبحت الشمس فى خجل من جمال وجهك
فإن القمر يعيش ليلا خوفا من ذلك
كل الجمال ليس بشئ بالنسبة لجمالك
كيف يمكن أن يتساوى المعدوم مع الموجود؟
هل توجد من غير عينيك السوداوين الساحرتين
أية ظبية من ظباء الصحراء ساحرة العيون مثلك؟
إن ضربة سيف عشقك قاطعة صارمة
بحيث تصبح الرؤوس أمامها كالحباب

من الذى يعلم كيف يستولى على القلب وحبه

كما تستولين أنت على سويداء القلب وحبه؟[1]

إن الجمال كله موقوف على عشق العاشق

سواء كانت المعشوقة ملاكا أو راقصة

إن غم الحبيب وهمه كله فرح وسعادة للعاشق

لا وجود للحزن ولا لألم الغم فى بلد الرضا وموطنه

تخرج وترتفع صرخات الأنين من الألم عادة

وإلا فما شأن عبد الرحمن مع صرخات الشاعرية

"٣١٠٥"

'٢٨٩- تساقط الدموع مدرارا '

فى ذكرى عيونك السوداء تتساقط دموعى مدرارا

من الحق أن تتساقط نجوم العمر من آلام الليل المظلم

إنك جعلت غدائرك ظلا، ووجهك أشعل النار فى العالم

فحين أشاهد أى إنسان أرى نصفه فى النور ونصفه فى الظل

لأجل وصالك يحظى البعض بالسكر والبعض يشرب دم الكبد

تمكن البعض من الرؤية، وابيض سواد عين البعض

إنها لنار وجهك لقد أشعلتها أنا بدموعى

تحترق المرآة بالنار دائما عندما تنظر إلى الشمس

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

بتخيـــل ذكـــراك هبطـــت عينّـــى إلى داخـــل قلبـــى
ماذا سيحدث لـو ذهـب هيكلى بدونهما إلى جهـة أخرى؟
إنـك أيهـا المحبـوب تنظـر إلى الرقبـاء حينـا وإلىّ حينـا
يتساقط مطر محبتك على الطيـب والسئ علـى السـواء
لا تخـدع نفسـك بـالعيون السـكرانة يـا عبـد الرحمـن
إن هـؤلاء السـكارى أذكيـاء عقـلاء يتحركـون بحكمـة

"٣١١٢"

٢٩٠- أين المشاركة فى الغم

متـى تكـون المشـاركة فـى الغـم هكـذا يـا شـريكة غمـى
حيـث جعلتنـــى أجلـس ههنـا وأنـت هنـاك؟
إن الإلـه الـذى جعـل وجهـك شـعلة مشـتعلة
هو الذى وضع هذه الشعلة المشتعلة فى صنـدوق صـدرى
وهـو الـذى جعـل عينـى السـوداوين محمرتـين أيضـا
حـين جعـل يديـك محمرتـين وعينيـك سـوداوين
إن السـارق يسـرق المتـاع والمـال فـى ليلـة ظلمـاء
أنـت تقومـين بسـلب متـاعى ومـالى ونهبهمـا نهـارا
مـا قـام أحـد بشـراء الإنسـان الحـر ولا ببيعـه
أنـت تشـترين وتبيعـين الإنسـان الحـر برؤيـة اللقـاء
مـن أى لـون ونـوع هـذه الصداقـة والمحبـة
بحيـث إننـى أثنـى علـى وجهـك وأنـت تؤذيننـى؟

إن الله قـــد ابتـــلا درخانيـــة[1] بمائـــة غـــم
فلمـاذا سـأقوم بالشـكوى منـك إن نظـرت إلى ذلـك؟
إننـى أبكـى وأشـتكى إليـك مـن جـورك وظلمـك
وأنـت تـأخذين بذكـر مائـة شـكوى أخـرى غريبـة
ستقومين بالتحسين علـى عشـق عبـد الرحمـن وحبـه
إن واجهت بوجهك أمام المرآة، وشاهدت فيها جمالك

" ٣١٢١ "

' ٢٩١- الفضة والذهب '

إنك فى كل لحظة تحاول الحصول على الفضة والذهب
إننى أراك فى كـل لحظـة تضحى بحياتك لأجلهمـا
إن كنـت تقـوم بتنـاول الثمـر فـوق كـل غصـن
فـإن الشـوكة ستخرم صـدرك مـن الأمـام إلى الـوراء
يبـدو أنـك لسـت مهتمـا بغـم نفسـك وهمومهـا
لأجـل ذلـك تهتـم بغـم أخيـك وهـم ابنـك
قـل لى أيـة طاعـة وعبـادة تقـوم بهـا فـى مقـابل
هـذه النعمـة التـى تتناولهـا كـل صبـاح ومسـاء؟
إن الصـائم يفطر فـى نهاية الجـزء الرابـع مـن النهـار
وأنت تأكل أربع مرات فى أول كـل جزء مـن النهـار

(١) درخانية: معرب " درخانى " ولمعرفة قصتها راجع ص ٤٩٦ هـ١ من هذا الكتاب

إنـك لـو بلغـت الكمـال وأصبحـت كـاملا مـرة
فستقوم بـأكل لحمـك كمـا يـأكل القمـر نفسـه
السكر كالسـم القـاتل بالنسبة لعديمـى الفضـل والفـن
واعتـبر السـم القـاتل سـكرا مـن يتناولـه بفـن وفضـل
لـو أصبحـت مـرآة النـاموس والشـرف بجـانبك
فستأكل كبدك بسبب سوء سلوك كل واحد من الناس
ازرع نخلـة الصـبر فـى قلبـك يـا عبـد الرحمـن
حتـى تـأكل الثمـر دائمـا كـالمتمعين بالأثمـار

"٣١٣٠"

'٢٩٢- انصباب الدموع من الألم '[١]

تتسـاقط الدمـوع مـن عينـى وتنصـب مـن ألم الغـم
حـين ينظـر حبيبـى إلى الأغيـار لإثـارة غيظـى
سـأقدم رأسـى ومـالى فـداء لمجـىء القـاصد
الـذى يـأتينى بأخبـار مـن جهـة الحبيـب

(١) ديوان عبد الرحمن ٢١٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، وكذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

قدم نفسك قربانا لبيزوانها[1] الأحمر أيها القلندر[2]

وهي تتحرك دائما كالفيل السكران المقيد بالزنجير

عندما قدمت تأخرت كل الحسان إلى الوراء

لأنه عندما تشرق الشمس يذهب النور وتختفي النجوم

إن خال[3] جبينك الأخضر يزين وجهك المنور

كالحورية[4] تحت ظل شجرة الطوبى[5] في الجنة[6]

أصبحت ساعة الراحة والاطمئنان محرمة على عبد الرحمن

فإنه يتحرك كالصفصاف المجنون[7] بلا هواء ولا ريح

"٣١٣٦"

'٢٩٣- الجور الأبدى'

هل ستقوم بالجور والجفاء إلى الأبد

أم أنك ستقوم فى وقت ما بالحب والوفاء أيضا؟

---

(١) البيزوان: نوع من الحلية لتزيين الأنف. راجع ص ٤٢٢ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) القلندر: الدرويش الأعزب غير مقيد بأمور الدنيا. راجع ص ٣٣٧ هـ١ من هذا الكتاب.

(٣) خال: هو الشامة. راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٤) الحورية: فتاة أسطورية تتراءى فى البحار والأنهار والغابات. وتأتى بمعنى الحسناء.

(٥) شجرة الطوبى: لمعرفة شجرة الطوبى راجع ص ٣٨٥ هـ١ من هذا الكتاب.

(٦) فى الجنة: من إضافتى أنا المترجم بغرض إيضاح المعنى.

(٧) الصفصاف المجنون: نوع من أشجار الصفصاف. راجع ص ٢٥٢ هـ٣ من الكتاب.

إن العشيقات يقمن حينا بالجفاء وحينا بالوفاء

فينبغي لك أن تقوم حينا بهذا وحينا بذاك

إنني قد وصفت خلقك لكل واحد من الناس

فلا ينبغي أن تجعلني كاذبا أمام كل الناس

أليست يدك قادرة عليّ أيها الحبيب

حتى تقوم بمجازاتي على أيدي الرقباء؟

إنني أموت حسرة لأنك تسير وفقا لرضا الرقيب

لا، لأنك تنفذ رضاك أنت وفقا لإرادتك

إذا كانت هذه دموعي، وهذا خلقك وسلوكك

فإنك ستجعل سري هذا الخفي مفتضحا في العالم كله

لم يكن أحد أبدا قد رأى وشاهد في عمره كله

تلك الأعمال التي تقوم بها أنت كل ساعة ضدي

تتركني مريضا عليلا فوق السرير لأتعذب

وأنت تذهب مع الرقيب ضاحكا مبتسما

تتعانق مع الرقيب وتتضاحك معه

وعندما تراني تجعل ظهرك إليّ قصدا وعمدا

كل ليلة في الماضي كنت تعدني بمنح قبلة غدا

فمتى ستصبح تلك الليلة على عبد الرحمن غدا ؟

"٣١٤٦"

' ٢٩٤- الشيخوخة وهوس الخمر '

إنك حين ترغب بهوس فى الخمر الخالصة فى عمر الشيخوخة
فإن ظنك على أن الصبح قمر ظن باطل من الأساس
إنك تطلب من الله تعالى العناية بدون الطاعة
وترجو منه تعالى الثواب بدلا من العقاب والعذاب
ترتكب الذنب وأنت عالم به، ثم تقوم بالتوبة
تنام مثل الصنم الأصم وعيناك الكبيرتان مفتوحتان
بالأذن التى تسمع بها ذكر الله وعبادته لطاعته
بعد ذلك تسمع بتلك الأذن نفسها نغمات الرباب
بالشفائف التى تحركها بالحمد والثناء على الله
تلك الشفائف نفسها تغرقها فى الخمر غرقا أيضا
تقوم بتحصيل العلم ولا تعمل به ولا تطبقه عمليا أبدا
وتلعب بالكتاب كالطفل الذى يتخذه لعبة له
تقضى الليالى فى الخمارة مع الذين يعبدون النار
وفى النهار تتجه بوجهك وتستقبل المحراب للصلاة
تبحث عن متاع الدنيا وملذاتها فى العمر كله
ثم تعد نفسك وتحسب بأنك من الطلاب الراغبين فى الله
لا تستحى من الله تعالى ولا تخجل منه أبدا
وتتخذ ركنا من الأركان للتستر والحجاب من عبد الرحمن

"٣١٥٥"

' ٢٩٥- البحث عن العيوب '

إنـك حـين تنظـر إلى عيـوب الآخريـن وتبحـث عنهـا دائمـا
فما هو السر فى أن جعلك الله بلا علم ولا خبر عن عيوب نفسك؟
إن رأيـت فـى الغـير عيبـا فـى حجـم حبـة شـعيرة واحـدة
لجعلته جبلا عظيمـا ضخما وهـو لا يزيـد عـن حجـم حبـة الشعير
إذا كـان ذنبـك أنـت كبـيرا ضخمـا مثـل الجبـل
لجعلـت الجبـل الضخـم بحيلـة أو أخـرى صغـيرا كجنـاح الذبابـة
لـو أعطـاك أحـد مـيزان الإنصـاف ووضعـه فـى يـدك
لعـادلت بـين جـوادك الهجـين وبـين جـواد غـيرك الأصيـل
ولتكـن لعنـة الله علـى مثـل هـذا الإنصـاف
الـذى يتجـاوز فيـه المنصـف مـن الحـق إلى البـاطل
إن الله تعـالى قـد منحـك وكرمـك بمقـام الملائكـة
إنـك أنـت نفسـك تجعـل مـن صورتـك صـورة ثـور أو حمـار
ليـس فـى مقـدورك أن تشـكره علـى نعمـه الكثـيرة
وعندمـا تحـل عليـك مشـقة أو تعـب تثـور وتتضجـر
إذا كـان الله يفعـل مـا ترضـاه، فيجـب عليـك أيضـا
أن تقـوم بإعطـاء إرادتـك بكـل رضـاك لله تعـالى
إن الله تعـالى يفعـل أمـرا بإرادتـه لرضـاك فـلا يجـب
أن تجعـل أنـت مـن نفسـك مقصـرا فـى أمـر رضـاه

لـــو تعوجـــت شـــعرة واحـــدة علـــى بدنـــك مـــن الألم
فـإنك تجعـل نفسـك غـير راضيـة مـن الله فـى تلـك السـاعة
لـــو تصدقـــت برغيـــف واحـــد مـــن الخبز فـــى ســـبيل الله
فتجعـل ذلـك واضحـا ظـاهرا فـى العـالم كلـه كالشـمس
مثـــل مـــن ينهـــب إلى مكـــة المكرمـــة ويرجـــع ثانيـــة
لأجـل متـاع الدنيـا تقـوم بمثـل هـذه الرحلـة الطويلـة
لـــو وقـــع فـــى يـــدك مقـــدار قليـــل جـــدا مـــن الذهـــب
فإنك تبيـع وتعطـى فـى مقـابل ذلـك خـروارا[1] مـن العبـادة
قـــد أمضيـــت عمـــرك فـــى مرحلـــة الشـــباب فـــى غفلـــة
فـأى تدبـير خـاص بيـوم الحشـر سـتقوم بـه فـى الشـيخوخة؟
لقـد قمـت بتلويـن ثيـابك لأجـل الحصـول علـى متـاع الدنيـا
وتجعـــل نفســـك أمـــام النـــاس بـــأنك درويـــش زاهـــد
كمـــا أن دور المـــرأة الجميلـــة يمضـــى وينتهـــى بالكـــبر
فإنهـا تتـوب الآن بحكـم الضـرورة وشـعر رأسـها أبيـض
ليـس فـى الإمكـان أن تتـم أعمـال الشـباب فـى الشـيخوخة
كيـــف يمكنـــك أن تحتفـــل بـــالعيد يـــوم العاشـــوراء[2] ؟

(١) خروار: الخروار هنا بمعنى الكثير. راجع ص ٥٠٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

(٢) يوم العاشوراء: هو اليوم العاشر من شهر المحرم، ويسمى العاشور أيضا، وهو يوم يحتفل بـه أهل التشيع.

كمـا أن الـدود يقـوم بـأكل جـذور الشـجرة القديمـة
فكيف تطمع فى هذا العمـر المنتهـى فـى أغصانهـا وأثمارهـا؟
لـن تنجـو حديقتـك هـذه مـن الخريـف وآثـاره
ولـو سـورتها وأحطتهـا بسـد الإسـكندر المحكـم
لا يقـوم أحـد بتقديـم النصيحـة النافعـة إلى الحقـود
إن عبـد الرحمـن نصحـك لأنـه شـريك غمـك إن تصدقـه

"٣١٧٥"

' ٢٩٦- إلهى لا تجعله فاقدا للأمل '

إلهـى، لا تجعلـه فـى يـأس وفـاقدا للأمـل
ذلـك الشـخص الـذى وضـع أملـه فـى كرمـك
لماذا أكون فى يأس وفـاقدا للأمـل فـى رحمتـك؟
حيـث إنـك قـد أسميـت ذاتـك الكريمـة بـالرحيم
اللهـم يـا مـالك الملـك! تقبـل بفضلـك دعـائى
لقـد توسـلت إليـك يـا إلهـى بـاسمك العظيـم
لا تنقذه، من الأفضل أن يكـون مسجونا حتـى يمـوت
إذا كـان فـى رقبتـه حبـل مـن حبـال محبتـك
سـيعيش مريضـا عليـلا وأشـعث مغـبرا
مـن تغرسـت فـى صـدره نـواة الحـب ونبتـت فيـه

باستثناء[1] من كـان مـلاح الطـافك ويعمـل بـإخلاص
وإلا فإنـه لا يمكـن أن ينجـو غريـق بحـــر العشــق
إلهى! هذا إنسان ضعيف ناقص يغير على اسمه وناموسه
وأنـت يـا إلهـى إلـه لا ينقصـك شـئ بذلـك
لا يشـاهد عبـد مـن عبيـدك وهـو فـى عبوديتـك
وأنــت لم تعطيـه و لم تمنحـه رسـالة الحريـة
إن كـل هـذا نحـس المنحوسـين وشـآمة المتشـائمين
وإلا فـإنك بـرىء مـن أن تتعـب بتدبير أمـور النـاس
إذا كـان أحـد يهـب فـى قلبـه هـوى الغـير
فـإن هـذا الشـخص لـن يبلـغ ولـن ينـال هدفـه أبـدا
كـل مـن وضـع قدمـه علـى طريقـك صادقـا مخلصـا
لو خسر فإن عبد الرحمن مسئول ومديـون لـه بذلـك

"٣١٨٦"

' ٢٩٧- المحبوب والقلب المنهوك '

مـن يـد الحبيـب أجلـس متعـب القلـب منهوكـا
لا أريد قبول أى فرد من الأفراد وإن كـان ثمنه فلوسـا
مـن انقطـع أملـه عـن الحيـاة فـى حياتـه ويئـس
فمـن أى شـئ يخـاف مقطـوع الـرأس بعـد ذلـك؟

---

(١) باستثناء: من إضافة المترجم لتوضيح المعنى والربط بين شطرى البيت.

إذا كـــانت حيـــاة العشـــاق والمحبـــين بالوصــــال
فـإنني أنـا مهجـور، وبنـاء علـى هـــذه الروايـة ميــت
إن الفـــراق قـــد جعـــل حيـــاتي الحلـــوة العذبـــة مـــرة
بحيــث لا أســتطيع أن أتنفـــس مـــن مـــرارة الغـــم
هـــذا البـــدن مثـــل العشـــب اليـــابس والمحبـــة كالنـــار
مـــاذا يستطيع أن يفعلـه العشـــب فـــى مقـــابل النـــار؟
سيقوم بحمـل الأثقـــال والأحمـــال كـــالجمل مضطـــرا
مـــن صـــار حبـــل العشـــق پيزوانـــا[1] فـــى أنفـــه
أيهـا الأحبـاب، اســألوا عـــن أحوالـــه رويـــدا رويـــدا
إن الفـــراق قـــد جعـــل عبـــد الرحمـــن مضطربـا محتـــارا

"٣١٩٣"

٢٩٨- هذه اللامبالاة إلى متى[2]

إلى متـــى ســـتعيش هكـــذا متحـــررا فـــى هـــذا العـــالم
وإلى متـــى ســـتتحدث عـــن لـــوازم الحيـــاة ومتـــاع الدنيـــا؟

---

(١) پيزوان: حلية من حلي تزين أنوف الأفغانيات. راجع ص ٤٢٢ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) ديوان عبد الرحمن ٢٢١ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية الپشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية الپشتو، پشاور ١٩٨٧م، وكذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦ هـ.

لـــن تعيـــش إلى الأبــــد فـــى مثـــل هـــذا الربيـــع
بحيـث ســتقوم بالنزهــة فــى الحديقــة وروضــة الأزهــار
إن كـل بحث وسـعى يتـم لأجـل متـاع الدنيـا أو خسـارتها
درر نفيســـة ثمينـــة تبدلهـــا أنـــت بـــالخرز[1]
اهتمـــامك بـــأمور أهلـــك وعيـــالك حماقـــة
حيــث تقــوم بالســير لتدبــير غــيرك وتضــر نفســك
إنــك ســتضيع وســط النفــاق، وســتكون شــجاعا
إن قمــت بجمــع أصدقــائك حولــك قبــل العــدو
مــن يضــع قدميــه فــى ســفينتين اثنتــين يغــرق
تقــوم بربــط قلبــك بهــذا وبــذاك بــلا فــائدة
لا تتحسـر علـى العمـر الـذى قـد مضـى يـا عبـد الرحمـن
حتى لا تكون أن تتحسر على هذه الساعة فى وقت من الأوقات

" ٣٢٠٠ "

' ٢٩٩- إلهى اجعل قلب الرقيب رفيقا بالإحسان '

إلهــى اجعــل قلــب الرقيــب المتنــافس رقيقــا بالإحســان
اجعلنـى أنـا مسـاويا للحبيـب، واجعـل الحبيـب مسـاويا لى
إلهـى ذلـك الألم الـذى أصـابنى بسـبب فـراق الحبيـب
أدفعـه وارفعـه عنـى بـدواء وصـال الحبيـب

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إنك أنت تقوم بمنعي عن الذهاب إلى ناحية الحبيب
فيا ليتني لو منعت ريح السحر من أن يهب على الحديقة
غم الهجر والفراق الذى تحمله أشد من تحمل النار
اجعلني يا إلهي من هذا الغم وهمه في أمن وأمان
إن التعامل مع العشق والاشتغال به صعب جدا
مشكلتي هذه سهلها ويسرها على يا إلهي
إلهي بكرمك ارفع الحجاب الذى يحول بيني وبين حبيبي
وأرني بفضلك لأرى وجه الحبيب بلا حجاب
إذا كان للآخرين مطلب آخر من المراتب والأهداف
فاجعلني أنا الفقير يا إلهي ملازما لعتبة حبيبي
إذا كان أهل بقية العالم ينظرون إلى ناحية أخرى
فاجعلني يا إلهي ناظرا إلى جاذبي القلوب
أيها الرقيب! ليس في مقدورك أن تمنعني عن حبيبي
كما أنه ليس في مقدورك إنزال نجوم السماء على الأرض
إنني حين أذهب إلى الحبيب على تلك الطريق
فاجعل يا إلهي السيد خضر والسيد إلياس مرشدين لى
خذ وارفع عني يا إلهي ظلام المعاصي والذنوب
وأنر قلبي يا إلهي بنور الطاعة وضياء العبادة
من يفرح قلبه ويسعد باضطراب فكرى وتشتته
فاجعل قلبه مضطربا متشتتا مثلى وراء الحبيب

عندمـــا يـــأتي إلى مــــرج ريـــاحيني يتجاســـر
فـاجعل عمـره يـا إلهـي قصـيرا كعمـر النـدى علـى الريـاحين
إن السـيف الـذى يقطـع رقبـة المنكـر بطلاقـة وحريـة
اجعـل يـا إلهـى سـيف لسـاني حـادا مثلـه بـدوران الفلـك
إن لغمـزات عيـون المعشـوقات نبـال وسـهام
فاجعل يا إلهى كل كلامى (شعرى) حربة لتلـك النبـال والسـهام
إلهـى شـعرى الـذى يجعـل بـلاد الأفغـان معطـرة
اجعـل شـطر كـل بيـت منـه ضفـيرة مـن ضفـائر الحسـان
لأجل أن يصبح كل حرف من حروفى معطـرا مثـل نافـة المسـك
بـارك يـا إلهـى فـى أدوات كتـابتى ومقلمتـى
إلهـى احترامـا وتكريمـا لحبيبـك المصطفـى
اجعـل هـذا الإنشـاء البسيط لعبـد الرحمـن نـاضرا كالريـاض

" ٣٢١٨ "

' ٣٠٠- إلى متى هذا الظن؟ '

إننى قد لونت هذه الثياب البيضـاء فـى سـبيل عشـقك
وأنت مع هذا تظن بأننى أحافظ على سمعتى وكرامتـى
لم يقـع أى أثـر علـى خـاطرك الحجـرى
مهمـا اتخـذت المصليـات معـزرا للبحـث عنـك
بأى قدر يكون حنـانك وشـفقتك على أنـاس آخريـن
إن كنـت تحـارب ضـد مثلـى أنـا المخلـص؟

احسبنى فى العشق كاذبا غير صادق فى الوقت الذى
إن تمكنت فيه من أن تجعل شخصا آخر درويشا مثلى
إن هذه النعرات والصرخات غمازة همازة فى العشق
وإلا فكان ينبغى أن أقوم بالتغريد مثل البلبل
إن العشق طريق واضح للوصول إلى المعشوقة
أنت تجعل هذا الطريق الواضح كالصخرة أمامى
حين تغيب وتختفى عن نظرى لحظة واحدة
فتجعل هذا العالم الواسع ضيقا علىّ كاللحد
بالخلق الطيب كنت كقصة خيالية عند الناس
من سوء حظى وقلته جعل الله قلبك كالحجر الصلد
من الذى يجلس بجوارك لست أفهم
حيث تتحدث مع عبد الرحمن من طرف العين؟

"٣٢٢٧"

'٣٠١- عذوبة العشق'

لو ذقت وبلعت سكر العشق ومر بحلقك
ستبصق الملذات والطعوم الأخرى من فمك كما تبصق السم

لـو تم اللقـاء بينـك وبـين أصحـاب القامـات كالسـرو
سـتقوم بالصرخـات كصرخـات طـائر الفاختـه[1]
إن العشـق سـيعطيك سـيف العشـق فـى يـدك
فسـتندفع بعـده نحـو ملـك الصـبر والسـكوت دفعـا
فسـتصبح فـى العـدل والإنصـاف كـالملك نوشـيروان[2]
سـتزن كـل عمـل تقـوم بـه بمـيزان نفسـك
سـيبدو لـك العـالم باديـا كالإسـكندر
لـو جعلـت ركبتيـك مـرآة لانحنـاء رأسـك
إن الدخـان المـر سـيبتلع ويمـر بحلقـك كالسـكر
لـو جعلـت صـورة العشـق كـالتبغ فـى النـار
لـن تسـتطيع أن تـرى عيـون العشـيقات السـكارى
إلا لـو لونـت نفسـك بدمـائك كـالرداء الأحمـر
لـو قمـت بتمشـيط غدائـرك السـوداء مـرة واحـدة
كـأنك جعلـت الرمـاد فـى المـروج وحولتـه ريحانـا

(١) الفاختة: نوع من الطيور رمادى اللون يشبه الحمامة إلا أنه أصغر منه حجما، وحول رقبته طوق أسود،لحمه مفيد لمعالجة أمراض الرعشة والفلج والضعف.

(٢) نوشيروان: لقب كسرى الأول، وهو ملك ساسانى (٥٣١ - ٥٧٩م) ابن قباد، اشتهر بعدله فتح كثيرا من البلاد فى الشرق والغرب. من أهم مشاريعه مسح الأرض واصلاح نظام الأرض.

سيصبح العالم كله من القاف إلى القاف[1] معطرا
لو قمت بإمرار المشط فوق ضفائرك مرة واحدة
لن يتم شفاء من لدغه ثعبان ذوائبك
وإن نفخ فيه دمدمة إحياء الموتى كالمسيح
إن كلا من يديك ورجليك جميلة من غير الحلية
فما الداعى إلى قبول منة تسليك الأسورة ؟
إن قمت بإحضار إبرة من أهدابك، وخيط من ضفائرك
فيمكنك أن تقوم بخياطة جرح قلب عبد الرحمن من العشق

" ٣٢٣٩ "

' ٣٠٢- أملاك أنت أم ظبى؟ '

إنك حين جعلت وجهك وجه ملاك وعينك عين ظبية
لست أدرى أيها المحبوب هل أنت ظبى أم ساحر؟
ما الفرح للإنسان بعد موت من كان يدعو له بالسعادة
فلماذا وما السبب أيها المحبوب تتمنى موتى ؟
إنك حين تقوم بربط عنكة جبينك فوق الحواجب
تتساقط الأحجار كالمطر على محراب العشاق[2]

(١) من القاف إلى القاف: القاف اسم جبل أسطورى لا حقيقة له، والعبارة كناية عن العالم كله. راجع ص ١٨٠ هـ١ أيضا.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

حين انعكس لون الأزهار على وجهك فهمت منه
بأنك ستقوم بزراعة الزعفران فى وجهى
يبدو من حورك وظلمك الكثير والكثير جدا
بأنك ستقوم بإغراقى فى بحر دمائى
لن يتم شفاؤه من غير رؤية الحبيب
ولو قام بحصاد مائة حمل من الحرمل
إن عينى غفلتك الرماديتين ستتنوران
لو اتخذت تراب حارة الحبيب دواء لهما
إن هذا العلاج بدوائك عمل سئ أيها الطبيب
حيث تقوم بعلاجى للشفاء عن ألم غم الحبيب
إن النصيحة لا تترك أثرها فى العشاق
فإن تحمل المشقة فى ذلك بلا جدوى وبلا سيطرة
حرام على عبد الرحمن النوم من غير الحبيب
وإن وضعت تحت جنبه ومضجعه مائة سرير

" ٣٢٤٩ "

' ٣٠٣- المعوقون والزمن '

إن نظرت إلى الحالات لمعوقى الدهر والزمن
فإنهم ليسوا بمقدار بحيث تتمكن من عدهم
فكن صامتا ساكتا فى كل غم وهم وإلا
فإن إيذاء الصديق سيجعل خاطر العدو طيبا

إذا أردت البلـوغ إلى المـراد فـاتخذ الصـبر وسـيلة

إن أردت الاستعجال فلا يمكنـك عمـل شئ بالاستعجال

سلم أمر رضاك إلى القضاء فى الأعالى وكـن فـارغ البـال

وإن قلت هذا وذاك فإنك ستجعل نفسك بذلك ذليلا

إن بـين الحريـة والمشـغولية بـالعمل بـون بعيـد

فـإن أردت القيـام بـالعمل فـاقلع يديـك مـن العمـل

إن كنـت أنـت يـا عبـد الرحمـن تقـول بأنهـا فانيـة

فلمـاذا تثـق وتعتمـد علـى تلـك الأعمـال؟

" ٣٢٥٥ "

' ٣٠٤- لماذا لماذا؟ '

لمـاذا، لمـاذا لا تنظـر إلى العاشـق؟

لمـاذا لا تجعـل هـذا الفقـير ثريـا بـالنظرة؟

إن حيـاءك الزائـد قـد هـدم كثـيرا مـن البيـوت

حيـث إنـك لا تنظر إلى أحـد نظـرة ملائمـة

لا أعتقـد بـأن حسـنك وجمـالك الزائـد

لـن يجنـن كـل هـؤلاء النـاس الأصحـاء

ارفـع الحجـاب عـن وجهـك فـإنى ضـامن

لـو لم تجعـل ملـك الزمـان فقـيرا

مرورى عليك يتم فى كل زمان وفى كل لحظـة

وأنـت أيهـا الحبيـب لا تمـر بنـا حتـى لحظـة

كمـــا أنـــك جـــرئ بالنســـبة لقتلـــى
أرجـــو ألا تجعـــل الرقيـــب جريئـــا كذلـــك
إننـــــى راض بجفـــــائك دائمــــا أبـــــدا
إن لم تخـــبر بســـرى هـــذا الغمـــاز النمـــام
فليطـــرد بالنســـيان الجـــور والجفـــاء الســـابقين
بشـرط ألا تكـــرر هـــذا الجـــور والجفـــاء ثانيـــة
مـــن الـــذى يمكـــــن أن يـــترك بـــــابك
إن لم تقـــم أنـــت بإخراجـــه مـــن بـــــابك؟
قســـوة القلـــب تنتهـــى بهـــؤلاء الذيـــن
تذهـــب أنـــت إلى مجلســـهم ولا تؤثـــر فيهـــم
إن حبـك قـد فضـح عبـد الرحمـن، والحيـف
أنـــك لا تصـــدق هـــذا الكـــلام أبـــدا

" ٣٢٦٦ "

' ٣٠٥- لم لا تنظر إلى الحسان؟ '

لمــــــاذا لا تنظـــــــــر إلى الحســـــــــان
لمـــاذا لا تمـــــر علـــــى أزهـــــار المـــــرج؟
هـــذا الربيـــع الـــذى عطـــر العـــالم كلـــه
لمـــاذا لم يتعطـــر المـــخ بهـــذه الريـــح؟
لمـــاذا لا تســـلم رضـــاك إلى القضـــاء
لمـــاذا لا تجعـــل هـــذا الســـم ســـكر النفـــس؟

إلى الوقت الذى يعلم فيه الكاذب نعرات الموت
لماذا لا تكون على علم بذلك قبل الموت؟
حين تلقى التراب على رؤوس الآخرين
فلماذا لا تحمل فوق رأسك ترابا؟
عندما تموت من الجوع والعطش بعد الموت
فلماذا لا تجعل وقت اليوم زادا للحشر؟
حديثك هذا الذى يؤثر فى الآخرين
فلماذا لا تؤثر فى نفسك يا عبد الرحمن كالآخرين؟

" ٣٢٧٣ "

' ٣٠٦- الملطخ بالدماء '

من غسل كساءه وثيابه بدمائه
يكون دائما أبيض ناصعا كالندى
إن لم تكن عند الصياد حبوب من الدموع
فلا أحد أبدا أمسك الطيور فى الهواء
متى يليق كل وجه بالرواء والرونق والصفاء؟
إن الدموع لا تجرى على وجه كل قذر
لماذا تبكى الشمعة وتذرف الدموع كل ليلة
لو لم تكن قد وجدت فى البكاء شيئا؟
عندما جاء عليه سيل العشق وطوفانه
فقد ذهب فيه خلق كثير كالقش

ما كنت أنا عبد الرحمن أبكى من الحسان

لو لم يكن من حظى مثل هؤلاء الحسان

" ٣٢٧٩ "

' ٣٠٧- وجه الشمس يخجل من وجهك '

إن وجه الشمس يخجل من وجهك

لذلك تبدو أخضر اللون مائلا إلى الاصفرار

هذا القمر الذى لا رأس له ولا رجلين

بأى حسن يمكنه أن يعادلك فى الجمال؟

خطفت غدائرك قلبى فى ضوء وجهك

على كل، متى يمكن اختفاء السارق فى الصبح المنير؟

إن حواجبه المنحنية أصبحت ملجأ لحماية الغدائر

كشوكة عقرب تلف متراقصة مع ثعبان

خطأ لو قال أحد بأن قامتك شجرة شمشاد[1]

لأنه ليس من الممكن العثور على الفضة بسعر الخشب

لا أستطيع أن أقول: بأن أسنانك درر

متى تتلألأ الأحجار كما يتلألأ البرق؟

---

(١) شجرة شمشاد: شمشاد نوع من الأشجار العالية يوجد فى جبال وغابات أفغانستان وباكستان وإيران، تشبه شجر الصفصاف والبقس والعرعر، وهى كناية عن القامة الممشوقة، وغدائر المحبوب.

إن لغدائــرك وكذلــك لحواجبــك رعــب ووحشــة
تخشــى وتخــاف منهــا كــل العقــارب والثعــابين
مثـل مـا تقـوم بعصر رداء مبلـول فيجـف بخـروج المـاء
كذلـك يجـف جلـدى ويصفـر لونـــى مـــن الغمـــوم
إن القمـــر يتلقـــى حـــرارة الضـــوء مـــن وجهـــك
لذلـــك فإنـــه ينشـــق فـــى كـــل شـــهر إلى نصفـــين
وجهـك نـار وخطـك[1] خضـرة ممـا جعلنـى محتـارا
فـى أنـه كيـف تنبـت الخضـرة فـى النـار؟
مـا رأى ومـا شـاهد أحـد النـار والمـاء مختلطـين معـا
إن قوتـــك هـــذه تبـــدو واضحـــة فـــى شـــفتيك
إن الغدائر قد أحاطت على خطه الرقيق[2] يا عبد الرحمن
لأن صغـار النمـل تسـحق بـالأقدام وقـت الليـل

" ٣٢٩١ "

' ٣٠٨- شروق الشمس على الشمس '

عندمـا يـأتينى ذلـك الحبيـب ويحضـر وقـت الصبـاح
عجبـا! شمـس جميلـة تشـرق فـوق شمـس مضيئـة

(١) الخط: لمعرفة المراد من الخط راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) الخط: لمعرفة المراد من الخط راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب.

لا حاجـة للوجـه الجميـل إلى الـتزيين والتجميـل
إن الشـمس حـين تشـرق بـلا ترتيـب يـأتى الضـوء
حـين أراه مـن بعيـد أتعلـق بـه ملتصقـا
مثـل مـا يحـدث مـن الالتصـاق بـين التـبن والكهربـاء
إننـى مـن الاضطرار الشـديد جعلـت ظهـرى إلى الحبيـب
معـروف أن الحـرام يصـير حـلالا عنـد الضـرورة
إننى أذرف الدموع فـى الوصـل خوفـا عـن محنـة الهجـران
التفكـير فـى كـل عمـل يجـب أن يسـبق العمـل
ينبغـى البكـاء قبـل إن يحصـل التبـاعد ويتـم الفـراق
وإلا فـإن الكـل يـذرف الدمـوع بعـد أن يتـم الفـراق
مـا نـال أحـد الوصـال ومـا حصـل عليـه بـالنفس والمـال
إلا حين قيامه بأداء ما على عاتقه من الواجب بهذا الشأن
إننـى سـأقوم بتقديـم نفسـى ومـالى فـداء لاسـم الحبيـب
وهذا عمل يسير وسـهل فـى العشـق إن كـان يتـم بذلـك
إننـى أفهـم مـن دمـوع عبـد الرحمـن الجاريـة
بأنـه سـيفتضح أمـره فـى النهايـة فـى العـالم كلـه

"٣٣٠٠"

' ٣٠٩- ازرع الأزهار '

ازرع الأزهـار ليصـير بلـدك روضـة الأزهـار
ولا تـزرع الأشـواك، وإلا لدخلـت قدميـك
إنـك حـين توجـه السـهام إلى غـيرك فـافهم
بـأن هـذه السـهام سـيتم رميهـا إلى نـاحيتك أيضـا
لا تحفـر البـئر فـى طريـق إنسـان آخـر
يحتمـل أن يكـون طريقـك بجـوار هـذه البـئر
إنك حين تنظر بعينيك إلى كـل إنسـان علـى أنـه ذليـل
سـيصير بدنـك قبـل ذلـك أكـثر ذلـة مـن الـتراب
إن بنى آدم كلهم فـى الحقيقـة والمعنـى صـورة واحـدة
فكـل مـن يـؤذى غـيره ويعذبـه يتـأذى ويعـذب
إن لم تنظر إلى عيـب شـخص آخـر ولا تبحـث عنـه
فـإن كـل شـخص سـيقوم بسـتر عيوبـك بأمانـة
إن الدهقـان (الفـلاح) لا يقـوم بزراعـة أرض مرتفعـة
ازرع بتواضع أرضا واطئة حتى تصبح حديقتك روضـا
متـى يرتفـع صـوت إنـاء مكسـور ثابتـا سـليما؟
إن عمل كل إنسان يبدو ويظهر بناء على صوت أقواله
ابحث اليوم عن طريـق منير لأن الوقـت وقـت الصبـح
سـيصبح صبحـك المنـير هـذا ليـلا مظلمـا فجـأة

لا تعتبره قليلا مهما كان الذنب صغيرا
لأن القليل لو جمعته مع القليل يصير كثيرا
لو أساء إليك أحد من الناس أحسن إليه
لأن كل نخلة ذات ثمرة ترجم بالأحجار
إن الطيبين ينالون دائما إساءة المسيئين
كل دودة تنتظر خشبة ناعمة لتأكلها
سيكون فى الأمن والأمان من الطوفان ذلك القلب
الذى يحمل أثقال الناس وأحمالهم كالسفينة
ما وفق الله يدك لتقوم بعمل سيئ، وإن صدر منها
فإن عبد الرحمن يستغفر الله من كل الأعمال السيئة

" ٣٣١٤ "

٣١٠- المشنقة والحلاج

كل إنسان يصلب بالمشنقة كمنصور الحلاج[١]
فإن داره[٢] تصبح بعد الشنق شجرة مثمرة

---

(١) منصور الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج. راجع ص ٢٠٤ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) داره: استعمل الشاعر كلمة دار مرتين على أسلوب الجناس التام، الأولى بمعنى الشنق، والثانية بمعنى المنزل. ومثال الجناس فى اللغة العربية قول الشاعر العربى:

فدارهم ما دمت فى دارهم ... وأرضهم ما دمت فى أرضهم

إن كـانت السلامة للسليم صفة من صفـات الكمـال
فإن الموت رجما بالأحجار صفة الكمال فى المجنـون عشـقا
كـل نبـات مـن النباتـات عندمـا يبلـغ صفـة الكمـال
ينحنـى إلى الأرض مكبـا علـى رأسـه
إن الهـواء الخفيـف سـيرده إلى منزلـه
مـن كـان خفيفـا يطـير كالورقـة فـى الخريـف
إن غفلـة الشـيوخ المعمريـن بـالنوم لا تناسـبهم
لأن الكـل يستيقظ فى وقت الصبـح حتـى الحيوانـات
إذا كـان لحفنـة مـن الرمـاد دلال علـى المـرآة
فـإن المتواضـع يفتخـر ويتبـاهى بالشـئ نفسـه
إن الكرمـاء قـد ظفـروا علـى الربـح فـى الخسـارة
كمـن يقـوم بتقليـم غصـن الشـجر فيصبـح مثمـرا
إن الكـنز (المـال) يزيـد بالسـخاء والكـرم
مـاء البـئر يزيـد ويكـثر حـين تقـوم بسـحبه
القيـام بإشـباع بطـن جـائع ليـس بصعـب
بـل الصعـب هـو القيـام بإشـباع عيـون جائعـة
الأكـل القليـل يقـرب الإنسـان مـن الملائكـة
لكـل من يـأكل طعامـا كثـيرا يضعـف ويـذل كثـيرا

قليـــل مـــن النصـــح يقنـــع أصحـــاب القلـــوب

لأن الجواهــــر تنتظــــم بــــالرقيق مــــن الخيــــوط

غلبــة العشــق تتطلــب حجــة الجمــال والحســن

الليــل المظلــم يصبــح علــى العاشــق غدائــر الحبيــب

مــن يرافقــه التوفيــق يســهل عليــه حــل كــل مشــكل

حتى[1] لهب النار المشتعلة يصبــح روضــة علــى المحــروق[2]

إن دلال الجمــــال يزيــــد نمــــوا وتربيــــة بالعشــــق

لا يتــم ذلــك النمـــو بـــتزين الحســـان وتجملهـــن

مــا وجــد أحــد مــن النــاس الراحــة بــدون المشــقة

فــرح الوصــال والســرور بــه يكــون بمقــدار الهجــر

إنهــا لســعادة كـــل الســـعادة بالنســبة للعشـــاق

لــو تم بــذل أموالهــم وأنفســهم فــداء اســم الحبيــب

كــل إنســان فـــى العـــالم يقـــول: حبيبـــى! حبيبـــى!

إننى سأقول ذلك بعد الموت حتى يصبح الحبيب حبيبا

كمــا أن المــاعز الصغــير يخــاف ويخشــى مــن الذئــاب

كذلــك أخــاف أنــا وأخشــى مــن الهجــران والفــراق

---

(١) حتى: هذه الكلمة من إضافتى أنا المترجم لتوضيح المعنى.

(٢) فى هذا البيت إشارة إلى قصة إبراهيم فى قوله تعالى: ﴿ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ الأنبياء ٦٩

إن هـذا القـول العقيـم لعبـد الرحمـن لا يجـدى نفعـا
لأن العشـق بـالعمل وليـس بـالقول والتحـدث العقيـم

" ٣٣٣٣ "

' ٣١١- التبسم '

إننـــى أبتســـم وأضحـــك مـــن عمـــر الإنســـان
الـــــذى لا يخـــــاف الله فيـــــه ولا يخشـــــاه
يولـــد لـــه مولـــود مـــن صلبـــه ثـــم يمـــوت أمامـــه
ومـــع هـــذا فـــإن لـــه علاقـــة حـــب بـــأمور الدنيـــا
إذا كـان طريقـه فـى كـل خطـوة يمـر علـى رؤوس الموتـى
فإنه لا يرفـع خطـوة واحـدة حتـى يضعهـا علـى طريـق الحـق
لا تؤثـــر فيـــه نصـــائح الأحيـــاء ومواعظهـــم
إلا إذا عـــاد الميـــت حيـــا وخـــرج مـــن قـــبره ناطقـــا
خيـــط آمالـــه وأمانيـــه يكـــون طويـــلا بحيـــث
يبـــدو لـــه أن عمـــره أطـــول مـــن عمـــر خضـــر
بلحيتـــه البيضـــاء يحتضـــن ابنـــه وهـــو فـــى المهـــاد
علـى أمـل أن يصبـح جنديـا لـه أو صـاحب منصـب
يقـــوم بزراعـــة نـــواة التمـــر ثـــم ينتظـــر
معتقـــدا علـــى أن ظلهـــا وثمرهـــا ســـيصبح لـــه نافعـــا
حين يقوم بحصاد محصول كل فصل من الفصول يطمع بهوس
فـى أن يتهيـأ لـه محصـول فصـل آخـر مـن الفصـول

لم يكن قد قام بزراعة ما يسع الكفين من البذور
وهويطمع فيالحصول من البذرغيرالمزروع بعدعلىخروار[1]
يقوم بعمل حبال الطوق للعجول الصغيرة
آملا فى أن تصبح بين ليلة وضحاها قطيعا من القطعان
يطلب الكأس من البط المائى كالطفل الصغير
وهو يصدق ويؤمن بمثل هذا القول العقيم
الأمور التى لم تتحقق فى الحياة أبدا
فإنه يعلق آماله بمثل تلك الأمور المستحيلة
يجرى راكضا فوق سطح المنزل كالأطفال الصغار
إلا أنه يقع محصورا محبوسا بعد خطوتين
من آلام ومتاعب جسمه يتقى استعمال الملح فى طعامه
ولا يقوم بالذى يمنعه من ارتكاب النواهى والذنوب
لا يقع نظره وبصره على مرور عمره سريعا
قائلا: " هذا الكنز الثمين سيطير من يدى "
من هو عبد الرحمن، وما نصحه ووعظه للآخرين؟
إن هداية كل عبد من العباد فى يد الله تعالى العظيم

" ٣٣٤٩ "

---

(١) خروار: لغة حمولة الحمار، واصطلاحا مقدار وزن يعادل ٣٠٠ كيلو جرام تقريبا، وهنا بمعنى الكثير. راجع ص ٥٠٨ هـ٣ من الكتاب.

' ٣١٢- الشهيد بخنجر العيون السوداء '

مـــن تم استشـــهاده بخنجـــر العيـــون الســـوداء

فإنـــه يتـــم ســـرور شـــفائفه الحمـــراء بحـــوض الكوثـــر

حـــين أتذكـــر وجهـــه المنـــير وأهدابـــه الطويلـــة

فـى تلـك الساعة يتحـول قلبـى خرمـلا وصـدرى مجمـرا

إن خـــاطرى العندليـــب يطـــير فـــوق الأزاهـــير

يـا ليتـه أن تصبـح طـرة المعشـوق السـنبلية جناحـا لـه[1]

إذا كـــان المعشـــوق يظلمنـــى بالجفـــاء مائـــة مـــرة

فإنـــه متـــى يمكننـــى أن أصـــدق جفـــاء المعشـــوق؟

لـــن تســـتطيع نصيحـــة النـــاصح أن يمنعنـــى

وإن كـــان النـــاصح مـــن الإخـــوة الأشـــقاء

لا وجـــود للصلـــح والمصالحـــة بينـــى وبـــين الرقيـــب

وإن انتصر أحدهمـا على الآخر، وتهيـأ الظـرف لذلـك[2]

ليـس فـى إمكـانى الصـبر والهـدوء لقـد نسـيتهما

إلى أن تقـــوم الســـاعة ويحشـــر النـــاس للحســـاب

لـن يعـود إلى أحـد الوقـت الـذى قـد مضـى وانقضـى

إلا إذا عـــاد الحبيـــب الراحـــل إلى الحبيـــب مـــرة ثانيـــة

---

(١)السنبل: نوع من الورد يزرع فى الأصص والأوعية، ويكنى به عن طرة المعشوق.

(٢) وتهيأ الظرف لذلك: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم للتوضيح.

إن صبيحى الوجوه وجميلى المحيا سيقدمون شقة من القمر
إن صار عبد الرحمن درويشا وحمل بيده كشكول[1] الدراويش

" ٣٣٥٨ "

' ٣١٣- غبار طريقك يعيد البصر '

من يأتى إليه غبار طريقك أيها المحبوب
فإذا كان أعمى العينين يرتد بصيرا
إن القلب الذى قطع بسيف حبك
فإنه يظهر وينمو برأس جديد كالشمعة[2]
من وقعت فى يده كيمياء القناعة
فإن كان فقيرا أصبح غنيا ثريا كثراء قارون
دراويش بابك وفقراؤه كلهم ملوك
إلا أنهم حين يخرجون منه يصبحون متشردين
إن الذين يقع نظرهم على وجهك وينظرون إليه
فإنهم يعرضون بوجوههم عن أهل العالم كله[3]
إذا كان يعلم كل أحوال العالم وأخباره
فإنه حين يراك يصبح بلا خبر بلا علم

(١) الكشكول:وعاء يجمع فيه الشحاذون الصدقات. راجع ص ٢٩٩ هـ ٤ من هذا الكتاب.
(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.
(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لو أظهرت لـه مـرآة جمـالك وعرضتهـا عليـه
فإن عبد الرحمن الفقير سيصبح ملكـا كالإسـكندر

" ٣٣٦٥ "

' ٣١٤- القلب وهموم العالم '

لـــو أحـــاط علـــى قلبـــك غـــم العـــالم وهمـــه
لا تكـن حزينـا مغمومـا، بـل قـل:إنـه سـيمضى ويمـر
إن الغـم هـو الـذى يعيـش فيـه الإنسـان ويكـابده
حيث إن الغمـوم السـابقة تصبـح منسـية حتـى الأخـيرة
مـن غـير الله الـذى هـو بحالـة واحـدة دون تغيـير
أمـا الإنسـان فإنـه يكـون تـارة هكـذا وتـارة هكـذا
إنـه آدم واحـد يبـدو جليـا بـألوان عديـدة
إنهـا كتابـة واحـدة تصـير حينـا فتحـة وحينـا كسـرة
أمـور الدنيـا لا تسـتقر علـى حالـة واحـدة دائمـا
إنهـا تتحـول إلى دور آخر فـى لحظـات تحريـك الأهـداب
مـن أيـن أتـى الغـم الكثـير فـى العمـر القليـل؟
إلا أنـه يزيـد ويشـتد بسـبب عـدم صـبر الإنسـان عليـه
حـين يتفـق المشـترى والبـائع بـتراض بينهمـا
فإنهما لا يشددان فى المعاملة، وتتم بتجاوز منهمـا وتسـامح

إن أصحاب الجمال والحسن فى العالم بلا حساب

على كل، من الذى يمكن أن يكون شبيها لحبيب عبد الرحمن ؟

" ٣٣٧٣ "

' ٣١٥- رحيل من السرير أوالحصير '

ستذهب من هذا السرير أوالحصير راحلا

ولكن الله وحده يعلم إلى أية جهة ستذهب

يبدو واضحا من الحالة أو الصورة الظاهرية

بأنك ستسحق بالأقدام كالقش أو النبات اليابس

هذه السماء والأرض ستدومان وأنت لن تكون موجودا

ستضطرب مدمرا ومخربا فى هذا العمران المزدهر

إن عمر أزهار الربيع لا يدوم طويلا

ستبقى أنت كالعندليب فى حر الصيف الشديد

ستقوم بفقدان نفسك بعزم وإرادة بحثا عن الحبيب

حتى لا تكون فى وقت ما على عزم وإرادة المعشوقات

إن كنت تطلب ليلى (المعشوق) يا عبد الرحمن فينبغى

أن تختار السكنى كالمجنون فى الجبال والصحراء

" ٣٣٧٩ "

' ٣١٦- عظيم القوم بعد موته '

إن كـان الإنسـان زعيـم ألـف رجـل غـير أنـه حـين يمـوت

لا يـأتي اسمـه علـى لسـان، ولا صيـت لـه أبـدا

إن لم يكـن قـد هزمـه إنسـان فيالعـالم أوألقـى عليـه اللـوم

فإنه مهزوم في مقابل الأجل، كالحمار في مقابل حمـل الطـين

تعـال، واتـرك التدلـل الزائـد، ولا تتكـبر كثـيرا

يـا حبيبي إلى متى سيستمر تحمـل دلالـك هـذا فـي العـالم؟

إن وجهـك هـذا الـذى هـو أكثر صفـاء وضيـاء مـن المـرآة

سـيصير فـى النهايـة مغـبرا ملوثـا بغبـار تـراب القـبر

إن الهـدف هـو الحـب، فهـل تم الجهـاد إذا كـان

أحـد طويـل القامـة ممـدود القـوام كشـجرة السـرو؟

إن السـمعة الطيبـة تنشـأ مـن الخلـق الطيـب

هـذا العمـل لا يتـم بقـوة القبضـة ولا بالعصـا

إن العشـاق لا يعملـون شـيئا يندمـون عليـه

الجـاهل عديـم الفضـل يضـرب بقبضتـه ثـم ينـدم

لا تسـر بإشـارة مـن الهـوى إن كنـت عـاقلا

لأن السهام التى يطلقها الهوى تصبح قديمة بلا جدوى بسرعة

إننـى أوجـه إليـك كلامـى شـفقة عليـك

وإلا فكيـف يمكـن للإنسـان أن يهـرب عـن مصـيره؟

ليس فـى مقـدور إنسـان أن يمحـو حرفـا واحـدا ممـا قـدر لـه
وإن أصبـح العـالم كلـه مبلـولا بدمـوع الإنسـان
لـن يسـتطيع أحـد أن يغـير التقديـر بالتدبـير
متـى يمكـن معالجـة القسـمة والنصيـب بـالعقل والتفكـير؟
من الصعب على عبد الرحمن إن يصبر هكـذا بـدون الحبيـب
فهـو كسـم قـاتل يبلعـه الإنسـان عارفـا بـه نـاظرا

" ٣٣٩١ "

' ٣١٧- الفؤاد وساعة الملل '

فـى الوقـت الـذى يمـل فيـه فـؤاد الإنسـان ويحـزن
فـإن سـاعة واحـدة منـه كأنهـا سـنة فـى نظـره
مـن كـان غارقـا فـى الحـيرة والتفكـير
ينسـى كـل حديـث مـن قيـل وقـال
لا يكـون لـه قـول ولا يسـمع قـولا
أعمـى لا يـرى شـيئا وأصـم لا يتحـدث
لا يجيـب علـى سـؤال أحـد مـن النـاس
ولا يصغـى بأذنـه إلى سـؤال أحـد مـن النـاس
لا يبقـى عنـده علـم ولا عقـل ولا فهـم
كـل بدنـه يتحـول إلى نـوم وخيـال
يغـرق فـى النـوم وعينـاه مفتوحتـان
يصـير كـالنقش المرسـوم علـى الجـدار

قوته وغذاؤه بل طعامه من دم كبده
وهذا هو شغله وكل انشغاله
بسبب مطر الدموع من عيونه
يعترى على وجهه موسم الصيف
بسبب العشق والرغبة فيه
يتنازل عن آله وعياله
نعم، يتنازل عن آله وعياله
كما يتنازل عن ماله ومناله
إنه فى آلامه وغمومه وهمومه
يصير فارغ البال والخاطر عن العالم وأهله
إذا كان حيا يرزق فى هذا العالم
فإنه يصبح مثل الأموات
لا يتمتع بالطاقة ولا بمكان للجولان
يكون عديم الطاقة عديم المجال
تراه كالسمك فوق الأرض اليابسة
هكذا يكون مذبوحا كالسمك بلا سكين
لا مقدرة له أن يقوم من مكانه
مقطوع الفؤاد ضعيف البدن عاجزا عن ذلك
يرحل ويتحرك مثل المصابين بالجروح
يتخلف فيسير فى أعقاب كل الناس

وكـالقش أو العشـب فـى الطريـق العـام
يسـحق تحـت الأقـدام مضمحـلا
ينقـذ الله الإنسـان مـن الغـم وينجيـه
ثـم تـراه مـرة ثانيـة وهـو فرحـان
عندمـا يصـير دم القلـب جافـا يابسـا
يصـير مـن المحـال الحصـول علـى دم جديـد
تصبـح عيـون البسـتانى بيضـاء مـن الانتظـار
إلى أن تصـير النخلـة الجديـدة شـجرة كاملـة
إن نمـو الزراعـة عمـل سـهل يسـير
القيـام بتربيتـه وإنمائـه مـن الأمـور الصعبـة
إن التخريـب والتدمـير يتـم فـى لحظـة
القيـام بالإعمـار والبنـاء يتـم بصعوبـة
عندمـا يمـوت الأب، فـانتظر
حتـى يصبـح ابنـه صـاحب كمـال
مـن الـذى يوجـد لديـه علـم بهـذا الـدور:
" مـاذا سـيصادفنى فيـه مـن الأحـوال ؟ "
إن لم يكـن فـى حالـة حالـة طيبـة
مـاذا سـيكون أملـه فـى المسـتقبل؟
فـى سـاعة واحـدة مـن الوقـت والزمـن
يعلـم الله مـاذا سـيحدث مـن الأحـوال؟

إن أمــور الدنيــا وشــئون الدهــر فانيــة

تذهــب وتــأتى بــالهجوم المفــاجئ

فهــى مثــل الظــل الــذى

يحيــط بكــل جــدار مــن كــل جوانبــه

لا تعتمــد علــى المــاء ولا تثــق فيــه

لأن مكــان وقوفــه غربــال

فــى لحظــة تحريــك الأهــداب

يجعل رداء الصوف كساء الفصل قطنيا، والكساء رداء

إذا كــان الإنســان ملكــا فــى مملكــة

يصبــح فقــيرا يحمــل فــى يديــه وعــاء خاليــا

لا يغلطنــك ثــواب الدهــر ولا تنخــدع بلطفــه

حيــث يتحــول إلى وبــال شــديد فــى آن

لا تفتخــر بكمالــه ولا تكــن مزهــوا بــه

حيــث إنــه معــرض لــلزوال فــى لحظــات

يكــون الإنســان تــاجرا فــى الأفيــال

ثــم يتحــول إلى سمســار الأبقــار والحمــير

يكــون جوهريــا يتــاجر فــى الجواهــر

ثــم يصبــح فخــارا خزافــا يخلــط الطــين

يقــوم بصنــع الفخــار والخــزف مــن الطــين

فيصبــح يبيــع الأوانــى الفخاريــة المكســورة

يكـــون شـــريفا مـــن النجبـــاء وهـــو غنـــى
فيصبـــح خسيســـا مـــن الســـفلة وهـــو فقـــير
يكـــون أســـدا شـــجاعا فـــى عنفـــوان شـــبابه
فيصبـــح ثعلبـــا جبانـــا وهـــو فـــى عمـــر الشـــيخوخة
يشـــتهر بـــالصدق والأمانـــة والقـــول الصـــادق
يصبـــح بطـــالا متصفـــا بـــالهراء والقـــول البـــاطل
يكـــون محتســـبا ورعـــا يـــأمر النـــاس بـــالمعروف
فيصبح حاكمـا " جـائرا " يحكـم النـاس " بـالجور "
يكـــون حســـن الخلـــق والأعمـــال والأفعـــال
فيصبـــح ســـئ الخلـــق والأعمـــال والأفعـــال
انظـــر إلى مصـــير الإنســـان وطالعـــه
أحدهمـــا عيســـى ويصبـــح الآخـــر دجـــالا
مـــن كـــان حســـن الحـــظ يحســـن إلى النـــاس
ومـــن كـــان ســـئ الحـــظ يصبـــح عـــدوا لئيمـــا
فتقبـــل أيـــدى وأقـــدام الأشـــخاص
الذيـــن تصبـــح خصـــالهم وأخلاقهـــم طيبـــة
لا تقطـــع أملـــك فـــى حالـــة الفـــراق والهجـــران
إن الله قـــادر، علـــى أن يتـــم الوصـــال
اجعـــل أملـــك فـــى الحـــلال حتـــى فـــى المحرمـــات
لعلـــك تصبـــح بوجهـــك نحـــو الحـــلال

إن الله يخــــرج الكــــافر مــــن كفــــره

فيصبــــح خــــلال ســــاعات أبــــدالا[1]

يجعــــل الأســــود أفضــــل مــــن البيــــض

فيصبــــح خــــالا[2] اســــود علــــى وجــــه أبيــــض

يتمنــــى أن يكــــون مــــالك حمــــار واحــــد

فيصبــــح صــــاحب ملــــك ومــــال كثــــير

لم يكــــن نــــدا مســــاويا لأحــــد

فيصبــــح نــــدا مســــاويا للنبــــلاء

يكــــون مــــدى حياتــــه مبعــــدا مفصــــولا

فيصبــــح فــــى ســــاعة متصــــلا واصــــلا

ليــــس فــــى مقــــدور الإنســــان منــــع الممكنــــات

وإن اصبــــح الإنســــان مســــلحا بالاحتيــــاط

حــــين يحصــــل رضــــا الله تعــــالى ويتــــم مشــــيئته

يبقــــى تنجيــــم النجومــــى بــــلا فــــائدة

---

(١) أبدال: جمع بدل، وهو عند أهل التصوف أن الله تعالى جعل للأرض سبعة أقاليم واختار لكل إقليم وليا يسمى بدلا ليحفظه.

(٢) خال: الشامة. راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

لمـــاذا تبحـــث عـــن الفـــأل يـــا عبـــد الرحمـــن
إن أعمـــال الإنســـان وأفعالـــه فـــأل واستبشـــار

" ٣٤٤٥ "

' ٣١٨- سجين وجهك فى تنور '

كـل مـن أصبـح منزلـه نونـة (نقــرة) ذقنـك
فإنـه كـالقش سـيحترق فـى نـار التنـور
مـن يذكـر علـى لسـانه اسـم شـفائفك
فـإذا كـان فـى فمـه سـم يصبـح عسـلا
لا تظـن علـى العاشـق مثـل هـذا الظـن
حين يخطف الحبيب قلبه، فيصبح بلا قلب
إننى فى فراقك فقير محتاج وضعيف عاجز
كالزرع الذى لا يجد ماء فيصبح سنابل بلا حبوب
ليس فى الدنيا أحلى وأعذب من الحب
غير أنه واحسرتاه يصبح فى الفراق كالحنظل
لا تفاخر بجمالك وحسنك يا زهرتى
إن لونك الناضر هذا سيتبدل خلال يومين
أنا عبد الرحمن من غير الحبيب مفلوج مشلول
كالسمك الذى يصبح بدون الماء مفلوجا مشلولا

" ٣٤٥٢ "

٣١٩- العشاق والفراق

لو تعانق واحتضن بعضهم البعض مائة مرة

فإن مصير كل عشاق الدنيا الحتمى هو الفراق

وبما أنهم يعيشون معا فى منزل واحد

فإن منزل كل منهم سينفصل عن الآخر فى النهاية

هذه الأزهار التى مكانها فى عمامتك لتزينها

فإنها كلها ستنداس تحت الأرجل والأقدام

هذا الجميل الذى وجهه مثل الشمس

سيصبح شعره الأسود غابة فوق وجهه

إن شراب الوصل العذب الحلو هذا

سيصبح وقت الفراق سما قاتلا[1]

إننى قد رأيت فى فراق الحبيب

بأن من كان عالم الدهر يتبدل جاهلا

لا يضع رجله على أرض الوصال خوفا

من أن يبدو له مرعى الفراق أومستنقع الهجران

بماذا يمكن أن يتداوى مثل هذا المريض

بحيث لا يبلغ فهم أحد إلى كنهه ولا تخمينه

---

(١) قاتلا: ترجمة كلمة هلاهل تجاوزا، والهلاهل ثعبان خرافى ذو سم زعاف.

إن كان يسير فوق قمم الجبال فإن رأسه يكون ناكسا
كل من كان قلبه نهبا لهجوم الحسان
إن الغموم قد جعلت خاطر عبد الرحمن يعلوه صدأ
إلا أن كأس الخمر الخالصة يمكنها أن تجعله مصقولا

" ٣٤٦٢ "

' ٣٢٠- الصدر ودم القلب '

لو أصبح صدر الإنسان وردى اللون بدم القلب
فإنه سينفصل مادام الفراق موجودا فى العالم
لو قمت بزراعته وريه ببحر من الدموع
فإن قصب السكر قصب، والغاب غاب
كل مشقة الإنسان وتعبه بلا فائدة
إن تم زرع نبات الزهر فى السراب
لا فائدة من حب الدنيا وصداقتها
لأنه فى البداية يكون حبيبا صديقا ثم يصبح لصا
مهما كان بينهما الشئ الكثير من الحب والود
فإن نهايتهما عراك ونزاع وجدال
مثل اللؤلؤ المغشوش والدر الكاذب
يتبدل رواؤه وضياؤه فى يومين
إذا كان ذقنه فى الشباب مثل التفاح
فإن تفاحه هذا يصبح فى الشيخوخة حنظلا

مـــاذا أقـــول عـــن خلـــق الرقيـــب الســـئ
فـــانظر إليـــه بعـــد أن ينضـــم إليـــه الحبيـــب؟
أنا عبد الرحمن أعرف ما للحبيـب مـن الطيـب والسـئ
ليـــت الســـم يصبـــح عســـلا فـــى فـــم الإنســـان!

" ٣٤٧١ "

' ٣٢١- القلب المنور بنور الله '

إن القلـب الـذى نـوره الله يصبـح مـرآة العـالم[١]
فـــى هـــذه المـــرآة يبـــدو لـــه العـــالم كلـــه
يوجـد فـى ابـن آدم بعـض مـن أخـلاق الحيـوان أيضـا
فـادعوه آدميـا بعـد أن يصبـح آدميـا حقـا
الإنسـان الـذى لا توجـد فيـه أخـلاق البهـائم
هـو الـذى يعـترف ويسـلم بإنسـانيته ومروءتـه
الـذى يلبـس ملابـس الطيبـين الطـاهرين
ويقـوم بأعمـال أنـاس غـير طـاهرين يسـتحق اللـوم
لا طعـم للطعـام مهمـا كـان لذيـذا حلـو المـذاق
إذا كـان ملحـه زائـدا قليـلا أو ناقصـا قليـلا

---

(١) مرآة العالم:هذه العبارة ترجمة " جام جم " أى كأس جمشيد، وجمشيد أحد ملوك الدولة البيشدادية فى آريانا (أفغانستان) الآرية المشهورين. راجع لمعرفة قصته، وقصة كأسه ص ٢٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

إن السعادة والسرور بمقدار الغم والهم فى كل مكان
ما سعادة وسرور هؤلاء الذين أصبحوا بلا غم؟
كل من يسلم رضاه وإرادته إلى القضاء الإلهى
فإنه مهما كان غير مسرور سيصبح مسرورا راضيا
إن العشق عندما يبلغ إلى درجة الكمال والتمام
فإن الجرح من يد الحبيب يصبح دواء وبلسما
لو دست نفسك بأقدامك يا عبد الرحمن
فإن الفلك الدوار سيصبح تحت أقدامك

" ٣٤٨٠ "

' ٣٢٢- جبروت العشق '

إن أصبحت كالمجنون حفنة من العظام ضعيفا
فإنك ستصبح قويا جبارا بقوة العشق وجبروته
إن العشاق قد وجدوا النصر فى الهزيمة
القادر هنا هو عديم القدرة الذى لاطاقة له
إن اللون الأصفر مرتبة من مراتب العاشق
حيث يظهر كالشمس فى جميع أنحاء العالم
من عينيه يتساقط مطر الرحمة مدرارا
وقد نبت فى وجهه الزعفران ونما
يبدو حال القلوب ويتبين من حال الوجه
من الربيع يبدو إن كانت السنة خصبة أم لا

مــن النقطـــة يبـــدأ تحصيـــل العلـــم بكاملـــه
من حفنـة الحبـوب تتبـين كيفيـة الخـروار[1] كلـه
الآلاف مـــن التقـــارير المخالفـــة لا تجـــدى نفعـــا
نصـف الكـلام الموافـق للحـال يصبـح قصـة نافعـة
مثـل الميـت الـذى خرجـت يـداه مـن العمـل
فالغفلـة كـالأموات فـوق رؤوسـهم تـراب
إن أردت ورغبـت فـى عمـر طويـل فـلا تكـن غـافلا
مائـة سـنة بالنسـبة للنـائم تصبـح سـاعة
يمكـن أن ينقلـع أسـاس الغفلـة بموجـات الدمـوع
قطـرة واحـدة طوفـان بالنسـبة للنعسـان
الأعمـى يسـقط فـى البـئر بعصـاه
إن الدليـل لمـن هـو قليـل الدليـل خطـر لنفسـه
التمـرد والتطـاول لا يناسـب العـاجز الضعيـف
كـل نملـة تصبـح ذات أجنحـة تنـدم عليهـا
إن رقيقـى القلـوب سـيطلبون النجـاة مـن شـر
قسـاة القلـوب وإن كـانوا يـاقوت بدخشـان[2]

(١) الخروار: وزن يعادل ٣٠٠ كيلو جرام تقريبا. راجع ص ٥٠٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

(٢) بدخشان: ولاية من الولايات الأفغانية تشتهر بمعادن الياقوت والعقيق النفيس. راجع ص ٤٠٦ هـ ٢ من هذا الكتاب.

من وقع في يده كيمياء القناعة

فإن مثل هؤلاء الناس ملوك في ملابس الفقراء

لا يحتاج ثيابا أخرى غير اللباد الخشن

ذلك الذى يصبح قلبه مضيئا كالمرآة

إن محنة العشق أكبر من كل المحن

لذلك فإن الشيطان والسباع فى حيرة من أمر المجنون

إن الملاك سينثر ما فى أذنيه من الدرر

إن عبر شعر عبد الرحمن ومر بأذنيه

"٣٤٩٧"

' ٣٢٣- المودة والمشقة '

إن العشق محنة شديدة شاقة ما ابتليت بها

والفراق سيفنيك، فما فنيت وما عدمت

إن هذا الغم سيقطع جذور قلبك

ما صرت أسير آلام الحبيب لا حبيسا

ستجرى دموع حمراء على لونك الأصفر دائما

ما صرت كصاحب اللونين (المنافق) زهرة رعناء

وبما أن الكذاب فى الأقوال عدو لله

فلا تكن مع أحد كاذبا فى الكلام

إن أردت أعلى الدرجات فالعشق هو أعلى درجة

والدرجات الباقية دون ذلك، فلا تكن دون ذلك

ستجلس دائما نـاكس الـرأس للتـأمل والتفكـر
ما صـرت مشغولا بالثنـاء والمدح مثل عبـد الرحمـن

"٣٥٠٣"

' ٣٢٤- العاشق والمعشوق '

إن العاشـق لا يستقر لـه بـال بـدون الحبيـب
والمريـض لا يسـتقر ولا يهـدأ بـدون الطبيـب
مـن كتـب فـى اللـوح المحفـوظ مجنونـا
لا يعـود إليـه العقـل بتعليـم المعلـم
يـأخذ روحـه وهـو نـائم فـى حضـن أبيـه
أمـر القضـاء لاتعـالج بواسـطة الأم أو الأب
الذيـن رزقهـم الله كمـال الحسـن والجمـال
فـإنهم لا يضرهـم إنكـار المنكـر أبـدا
إن آلام العشق وغمومه من أصعب الأمور حقـا
مـا صـار أحـد من النـاس أسـير هـذا المـرض
أطلـب مـن الله فـى كـل حيـاتى
بـألا يتـأذى الحبيـب مـن يـد الحبيـب
إن الحبيـب يجفـو الحبيـب كثـيرا
بحيث لا فرق فى ذلك أبدا بين الحبيب والغريب

مهما حاول أن يدلل قلبه وأن يتودد إليه
فإن عبد الرحمن لا يشق في تودد الحسان

" ٣٥١١ "

' ٣٢٥- سيف الصمت '

حين يتم قطع اللسان بسيف الصمت
فإنه يزيد في القول ركضا كالقلم
يحمل في قلبه قدرا كبيرا من نار العشق
إلى حد بحيث ينبت في تربته شقائق النعمان
يجري دائما إلى جهة فيها حبيبه
حتى يبلغ في ركضه في النهاية إلى الهدف
حواجب الحبيب المنحنية مرسومة في عيني
كالهلال الذي يبدو ويشاهد في البحر الكبير
ما الداعي لأقوم بوصف الحبيب للناس
إن الوصف يصير ويتم برؤية العيون نفسها
يحدث أحيانا أن ينخدع أحدهما بكلام الآخر
إلا إذا أصبحت صفة الصفاء والنقاء عقيدة الإنسان
من الطبيعي أن يكون ظاهرا في العالم كالصبح
صاحب كل فتحة قميص تمزقت بسبب الحب
إن ماء رونق العاشق ورواءه يبدى نفسه
حين يتقطر عن عينيه دم قلبه

متـى تسـقط سـهام آهاتـه علـى الأرض

كـل قامـة حـين تصبـح منحنيـة مثـل القـوس

لا يلتفت ولا يتفهم مع أحد من غير المطلوب[1]

كـل طـالب [2] قـد فهـم طلبـه وأدركـه

كل عاشق قد خسر قلبه في حب الحسينات

فقـد أصبـح مشـترى بـلا درهـم ولا دينـار

إننـي مـا رأيت وجها آخر مثـل وجـه الحبيـب

إلا إذا خلـق وجـاء إلى الوجـود بعـد اليـوم

يكـون إمـا عسـلا أو سـكرا او حـلاوة

كـل شـعر أو كـلام يسـمع مـن عبد الرحمـن

" ٣٥٢٤ "

' ٣٢٦- بذئ اللسان بذئ '

من يتحدث عن إنسان آخر بـالبذاءة فهـو بـذئ

وتذهـب رائحتـه الكريهـة إلى جهـة أخـرى

غاسـل الموتـى يتمنـى مـوت إنسـان آخـر

فإن إنسانا آخر يصبـح غاسـل الميـت بعـد موتـه

---

(١) المطلوب: هو الذات الإلهية. راجع ص ٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

(٢) الطالب: هو العاشق الإلهي. راجع ص ٢٢٤ هـ١ من هذا الكتاب.

إن عمـل الإنسـان هـو صديقـه أو عـدوه
وبهـذا القـدر جـزاؤه وأجـره شـعرة بشـعرة
كـل شـجرة مـن الأشـجار تميـل إلى جهـة
فإن سقوطها فى النهايـة يكـون إلى تلـك الجهـة
ليس فى الكبر والعظمـة شئ آخـر غـير الـزوال
إن الصغـار يكـبرون بسـبب الصغـر
أصـل المـاء ومنبعـه يخلـق مـن الـتراب ويظهـر
التواضـع يصبـح للمتواضعـين عـزة وشـرف
لا يتأذى الإنسان ولا يتضرر من الخنزير والـدب
بمقدار ما يتأذى من إنسان أصبـح ذا خلـق سئ
حين يصبح بـدن الإنسـان خاليـا مـن الإنسـانية
فإنـه يصبـح خـنزيرا فـى ثيـاب الإنسـان
إن الذيـن هداهـم الله بفضلـه وكرمـه
ما حاجتهم إلى حديـث عبـد الرحمـن ونصحـه؟

" ٣٥٢٣ "

' ٣٢٧- الخريف وهلاك البلابل '

لقـد مضـى وقـت العيـش والطـرب وجـاء الخريـف
وقـد حـل بذلـك وقـت احتضـار البلابـل
كنـت آمـل وأتمنـى منـه المودة، ولكـن مـاذا أعمـل
حيث جاء ذلك الحبيب مريئا شـأن الحـب كالأحبـاب

كنت فى هوس الحب إلا أننى حين انفصلت
بدأت أضرب كفا بكف حسرة وندامة
إذا كانت المنفعة والأخذ والعطاء فى العشق مفيدا
فإننى ما رأيت فيه منفعة بل لحقتنى الخسارة
إذا كان فى العمر كله وصال فإنه لا يبلغ
مدة قصيرة من الزمن حين حل فراق الحسينات
قد خطف كرة فؤادى فى صولجان مضربه
ثم امتطى جواد الدلال وأقبل فى الجولان ثانية
حين ينثر بالضحك الشفائف البرعومية
فإنه يأتى معه مطر موجات دموعى مدرارا
سيقطع دعوى كل من ميرزا[1] وأرزانى[2]
فقد جاء عبد الرحمن العارف بقدر الشعراء

"٣٥٤١"

---

(١) ميرزا: هو ميرزا خان أنصارى الذى استشهد سنة ١٠٤٠هـ فى حرب دكن بالهند، من أشهر شعراء مدرسة با يزيد أنصارى الأدبية، وهو من مريديه فى الطريقة الصوفية، ومن الشعراء الأوائل الذين أنشدوا الشعر الأفغانى بالبحور والأوزان العروضية العربية. فى ديوانه دعوة إلى التوحيد والزهد والتصوف.

(٢) أرزانى: هو ملا أرزانى...(؟) شاعر أفغانى من معاصرى با يزيد أنصارى ومن خلفائه الذين قاموا بشرح أفكاره الدينية، كان ينشد الشعر بالأفغانية والفارسية والعربية والهندية، وله كتاب باسم " جهار زبان " أى اللغات الأربعة.

' ٣٢٨ التباهی بالحب '[1]

كنت فی البداية تدعی الحب بالتباهی والتفاخر

فلماذا غيرت تلك الادعاءات وتنازلت عنهاالآن؟

فقف الآن صامدا مرفوع الرأس لمواجهته

مادام قد قمت بالاصطياف فی ميدان الغم للقتال

يصبح العقال الأبيض قبيح المنظر بنقطة سوداء

فلاتقم بأعمال الرذلاء إن كنت من الأشراف النبلاء

إن عديم التميز غير قادر علی معرفة الحقيقة

فميز أنت بين الجيد والردئ إن كنت صرافاناقدا

لماذا جعلت نفسك عديم الحياء يا من لاحجاب له

حيث قمت باخفائها بغلاف الحب والود

إن كنت تطلب مثل هذه العظمة، فهذه هی العظمة

وإن كنت فی الأصل حلاجا كمنصور الحلاج

اطلب الأمان من فساد حوادث الزمن الكثيرة

إن كنت دقيق النظر والفكر فی عقلك وتفكيرك

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٤٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولايذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر،أكاديمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، وكذلك لايذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

مـــا هـــو ســبب تقصـــيره؟ وضحيـــه وبينيـــه لى
تقتلـين العاشـق بـلا ذنـب يـا عديمـــة الإنصـــاف
أية صفة من صفاتك يمكن لعبد الرحمن الإسـهاب فيها
حيث إنك موصوف بصفـة كاملـة بكـامل الأوصـاف

"٣٥٥٠"

' ٣٢٩- عيناك فى الرؤيا '(١)

إمـا أننـى أرى وأشـاهد عينيـك وحـاجبيك فـى الرؤيـا
وإما أن سكارى غائبين عن الوعى قد ناموا فى المحراب
إمـا أن انعكـاس وجهـك الجميـل يبـدو فـى الكـأس
وإمـــا أن بـــرق الصاعقـــة يتجلـــى فـــى الحبـــاب
إمـا أن براعـم فمـك الجميـل تتواجـد تحـت الخـط(٢)
وإما أن كوكبـا دريـا قـد غـرق فـى الشـهاب الثـاقب
إمـا أنـك قـد نثـرت كلتـا الضفـيرتين علـــى وجهـك
وإما أن سنبلا قـد تعـوج بسـبب مقاومـة حـرارة النـار

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٤٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية اليشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٩٧م، ولايذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية اليشتو، بشاور ١٩٨٧م، وكذلك لايذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالى الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) الخط: لمعرفة المراد من الخط راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب.

إما أن ضفائرك قد نشرت الظلام الحالك على وجهك

وإما أن الكسوف قد أظهر أثر نفسه فى الشمس

إما أن پيزوان[1] أنفك قد تغرز فى كبدى

وإما أن أسياخا قد تم تسليكها فى اللحم المشوى

إما أن بدنى غارق فى غمك القاسى وهمك الأليم

وإما أن قشا (تبنا) هشيما يدور فى الدوامة

حين تخرج رؤية الحبيب مرة أخرى عن عينيه

فماذا يكون قدر عبد الرحمن وعزته فى الحباب؟

"٣٥٥٨"

'٣٣٠- جوهر الحب ورواؤه'

جوهر حبك غير موجود فى رواء آخر غير روائه

إلا إن أمكن وجوده فى بحر الدموع المواج

إن كنت تشرب دمى سرا يا من سلب قلبى

فإن لون شفتيك شاهد عيان فى هذا الباب

فى كل مكان يذكر فيه اسم شفتيك الجميلتين

ينزل مطر شقائق النعمان الأحمر فى الحباب

من أين لك تراضى القلوب المجروحة بالتودد؟

لا مجال للخراج والأتاوة فى الخراب والدمار

(١) پيزوان: نوع من الحلية لتزيين الأنف. راجع ص ٤٢٢ هـ١ من هذا الكتاب.

إننى فى حيرة من شامتك السوداء بين حاجبيك

كيف يمكن أويجوز للكافرأن يسجد فىالمحراب؟

إن الزهرة من رقتها الشديدة تتنثر بالندى

القلوب الرقيقة تحزن وتشقى بالجواب الصافى

أزهار الربيع تنزل عليها الأمطار وتتساقط

لا طاقة للحباب لتحمل قطرة واحدة من الأمطار

فاغفر يا الله أخطاء عبد الرحمن وارحمه

إن الحائرين والتائهين لا يحاسبون على الأعمال

" ٣٥٦٦ "

' ٣٣١ السم فى العسل '

إننى قد خسرت قلبى فى صداقتك ومحبتك

فقد أعطانى عشقك السم القاتل فى الشراب

أيها الناصح لا تقم باغلاق طريقى إلى الحبيب

لقد عثرت على هذا الحبيب بالمشقة والكد

لو ظهرت لك صورة تلك السكرانة الثملاء

فإنه لن يبقى فى صورتك العقل والفهم

أنت تعض بأسنانك فىنصيحتك لى أيها الناصح

فإنك لو اصطدمت بصخرة العشق لفقدت الأسنان[1]

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

أتـوب إلى الله مـن ضيـاع العمرالـذى قـد مضـى
وانقضـى فـى غفلـة بعيـدا عـن الحبيـب ولقائـه
لـن ينفصـم ميثـاق محبـة الحبيـب ولا الرجـوع فيـه
وإن انفصـل رأسـى للحفـاظ علـى هـذا الميثـاق
لا أستطيع أن أنظـر إلى وجهـه الجميـل مـن الأدب
فـإن الله قـد ابتلانـى بـالفراق فـى الوصـال
إذاكـان أحـد يسـأل عـن مجـرد نيتـه يـوم القيامـة
فإننى من حيث النية جزء من تراب حارة الحبيب
فمثـل مـا أنـا راض ومسـرور بـتراب عتبتـه وبابـه
لـن يكـون السلاطين والملوك مسـرورين بالسـلطان
الحظ السعيد يقبل علىالجالسين فى حضرة داره
لا دخـل للغمـوم وهمومهـا فـى الجنـة والنعيـم
إننـى فـى غنـى عـن ثـروات الدنيـا ومتاعهـا
بـثروة العشـق التـى أعيـش فيهـا أنـا عبـد الرحمـن

" ٣٥٧٧ "

' ٣٣٢- غرور العشق '

لا تعش مغـرورا فـى التعـامل مـع شـئون العشـق
كـل قشـة هشيمة سـيف قـاطع فـى هـذا الطريـق
هـذه الزهـرة الحمراء سـتلون عمـامتك بلـون الـدم
والتـى وضعهـا الزمـان فـى شـال عمـامتك

وجه الحسان الذى هو أكثر صفاء من ماء الحياة[1]

فإن ماء الحياة هذا هو الذى أحرقنى فى النار

إذا كانت المرآة الصلبة تذوب أمامه

فما قدرة وجود شخصيتى فى نظر هذا الوجه؟

فى كل مرة أقوم بالنظر إلى عينيه

فإنه يتبرأ من يدى ويبعدها عن نفسه فى كل مرة

إنك يا حبيبى حين تطلب منى الصبر والهدوء

متى يكون العاشق والمحب فى صبر وهدوء

إن كان رأسى ومالى يضيعان فى سبيل حبك

فإننى أتنازل عن رأسى ومالى فى هذا العمل

قم بايذاء القلوب بلا رحمة، ولا تتضايق فى ذلك

لعل أحدا قد رزق بالربح والنفع فى هذا الايذاء

العشق لا يعيش ولا يسكن فى حارة العقل

ما وجد أحد حبيبه فى ديار العقل

لن أحيد بعيدا عن بابك وفناء دارك

إلى أن أموت عند بابك وفناء دارك

إن قليلى الحظ مهجورون فى وصال الحبيب

النبتة الجافة لاحظ لها من موسم الربيع

---

(١) ماء الحياة: لمعرفة المراد منها راجع ص ١٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

إنهـا لأرض حبليـة بعينهـا بالنسـبة للمفلسـين
وإن كـانت بيوتهـم طـول حيـاتهم فـى السـوق
إن الذيـن منحهـم الله عيونـا تـرى الحـق حقـا
فـإنهم يـرون تجليـات يوسـف عليه السلام فـى الجـدار[1]
إن الأشـياء كلهـا تبـدو للمعيـوب معيوبـة
وإن جعـل الجميـل نفسـه يوسـف بـالتزين
مـن جعـل الله مـن نصيبـه فضـل العشـق
فإنـه لا يـرى فـى الحبيـب غـير الفضـل
تكفيه هذه العلامات التى يحملها على قلبه من الحرقة
فما حاجة عبد الرحمن إلى حديقة شقائق النعمان؟

" ٣٥٩٣ "

' ٣٢٣- الجفاف والرطابة '

أجلـس جـاف الكبـد رطيـب العـين دائمـا
فقـد أرانـى العشـق البحـر والـبر فـى حرمـى
إننـى عندمـا قبلـت جـرح سـيفك بغمـى
فـإننى لم أعثر على هـذه اللـذة حتـى فـى البلسـم
حين وضع المجنون المسكين رأسه على قدمى ليلى
أصبـح شـامخ الـرأس مرفوعـا فـى العـرب والعجـم

(١) معنى البيت ينظر إلى قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام فى القرآن الكريم.

الأقـوى يكـون غالبـا علـى الضعيـف دائمـا

إننى فى غمك قـد نجـوت مـن الغمـوم الأخـرى

مثل ما أنا قد غرقـت تمامـا فـى غمـك وهمـك

لن يكون إنسان آخر مثل ذلك فى كل بنى البشر

مثـل الميـت الـذى يعيـش بـين الأحيـاء

فـإننى كذلـك منفصـل عـن العـالم فـى العـالم

لـن تعود إلىّ صحتى بحيلة قـارئى الأوراد ونافخيهـا

وذلك لأن نفسى أنا قد اندمج وحل فى نفسك أنت

ليس لى سير ولا حركة، لا فهـم ولا بحث إلا لأجلك

أنـت المراد والهدف فى كل وقت وعند كل قدم

لو أصبح من نصيبى الإناء الذى تأكل فيه كلابك

لـن أنظر ولـن ألتفت أبدا إلى كأس الملـك جـم[1]

تـاه قلبـى فـى البحـث عـن ضفـائرك

كمـن سـقط كيـس نفائسـه ونقـوده فـى الظـلام

تتـدلى محمـرا بالدمـاء كالأزهـار الحمـراء

آلاف القلوب فى كل منعطف من منعطفات ضفـائرك

---

(١) كأس الملك جم: لمعرفة الملك جم وكأسه راجع ص ٢٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

أنا عبد الرحمن سعيد بالتنحي عن أهل العالم
على كل فإن عينك قد كشفتني في العالم

" ٣٦٠٥ "

' ٣٣٤- ضاقت الأرض والسماء '

إنني حزين مخنوق في هذا العالم بحيث
ليس لي مكان لا في الأرض ولا في السماء
أزهار المروج الحمراء تصبح في نظري كالنار الحمراء
حين أضع قدمي في الحديقة بدون الحبيب
إنني حين لم أمت بسبب استغنائه الشديد
فإنني في حيرة من قدرة البدن العديم القدرة
مهما فكرت مع نفسي وأطلت النظر فيها
فإنني لا أرى قوة الصبر في نفسي
لا تأتيني فكرة حراسة الخاطر المتمرد والحفاظ عليه
من في مقدوره المحافظة على شرر النار في صدره؟
لن يكون في العالم أكثر حماقة وجهلا
من الذي يطلب الحب والوفاء من الأحمق الجاهل
إن دعوته مائة مرة بقول: " روحي فداك "
فإنه لا يلتفت إلي ولا يسمع قولي: " روحي فداك "
هكذا يضحك من بكائي ونحيبي الكثير
كما تضحك زهرة الربيع النضرة في المطر

يصبح جوهريا يعرض الدر والياقوت
عندما يجلس فى متجر عينى الأثنتين
الذى لم يكن قد مر فى خاطرى مدى الحياة
فإن الزمن يظهره لى مكشوفا فى زمن
العاشق الذى لا يجف دمعه فى وقت الوصال
فماذا يكون حال العاشق عبد الرحمن فى الهجران؟

" ٣٦١٦

' ٣٣٥- بلبل فى الخريف '

اعرف حال البلبل فى موسم الخريف
ثم قم بمشاهدة الأزهار فى الحديقة
إذا لم تمر المرارة بحلقك " فى فمك "
فإنك لن تحس بطعم الحلاوة فى فمك
إننى قد عثرت على لذة الوصال فى الفراق
لقد لاقيت يوسف عليه السلام فى السجن
كما أن المتن من المعنى، والمعنى من المتن
فكذلك حبيبى فى فؤادى وروحى
لا تظن العشق أمرا سهلا، تنبه إلى ذلك
فى هذا الميدان تضحية وفداء فى كل لحظة
احذر من ضعف الضعيف والعاجز
وإن كنت قويا فى نفسك مائة مرة

إن الـذى يعـذب إنســانا آخـر فـى الدنيـا
فإنـه هـو الــذى سـيتعذب بعــد الوفــاة[1]
إن حالة عبد الرحمن ووضعه من غير الحبيـب
كحالـة المســاجين والمحبوسـين فـى الســجن

" ٣٦٢٤ "

' ٣٣٦- غلبة الهم على القلب '

قلبــى يغــرق فــى موجـــات غلبـــة غمـــك غرقـــا
مثـــل الشـــخص الـــذى يغـــرق فـــى المـــاء
لا أستطيع الخروج من موجة عشقك إلى أية جهـة
لقد سقطت كلتا يدى عن العمـل فـى سباحة العشـق
لقد رجعت مائة مرة عـن التوبـة و لم أتبرأ مـن العشـق
مـا بقيـت الحيويـة والثقـة فـى التوبـة عـن العشـق
إنـك حـين ترحـل عنـى فـانظر إلى مطـر دموعـى
ممنوع توجه السفر فى هذه الأمواج المتواليـة مـن المطـر
إن قمـرا واحـدا لا تسـاويه آلاف مـن نجـوم السـماء
مـاذا يفعـل الإنسـان بجماعـات النـاس مـن غـيرك؟
العشـــق والعقـــل كلاهمـــا ضـــدان إن تفهـــم
متـى يسـتقر ويهـدأ شـرر النـار فـى اللهـب؟

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كل من يحرق نفسه بنار الحب يا عبد الرحمن فليحـترق

ما جعل الله أحدا من العشاق فى النار كنـار إبراهيـم

" ٣٦٣١ "

' ٣٣٧- السرور والسعادة بالتواضع '[1]

إننى مسـرور وسـعيد بـالتواضع عنـد عتبتـك

مثـل سـرور الأمـراء وسـعادتهم بإمـارتهم

إن كـان العشـق مشـقة بالنسـبة للآخريـن

فإننى قد وجدت ثروة السعادة فى هـذه المشـقة

إن كان الناس يدعون المريض بأنـه غـير مسـرور

فإننى مسـرور وسـعيد فـى مـرض عشـقك

انظـر إلى منـافذ النـور فـى سـقف دارك

مثـل ذلـك عينـى فـى اليقظـة والسـهر

الحبيب يقوم بتطهـير عـين الحبيـب مـن الدمـوع

أما أنت فقد جعلت من دموعى بحرا فـى الحـب

لقد جعلت ظهـرى إلى الحبيـب عـاجزا مضطـرا

عـذر الإنسـان فـى العجـز والاضطـرار الشـديد

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٥١، تحقيـق لفيـف مـن علمـاء الأفغـان، وديوانـه ١٦٣ مقدمـة سـيد رسول رسا، ولايذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر.

لن يكون قد رضى بالغم عاقل من العقــلاء أبـدا
أما أنـا فـإننى قـد رضيـت بغمـك عـاقلا فاهمـا
كيـف يمكـن أن تســتقر دمــوع عبـد الرحمـــن
مـن الــذى قـد شــاهد البحـر فـى الاسـتقرار؟

" ٣٦٣٩ "

' ٣٣٨- الوجوه البيضاء '

الوجــوه البيضــاء تصبــح فــى الشــيخوخة فخّــارا أســـود
والقامـات المستقيمة تصبـح فـى الشيخوخة أخشـابا عوجـاء
" يصبح المعمـر "[1] كشــمعة الســحر، أو كشــمس الشــتاء
ويصبــح عديــم المقــدرة، مصفــر الوجــه كنتيجــة للكـــبر
يهـتز رأسـه مـن جهـة ويذهـب إلى جهـة أخـرى بـلا هـدف
فـى الشـيخوخة يصبـح جسـم الإنســان غريبـا عليـه تمامـا
يصبـح الشـيخ المعمــر فــى عــداد الموتــى، وقــد تم الجهــاد
وإن كـان يبـدو فـى شـيخوخته ويظهـر حيـا مـن الأحيــاء
بـل الميـت أحسـن منـه حـالا حيـث يبعـث بعـد المـوت حيـا
ليـس هـذا بـألا يعـود الإنسـان شـابا فـى الشــيخوخة فقــط
بل إن أكـل شـيئا فإنـه لايتـم هضمـه بيسـر وسـهولة كالسـم
وفى الشــيخوخة لايقـدر الإنســان أن يشـرب شـيئا أو يـأكل

---

(١) يصبح المعمر: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.

في مرحلـة الشـباب يمكنـه أن يسـمع وأن يـرى ويبصـر
وفي مرحلة الشيخوخة لايمكنه أن يسـمع أو أن يـرى ويبصر
إن الشـيخوخة يـا عبـد الرحمـن تعنـي الضعـف والعجـز
إن الشيخ يستحق العطف في شيخوخته وإن كـان رسـتم[1]

"٣٦٤٧"

'٣٣٩- الغدائر المنثورة '[2]

ليتنـي قـد شـاهدت غدائـر الحبيـب المنشـورة مـرة
غدائره المطوية المنعطفـة فـي حلـق فـوق عارضـه
إذا كـان لسـواد الغدائر ظـلام حـالك فـي الظـاهر
فـإن لهـا في الحقيقـة بيـاض مضـيء ولمعـان منــير
إن هـذه قـدرة(حكمـة) إلهيـة، تعـال وقـم بمشـاهدتها
حيث صارت الغدائر العديمة العقـل طوقـا لعنـق العـاقل

---

(١) رستم: هو ابن زال وحفيد سام وسهراب كابلي، حارب التورانيين (الطورانيين) أيام كـل من كيقباد وكيكاوس وكيخسرو من ملوك آريانا وانتصر عليهم، وانتصاراته مذكورة فـي شاهنامة الفردوسي.وحارب كذلك اسفنديار بن گشتاسب، فانتصر عليـه، وخلـع عينيـه. ثم قتله أخوه شغاد غدرا حيث حفر في طريقه بئرا فوقع فيها ومات.

(٢) ديوان عبد الرحمن ٢٥٢، ٢٥٣ تحقيق لفيف من علمـاء الأفغـان، أكاديميـة البشـتو، كـابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولايذكرها ديوانه مقدمـة مولانـا عبـد القـادر، أكاديميـة البشـتو، بشـاور ١٩٨٧م، وكذلـك لايذكرهـا ديوانـه مقدمـة سـيد رسـول رسـا، وكالـة الكتـب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

الضفائر المتنائمة المتدلية على أكتاف الحبيب فى حيرة
قد جعلت أعماق قلبى كنفسها فى حيرة شديدة أيضا
بشميم من طيبها العاطر أصبحت معطرا متطيبا
ما جعل الله الغدائر نادمة على عدلها وانصافها
إلى أية جهة سأخرج منها برأسى ونفسى
حيث حبال الغدائر تحيط برقبتى بإحكام
أذرف الدموع الدموية من كلتا عينى
لأننى أنا عبد الرحمن أشاهد ضفائر الحبيب الضاحكة

" ٣٦٥٤ "

٣٤٠- العثور على كنز اللؤلؤ والمرجان

إننى حين عثرت على وصال الحبيب ونلته
فإننى قد عثرت بذلك على كنز اللؤلؤ والمرجان
لم أكن أتوقع من حظى وأنتظر منه إلى هذه الدرجة
لست أدرى كيف تمكنت من العثور عليه ونلته
إذا كان الله قد منحنى اياه بعد مشقة كبيرة
فإننى أقول: لقد عثرت عليه بسهولة ويسر
حين حصل وتم وصالى به وإن كان ذلك للحظة
فإننى قد نلت وحصلت على أجر الفراق وثوابه
لا عجب إن أصبح ما فى العالم كله ملكا لى
حيث إننى قد عثرت على ملك العالم كله

أنا عبد الرحمن أشكر الله على أشعارى
لأننى قد عثرت على هذا الديوان المتعدد الألوان

"٣٦٦٠"

"٣٤١- جميل الوجه"

إننى حين نظرت إلى جميل الوجه بطرف عينيّ
فقد ذرفت الدموع الدموية من هاتين العينين
فقد نالتا جزاء ما قامتا به من العمل بحق
وقد جرت العادة دائما هكذا: فقد حصد ما زرعه
قلبه أكثر قتلا من غمزاته بنسبة الواحد إلى المائة
ويقوم دائما بحد السكاكين والسيوف وسنها بالحجر
كيف يطالب بالغرامة من عمل عملا ونفذه بنفسه
حيث قام بقطع عضلات رجليه بسيفه
إننى كنت أشاهد هذا الهلاك فى حبك منذ
أن كان الدرويش (الفقير) يتباهى مدعيا الملك
كيف يمكن لأحد أن يطلب من الحسان الوفاء
متى كانت شجرة السرو تثمر الزبيب؟
اجلس والزم بابه زاهدا فى متاع الدنيا
ناثرا شعر الرأس شعثا مغبرا ملوثا بالرماد
لو كان سجل حظ الإنسان ونصيبه فى يده
متى كان أحد من الناس أن يقبل الحظ السيئ

حين كان " الله " يمنح الطيبة للطيبين الصالحين
فإن سيئى الحظ لم يطلبوا الشقاوة وسوء الحظ
ينهض بالبعض من بين التراب والرماد يعطيه عرشا
ويرمى بالبعض من فوق العرش فى مزبلة الرماد
إن لم يكن فى نيتك الصداقة والحب أيها الحبيب
فلماذا لم تقم بخياطة عينى عبد الرحمن؟
يوم الأزل الذى كان يتم فيه اللعب بتقسيم الحظوظ
فالبعض يا عبد الرحمن قد خسر والبعض الآخر قد انتصر

" ٣٦٧٢ "

' ٣٤٢- شراء الدنيا بالدين '

لماذا تبدل الدين والإيمان بالدنيا
ولماذا لاتعرف منفعتك من خسارتك ولاتفرق بينهما؟
تشكو وتعتب دائما بدلا من الشكر والثناء عليه
لماذا تنكر نعم الله عليك وعطاياه؟
قد منحك الله قوة القيام على كل عمل
فلماذا تقول بأنك عديم القوة مع قوتك الزائدة؟
إنك تذرف الدموع بكد دائما لكسب الرزق وهمه الملح
لماذا تبيع اللؤلؤ والجوهر بأبخس الأثمان
فى كل مساء تقوم بإعداد لوازم الحياة ليوم غد
لماذا أصبحت أعمى وأصم فلا تعد لوازم يوم الحشر؟

كـل نبـات يجـد المـاء والرطوبـة دون تحـرك مـن مكانـه
فلمـاذا تقـوم أنـت بمسـح العـالم بحثـا عـن الـرزق؟
إنـك حـين تطلـب رضـاك قبـل القضـاء والقـدر
فلمـاذا ترمـى السـماء عبثـا بقوالـب مـن المـدر اليـابس؟
مـت حيـا حتـى تتخلـص مـن غـم المـوت وهمـه
لمـاذا صعبـت علـى نفسـك أمـرا وهـو سـهل؟
لقـد حملـت علـى قلبـك حـب غـيره ووده
فلمـاذا تقـوم بإدخـال الأصنـام إلى الكعبـة؟
ذهـب منـك قلبـك فـى اتبـاع رغبـات نفسـك
لمـاذا اسـلمت القـرآن الكريـم إلى يـد الخبيـث؟
إن كنـت تجـد يوسـف بثمـن عبـد حبشـى
فلمـاذا لا تقـوم ببـذل نفسـك ثمنـا للمطلـوب؟
إن المسـئ ينـدم علـى السـيئات يـا عبـد الرحمـن
أمـا أنـت فلمـاذا لم تنـدم علـى سـيئاتك؟

" ٣٦٨٤ "

' ٣٤٣- لماذا البكاء لغير الله؟ '

لمـاذا تبكـى لأجـل شـئ آخـر مـن غـير الله
لمـاذا تصـرخ عبثـا مثـل ذوات الأربعـة؟
حين تطحـن الخبز بـالمضغ والاجترار فإنك سـليم معـاف
فلمـاذا تتكلـم بخشـونة وتتحـدث بغلظـة؟

اطحـن كلامـك ونعـم حديثـك بمضغـك واحـترازك
لمـاذا تجعـل أنيـابك حـادة للعـض بهـا؟
إن عملـك الـذى يمكـن أن تقـوم بـه بقـول لطيـف
فلمـاذا تقـوم عبثـا بإلقـاء بصـاقك إلى الـوراء؟
الطيـب يناسـب الطيـب والخبيـث يناسـب الخبيـث
فلمـاذ تقـوم بخلـط الطيـب والخبيـث معـا؟
لا تستطيع أن تضع خطوة واحدة فى الطريق الواصل نحو الله
فلمـاذا تسـير فـى العمـر كلـه فـى العبـث واللعـب؟
لقـد قمـت بإلقـاء طـوق التعلـق فـى عنقـك دائمـا
فلمـاذا لا تسـتطيع إخـراج هـذا الطـوق مـن عنقـك؟
بالنهـار تدعـى وتتبـاهى بـالزهد يـاعبد الرحمـن
فلمـاذا تطلـب الخمـر مـن الخمـارين وقـت الليـل؟

" ٣٦٩٢ "

' ٣٤٤- الجهل والذكاء '

إنـك حـين تدعـى أن جهلـك ذكـاء وعلـم
ليتك وجدت الأرز غير المقشوش بسعر الـذرة الشامية
إن العشـق عـدل وانصـاف أنزلـه الله علـى العاشـق
وليـس مـن النـوع الـذى يقـوم أحـد بشـرائه أو بيعـه
لـن تـأتى إلى الوجـود مفتونـة أخـرى مثـل زليخـا
وإن اجتمعت كل نسـاء مصـر للبحـث عـن مثيلـة لها

إن البحر الذى ماؤه طينى ملوث بالتراب

لايحسب من البحار وإن كان فى الظاهر بحرا[1]

إن الذين حل همهم فى شئون البيت والأسرة

كيف يمكنهم أن يفكروا فى غم الحبيب وهمه[2] ؟

إن العشق لاينشأ بجوار موقد النار داخل المنزل

إن لم تقم بالتضرع والسعى الحثيث لأجل الحبيب

لاتكن مغرورا بنعم الوصال واللقاء مع الحبيب

تنبه،إن الفراق قد خلق وأنشأ الذبول للقلب

إن أحدا لم يقم بوزن اللؤلؤ والجوهر بالميزان

شعر عبد الرحمن جوهر فكيف تقوم بوزنه بالميزان؟

"٣٧٠٠"

' ٣٤٥- الغارق فى بحر الغموم '

إننى غارق فى بحر غمومك ذاهب فى عمقه

مضروب مدقوق مذبوح كالسمك الميت بلا شفرة

كنت أراك وأنت قد شددت وتر القوس بقوة

إنك قد رميتنى وأصبتنى بقوس حواجبك رميا

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كنت أرى وأنظر إلى نفسى حتى الوقت الذى
لم تكن أنت قد أتيت فيه تحت نظرى وبصرى
الآن وقد نسيت نفسى وعالمى فى سبيل حبك
وسرت أمام طوفان السيل كالتبن سيرا
إن العشق سيجعل منه جناح طير أمام الريح
وإن كان قد تمكن من مكان محكم مثل جبل القاف[1]
من خرج عن بحر العشق وابتعد صحيحا سالما
فإننى أعتقد أنه قد ولد من أمه فى هذا اليوم
كل من أصابه الابتلاء بمصيبة الغدائر السوداء
فإنه لم يعد إلى منزله سليما صحيحا مرة أخرى
من سقط من فوق الجبال العالية يقوم ثانية
لايستطيع القيام من سقط من فوق القلوب
من ضربه وأحرقه لهب النار يتم شفاؤه ثانية
لايتم شفاء من ضربه وأحرقه لهب الإيذاء
أنا عبد الرحمن أراه وأشاهده كل لحظة فى غمك
وإن لم يكن أحد قد رأى موته وشاهده بعينيه

"٣٧١٠"

(١) جبل القاف: لمعرفة هذا الجبل الخرافى راجع ص ١٨٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

' ٣٤٦- مشقة الزراعة بمياه الأمطار '

إن الذيـــن يزرعـــون أراضيهـــم بالأمطـــار والســـيول
يكـون عمرهـم كله عـذاب فى عذاب وكـد فى كـد
إن الوطـــن الـــذى لا يوجـــد فيـــه بحـــر أو نهـــر
فـإن المزارعـين فيـه يكونـون تعسـاء، بيوتهـم خربـة
تشـخص عيونهـم إلى السـماء علـى أمـل نـزول المطـر
فى انتظار المطر من السماء يكونـون بـلا نـوم مـن القلق
كمـن يقلى السـمك فـى المقـلاة فـوق النـار المشـتعلة
فهـؤلاء سيشـوون مثـل ذلـك السـمك بالنـار شـيا
علـى انتظـار متى تـنزل عليهـم الأمطـار وتهطـل هطـولا
حتـى يرتـوى نخيلهـم وزرعهـم ريـا ويمتلـىء بالمـاء
يطلبـون مـن الله المـاء دائمـا أبـدا وبإلحـاح شـديد
لعـل الله يستجيب لطلبهـم فـى حيـاتهم قبـل الممـات
كما أن آذانهم تكون دائما فـى انتظـار سماع خرير المـاء
لا تلتفـت آذانهـم مثـل ذلـك إلى نغمـات النـاى والربـاب
وإن نـزل عليهـم المطـر وهطـل مسـتمرا طـوال حيـاتهم
فـإن حـرارة الشـمس مـع ذلـك تسـتمر فـى أبدانهـم
مـن شـدة رعـب الحـر والجفـاف المخيـف بأخطـاره
فـإنهم يعتـبرون القمـر مثـل الشـمس فـى ذلـك

مـن نـدرة المـاء وقلتـه وقيمتـه الزائـدة فـوق الطاقـة
فـإن حطبهـم وأوانيهـم تكـون قـذرة مبتلـة بالمـاء النـتن
لا يميـزون بـين الطـاهر النقـى وغـير الطـاهر
وإن اختلـط مـاؤهم وامـتزج بـالبول مزجـا
عندما يقبلون علـى تقسيم المياه فـلا يقومـون بالإنصـاف
وإن كـانوا يحملـون فـى أيديهـم أوراقـا مـن الكتـاب
وعندما يقبلون علـى سرقة المياه فـلا يعـودون مـن ذلـك
وإن كـانوا مـن سـكان التكايـا والمعـابد والمحـاريب
لايرغبـون فـى كسـب ثـواب المـاء بـأيديهم
وإن كـان ثـواب جرعـة مـاء يسـاوى ثـواب الحـج
لا يرجـون مـن الله نـزول المطـر عليهـم ليأسـهم
وإن كـان السـحاب فـوق رؤوسـهم ليـلا ونهـارا
كيـف تـزول القـذارة والوسـاخة مـن أبدانهـم
إن كـان المـاء عندهـم غـير موجـود وأنـدر مـن الـورد
عندمـا يـأتون إلى مكـان يتطلـب تغريـز الأظـافر
فمن كان مثل طائرالعقاب يجعل نفسه أقل من طائرالتدرج
لا تسـألهم عـن الغسـل والوضـوء والنظافـة والطهـور
إذا كانت نقطة ماء واحدة نادرة عندهم كالجوهر النفيس
بسبب تكرارالتيمم بدلا من الوضـوء والغسـل لنـدرة المـاء
فـإن لحـاهم وذقونهـم ملبـدة مغـبرة بالـتراب

متى يوجد الماء فى وجه من يعيش بمياه الأمطار؟
فالناس الذين ليس لهم ماء ليس لهم احترام
حتى فى حالة وجود الماء فإن بيته خراب ودمار
إن كان يعيش فى قرية تقع تحت قرية أخرى
ليس فى المقدور أن ينتصر على من يتحكم فى قناة الماء
من كان فى القرية السفلى وإن كان أبوه سيدا من الأعيان
متى يمكنه أن يجد حسابا صحيحا عادلا من قومه؟
يعيش دائما تحت حساب الآخرين من بنى قومه
ليست لديه مقدرة القول الشديد ولا لديه صبر وتحمل
يلتوى ويتحمل كالثعبان المصاب فى ظهره بجرح
لايستطيع أن يقتل أو يثير بيديه فتنة بين الناس
ويداه مربوطتان بحبل الحياء والأدب والخجل
إن أراد أن يعيش وأراد الدنيا فإنه يتحمل ويصبر
ويتجنب دائما عن السيئات والفواحش من العمل
وإذا خرج من فمه قول واحد من الفحش السئ
فإنه يوجه العتاب واللوم إلى نفسه فورا
يعتدى عليه ذلك الشخص الضعيف الذى
ليست لديه مقدرة للسؤال أو للإجابة
يتحول الحمار والفلاح الأحمر إلى الأفغان
وهو فى الأصل إما أن يكون اسكافا أو جزارا

لايؤثـر القـول اللطيـف الطيـب فـى هـؤلاء الذيـن
قلوبهـم وأفئدتهـم خاليـة مـن الحيـاء والحجـاب
مثـل الشـيطان الـذى يصبـح فـى شـكل الإنسـان
تعتقـد بأنـه إنسـان، ولكنـه يكـون بهيمـا مـن الـدواب
لا يـترك خلقـه السـئ بـأى حـال مـن الأحـوال
هكـذا يكـون ثمـلا سـكران بخمـر الجهـل والجهالـة
لو وقع شريف من الأشراف فى أيدى مثل هـؤلاء الدبب
فمـن أى بـاب مـن أبـواب المـنزل يمكـن نجاتـه؟
مـا رزق الله أحـدا مـن النـاس مثـل هـذا الـرزق
مـن كـان أسـباب رزقـه مثـل هـذه الأسـباب
إن الأفضـل مـن مثـل هـذه الملكيـة لـلأرض هـو ذلـك
الخـادم عنـد أحـد الكفـرة الأسـود كـالكلب
الأفضـل لـه أن يكـون خادمـا لأحـد الكـلاب
اتـرك جانبـا ذلـك الـذى لقبـه نـواب[1]
إن قـوم عبـد الرحمـن يسعدهم من شـدة غـم الجفـاف
أن يرحلـوا عـن هـذا العـالم مسـرعين مستعجلين المـوت

" ٣٧٤٧ "

---

(١) نواب: لقب من ألقاب أبناء الملوك. وكان الإنجليز أيام حكمهم فى الهند يمنحونه لبعض الأثرياء والإقطاعيين.

' ٣٤٧- الفتنة نائمة '

إن عيونـــك النعســـانة نائمـــة علـــى الـــدوام
إن الفتنــة إن نــامت ففـــى نومهـــا ثـــواب جزيـــل
كمـــا أن الخمـــرة تتجلـــى فـــى القـــارورة الملونـــة
فإن نور الحسن والجمال فى الحجاب مثلها بلا حجاب
إنك حين تقـوم بقـراءة درس الصبر والتحمـل لأجلـى
فإننى راض على ذلك أيضا لو كانت لدى قوة التحمل
إن سبب بكائى وحسـرتى علـى الحسـناوات الفاتنـات
هـو أن البكـاء والنحيـب جمـال وجـه العشـاق ورواؤه
إن كان الإنسان عديـم الفهـم فإنه يفهـم علـى الأقـل
بأن أحدا لا يبكى على الحبيب وهو كـاذب فـى ذلـك
إن عيـون العاشـق قـد تنظفـت وتطهـرت بسـبب
أنـه دائمـا علـى ضفـة النهـر كالحبـاب فـوق المـاء
مـاذا يمكـن أن يـأخذه مـن بيـت خـال لا شـئ فيـه
أم أن السيل قـد ركـب عاليـا فـوق رأس الحبـاب
كذلـك قـد نشـأ تأثـير مؤثـر فـى نغمتـه العذبـة
حيـث ينتظـر الربـاب صـابرا ببطـن فـارغ مجـوف
إن الحريـص الطمعـان ليـس لـه نصيـب التمتـع بنقـوده
فهـو كالثعبـان ينعطـف ملتويـا مـن فـوق الكـنز

العشاق الكاملون لايقيمون العلاقات الدنيوية
فهم كأوراق الخريف أرجلهم فى ركاب الرحيل
إن التغافل فى الدنيا ليس من العجائب
حيث إن كل سكان الخمارات فى غفلة خمارون
من أراد السرور والفرح بلا عد ولا حساب
فكيف يتم حساب غموم عبد الرحمن وعدها؟

" ٣٧٥٩ "

' ٣٤٨- التوادد فى الوجود والعدم '

إن الذين يوجد بينهم التودد والمحبة
فهم فى تفرغ كامل من الوجود والعدم
إن مقام العشق أعلى وأرفع من مقام ذلك الذى
يكون مقامه فى حالات المشقة أوالراحة
يستوى أن يكون المحروق بلهب النار أو الثلج
فالعشق عشق يستوى فيه الفراق والوصال
من كان مطلبه ومدعاه هو الله تعالى ومرضاته
فإن جلوسه وقيامه كله عبادة خالصة لله تعالى
من مات فى الطريق على بعد خطوتين فقد صار حاجا
بشرط أن يكون قد نوى السفر إلى مكة المكرمة
من يتبع أولياء الله الصالحين ويقلد أعمالهم
فإن عمله هذا فى الحقيقة يعنى الولاية بعينها

يستوى فى نظر الإنسان وبصره التراب والذهب
و ذلك فى الوقت الذى يرحل فيه عن العالم
لو تربع فوق عرش من الذهب، حصل الجهاد وتم
إن قليل الفهم فى نظر الفهيم العاقل بلا احترام
هناك حد بين العالم والجاهل وفرق بينهما
إن الذكاء فوق حدود معينة حماقة وجهل
ليس بمطلوب أن يتعدى الإنسان حدوده المعينة
حرمة كل إنسان واحترامه فى بيته ومنزله
إن كان الآخرون من أهل العالم فى غموم الدنيا
فإن لدى عبد الرحمن غموم الآخرة وهمومها الملحة

" ٣٧٧٠ "

' ٣٤٩- منشية المحن والآلام '

المبنى الذى اسمه منشية المحن والآلام
كيف يمكن أن يسعد فيه خاطر الإنسان؟
كيف يزداد دم طائر من الطيور بالطعام والشراب
إذا كان كل طائر منها فى قفص الصياد؟
متى يتفاعل مذاق الطعام وطعمه فى فم إنسان مريض
وإن كان معتادا على تناول مائة نوع من الطعام؟
إن كل مكان سجن لمقيدى الأرحل بالأغلال
والطليق الحر طليق حر فى كل مكان

إن العشق بلون واحد لا يتغير ولا يتبدل

يستوى فى ذلك ما تقوم به يد الحبيب من العدل أو الظلم

إن علامة السعادة فى العالم هى تلك التى

يكون العاشق فيها بلا أصل وبلا أساس من أجل الحبيب

وجود الكينونة فى حقيقة الأمر والواقع

هو الاعتقاد الجازم بانعدام البدن وكينونته

إن عمارات الدهر وعمرانه فيها نقص ونقصان

وإن كانت تحتها مائة عمود من الصلب

إن الحياة عبارة عن لحظة الوجود إن فهمها أحد

متى يتذكر الإنسان الماضى والمستقبل؟

هذه الدنيا مثل طوفان السيل تجرى بلا انقطاع

لا تقف عند أحد ولا قيام لها عند أحد

إن الذين علمهم الله العلم والمعرفة بنفسه

ما حاجتهم إلى قيام المعلم بتعليمهم

من كان يملك داخل قلبه إرادة قوية كاملة

فإنه فى غنى عن إشارة المرشد وإرشاده

إن كثيرا من الأحباب قد فارقوه، فإنه غير ملوم

إن كان عبد الرحمن يشكو كثيرا من الفراق

" ٣٧٨٣ "

' ٣٥٠- الترابط المحكم '

مهما كانت أعضاء جسم الإنسان فى الحياة محكمة الاتصال

فإن كل بدنه بعد الموت سيكون مفكوكا بعضه عن بعض

إننى سأقسم بالله تعالى لتأكيد ذلك ألف مرة

إن كنت تصدق فى هذا الباب القسم المؤكد وتقبله

إما أن يقوم الإنسان بالرحيل قبلك أو بعدك

سواء كان أخاك أوقريبا عزيزا عليك أو ابنك

إن دوران الدهر سيسحقه تحت الأقدام والأرجل

وإن كان بالقطع أرفع شموخا وأعلى من السماء

إذا كان فمك اليوم يملؤه السكر والحلو طول الحياة

فاعتبره مكيالا مليئا بالتراب بعد الموت[1]

كل من يعيش فى هذه الدنيا حرا طليقا من كل قيد

فإن الكل سيعيش بعد الموت مقيدا مغلولا محبوسا

كل من لم يقم بإخضاع رقبته لأوامر الحق تعالى

سيكون فى رقبته دائما أبدا قيد الأغلال

هذا القول الذى أوجهه إليك، إن شاء الله

سيكون واضحا بينا فى الآيات والأحاديث الشريفة

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن كنت لا تقبل الآيات القرآنية الكريمة ولا تصدقها
فكيف يصبح قولي هذا موعظة لك ونصيحة ؟
كل كلام محبوب مقبول يرغبه القلب ويهواه الفؤاد
لن يصبح أبدا غير مقبول مرفوضا بإنكار المنكر[1]
يا إلهي الكريم، امنح عبد الرحمن كنز القناعة
ليكون ثريا غنيا بدون الملك والحشم والثروة

" ٣٧٩٤ "

' ٣٥١- تحمل غموم العالم وهمومه '

لو وضع حمل الغموم في العالم كله فوق رأسي
فإن ذلك كله أمر سهل لو أصبح الحبيب حبيبا
إن أصبح بدني الواحد هذا ألف بدن قطعا ويقينا
فإنني سابذله وأضحي به ألف مرة باسم الحبيب[2]
ليس في عداد العشاق والمحبين هو ذلك الذي
تكون علامات الحرقة فوق صدره معدومة
إن أمر العشق الذي خلقه الله من الأمور الصعبة
متى كان في العالم أمرا آخر أصعب من العشق؟

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن لم تحفـر الدمـوع فـى وجهـه طرقـا ومجـارى
فإنـه متـى تكـون لهؤلاء طريـق للوصـول إلى الحسـان؟
إنك حين ترغب فى الحصول على زهرة فى شكل حبيبى
فإنه متى توجـد مثـل هـذه الأزهـار فـى روضـة الأزهـار؟
لاتوجـد أبـدا لا فـى السـوق ولا فـى المدينـة والقريـة
تلـك البضاعـة التـى توجـد فـى سـوق الحسـان
إننـى لا أرى بعينـى وجهـا آخـر مثـل وجـه الحبيـب
وإن كـان فـى كـل جهـة الآلاف والآلاف مـن الحسـان
إن نظـر العاشـق لايكـون علـى الكثـير أو القليـل
سـواء كـانت رؤيـة الحبيـب بـالقليل أو بالكثـير
يوجـد الآلاف مـن الحسـان ولكننـى أقسـم بـالله
أن كـان يوجـد مثـل حبيبـى حبيـب إنسـان آخـر
المـوت لا يمهـل أحـدا إلى فرصتـه يـا عبـد الرحمـن
إن كـانت هنـاك مهلـة لقـدم الحبيـب نفسـه علـى حبيبـه

" ٣٨٠٥ "

' ٣٥٢- التفكير فى المحبوب '

كيـف يمكـن أن يكـون فـى قلوبهـم تفكـير فـى الحبيـب
إذا كـان لهـم الآلاف مـن الأحبـاب فـى كـل جهـة؟
إن المصـاب الحقيقـى بعشـق الحبيـب هـو ذلـك
الذى يكون قد استغفر وتاب عن العلاقات الودية الأخرى

إذا كـان الصـبر والاسـتقرار مـن غـيرك أيهـا الحبيـب

فقـد أصبـح هـذا الصـبر والاسـتقرار حرامـا علـى[1]

إن الحيـاة تكـون جميلـة بوصـال الحبيـب ولقائـه

مـا الفـائدة مـن الحيـاة إذا كـانت مـن غـير الحبيـب؟

حـاش لله، لا إيـذاء ولا عـذاب ولا إضـرار فـى العشـق

إن لحـق بقلبـى قليـل مـن ايذائـك أو عذابـك

لا تقـل لـه عاشـقا حيـث لا يليـق بهـذا الخطـاب

مـن كـان يفكـر إمـا فـى رأسـه وإمـا فـى عمامتـه

إذا كـان الحبيـب يشـغل النـار فـى الحبيـب

فإن تلـك النـار تكـون روضـة الأزهـار فى نظـر العشـاق

مكانـه أصبـح نـارا مـن كـان فـى عنقـه زنـار

إلا أنـه ليـس ذلـك الـذى يحمـل زنـار غدائـرك

إذا كـان حـامل زنـار ضفـائرك يحـترق بالنـار

فـإن هـذه النـار تكـون أيضـا نـار وجهـك

الفتيـات اللائـى فـى ديـارهن مثـل عبـد الرحمـن المجنـون

فإن أمر عشقهن سيفتضح كافتضاح أمـر ليلى العامريـة[2]

" ٣٨١٥ "

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

' ٣٥٣- الأغراب وحب الخاطر '

إذا كـان حـب خـاطرك ووده يعشـق الأغـراب

فليكـن الغريـب حبيبـي لأجلـك أيهـا الحبيـب

عندمـا يعشـق الإنسـان وجهـا واحـدا مـن الوجـوه

فإنه لأجل الوجه الواحد يكون فـي حاجـة إلى مائـة وجـه

كـل مـن يقـوم بخدمـة الملـوك والأمـراء والحكـام

فإن عليـه أن يتحمـل بـالضرورة منـة حـراس القصـور

كيـف لى أن أقـوم ببـث الشـكوى مـن رقبـائك؟

والعـادة قـد جـرت على أن تكـون مـع الـوردة شـوكة

كيف الوصال إن لم تنغرز مائة شوكة فى صدرك لأجله؟

متى يجـد البلبـل الطريـق إلىالـوردة بـدون الشـوكة؟

سـيقوم بفـرش سـجادة الصـلاة عـن طريـق السـاقى

كـل صوفـى (زاهـد) يطلـب الأزهـار الحمـراء ويشـتريها

بجذبـة عشـق واحـدة وقوتهـا الدافعـة سـيفقد العقـل

وإن كـان عـاقلا ذكيـا كـأفلاطون بـالقطع واليقـين

لـن يلـوم عبـد الرحمـن ولـن يعتـب عليـه عتابـا

كـل مـن يكـون عالمـا بحسـنك وجمـالك وبتأثـيره

" ٣٨٢٣ "

' ٣٥٤- طائر الوصال ونار الفراق '

ليتنـــى صــرت طــائرا وطــرت فــى فضــاء الوصـــال

وصــار كــل جسـمى مـاء بذوبانــه فــى نــار الفــراق

لاينشأ فى جسمه ريش الهوس ولايموت من شـدة الغـم

إنـه إنسـان صلـب، وإلا لكـان مـن الممكـن أن يتـأثر

إن كـان للقلـب أن يتفجـر لتفجـر مـن هـذا الغـم

الذى يعترى عليه عند ما يتذكـر مشـقة فـراق الحبيـب

حينمـــا أنظـــر إلى الأفعـــال الظالمـــة للرقبـــاء

فإن عينىّ السوداوين تعميان من حرارة آهـات العاشـق

إلهى! لـن ينقـص مـن كمـال كمـالك شـئ أبـدا

إن لم يحـدث الفـراق والبعـد بـين الحبيبـين

إن الذيـن يفرقـون بـين الحبيبـين ويبعـدون بينهمـا

ليتنى قـد وصـل خـبر موتهـم وهلاكهـم إلى الأذن!

لعـل أحـدا مـن النـاس قـدم لى تعويـذة إرضـاء لله

حتـى أصبـح فـى فكـر ذلـك الحبيـب طيبـا مقبـولا

ليتنـى رأيـت الحبيـب مـرة بعينـىّ بأنـه هـذا هـو

فليحـدث بعـد هـذه الرؤيـة مـا يحـدث هنـاك

ليتـه يذكـر اسمـى علـى لسـانه مـرة واحـدة

فمـا بقـى اسمـى بعـد ذلـك فـى هـذا العـالم

كما أنه يعمل بما يقوله الرقيب فى العمر كله
ليته لو عمل كذلك بما أقوله لحظة واحدة
أنا عبد الرحمن فى حيرة حقا من هذا الأمر
لست أدرى ماذا سيحدث من غم الحبيب؟

" ٣٨٣٤ "

' ٣٥٥- دموع على الوجه '

جريان الدموع فوق وجهك على الدوام
يساوى تماما جرح السيوف القاطعة بعينها
إن أصبحت فتحة قميصى عند الصدر مشرقة للقمر والشمس
فإنه يكون ظلاما حين لا أرى الحبيب بعينىّ الاثنتين
ليس فى المقدور أن يضرب بشوكة اللدغ
وإن كانت العقرب قد وقعت على قلب إنسان
كيف يستطيع إنسان أن يقوم برفع رأسه هنا
إن كانت غدائر الحبيب نفسها تنعطف انعطافا فى انعطاف؟
عندما تكون المعشوقة مجروحة بغم العاشق
فلتخرج عينا العاشق إن كان بلا غم وبلا هم
قل إن الصداقة والتآنس بين الصديقين الأنيسين
بأن تكون حياتهما فى لحظة التآنس على نفس واحد
إن بهره سرور كل العالم وبهجته سعادته
ما سر الله وما أسعد من يسر ويبتهج من غم الحبيب

لا ظلم ولا جور أكبر وأكثر من ظلم الفراق وجوره

في قياس[1] من رأى وشاهد مائة نوع من الظلم

إن هذا القضاء غير متوقف على حكم القاضى

كل من الحبيبين يعرف: من المحكوم عليه ومن الملوم

إن الراحة والاستراحة والهدوء تلزم

من كان مقدما في تحمل الآلام ومشقة المحبة

عندما يصبح الدمع الدموى لعينيه حمرا خالصة

فإن الملك جم[2] يكون نديما دائما لتلك الكأس

الحظ والنصيب ليس في حاجة إلى الفضل والعلم

سواء كان الإنسان المحظوظ فى الأصل عربيا أو أعجميا

لاتطلب الفضل والعلم، بل اطلب من الله حظا سعيدا

ما جدوى الخاتم من غير سليمان عليه السلام ؟

إن ابتسامة عبد الرحمن بأجر البكاء

نضارة الورد تزداد بزيادة مقدار الندى

"٣٨٤٨"

---

(١) فى قياس: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.

(٢) جم: جام جم أى كأس الملك جمشيد. لمعرفة هذه القصة راجع ص ٢٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

' ٣٥٦- رأسى وقدمك '[١]

فليكـن رأسـى تحـت قدمـك دائمـا أيهـا الحبيـب

إلى اللحظـة التـى تـدوم فيهـا روحـى فـى بدنـى

كـل مـا مـن يـدك أيهـا الحبيـب نـافع لى ومفيـد

إن وضعت السـم على جرحـى فهـو مرهـم كالبلسـم

من غـيرك أظن أن مـا أشـرب بـه خـزف مـن الفخـار

وإن كان المنكوب علـى شـفائفى كـأس الملـك جـم[٢]

إن كان الآخرون من أهل العالم سـعداء بسـعادة الدنيـا

فإن قلبـى يكـون سـعيدا مبتهجـا دائمـا بهمـوم غمـك

إن حلـت علـى قلبـى ونزلـت عليـه مائـة غـم

فليكـن غمـك وهمومـه فـى مقدمـة تلـك الغمـوم

مـا جعلنـى الله عديـم الغـم فـارغ البـال مـن غمـك

إلى اللحظـة التـى تـدوم فيهـا روحـى فـى هيكلـى

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٦٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م،و لم يأت ذكرها في ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكادمية البشتو، بشاور ١٩٨٧م، ولا في ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، بشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

(٢) كأس الملك جم: ترجمة هذه العبارة " جام جم " وقصة " جام جم " أو كأس الملك جمشيد مشهورة في الآداب الأفغانية المختلفة. راجع ص ٢٢٠ هـ١ من هذا الكتاب.

إن عبـــد الرحمـــن ولهـــان وجهـــك، ويعلـــم الله
أنـــه ليـــس فـــى هـــذا زيـــادة أو نقصـــان أبـــدا

" ٣٨٥٥ "

' ٣٥٧- العاشق الولهان '

إنـــك حـــين تقـــول لى: مـــن الـــذى تعشـــقه وتهـــواه؟
إننـــى أحبـــك وأهـــواك، فقـــل لى أنـــت حبيـــب مـــن؟
بـــأى ذكـــاء يمكننـــى أن أغلبـــك وأجعلـــك ملومـــا؟
مـــن يعلـــم مـــا تعلمـــه؟ فقـــل بقـــدر مـــا تريـــد أن تقولـــه
إننـــى كنـــت متكـــبرا فحطـــم العشـــق جيـــدى وعنقـــى
أمـــا أنـــت فمـــا زلـــت علـــى كبريـــائك كمـــا كنـــت
لـــو أفنيـــت نفســـى فـــى ســـبيل حبـــك، مـــاذا سأســـتفيد؟
إن كنـت أنـت مـع هـذه الآهـات عديـم الميـلان بـلا خـوف
لا أفهم كيف صار موتى كأنه عيد هبـط عليـك مـن عنـد الله
هـل لـك فـى ذلـك منفعـة أم أنـك تريـد موتـى مطلقـا؟
مـاذا حـدث إن كنـت المشـار إليـه بالبنـان فـى حبـك؟
لأنـك أحـب إلى القـاضى والشـيخ أكـثر مـن حبـى لـك
وليصبـــح رأس عبـــد الرحمـــن فـــداء لســـيف عشـــقك
هـــذا أيضـــا أمـــر ميســـر أيهـــا الحبيـــب إن أردت ذلـــك

" ٣٨٦٢ "

٣٥٨- الحب الناضج

عندما يصبح الحب يانعا وينضج

فإن الفراق يرحل من بين الحبيبين

إن عدم وفاء المطلوب[١]

يصبح ذلك للطالب[٢] وفاء بالعهد[٣]

يغير العاشق السلطنة ويبدلها

بالتسول لأجل الرؤية واللقاء

يبيع ماله من الإقطاع بالشعير

الجاه والمنزلة بالجاه والمنزلة

لا ينظر ولا يفكر أبدا

في العظمة والفخامة والثراء

يبدو له كفرا وإلحادا

الغرور والاستبداد والتكبر

إن الاستبداد في العشق والحب

لا ينبغي للعاشق ولا يناسبه

---

(١) المطلوب: هو المطلوب المعشوق. راجع ص ٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

(٢) الطالب: هو العاشق الإلهي. راجع ص ٢٢٤ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن كانت العشيقات عديمة الوفاء

فإنه مع ذلك يقوم العاشق بالثناء عليهن

أذنه صماء عينه عمياء

بالنسبة لأخطاء حبيبه

إن كان قد تعلم مائة فن من العلوم

المختلفة الدينية والدنوية

فإنه ينسى كل ذلك

عندما يطرأ على قلبه الهوى

لا يبلغ إلى هدفه ومطلبه

بالتصوف والعلم والمعرفة

يطرد الغيرة والناموس والشرف

ويتحمل مسئولية الفضاحة

يفضل عدم الحياء والفقر

على الناموس والشرف والعزة[1]

يقوم بكل أعماله بالإخلاص

لا لوجه شيء آخر ولا للرياء

يقبل بكلتا عينيه ويوافق

على كل أمر يصدر إليه من الحبيب

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لا تؤثـــــر فيـــــه النصيحــــــة

وإن نصحـــه نـــاصح مائـــة مـــرة

لا يفيـــد ولا يجـــدى فـــى العشـــق

ذكـــاء الأذكيـــاء وفراســـة العقـــلاء

إن عمـــل العشـــق الشـــاق المعقـــد

متـــى يكـــون أمـــرا ســـهلا أيهـــا الأخ

لا يســـتطيع أن يقـــوم بهـــذا العمـــل

كـــل قليـــل الفهـــم، وكـــل متشـــرد

إن مجانســـة مـــن يجلـــب القلـــوب

متـــى يعـــثر عليـــه كـــل قليـــل الحـــظ[1]

لا يمكـــن الحصـــول عليـــه بالكســـب

إنـــه عمـــل مـــن الأعمـــال الموهوبـــة

مـــن وقـــع فـــى مصيـــدة العشـــق

فإنـــه لا نجـــاة لـــه مـــن ذلـــك أبـــدا

مـــن غـــير وجـــه الحبيـــب لا تتـــم

ســـعادة قلـــب العاشـــق وســـروره

مـــن أجـــل حبيبـــه يجـــول ويطـــوف

ويقـوم بمسـح الجبـال والسـفوح والسـواحل

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

يكـون خارجـا بعيـدا عـن أهـل العـالم
شـأنه فـى ذلـك شـأن الصيـد الصحـراوى
موطنـه ومسـكنه يكـون دائمـا
فـى الزوايـا والأركـان والعزلـة
يكـون دائمـا محترقـا ملوثـا بالغبـار
بحـرارة آهاتـه الحارقـة
فـى كـل وقـت تعرضـه علـى النـار
تمنيـات حبيبـه وأمانيـه
لا يكـون لـه ملـك ولا يملـك مـالا
لا زهـد لـه ولا عبـادة أو تعبـد
يمثـل هـذه الأمـور الصعبـة الشـاقة
تجربـه وتختـبره المعشـوقات
برؤيـة واحـدة تخطـف
كـل مـا كسـبه فـى كـل عمـره
هكـذا يقتلنـى ويغتـالنى
عـدم وفـائك أيهـا المحبـوب
إن قلبـى ينفجـر ألمـا عندمـا أتذكـر
تظـاهرك وغـروروك القـاتل
إن أنـانيتك بـلا حـدود ولا قيـاس
كذلـك زينـة جمـالك وحسـنك بـلا نهايـة

لا ضـــرر غـــير النفـــع والعطـــاء والفـــائدة

لمـــن يفكـــر فـــى حبـــك ويتصـــوره

التعـــــامل معـــــك منفعـــــة لى

ينبغـــــى أن أقـــــول حقـــــا لله

لا يبـــدو فـــى أى وجـــه مـــن الوجـــوه

صفـــاء حســـنك ورونـــق جمـــالك

لمـــاذا تقـــوم الشـــمس بمنافســـتك

حيـــث لا رأس لهـــا ولا رجـــل

إن شـــجرة الســـرو لا تـــدرك

حســـن ورشـــاقة قـــامتك القويمـــة

كمـــا أن قـــامتك عاليـــة مرتفعـــة

فإنـه لا وجـود لمثـل تلـك الرفعـة والعلـو

أذا كـــان وصـــالك ولقـــاؤك بحـــر

فـــإننى سمـــك بحـــرى

إن حيـــاة ومعيشـــة الذبـــاب

تكـــون فـــى دكـــان بـــائع الحلـــوى

إننـــى ببغـــاء مغـــرم بالســـكر

وشـفائفك حلـوى صنعـت مـن السـكر

لا تظـــــن أبــــــدا أن عبـــــد الرحمــــــن
ســــــيعيش حيــــا مــــــن غـــــيرك

"٣٩٠٧"

'٣٥٩- أسد عليّ'

هـــل أنـــت أســـد لقطـــع رقبتـــى وتحطيمهـــا فقـــط
أم أنـــك ســـيف قـــاطع لقتـــل الرقيـــب أيضــــا؟
إن المـــــوت كمـــــا تـــــرى يتعقبنـــــى بنفســــه
فمـــا حـــاجتك الماســـــة والملحــــة إلى موتــــى؟
هـــل التكـــبر والخيـــلاء عـــادة لـــك فـــى الأصـــل
أم أنـــك اليـــوم علـــى شـــكل آخـــر لغيظـــى؟
سيصبح هـؤلاء العقـلاء الذيـن لا عـد لهـم قليلـو العقـل
إذا كنـت أنـت شـجاع القلـب بطـل جـرئ هكـذا
إن طبيعتـــك وأخلاقـــك الفطريـــة ســـتظهر بنفســـها
مـاذا أقـول أنـا بـأنك أكـثر مـن البليـة والبـلاء؟
مـــن حـــيرتى الشـــديدة لا أســـتطيع أن أمدحـــك
مـا كيفيـة مدحـك والثنـاء عليـك، ومـن الـذى تشـبهه؟
إننـى حـين وجـدت طعـم شـفائفك صـرت محظوظـا
وإن كنـت بحديثـك المـر البـذئ مـرا مائـة مـرة

إن أصبح كل أصحاب الوجوه الجميلة ملكا لعبد الرحمن
لا سمح الله أن ينساك وتخرج من قلبه

" ٣٩١٥ "

' ٣٦٠- جوعان وشبعان '

بشيء يسير بمقدار الذرة تجوع أو تشبع
بشيء قليل بمقدار الذرة تدفأ أو تبرد
إن أردت الشباب من الله فستموت شابا
وإن عشت حيا بعد الشباب فستعيش معمرا ضعيفا
إن بني البشر يكونون أصحاء حينا ومرضى حينا
لست ملاكا لتكون صحيحا سليما من الأمراض دائما
إن العشق سيظهرك ظهورا بارزا مثل السماء
مهما كنت صغير الجسم قصير الجثة مثل المجنون
كافئ العمل السيئ بالعمل الطيب يا عبد الرحمن
إما أن تكون مقيدا بحب الحبيب وإما أن تكون متحسرا
أين العشق بدون جذبة العشق يا عبد الرحمن
إنك أنت مجذوب وصغير حتى الآن في حب الحبيب

" ٣٩٢١ "

' ٣٦١- رعاك الله من كل سوء '

حفظك الله وحماك من كل اضطراب وسوء

يا عمران أهل بيتي، وقريتي، وعشيرتي

إن العشق الذى كنت أعتقده جهلا وغباء

لقد علمت الآن وتأكد لى جهلى وغبائى

إن الماء الذى عبر فتحة القناة لا يعود ثانية

ما جدوى الندم العقيم فى غير محله وما نفعه؟

إن العمران يصبح فى لحظة واحدة خرابا ودمارا

والرجل الشجاع هو الذى يجعل الخراب عمرانا

كالريح التى تصطدم بالجبال والصحارى

فإننى كذلك هائم على وجهى تائه من أجلك

أنا الوحيد الذى أتعرى ويكشف أمرى بسبب غمك

هل يقوم إنسان بمصارعة عفريت من الجن؟

بنيت الحياة على الماء والنار والتراب والهواء

فما الآمال التى تعلق بمثل تلك الحياة ؟

أنت حين تتعهد بمثل هذه المواعيد الطويلة

يا ليتنى لو أعطيتنى معها وثيقة للوفاء بها

إن كنا نحن الاثنين فى ذلك العصر لما حكى أحد

قصة عشق مجنون وليلى، وحكاية حبهما الشهيرة

لكان فى دهشة وحيرة من مشهدى أنا وأنت
لو كان كل من آدم ودرخانية على قيد الحياة
كل من تحدثت إليه فقد احتار حيرة بدهشة
ماذا أقول وكيف أتحدث عن حيرة عبد الرحمن؟

" ٣٩٣٢ "

' ٣٦٢- طيش الشباب '

إنك الآن فى عمر الشباب سئ الفكر سئ الظن
حينما تحل عليك مرحلة الشيخوخة فستكون ضعيفا
إن كان قلبك يفرح بهذاالشباب فإنه ليس فى
الإمكان أن تعيش أبدا وأنت تتمتع بالشباب
الأمور التى ليست بواقعة فى تصرف يدك أبدا
فإنك تأمل فى تحقيق تلك الأمور بلا جدوى
إنك حين تربط قلبك وتعلقه بشئ آخر غير الله
فثق بالله الشاهد على هذا بأنك جاهل بلا عقل
ينبغى أن يكون الندم قبل فوات أوان الندم
لا أن تندم على وقت قد سبق ولا جدوى منه
هكذا أديت ظهرك إلى ذلك العالم الآخر وأهملته
كأنك مقيم دائما وأبدا فى هذا العالم
إن رأسك ليس بواطئ لله وليس براكع له
مثل ما هو يواطئ كالراكع للإقطاعى والسلطان

لا تستطيع أن تسهر ليلة واحدة فى طاعة الله
وتسهر كل ليلة حارسا للمال والملك والمتاع
يصبح لسانك الطرى خشبا يابسا عند التسبيح لله
وتغرد كالبلبل بالقول العقيم الذى لاجدوى منه
تقوم لصلاة الفجر فى الوقت الذى تشرق فيه الشمس
بينما تقوم لحرث الأرض وزرعها فى نصف الليل
لا تستطيع أن ترفع كوز الماء وتحمله للوضوء
وحينما تقبل على المنجل والحصاد تبدو قويا
تقوم بمد يدك إلى النار المشتعلة كالأطفال
وأنت لا تعلم شيئا من منفعتك عن خسارتك
تدور فى الساقية[1] مربوط العينين كالدابة
وإن كنت على وشك الوقوع فى البئر فإنك تدور أيضا
إن الذى يقدم النصح إلى غيره وينسى نفسه
فهو أنت وليس بإنسان آخر غيرك يا عبد الرحمن

"٣٩٤٦"

---

(١) الساقية: ترجمة لهذه الكلمة الأفغانية "كانى" وهى تعنى الدولاب الذى يدار بالدابة لاستخراج عصير قصب السكر، وهو يشبه الساقية تماما إلا أنه خاص باستخراج العصير من القصب، أما الساقية فإنها خاصة باستخراج المياه من الآبار والقنوات . و لم أتمكن من معرفة اسم هذا النوع من الدولاب باللغة العربية.

' ٣٦٣- الدموع الدامية '

إننـــى مـــن شـــدة غمـــك أذرف دموعـــا كلهـــا دم

دمـــوع أيتهـــا الحبيبـــة كلهـــا دم، كلهـــا دم، كلهـــا دم!

إنك بنفسك تبصريننى أموت بمجرد نظرتـك أيتهـا الحبيبـة

ومع هـذا يـا قاسية القلـب تقومـين بحد الخنجـر بـالحجر

فـى كـل وقـت تقومـين بقتلى بحضـور عينيـك الجميلتـين

وقلبـك يـا عديمـة اليقـين ليـس بمتيقـن مـن قتلـى

إن العـالم يعيـش ويحيـا بحبـك وودك، فلسـت أدرى

مـا هـو السبب فـى أن حبـك قـد اغتـالنى وقتلنى قتـلا؟

يبـدو أن لونـا منـيرا سـينعكس علـى العـالم كلـه

حـين قمـت بـارتداء مثـل هـذه الثيـاب الملونـة

ليست للعالم رحلان حتـى يذهـب إلى جهـة أخـرى هربـا

هكذا تقرضين بالغمزة عضلات رحلى العاشق فلا يهـرب

إن كـان شـكلى وهيكلـى يبـدو سـليما طيبـا مقبـولا

فـإن قلبـى أيتهـا المدللـة اللطيفـة مشـقوق مـن غمـك

مـن الـذى سيكون أفضـل وأجمـل وأكـثر قبـولا منـك

يـا مـن أفضـل وأجمـل مـن كـل الوجـوه القمريـة؟!

إنك حين حعلت غدائرك سحابا فـوق قلـب عبـد الرحمـن

فإنه من أحـل ذلك يتسـاقط المـاء الرقـراق مـن الأهـداب!

" ٣٩٥٥ "

' ٣٦٤- الرجل السئ العمل '

أضـــاع الله الرجـــل الســئ والعمـــل الســئ
ســواء كـان أخـا لـك أو قريبـا أوغريبـا أوأجنبيـا
الأجنبـــى الصـــالح العمـــل أفضـــل وأحســـن
مــن الابــن أو الحفيــد إذا أصبــح ســئ العمـــل
إنـه يجعـل كـل الحطب والأوانـى قـذرة متوسـخة نجسـة
لأن الرجل السئ كالثعلب والكلـب كلاهمـا سئ العمـل
إنــه يجعــل كـــل النـــاس فـــى القريـــة مـــن المجـــانين
إذا صـار كلـب واحـد فـى القريـة مجنونـا مسـعورا
لا يوجـد هنـاك دواء لعـلاج الكـلاب المسـعورة
غـير القتـل وإلقائهـا فىالآبـار للتخلـص منهـا
آكـل المـال الحـرام محسـوب فـى عـداد المخنثـين
وإن كـان شـجاعا بطـلا فـى ميـدان المبـارزة بالسـيف
إنمـا يوصـف بالشـجاعة والشـهامة هـو ذلـك الـذى
لا يقـوم بـإيذاء أى شئ وإلحـاق الضـرر بـه بـلا سـبب
يضـع القـدر فـوق حـامل الموقـد قبـل السـيف
حتـى لا يـبرد موقـده بالحسـرة والآهـات البـاردة
يصـل فيضـه وكرمـه إلى كـل واحـد مـن النـاس
بحيـث يدعـى أنـه حـاتم الطـائى فـى عصـره

ياعبد الرحمن مــن يصبـح ســئ الفهــم وســئ العمــل
فقــــل لى: أيهمــــا أفضـــل الكلــــب أم الإنســـــان؟

"٣٩٦٥"

'٣٦٥- نزع الروح'

إن كـانت روح الإنسـان تخـرج مـن شـدة الغـم ويمـوت
لكنت أنا قد مـت مـن غمـك الشـديد منـذ قديـم الزمـان
إننى قـد خسـرت قلبى ومهجتـى لقـاء الضفـائر السـوداء
مثـل مـن فقـد متاعـه ولوازمـه النفيسـة فـى ليلـة ليـلاء
إنـه فـى وقـت واحـد يرفضنـى ويقبلنـى فـى آن واحـد
لست أدرى: هـل أنـا مـن أقاربـه أم غريـب مـن الغربـاء؟
يحمـل فـى يـده مرهمـا، وفـى الأخـرى خنجـرا
فلسـت أنـا معـدودا فـى الأمـوات، ولا فـى الأحيـاء
إن كنـت راضيـا موافقـا علـى هـلاك العشـاق
فجعلنـى الله فـى مقدمـة كـل هـؤلاء العشـاق
ليـس لى ثمـن الـدم مثـل الإنسـان المشـوى المحروق بالنـار
لأننـى قـد قبلـت أنـا بنفسـى حـرق نفسـى

إلى أية رقية من الرقى[1] يمكن أن يصل إليهـا إدراك الراقـى

إذا كان كل شعرة من شعر خصلته أصبحـت ثعبانـا قـاتلا

لا يحـاول أحـد مـن النـاس التخفيـف مـن كـثرة دموعـى

لأنـه ليـس فـى مقـدوره أن يقلـل بالشـرب مـاء النهـر

إننـى أخـاف فـى ليلـة الفـراق المظلمـة

حـين لا أرى فيهـا ولا أشـاهد قمـر وصلـه المنـير

يقبـل علـىّ غـم الحبيـب وهمـه كالأسـد

مـا واجـه الله أسـدا مـع أحـد أبـدا

أقـوم ليـلا لأغـير التفكـير فـى الغـم والهـم

فـأضع علـى شـفتى الخمـر حينـا والنـاى حينـا آخـر

حينا أقـوم بـأخذ الكتـاب فـى يـدى وحينـا بـأخذ الربابـة

خلاصـة الكـلام أن المـى لا يخـف ولا يقـل أبـدا

كـل جـيرانى قـد اسـتيقظوا مـن النـوم قلقـين

وإن كنـت أقـوم بـأنينى وتـأوهى داخـل مائـة بيـت

إن كـان العاشـق فـى نظـر المعشـوق أحـد الكـلاب

مـا قـاتل الله أحـدا مـن العشـاق بسـيف الهجـر

---

(١) الرقى: جمع الرقية، والمراد بالرقية هنا العوذة أو الوردة التى يرقى أو يعالج بها لدغة الثعبان وغيره، والراقى من هذه الرقية أيضا.

أنا عبد الرحمن غارق في غم الحبيب وهمه
بحيث لا أرى ولا أشاهد بعيني أبدا إلا الحبيب

" ٣٩٨٠ "

' ٣٦٦- الدواء لداء الآلام '

إن الخمر هي دواء وعلاج وحيد للآلام والغموم
فاعطني منها أيها الساقي كأسين اثنتين على التوالي
اعطني خمر شفائفك أنت، لا خمر العنب
التي يتم شربها أولا ثم يعقبها التقيئ
كل سيف ليس فيه رواء الخمر وصفاؤها
فإنه لا يمكن لأحد أن يحوز النصر على عدو الغم من غيره
كأس الخمر التي أصبحت تحمل غموم العالم كله
إلى متى سأعيش أنا في هذا الغم والهم
أقدم عليّ أيها المحبوب واجعلني سكرانا
بحيث لا أعلم شيئا عن حال أيّ شيئ
إن السكر وفقدان الوعي ملاذ كثير القوة
ينقذ الإنسان ويخلصه من كل غم وهم
إنني أعتبر التحصيل الكامل في العشق للعاشق
هو ذلك الذي يطلق عليه العقلاء بأنه مجنون

إن عبد الرحمن قد أوجد الصلح مع الرقيب

الحبيب طيب غير أنه كلب عاضض البتة

" ٣٩٨٨ "

' ٣٦٧- هلاك وفناء '

إن كثيرا من الأفواه تناولت السكر في حياتى

ثم فنيت وتوارت في أيامى وأصبحت ترابا ورمادا

إن الله قد منح لكل إنسان حظه في الحياة

فأصبح حظ البعض السكوت وحظ البعض الآخر الصراخ

إن أشجار الصندل قد ذابت بالاحتكاك وانتهت

وتم نشر الآلاف من أغصان الصفصاف بالمنشار

إن الأراضي التي بنيت فوقها الدور والقصور

بدوران الأيام ومرور الزمن أصبحت مقابر

الذين يضعون أساس الحب وبنيانه في الدنيا

فقد أصبحت سيوف الفراق حادة من أجلهم

إن عادة هذا الفلك الذى خلقه الله وأبدعه

هى أن يقوم بالدعا للبعض، وأن يدعو على البعض

إن كل لبنة من لبن مبانى هذا العالم

قد أصبحت في نظر عبد الرحمن منارات من الرؤوس

" ٣٩٩٥ "

٣٦٨- روعة الوصال[1]

ليس لى أى دخل فى وصالك أيها المحبوب

حيث إن وصالك أمر أعظم من دخلى

لقد قلت لحارتك: إننى اتخذك مسكنا لى

إلا أنه أين لى هذه الدرجات العليا؟

ضفائرك المنعطفة زاوية من زوايا الحواجب

مقامات عجيبة رائعة من مقامات قلبى

لا تمدح أمامى الشمس والقمر ولا تثنى عليهما

لأنهما من العلامات الصغيرة لجمالك وحسنك

هكذا شتمتنى وقذفتنى بالسب أيها الحبيب

إن هذه الشتائم هى هديتك المرسلة إلىّ

إن نظرتك لم تقم بإسالة دمى اليوم فقط

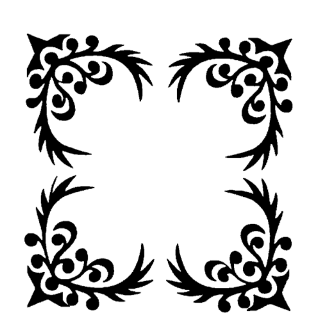
بل إن لك عادة دائمة مثل هذه العادة

---

(١) هذه ترجمة قطعة شعرية أنشدها الشاعر عبد الرحمن بن عبد الستار باللغة الأردية، تغلب عليها المفردات الدرية (الفارسية الأفغانية) بشكل لافت للنظر، بالإضافة إلى اشتمالها على ١٤ كلمة من الكلمات العربية. والشاعر فى الحقيقة ليس بشاذ فى كل ذلك عن شعراء الأردية حيث يبدو فى شعرهم بالأردية تأثير اللغة الأفغانية والدرية والعربية بوضوح الأمر الذى يدل على فقر اللغة الأردية وقلة مفرداتها الأصلية.

لا ترحـل مـن حضـن عبـد الرحمـن مـع الرقيـب
لأن هـــذا السـافل ســيء الخلـق وســيء الأهـــل

"٢٠٠٤"





(١) المخمس: وحدة شعرية تشتمل على خمسة مصاريع، الأربعة الأولى منها تشترك فى قافية واحدة والمصراع الخامس على قافية خاصة تشترك فيها المصاريع الخمسة فى جميع الوحدات.

' ٣٦٩- الأجمل من الشمس '

إن الحبيب الذى هو أجمل من الشمس

متى سيظهر لى وجهه المنير من الحجاب؟

إن الفراق قد أنهك قلبى إنهاكا لاحد له

فهئ لى سببا من الأسباب يا مسبب الأسباب

حتى أتمكن من اللقاء مع الحبيب

❋❋❋❋

اجعل يا إلهى لقاء قمرى الوجوه من نصيبى

واجعلنى عندليبا فى روضة قمرى الوجوه

اجعلنى عندليبا فى روضة أزهار الحبيب

يا إلهى اجعلنى من المقربين فى الأحباب

واحفظنى من عتاب هؤلاء الأهل

❋❋❋❋

ذلك الحبيب الذى أكن له الحب داخل عينى

وأنتظر رؤيته ومشاهدته دائما

أناديه ليلا ونهارا وأناجيه، وأرفع صراخى

لو طلبت منه نظرة احتراما للعالم وتكريما له

فإنه لا يرفع عينيه من نوم التدلل

❋❋❋❋

إن فراقه قد نهب قلبى وسلبه سرا

وجعلنى هكذا محتاجا إلى رؤيته

وأغرقني في أمواج بحر الغموم والهموم

بحيث لا توجد له نهاية، فما علاجي لذلك؟

بحيث أصبح غم حب الحبيب بلا نهاية

❖❖❖❖

إلهي،أيها الفرد الصمد أنت الحامي للذين ليس لهم أحد

أنت المنجز المدبر لأعمال جميع المنجزين المدبرين

إلهي، ببركه عظمة العظماء الأجلاء المبجلين

أطلب داعيا وصال المحبوبين ولقاء المرغوبين

متى ستستجيب يا إلهي لهذا الدعاء؟

❖❖❖❖

لقد جعلتني أسيرا مقيدا مغلولا بحبل الغدائر

ورفعت عليّ صرخة التكبير لجزار العيون لذبحي

إنني في اضطراب واهتزاز دائما كالسفينة

كأنها في عذاب مثل عذابي أنا من غمك

ما علم أحد من العباد هذا العذاب

❖❖❖❖

واحسرتي! لم أكن قد تولدت في هذه الدنيا

وإن كنت فليتني لم أكن على مثل هذه الحالة

التي احترق فيها بلهب نيران الهجران

إلهي، إلى متى سأعيش مشويا بمثل هذه النار؟

بحيث أصبح صدري مشويا مدى الحياة

❖❖❖❖

آه، آه، كيف أصبح خاطرى الثمل هذا كئيبا حزينا

تحولت حياتى وأيامى إلى الآهات والصرخات

إن مبنى قلبى قد تهدم وضاع بالتلف بحيث

أصبح كالحباب بلا أساس وبلا جذور

إلى متى أكون طامعا فى أساس الحباب؟

✻✻✻✻

أعيش سرا بعيدا عن نصح الناصحين والوعاظ

حيث ينصحوننى بأنواع وأشكال من النصائح

لأتوب من القربة والاتصال بالحسان

ليس لدى جواب لذلك، وفق ما تتطلبه الغيرة

واقف أمامهم متعبا منهكا بلا جواب

✻✻✻✻

إن هذا الجواب ليس مما يقال بقول اللسان

وسر العشق ليس من الأسرار التى تقال

ليس فى مقدورى القيام بهذه القصص الصعبة

بماذا يمكن عد هذا البحر الذى لا نهاية له؟

حتى يمكننى القيام بإحصائه وبيانه للناس

✻✻✻✻

لم يعثر أحد من الناس على النهاية لهذا البحر

هذا السر العظيم ليس بمكشوف لكل الناس

لم يقم أحد أبدا ببيان هذا الأمر وإيضاحه
هذا كله عشق وحب وليس بعبد الرحمن
الذى يمتلأ فمه بالدر والياقوت

XXXX

"٤٠٢٩"

' ٣٧٠- جفاء لا يطاق '

إن جفاءك أيها المحبوب فوق الحد المطاق
دموعى تتلاطم أمواجا دائما من موجة القلب
إلى متى ستظل هذه القصة سرا خافيا
بأننى ملقى غارقا فى التفكير بلا حركة
لا أدرى أفى جبل أنا أم فى سهل من السهول؟

XXXX

لو كنت أعرف مثل هذه المشقة المضنية والتعب
لم أكن قد ذكرت اسم الحب والعشق على لسانى
إننى غارق فى بحر غمك وهمه حتى الرقبة
ليس لى أحد غيرك لمد يد الإنقاذ والنجاة
ألا مددت يدك إلىّ لإمدادى أيها المحبوب؟

XXXX

قلت بأننى لن أبادل الحب بعد هذا مع أحد أبدا
هكذا كانت إرادتى ونيتى، ولكن ماذا أفعل؟

من الذى يعالج الحظ والنصيب حتى استخدمه لعلاجى؟
ولو قمت بالبحث واتخاذ التدابير بمائة حيلة
فإننى لا أجد النجاة مما فى اللوح المحفوظ والقلم

✿✿✿✿

إن حسان الوجوه جديرون بالفوز وإن كانوا عديمى الوفاء
والعشاق محكوم عليهم باللوم وإن كانوا ذوى الوفاء
إن كل ما من يدك من التصرفات ما زال فى قلبى
ماذا وكيف أتحدث عن الحالة وهم قد رحلوا؟
الغرض أننى ملوم وأنت غير ملوم ولا معتاب

✿✿✿✿

أولا: إنك من حيث الشكل جميل الوجه كالملاك
ومن حيث الخلق والخصال فإنك ملائكى الخلق
كذلك من حيث القد والقامة فإنك عظيم بالضرورة
لن يجد أحد من الناس مثلك يا محبوب القلب
ولو بحث عنه فى ثمانية عشر ألف عالم من العوالم

✿✿✿✿

إننى من أجلك أتعامل مع نفسى معاملة
لا يتعامل الأعداء بعضهم بعضا بمثلها يا زهرى الوجه

مـــا ســـبب حـــزن قلبـــك وتنفـــره الأليـــم منـــى؟
أرنـى ذنبـى الـذى ارتكبتـه فـى حقـك يـا مـالك قلبـى
حتـــى أتـــوب عـــن ذلـــك توبـــة نصوحـــا

XXXX

تضحـــك مـــع الرقيـــب ويـــدك متعانقـــة بســـرور
وعندمـا يقـع نظـرك علـىّ تجعـل ظهـرك إلىّ عمـدا
إن الله يـرى مـا تقـوم بـه مـن الأعمـال ضـدى
إنـك سـتجفو وتظلمنـى أيهـا المحبـوب إلى الأبـد
أم فـى وقـت مـا سـتتراجع عـن ظلمـك

XXXX

إنـك حـين جعلـت مثـل هـذا الاسـتغناء حرفـة لـك
فقـد جعلـت بذلـك أرض الضحـك معدومـة عـن العاشـق
ثـم جعلـت النهـار ليـلا علـى المسـاكين الغربـاء
فـاترك بعـد ذلـك عـادة مثـل هـذا الجفـاء والظلـم
سـيضطرب النـاس مـن ظلمـك اضطرابـا

XXXX

إن كـل فـرد مـن النـاس يعلـم مـا بيننـا مـن الحـب
هـذا الحديـث يجـرى فـى كـل بيـت فـى كـل الديـار
بـان كـلا مـن الفلانـى والفلانـى يحبـان بعضهمـا بعضـا
فـإن الرجـوع عـن ذلـك الآن عـار فـى نظـرى
حيـث افتضـح أمـرى فـى العـرب والعجـم

XXXX

إن الكائن الحي الذى يعشق جمالك ويحبه
يكون أمره مفضوحا بين الناس مثل ناحت الجبل[1]
يشار إليه بالبنان دائما بين الناس رجالا ونساء
ويكون كاذبا إن لم توجد فيه هذه العلامات
وإن كان يقسم ألف مرة فى كل لحظة

✻✻✻✻

إن العلامة الأولى للعشق والتوله بالحب
أن يكون العاشق يتعامل دائما مع الشكوى والصياح
يضاف إلى اسمه دائما اسم سوء السمعة
لا يخاف ولا يخشى من الطعن والتهديد بالعقاب
باستثناء مأتم الفراق والبعد عن الحبيب

✻✻✻✻

من ابتلى قلبه بحب العشيقات الحسناوات
فإنه لا يقدر على الحياة من غير الحسان ذات الوجوه القمرية
لو قام أحد بإعطائهم ملكا عظيما من ممالك الملوك
فإن هذا الملك العظيم فى نظر هؤلاء المعذبين بالنار
متاع أقل قيمة من ثمن نبتة واحدة

✻✻✻✻

---

(١) ناحت الجبل: ترجمة " كوهكن " وهو لقب فرهاد صاحب شيرين. راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

إذا كـان عرشـه كعـرش سـليمان مسـتقرا فـى الهـواء
فإنـه سـيصبح بسـبب العشـق ترابـا تحـت الأقـدام
يكـون دائمـا فـى شـكوى وصيـاح وغوغـاء
مـن ظهـرت فيـه مثـل هـذه العلامـة البـارزة
فـإن عشـقه فـى هـذه الحالـة مسـلم ومعـترف بـه

⁂

لا يظـن ظـان أبـدا بـأن أمـر العشـق أمـر سـهل
لأن هـذا الأمـر أمـر صعـب جـدا فـوق الحـدود
لم يجـد أحـد الوصـال و لم يعـثر عليـه دون الفـراق
قـدر ذلـك مـع نفسـك وقيمـه يـا عبـد الرحمـن
أيـن السـرور والفـرح فـى الدنيـا مـن غـير الغـم؟

⁂

" ٤٠٦٤ "





القصائد والمقطوعات والأبيات الشعرية التى عثرت عليها أخيرا

' ٣٧١- مضى عمرى عند بابك '[1]

مضـى عمـرى وانقضـى عنـد بـابك علـى أمـل

أنك فى وقت مـن الأوقـات سـتضع قدمـك فـوق رأسـى

كنـت تقـول بـأن كـأس العشـق أعـذب مـن السـكر

فـإن هـذه الكـأس قـد أحـرق كبـدى فـى الهجـران

لو شـاهدت بعينـى جـورك وجفـاءك مـن يـدك مائـة مـرة

فـإننى غـير واثـق مـن جـورك وجفـائك أبـدا

أيها المحبوب! إما أن تقوم بالامتناع عن ظلـم عبـد الرحمـن

وإمـا أن تقـوم بإرشـادى إلى حبيـب آخـر غـيرك

" ٤٠٦٨ "

---

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٨٢ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧. هذه المقطوعة وغيرها من المقطوعات الشعرية من ٣٧١ - ٣٨١ غير موجودة فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر رحمه الله، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، وكذلك غير موجودة فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا رحمه الله، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ. ويلاحظ أن لفيف العلماء الأفغان الذين قاموا بتحقيق هذا الديوان ونشره قد عثروا عليها بعد الانتهاء من أعمال التحقيق والإعداد للطبع، فقاموا بإضافتها إلى آخر الديوان من صفحة ٢٨٢ - ٢٨٨ فى شكل ملحق، وهو عمل أدبى عظيم يستحقون الشكر عليه فجزاهم الله خيرا.

' ٣٧٢- القول العبث '

إن كـــل قـــول أو حديـــث يقـــوم بـــه الإنســـان عبثـــا
فإنـــه مـــن الأفضـــل لـــه ألا يتحـــدث بهـــذا القـــول العبـــث
القـــول الـــذى يبـــدى عليـــه النـــدم فيمـــا بعـــد
علـــى القـــائل أن يرفـــع فمـــه عـــن التنفـــس بـــه بدايـــة
إن كـــل عمـــل يكـــون قـــد خـــرج عـــن الإرداة والاختيـــار
فإنه من العبث أن يتحدى أحـد مدعيا بأنـه تحت تصـرف يديـه
يتـم العثـور علـى الزهـد (الفقـر) بفضـل مـن ا لله
هـذا الفضـل لا يتـأتى بالكبريـاء التـى يقـوم بـه النفـس
إن الآدميـين جميعـا جسـد واحـد فـى الحقيقـة
جسد واحد، يجعلـه ا لله طـاهرا نقيـا، أونجسـا قـذرا أيضـا
مـاذا حـدث إذا كـان أصلـه وجـودا واحـدا؟
فإنـه كيـف للشـوك والعشـب القيـام بما للأزهـار مـن فضـل؟
بنـاء علـى شـدة إخـلاص المصلـين فإنـه يعتـبر جنبـا
كـل مصـل يصلـى ريـاء وتظـاهرا بـالتيمم والوضـوء
إن كان أنانيا لا يرى غير نفسه، فماذا تعمل معه يـا عبـد الرحمـن
كفـت الأنانيـة نفسـها جـزاء وفاقـا للأنـانيين

" ٤٠٧٦ "

' ٣٧٣- لو كشف المحبوب عن جمال وجهه '

إن المحبــوب لــو كشــف عــن وجــه جمالــه وحســنه

فإنه سيهز بشدة كثيرا من القلوب المطمئنة السـليمة مـن الغم

ســتقوم القيامــة فــى مملكــة الصــابرين بالتصــبير

وسيرفع كل بـاك صـوت البكـاء كمـا يرفـع إسـرافيل صوتـه

مــن كــان قــد شــرب مــن كــأس يواقيتــه الكريمــة

فــإن مكيــال القــدح يغمــز بهــذا الــذى لا عقــل لــه

إننــى أفهــم تعــاريج جبينــه وطياتــه بحيــث

يقــوم المحــراب بتدمــير قلــوب المجروحــين وتحطيمهــا

إن الدليــل الواضــح الظـاهر لذوائبــه المشــتتة المضطربــة

بــان تجعــل القلــوب المربوطـة مشــتتة مضطربـة كذلــك

لــو تحــددت وتعينــت حلــوة مــن جمالــه وحســنه

فإنها بشعلة منها ستجعل الشمس والقمر كالنعنـاع المحروق

لــو تم عبــور هوائــه وطــار نحــو تــراب قدميــه

فــإن الله سيســهل بذلــك عــلاج العيــون العميــاء

لــو قــام بمجــرد وضــع المشــط فــوق الضفــائر الســوداء

فسـيحول بذلـك المسـك والعنـبر إلى مزبلـة لا قيمـة لهـا

إن ضفــائره الســوداء مســك وعنــبر أيضــا

إلا أن مــن ســوء حظــى جعلهــا الله تعــالى ثعــابين

لـو قـام بإبعـاد الحجـاب عـن وجهـه يـا عبـد الرحمـن
فإنـه برؤيتـه سـيجعل كـل الهنـدوس مـن المسـلمين

" ٤٠٨٦ "

' ٣٧٤- قليل الحظ '

لو لم يكن أحد من الناس مصابا بجراح القلب من قلة الحظ
لمـا فـارق احـد مـن هـؤلاء حضـورك وابتعـد
الكـل يرغـب فـى الرؤيـة ويتمناهـا راضيـا
إلا أنـه لا يملـك أحـد غـيرك الحكـم فـى ذلـك
لـو كـان قـادرا علـى مواجهـة الأمـور الإلهيـه
لمـا قـأم أحـد بتحملهـا لحظـة واحـدة بـلا هـدف
هـذا رأسـى قـد قدمتـه نـذرا لـك وقربانـا
فلمـاذا يخوفنـى أحـد بعـد ذلـك بضـرب الـرأس بـلا حـق؟
كـل هـذا سـوء حظـى يواجهنـى وأتحمـل نتيجتـه
وإلا فـأين أنـت وتغيـر قلـوب النـاس وتقليبهـا؟
علـى أمـل الرؤيـة واللقـاء انخدعـت وأصبحـت مسـجونا
وإلا فـأين أنـا وتحمـل مشـقة الهجـران ومشـاكل الفـراق؟
لـن أنكـر حبـك وودك بـأى حـال مـن الأحـوال
مهمـا كـان أحـد مـن النـاس يقصـد ناويـا قتلـى
لـو لم يكـن حبـك الشـديد قـد قـام بشـراء قلبـى
فمـن الـذى يتنـازل عـن رأسـه ويضحـى بـه راضيـا؟

لو لم يكن أثر الحب وعلامة المحبة
فأين الجسم السليم وهذا القدر من تعب القلب؟
لو لم يكن المجنون مبتلى بحب ليلى وودها
فأين هذا المجنون المسكين وجولان الصحراء والجبال والغابات؟
إن الحب يعمل ويجلب كل مصيبة إن تصدق ذلك
وإلا فأين عبد الرحمن وهذا القدر من الإنشاد؟

"٤٠٩٧"

'٣٧٥- العلو من التواضع'

إنني قد بلغت العلا من تواضع نفسي
وأصبحت فارسا ماهرا كالغبار مع كل هواء
إن التواضع قد جعلني كاملا بحيث حين أسير
أقوم كالأرض بتسيير العالم كله مع سيرى
إنني حين قمت بمشاهدة معراجى وشاهدته فوق الدار
فإنه يجب أن أتحدث صدقا كمنصور الحلاج
والفرق بيني وبين منصور الحلاج
أنه قام بصرخته جهرا، وأقوم بها سرا
إن الأمر الظاهر العيان لا يحتاج أبدا إلى البيان
ماذا أقول أنا عبد الرحمن باللسان بأنني هذا

"٤١٠٢"

' ٣٧٦- المحبة سحابة الرحمة '

مـن جعلـه حبـه ضعيفـا ذليـلا، لاتعتقـد بأنـه ضعيـف

إن العشـق سـحابة الرحمـة فـلا تعتقـد بأنـه غبـار

فهو سنبل أسود حينا، ومسك أسود حينا، وعنبر حينا آخر

إن الضفـائر وإن كـانت كالثعبـان فـلا تظنهـا ثعبانـا

وجـه واحـد للعشـق للإحـراق، ومائـة وجـه للعـزف

إنـه فـى الأصـل نـار ولا تعتقـد بأنـه نـار

إن كثيرا مـن الأيقـاظ نيـام كالأصنـام المفتوحـة العيـون

إن كان الصنم ينظر إليـك بعينـين مفتوحتـين فـلا تظنـه يقظا

إن تأثيرا وأحدا هـو الهـدف المقصـود مـن وجـه الحسـان

كـل وجـه لا تأثـير فيـه لا تعتقـد بأنـه وجـه

إن الشـوك حـين يكـون مـع الزهـرة يعـد مـن الأزهـار

مـاذا حـدث لـو أن اسمـه شـوك، فـلا تعتقـد بأنـه شـوك

إن الذيـن يعـترفون بجهلهـم هـم فـى الحقيقـة عقـلاء

كـل مـن يدعـى بأنـه عـاقل لا تعتقـده عـاقلا

إن المسـيئين هـم أولئـك الذيـن لا يـبـدو لهـم سـوءهم

كـل مـن يعتـبر نفسـه مـن المسـيئين، لاتعتـبره مسـيئا

كـل مـن أقـر التعـامل مـع غدائـر الحبيـب واعـترف

فإنه لا يكون بلا قرار دائما، ولا تعتبر بأنه فى قـرار وسـكون

كل من يطلب الكمال فليعمل على تواضع عبد الرحمن
هذا هو الطريق بعينه، ولا تعتبره طريقا آخر

" ٤١١٢ "

' ٣٧٧- عبد الهوى إبليس '

يا من تعيش حريصا على الأهواء النفسية كالذئب
إنك فى شكلك الظاهرى ملك وفى الحقيقة شيطان
إنك قد اتخذت خلق شداد الظالم مسلكا لك
لم تعلم شيئا عن صياح قلب المسكين المدوى
إنك حين قمت بتسويد وجهك على طريقة فرعون
فإنك لن تستطيع أن تتساوى بهذا الخلق مع الصالحين
كيف وبأى طريق يتم حصوله على جسدك
حين تقوم بإرسال حيوان مفترس من باب الحبيب أيها الشيطان؟
إنك فى الظاهر صحيح الجسم معاف وروحك مريضة
ليتك احترقت تحت ذلك الجلد أيها العاتى
إنه قد نجا من جزاء " العدم " هؤلاء الذين
أصبح " وجود "هم رمادا كالتراب فى الفناء
قم بإيقاظ نارك من النوم، واعتمد واثقا
بأنك أنت نفسك نار بالنسبة لعبد الرحمن

" ٤١١٩ "

' ٣٧٨- الحواجب '

إنني أرى في المنام إما عينيك وحاجبيك

وإما أرى سكارى نائمين في المحراب

إما أنه يبدو في الكأس انعكاس وجهك الجميل

وإما شمس مشرقة تتجلى في الحباب

إما أنه تحت خطك براعم عرقك الراشح

وإما كوكب درى قد غرق في الشهاب

إما أنك قد قمت بنثر ضفيرتيك على وجهك الجميل

وإما سنبل قد تجعد بحرارة النار وتعوج

إما أن الضفائر السوداء قد جعلت وجهك مظلما

وإما رعد عاصف وقد أظهر نفسه في الشمس

إما أن أهدابك قد تغرزت في قلبي وخاطري

وإما أسياخ وقد اختفت في اللحم المشوى

إما أن جسدي كله غارق في الألم من غمك

وإما نبتة يابسة تدور داخل الدوامة

أنت يا إلهي اعف خطأ عبد الرحمن هذا واغفره

إن المضطرين الحيارى لا يحاسبون على أعمالهم

لو خرجت رؤية الحبيب عن الوسط وقطع النظر عنها

فما الحساب الذي يحسب لكرامة عبد الرحمن؟

" ٤١٢٨ "

' ٣٧٩- العيون القاتلة '

إنني سكران الوجه الذى عيونه سكرانة
عيونه قاتلة من غير سيف ولا شفرة
يخطف قلوب الناس الغائبة من غير مشاهدة ولا رؤية
عيونه ساحرة تأسر العيون الأخرى وتؤثر فيها
كل من شاهدها لا يستطيع أن يشاهد عيونا أخرى
عيونه جميلة محيرة مؤثرة كعيون الحورية الجميلة
شفتاه ماء الحياة، ونفسه نفس عيسى عليه السلام
ليس من العجب أن تكون عيونهم عيونا جميلة
أما العشاق فإنهم متى ينظرون إلى جهة أخرى
عيونهم كلها ناظرة إليك مائلة نحوك
يا عبد الرحمن إن الدموع تأتى من بذر المطر
فقد اخضر زرع من لديه عيون باكية

" ٤١٣٤ "

' ٣٨٠- مليك العالم '

إن كنت بالقطع ملكا لهذا العالم كله
فبعدم معرفتك لنفسك تعتبر طفلا صغيرا
إن الآدمية والإنسانية ليست بالمال والرداء
بما أنك تهتم بالمال والرداء فإنك حقير

علـــى المنصفـــين أن يقولـــوا قـــولا منصفـــا
مـــاذا حــــدث، إن كنـــت شــــريك أقـــاربك
إن ظهــرت فـــى العــالم وأشــرقت كالشـــمس
فـإن لم تصبح محبـوب القلــوب فـإنك ضـائع
إن الولايـة والكرامـة فـى إرضـاء قلـوب النـــاس
فأنت حين تقوم بإغراق الناس كيف تكون وليــا
إن الكبريـــاء لا تليـــق بالعظمـــة ولا تناســـبها
فشمر عن ساعديك للتواضـع إن كنـت سـالكا
إن الدهـــر يخلــق مثلـــك ثـــم يهلكـــه ويفنيـــه
وأنت تطلـب تحقيـق طلـب جديـد أيهـا الرقيـق
إن الأذكياء سيتعلمون من الديـوان عـبرة جميلـة
حين تنظر إلى عبد الرحمـــن بتواضع، فإنك فلك

"٤١٤٢"

' ٣٨١- منزلة القلوب الجريحة '

مـــاذا أقـــول لـــك عــــن حــــال القلـــب بلســـانى
إنـــك تعلـــم منزلـــة القلـــوب الجريحـــة ومكانتهـــا
إنـــك تحـــرق بحبـــك البلبـــل كــــالزهرة المتفتحـــة
وتحـــب الـــوردة النـــاضرة وتختارهــــا كــــالبلبل
تبـدو لـك العيـوب كلهـا مـن غـير المشـاهدة والرؤيـة
كـــامل الأوصـــاف فـــى كـــل الأمـــور والأعمـــال

إنك قاض وعالم ومحتسب تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر
وإنك ساقى الخمر فى محفل الخمارين السكرانين
إن ذاتك العظيمة تشتهر فى الكونين من ناحية
واسمك أعظم من كل شئ بنسبة الواحد إلى المائة
إنك حين لا ترجع بوجهك فى العبادة والتعبد
فإن نفسك تعمل الذنوب طول الليل وأنت قريبها
إن البيع والشراء فى يدك وتحت تصرفك
إذا كنت تعطيه أحدا من الناس أو تأخذه منه
يا عبد الرحمن قدم نفسك نذرا للابتلاء بالمرض الذى
قد حضرت المحبوبة وأتت لعيادة المصاب به
ماذا يفعل الله بالطاعة والعبادة يا عبد الرحمن
إلا أنه أراد أن يمتحن حب الناس لجلاله وعظمته

" ٤١٥١ "

ملاحظة:

ورد فى نهاية الملحق عدد من الأبيات الفردية، والمقطوعات القصيرة (٧١) بيتا، فضلت عدم ترجمتها إلى اللغة العربية.

حى السليمانية فى مدينة جدة، عصر يوم السبت ١٦ من المحرم سنة ١٤١٥هـ الموافق ٤ من برج السرطان سنة ١٣٧٣ هـ ش، الموافق ٢٥ من يونيه ١٩٩٤م. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول رب العالمين.


الفهرس

الفهرس

أى قصر قد بنينا	ليس إلا من حرابى
مثل قبر إن حفرنا	لتراب فى التراب
كل سطر كان خلا	فوق نور فى كتاب
خالد فجرا وليلا	ثم للدنيا خراب

صدر للمؤلف

الأربعون النووية (مترجم إلى الأفغانية)

أفغانستان والأدب العربى عبر العصور

أفغانستان .. النور والنار

أفغانيات .. خواطر وإبداعات

ديوان عبد الرحمن بن عبد الستار (مترجم إلى العربيــة)

الأدب ومذاهبه .. للدكتور محمد مندور (مترجم إلى الأفغانية)

ضياء الدين بن الأثير .. أديبا وناقدا وبلاغيا

سلسلة الدراسات الأدبية فى أفغانستان:

١- بست وسيستان وأهميتهما التاريخية والأدبية

٢- كونر أرض البطولات وأول الفتوحات

٣- نفحات عن تاريخ السيد جمال الدين الأفغانى منقذ الشرق

٤- السيد جمال الدين الأفغانى بين الحقيقة والإفتراء

٥- الشيخ الشهيد جميل الرحمن .. موطنه .. نشأته .. دعوته (تحت الطبع)

٦- أفغانستان واللغة العربية عبر العصور

٧- تأثير فكر الأفغانى فى فلسفة إقبال

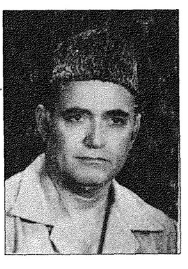
٨- أبو الطيب المتنبى وخوش حال خان .. نقد ومقارنة



الشاعر: عبد الرحمن بابا

هذا الديوان

- أول ديوان شعر أفغاني يتم نقله إلى العربية كاملا، وعليه فإنه يعتبر موضوعا بكرا لم يطرق مترجم بابه من قبل. يؤمل أن يكون له أثر طيب في الأوساط الأدبية في العالم العربي على أنه تراث أدبي يحقق إضافة أدبية إسلامية جديدة ويوسعها ..
- يؤكد الديوان المفهوم الإسلامي الأصيل للأدب الأفغاني، حيث يجد فيه الأدباء دليلا على نهج الأدب الإسلامي في دعائمه الإسلامية وعوامله الإنسانية التي تقوم عليها آداب الشعوب الإسلامية، وفنونها الجمالية وثقافتها الحضارية السامية ..
- يسهم الديوان في إعلاء قيمة الأدب الإسلامي، وفي تأكيد جذوره العميقة في مواطنه ومنابعه وفي توطيد أواصر الأخوة بين الشعوب الإسلامية في آفاق التصور الإسلامي للأدب وقيمه الإنسانية السامية في كل أرجاء العالم الإسلامي الفسيح ..



مترجم الديوان

- من مواليد قرية "شمونك" وهي قرية صغيرة بوادي "بيج" بولاية كونر في شرق أفغانستان ..
- حصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بمصر عام ١٩٧٩م ..
- له عدد من المؤلفات في مجالات الأدبية نشر بعضها، والبعض الآخر منها في طريقه إلى النشر إن شاء الله ..
- أسهم في الحركة الأدبية بمجموعة من المقالات والبحوث الأدبية التي نشرت في الصحف والمجلات الأدبية ..
- عمل مدرسا بكلية الآداب بجامعة كابل ثم بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف بمصر ..
- عمل مدرسا بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وما زال يعمل بها حتى الآن.